

المسيرة التجارية

رجال - أحداث - آراء

بدر الدين الشلاح

دمشق ١٩٩٢

بدر الدين الشلاح

المسيرة التجارية

رجال - أحداث - آراء

دمشق ١٩٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي هذا الكتاب وهو يؤرخ لمرحلة كاملة من العمل الاقتصادي والآمال المعقودة على نهضة تنتج الرخاء .

وباعتباري مهتماً بان يكون لجميع المنتجين الشرفاء ، أفراداً وشركات ، مزارعين وصناعيين وتجاراً ، عمالاً وفلاحين ومثقفين نشطاء ، دورهم الكامل في التنمية .

اسجل أنه : بعد أن قامت حكومات سورية عديدة فدحرت القطاع الخاص الى الخلف ، وهمّشت مساهمته حتى قاربت الصفر وهجّرت الكثيرين من أعمدته

كان الرئيس
حافظ الأسد

هو الذي عدّل الاتجاه ، فنادى منذ بداية عهده بالتعددية الاقتصادية ، وبأن يكون للقطاع الخاص دوره المنافس والمنشّط والفعال في حياة الأمة ، وهو ما كررته مراراً وسجلته في كتابي الأول (قصة جهد وعمر) للتاريخ والذكرى .

إن هذا الموقف الذي ما يزال يتطور ويتنامى في اتجاه النهضة والحرية الاقتصادية المنظمة والمتناسقة مع جهود الدولة ، يسجل للرئيس انه مناط الأمل ومحط الرجاء بأن يتم على يديه تصحيح كل الأخطاء والاندفاعات التي تؤخر وطننا الغالي .

فليتقبل سيادته هذه التحية مقرونة بالاحترام والاجلال من رجل أمضى ثلاثة أرباع القرن في خدمة الاقتصاد والقيم الدينية والوطنية والأخلاقية .

بدر الدين الشلاح

وكلمة شكر

والى السادة الملوك والرؤساء والأمراء والقادة والمسؤولين في كل البلاد العربية ، الشكر على ما قدموه لبلادهم من خير وما أحاطوا به الأسرة التجارية والاقتصادية عامة من بوادر الرعاية والعناية والمحبة .

وملاحظة عابرة ولكن ضرورية

إن هذا الكتاب كان محاولة من ذاكرتي التي تصارع النسيان لاحياء ذكرى بعض الأحبّاء النشطاء في الحقل التجاري وجميع الحقول الانسانية فإذا نال بعضهم من الصفحات والأسطر أكثر من بعض ، أو قُدّم بعضهم في الذكر عن بعض ، فما ذلك من تمييز ولا تفريق ، وإنما بقدر ما أعرفه لأن كتابي شهادة فرد وليس تاريخاً يجمع من المصادر ، إذ أنا شاهد لا مؤرخ . والمحبة والاحترام يشملان الجميع بالتساوي .

من خطاب الرئيس الأسد
لمناسبة الذكرى السابعة عشرة
لثورة آذار المجيدة عام ١٩٨٠

.. وَفي هذا المجال لابدّ لي من على هذا المنبر، من أن أشكر وَأحيّي غرفة تجارة دمشق وَتجار دمشق على موقفهم الوطني الذي عبّروا فيه هذا اليوم، في برقيتهم وَبيانهم الذي أصدروه وأظهروا فيه تمسّكًا بالمصلحة الوطنية، وفهمًا حقيقيًا لهذه المصلحة الوطنية، وكانوا صادقين مع أنفسهم وَمع وَطنهم في هذا الموقف، وَعندما عبّروا عن فهمهم لغيرَة الثورَة على مَصلحة مجموع المواطنين.

دمشق أيّها الإخوَة، وَليس من قَبيل المجاملة، عاصِمة التاريخ، عاصِمة العرب، سَتظل إلى الأبد مَوضع فخرنا وَاعتزازنا. دمشق ستظل أبدًا عاصمَة الوطنيّة وَالعُروبَة وَالإسلام.

الفهرست العام

الأبواب

الباب الرابـع : ص

الباب الخامس :

الباب السادس :

الباب السابع :

الباب الثامن : ص

الباب التاسع :

الباب العاشر :

ليس يخلو كتـاب مـن ملاحظات وأخطاء مطبعية وبروتوكولية ولا سيما في
بعض الأسماء وفي الصفات التي سبقتها من ألقاب التكريم والتبجيل ، فالمعذرة ممن
يجـد شيئاً مـن هـذا يخصه ، فالاحترام للجميع مـن ثوابت فكر المؤلف .

الباب الأول

المقدّمة

في كتابي الأول الذي صدر منذ سنتين بعنوان (للتاريخ والذكرى ... قصة جهد وعمر) قدّمت لوطني وشعبي شهادة تتناول قرناً كاملاً من التقاليد الوطنية والإنسانية والإجتماعية .

وتحدثت عن جميع ما عرفته من المؤسسات التربوية والاقتصادية ولا سيما التجارية .

وحاورت أولادي في فترة التراسل فيما بيننا لتوطيد العلاقات العائلية القائمة على التناصح والمحبة والاستعداد لدنيا شديدة التغير سريعة الحركة بما لا يخرج عن سيرتنا وماضينا في التعامل الشريف والمجدي ، ثم يتناغم مع العالم السريع الذي كنت منذ الأربعينات أتنسم أخباره واستطلع ملامحه .

وأخيراً فقد قدمت صورة لعالم واسع زرته في رحلات كثيرة حاملاً معي مبادئي العربية الإسلامية وعيني انسان يتوق إلى المعرفة وإلى الجديد دون ان يفقد القدرة على المحاكمة والانتقاد واختيار الأصلح في مقارنة مجدية بين الأصالة وما نشأ عليه من جهة ، وبين الجديد وما يراه من جهة أخرى .

وقد قصرت توزيع الكتاب على الاهداء إلى السادة الأصدقاء ، وإلى من طلبه ولم أعرضه للبيع لأنه كتاب توثيقي وليس كتاباًمن الفكر والإبداع . ثم كان ان لاقى حظوة من السادة الذين اطلعوا عليه وأبدوا فيه رأياً مشكوراً كان خير جزاء على جهدي الخالص لوجه الله ومصلحة الوطن والناس والتجارة الحقيقية .

كما أسعدني ان الكتاب ذكر بالخير مئات من الأشخاص اعانني الله عز وجل على تذكر مآثرهم لأن احياء ذكرى النابهين وايراد سيرتهم بما ينفع الناس من الأمور التي تديم الخير وتوطده في عالم بدأت فيه مظاهر التردّي تطفو على السطح . واذا كنت قصرت في حق بعض الإخوة الأكارم من رجال السياسة والقيادة والتجارة ، فانهم جميعهم أغنياء عن كل مديح وأعمالهم تتحدث عنهم وليس لي سوى أن أوجه الاعتذار عن ذاكرة بدأت تتخاذل .

ثم رأيت أن المسيرة التجارية بخاصة قد ألقت على عاتقي مهمة أعتبرها فرضاً عيناً ـ ولو كانت فرض كفاية على الآخرين ـ وهي التأريخ لهذه المسيرة في سورية والبلاد العربية برجالها ومؤسساتها ولقاءاتها المثمرة . فاذا كان اخواني من التجار قد قدموني إلى مراكز مسؤولة كنت فيها اماشي الحركة التجارية واتحرك بين اساطينها وقوانينها فقد حقّ عليّ ان أسجل هذا النشاط لا سيما وإنني في السنوات الأخيرة قد تركت العمل المباشر وتفرغت لخدمة غرفة تجارة دمشق واتحاد الغرف التجارية السورية ، وصار من واجبي أن أسجل قصة التجارة والتجار بقدر ما تسعف الذاكرة والوثائق التي بين يديّ وهمة العمل في ذهن يغالب الكلل .

وأحمد الله تعالى على أنه مكنني ـ في عامين من الجهد المتواصل ـ من انجاز هذا الكتاب الثاني وفيه عدا قصة التجارة والتجار ذكر لعدد من المؤسسات والرجال النابهين الذين تركوا بصماتهم على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية في بلادنا . وقد كتبت الكتاب بعفوية ، وكنت إذا جاء الاستطراد من حديث إلى سواه ـ والشيء بالشيء يذكر ـ تركت القلم يرمح على هواه كمهر نشيط يقفز بين الحواجز وفوقها . وكذلك قد ترون إطالة في بعض المواطن أكثر من سواها ، وهذا في الأصل أسلوب ربما أفاد في تقصيّ الشوارد والتقاط الأفكار والحوادث على الطائر .

وعليّ ان أقول إنني بهذه العفوية قد أكون قدّمت في الترتيب شخصاً على سواه ، أو أطلت الحديث عن شخص أكثر من سواه ، أو أهملت ذكر من يستحق ان يذكر بسبب من ضعف الذاكرة . ولكن هذا لا يعني التمييز والتفريق فالكل عندي إخوان أحباء ورجال كرماء . والله يشهد إنني ما قصدت إلا وجهه وما توخيت إلا ما ينفع الناس . . .

ثم آن ان اترككم مع الكتاب فقد أطلت ، وفي ذكائكم ومحبتكم شافع عن الكفاية .

أيلول ١٩٩٢

بدر الدين الشلاح

بيان تقدير للحركة التصحيحية والبيعة التي جرت في ١٩٩١

منذ بداية حركة الثامن من آذار كان الرئيس حافظ الأسد الركن القوي في القيادة العسكرية يجذب الأنظار إليه بمواهبه القيادية ومواقفه السياسية وقوة شخصيته وقدرته على استقطاب الناس حوله بما حباه الله من ذكاء وسداد رأي وبعد نظر واستشفاف للمستقبل ومعرفة صائبة بالتوقيت المناسب لكل قرار .

وفي الثالث والعشرين من شباط ١٩٦٧ تسلم وزارة الدفاع وأصبح في موقع حاسم يسمح له بالعمل المجدي لإقامة الأسس الصحيحة للاستقرار والاصلاح ومواجهة المخاطر الخارجية ولا سيما الكيان الصهيوني المتربص بالبلاد لمزيد من العدوان والتوسع . وقد استطاع بمواهبه أن يطوق مختلف الفتن والتحركات حتى جاء صباح السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٧٠ فأعلن حركته التصحيحية التي تمت دون إراقة قطرة واحدة من الدم ، وبدأت البلاد تسير في طريق الاستقرار ، وبدأ بتنفيذ برنامج تنظيم السلطات وهياكل الدولة وجمع القيادة السياسية في إطار الجبهة الوطنية التقدمية وحشد طاقات البلاد لتحمل أعباء البناء والتحرير .

وليس من يجهل ما أنجز في ظل هذه القيادة في كل الأصعدة وفي كل مكان من سورية فامتلأت البلاد بالمعامل والمنشآت والسدود والمزارع الحديثة وانتشرت شبكات الطرق الدولية والخطوط الحديدية في طول البلاد وعرضها وأنشئت الفنادق الكبرى والمنتجعات السياحية والمدن الرياضية مما بدل ملامح الخارطة السياحية ونقل سورية الى موقع متقدم .

إن ما قدمه السيد الرئيس من جهد وتعب وتضحيات كاف لإعطائه مكانة سامية في التاريخ ، ولتعطيه الحق في أن ينعم بالراحة لنفسه وجسمه ولكنه ما زال مثابراً على العطاء والتضحية ليكمل الرسالة ويوصل البلاد الى شاطىء الطمأنينة والكرامة والتحرير والازدهار .

ولهذا فقد استجاب سيادته للرغبة التي عبرت عنها البلاد بقواها السياسية والاقتصادية وأحزابها ورجال الفكر فيها وقبل ترشيح نفسه لولاية رابعة ، وكانت الاحتفالات التي رافقت ذلك القبول ثم الاستفتاء مظهراً فائقاً من مظاهر المشاركة الشعبية الواسعة المنقطعة النظير ، ولم تبق جهة أو فعالية إلا وشاركت في هذا الموقف الشعبي العام ، ومن بين هذه الجهات الفعاليات التجارية والاقتصادية .

إن ما جرى في تلكم الأشهر الممتدة من تشرين الثاني ١٩٩١ حتى تسلم الرئيس المهمة والقائه الخطاب التاريخي في آذار ١٩٩٢ كان من الأمور المشهودة على أوسع نطاق يتصوره العقل داخل سورية وخارجها ، ومن نافل القول أن نورد التفاصيل عن عملية الترشيح والاستفتاء أو نذكر البيانات التي رافقتها والحماسة التي صاحبت ذلك كله . فحين تكون الأمور جرت على مثل هذا النطاق الواسع يكون ذكر مساهمة هذه الجهة أو تلك في الحملة العامة أبعد ما يكون عن الوفاء بالصورة الحقيقية .

يكفي أن أقول أن الرئيس حافظ الأسد حفظه الله وأعطاه الصحة والقوة لتحمل الأعباء في الظروف العالمية الحاضرة الخطيرة وفي عملية الصراع العربي الصهيوني ، أنه رجل المهمات الجسيمة ، وأنه العقل الواعي المنظم المفكر المبتكر الذي لا تفاجئه الأحداث ، وأنه القائد الذي كان من حظ وطننا أنه وجد على رأس الدولة والقيادة السياسية في هذه الظروف . ولعل كتاباً كاملاً أكبر من هذا الكتاب لا يكفي لتعداد المواقف ووصف المظاهر والكلمات التي رافقت سيرته المجيدة . وأنا من موقف محب للسيد الرئيس إضافة الى موقف الاعجاب ، أدعو الله عز وجل الى أن يوفقه ويمده بالصحة والعافية والقوة والجلد لحمل رسالة تنوء بحملها الجبال الراسيات .

آذار ١٩٩٢

بـدر الـدين الشـلاح

لمناسبة مرور مائة عام
على تأسيس غرفة تجارة دمشق

١٩٩١/٥/٢٠

لا بد في كل رحلة من محطة للتأمل والاعتبار . فالزمن لا ينقسم ، ولكن العقل الانساني يستعيد بين حين وآخر هذا المسار الطويل ويستمد من تجاربه جواهر الحكمة والعظة ويعطي ما ذهب الى الماضي مغزىً كريماً .

إن أعمارنا محتومة بالتوقيت ، ولكن عطاءها المعنوي من أعراف وأصول ومواقف يستمر ويرافق الأجيال في صراعها مع الأيام والحاجات المتجددة .

وأمام أكثر من قرن من العمل التجاري في دمشق يوجد الكثير مما يقال . فدمشق شهدت فجر الحضارة وتعالى نبضها وتشعب تكوينها خلال العصور ، وأحست دائماً بالهزات العالمية لأنها قلب المنطقة التي تقاطعت فيها تيارات التاريخ وعواصف الطامحين .

والمسار التجاري فيها يلخص الكثير من حركة الانسان في التبادل والانتاج ومواجهة الظروف المتقلبة ، ويقدم أمثلة الاستثمار العقلاني للمحاصيل والمواد ، والالتفاف على الصعوبات ، والتأقلم مع أدوار المناخ ، والاستجابة للاحتياجات . وخلال هذا المسار برز العمل الجماعي وتبلور في هيئات وفروع تنطلق من دوافع واحدة وتعمل بتعاون وموضوعية لتلبية الطلب وتسويق الانتاج وتخزين المواسم وإعالة الناس .

ونشأت في هذا التنظيم الطوعي المواصفات المطلوبة في التاجر وتمّ ربطها مع حروف الكلمة . قيل أن التاء ترمز للتقى فالتاجر تقي يخاف الله في عبادته ومعاملاته لا يؤذي ولا يغش ولا يغبن ولا ينكث بالعهد ولا ينقص الكيل ويتجنب الاستغلال الفاحش ، ملتزماً بكل ما تعنيه كلمة التقوى من إنسانية واستقامة .

والألف ترمز الى الأمانة والتقيد بمواعيد الوفاء واحترام الحقوق وصدق الائتمان على الحسابات والودائع وتلبية حاجات الزبائن في الجودة والسعر والتوقيت .

والجيم ترمز الى الجرأة الضرورية لاتخاذ القرارات الواضحة والسريعة والدخول في الصفقات في الوقت المناسب حتى لو كانت عناصر القرار المضمون غير متوفرة . فمهما بلغ

التاجر من الحكمة لا يستطيع التنبؤ الدقيق بحال السوق وما يستجد حتى الاستحقاق أو تنفيذ العقد ، كما أنه لا يمكنه أن يفرض السعر الذي يريد لأن ثمة متغيرات تبدل ما كان واقعاً ومقبولاً ، فلا بد من أن يتحلى التاجر بالجرأة لاتخاذ القرارات في الوقت المناسب رغم كل ما سبق .

وأخيراً ترمز الراء الى الرحمة والرأفة وبأن التعامل لا يكون مستنداً دائماً الى الكسب المادي ولا بد من موقف انساني في التعامل مع الناس .

هذه الصفات تجسد الشروط المطلوبة في التاجر ولكنها لا تكفي ما لم تتوازن فيما بينها حتى لا يلغي أحدها الآخر وأي خلل في ذلك ربما جعل التاجر فاشلاً أو مغامراً أو فاجراً . كما أنه ليس هناك من صفات تصلح لكل زمان ومكان بل لا بد من ان تتغير مع ظروف التاجر وأوضاعه ومسؤولياته .

وقد كان التاجر السوري في ماضٍ غير بعيد يحرص على التقى والرأفة ولكن لا يتمتع بالجرأة والجسارة فيكون بذلك ضمن الاحترام والتقدير . وكانت متطلبات العمل التجاري غاية في الوضوح وتقتصر على قليل من المال والخبرة المكتسبة من الممارسة البدائية ويتدرج التاجر من بائع الى صاحب دكان بلا صعوبة أو مخاطر وتبقى الأرباح متواضعة وتتكون الثروة من الوفر وببطء ، ولم تكن ثمة مخاوف أو تعقيدات . ولكن الماضي انقضى وصرنا الى وقت مليء بالتعقيدات والشروط المرهقة ابتداء من ضخامة رأس المال المطلوب الى المعرفة الواسعة بالأسواق المحلية والعالمية والعلاقات الاقتصادية وتأمين التجهيزات الحديثة والمستودعات لاستيعاب قوانين وأنظمة العمل التجاري . وتواجه التجارة اليوم تقلبات السوق ومخاطر التضخم وكثرة التكاليف ولا بد للتاجر من وجود ثروة تراكمية تحميه من الهزات وتمنحه الضمانات الكفيلة بتجاوز المفاجآت والمحن . لقد صار رجل الأعمال أمام الممارسة يواجه المخاطر والتعقيدات التي لم تكن في الماضي . فقد اتسعت المجالات وتضاعفت مصادر البضائع والسلع وتكاثرت أوصافها ووسائل تعبئتها ونقلها وصارت في حاجة الى مزيد من المعالجة والحفظ ، وكثرت أقنية التوزيع واقتحمت التكنولوجيا كل هذه الحلقات بلا عودة ، وتنامت الصفقات وكثرت ، فصار كل قرار يأخذه التاجر يأخذ جميع هذه الاعتبارات فإما نجاح كبير وإما فشل وبيل النتائج .

وقد حقق التاجر السوري عبر هذا التحول انجازات تبعث على الرضا في جميع مستويات التحدي العلمي والتطور التكنولوجي ، ونرى اليوم أمثلة جيدة على استيعاب وتحقيق التوسع الأفقي والهرمي في المؤسسات والأعمال التجارية . ان هذا النشاط الذي كان محدود العدد والنوعية والمسار لم يكن حكراً على فئة مختارة بل دخلت فيه أعداد كبيرة من الجيل الجديد المتحمس النشيط المزود بالثقافة واللغات مما يضمن مستقبله .

وانه لنجاح يبشر بالمستقبل ولكنه يبقى محدوداً ومثقلاً بالشروط وعلينا أن نهيء له المناخ ليتخذ المسار الصحيح الذي يكفل ثلاثة أهداف :

الأول ـ أن يبقى ملتزماً بالمصلحة العامة ويلتقي مع منهج الدولة لتحقيق تنمية شمولية متوازنة جيدة الأداء متفقة مع سلامة البيئة وتعم خيراتها جميع الناس .

الثاني ـ ان يكون النجاح نوعياً ومتكاملاً في الأداء والرقي الى مستوى المسؤولية على نطاق المجتمع التجاري بكامله لا منحصراً في رجال الأعمال كأفراد .

الثالث ـ ان يتبلور في مشاريع عملاقة تظهر تقدم البناء الاقتصادي الوطني على قاعدة متينة من التصنيع والانتاج والتطوير وتجسد أهمية القطاع الخاص ومشاركته في بناء مجتمع العدل والرخاء .

هذا في مجال البناء الاقتصادي والتنمية الشاملة التي تتعامل مع المتغيرات . ويجب ألا ننسى الالتزام الاجتماعي والناحية الروحية في علاقة الأسرة التجارية مع المجتمع .

ثمة من يقول أن الانجاز المادي الذي تم لم يواكبه مثله في العمل الروحي وتحمل المسؤوليات الانسانية والاجتماعية . إننا نؤمن بأن فئة التجار تقوم بعمل مرموق في المؤازرة الاجتماعية والصحية ، ولكن المعاناة الشعبية في زمن التضخم وازدياد التكاليف يتطلب منا ارتقاء أكبر الى مستوى المسؤولية ، وما يزال الاسهام التجاري في هذا المجال فردياً ومبعثراً .

ان الناشطين في المجال التجاري يحملون شعوراً صادقاً بالتعاطف الوطني ويبدون حرصهم على ممارسة دور فعال في التضامن الاجتماعي لتحويله الى واقع مشروط بأمرين : أولهما العمل السريع والمدروس على مدى بعيد عن العفوية والآنية ، والثاني العمل الجماعي والمشترك ذو الطابع المؤسسي الذي يكسبه الثبات والاستقرار ويوفر له الدعم والموارد .

ولا بد لي هنا من أن أشير الى ظاهرة ايجابية ومدهشة في سلامة العمل التجاري في سورية وهي ندرة حوادث الافلاس . ففي عام ١٩٧٦ كانت دعاوى الافلاس في دمشق ست عشرة ، وفي عام ١٩٨١ نزلت الى دعويين فقط ، وفي عام ١٩٨٦ كانت أربع دعاوى ، وفي ١٩٨٨ بلغت تسعاً بما في ذلك ما حوّل من السنين السابقة . ان هذا الرقم إذا ما قيس بسكان دمشق وهم أربعة ملايين وعدد التجار الذي يزيد المسجلون منهم لدى غرفتي التجارة والصناعة على خمسة عشر ألفاً فان الأرقام تعطي مغزىً واضحاً . هذا مع الإشارة الى أن الافلاسات لم تحدث في ما بين العاملين بالتجارة بل بين الذين يتعاطون تشغيل الأموال لقاء فوائد عالية ووهمية ، وهو أمر نشأ عن التضخم وكثرة الأموال الآتية من أرباح البناء وتجارة الأراضي وعدم وجود مشاريع لامتصاص هذه الأموال .

إن سورية تفخر إذن بسلامة العمل التجاري فيها على أساس ما ذكرت .

هذه الأفكار هي التي أردت طرحها في معرض مجموعة الدراسات التاريخية التي وضعها فريق من كرام الأساتذة وستنشر بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على قيام غرفة تجارة دمشق . وإنني لأشيد بجهدهم المشكور في التقصي العلمي والموثق لتاريخ التجارة ، وأحس بالامتنان لمشاركتهم في احياء المناسبة التي أضاءت صفحات منيرة من حياة دمشق الخالدة ، وركزت على الجهد الخيّر والابداع النوعي للإنسان في وطننا الكبير ، وفاءً واعتزازاً بالله والوطن والانسان .

أعضاء غرفة التجارة منذ ١٩٢٢

من طبيعة عملي كمنتج وكتاجر ان أتحدث عن زملائي التجار الذين أعيش وأتعامل معهم منذ أكثر من سبعين عاماً ، ومن حقهم عليّ إنصافهم كرجال عاملين يفيدون المجتمع الوطني في مسيرة البناء والرخاء . . وأنا لا أنظر إليهم كطبقة نوعية منفردة ، بل أراهم عاملين نشطاء في ساحة مفتوحة للجميع وكلٍ من يملك الرغبة والهمة يستطيع أن يبدأ من الصفر ويتدرج بذكائه ومثابرته فيصبح تاجراً أو صاحب مصنع أو ورشة أو معلم مهنة ، ويتبعه أولاده ما دام يحقق النجاح والربح ، وليس ثمة احتكار لهذه الأعمال .

هكذا نشأنا وتكونت الأسرة التجارية منذ كانت البلاد مجتمعاً من التجار والحرفيين والمزارعين والعمال ، ولم تكن الوظائف في الدولة موجودة إلا لفئات محصورة تحيط بالولاة والقضاة والقيادات العسكرية ، وما نسميه الآن بالقطاع الخاص هو الساحة الأولى والوحيدة للبحث عن فرص العمل .

وبعيداً عن التسميات التي يطلقها أصحاب النظريات أتعامل أنا مع الناس عملياً وميدانياً في كل يوم وأعرف أصناف التجار من منتجين وحرفيين وعمال وأخذت من هذا الاحتكاك معرفة لا تستخلص من الكتب والنظريات . ان حديثي عنهم قاصر على الوقائع والتصرفات والتمسك الصادق بالقيم والأخلاق وما نراه من بعض السلبيات ليس عاماً وينعكس دائماً على أصحابه .

يعرف الناس انني أجمع بين الزراعة والصناعة والتجارة . بدأت من الأرض حيث سهل لي ربي عز وجل وأعانتني تربية والدي الحازمة ورضاه عني فمارست الزراعة الجادة التي تتمتع بأفضل مستويات الانتاج ، وحولت انتاجي الزراعي الى مواد غذائية مصنعة أصدرها ، فبكل تواضع أقول أنني منتج زراعي وصناعي مصدّر ولا استورد شيئاً كمالياً ، وهذا ما التزمته وربيت أبنائي عليه وأهيب بالناس جميعاً ان يفعلوه لينتعش الاقتصاد ويزداد الدخل القومي وتتسع القاعدة الانتاجية التي تغني البلاد وتدعم رخاءها .

ان هذه هي طريقي وما زالت رغم التغيرات الكبيرة التي عصفت بالعالم وغيرت وجه الكثير من الأنظمة . فالعالم يستزيد من الانتاج الزراعي والصناعي وتقوم المنافسة بين

الشعوب على الكفاءة الانتاجية واستيعاب الثورة التكنولوجية لدخول الأسواق العالمية بنجاح ، وليس للمقصر إلا الخيبة ولا رحمة لأحد ، ولا يفيد إلا الجهد والدأب والاعتماد على الذات .

جرني الى هذا الاستطراد ضرورة توضيح صورة التاجر والمنتج ومسح الأقاويل البعيدة عن الأمانة والموضوعية .

ثم انتقل من هذا الى تجاربي مع التجار الذي أتحدث عن عدد منهم بالاسم الصريح والواقعة المحددة ، كما أتحدث عن علاقتي مع غرفة تجارة دمشق وهي الهيئة العريقة الأصيلة .

لقد انتسبت الى الغرفة في ١٩٢٨ غير إني قبل ذلك لم أكن بعيداً عنها إذ كان والدي عضواً فيها منذ أنشئت وأنا لا أفارقه وأتولى الكثير من أعماله فأتيح لي الاحتكاك المباشر مع أعضاء الغرفة منذ سن مبكرة وأكسبني ذلك أصول التعامل والخبرة والعلم . كما ارتبطت ببعضهم في أعمال تجارية . فمن ذلك أن موسم الحبوب كان ضعيفاً في عام ١٩٢٩ مما أحاجنا الى استيراد بعض حاجة البلاد من اوربا ، فاتصلت بالسيد موسى غناجة واستوردت بواسطته أربعمائة طن من الطحين وزعت في دمشق والزبداني .

وفي عام ١٩٢٨ انفردت أنا وشريك العمر شقيقي شفيق عن والدنا بالعمل مع محافظتنا على ارتباطنا العاطفي به والتماس رضاه الدائم ، وسجلت نفسي منتسباً الى غرفة التجارة كما ذكرت ، وكان والدي عضواً في مجلس إدارتها من ١٩٣٦ الى ١٩٤٢ كما كان عضواً في غرفة صناعة دمشق .

ولما جرت انتخابات الغرفة في ١٩٤٦ وشكل المرحوم مسلم السيوفي رئيس الغرفة قائمته لم أكن فيها واستند الى تجار الخضار الطازجة والفواكه والمجففات وهم كتلة كبيرة غير انه اختار سليم البارودي ضمن قائمته . ولكنني سجلت ترشيحي مع السيد أمين شحادة الذي كان عاد من بيروت بعد وفاة والده أحمد شحادة ، فنجحت في الانتخاب وصرنا اثنين من المهنة في الغرفة ، ثم توفي السيد غالب المهايني من الأعضاء فحل محله أمين شحادة لأنه يليه في الأصوات .

ومنذ ذلك التاريخ ظللت محافظاً على عضويتي طوال ستة وأربعين عاماً حتى الآن بفضل ثقة أخواني وتوفيقاً من الله تعالى ، كما صرت رئيساً للغرفة دورات متتالية .

ولذلك أقدم ما أعرفه عن السادة أعضاء الغرفة ممن استجابوا لرجائي فأرسلوا بمعلوماتهم الشخصية معتذراً للآخرين خشية أن تأتي المعلومات ضحلة . وقبل أن أذكر ما أعرفه عن هؤلاء السادة ، لا بد من إيضاح أمر يتعلق بعضويتي في هذه الغرفة والملابسات التي رافقت الانتخاب الأخير .

حكاية اعتذاري ثم ترشيحي في الدورة الأخيرة

فقد كنت منذ دورة ١٩٨٠ التي تمتد الى عام ١٩٨٤ حاولت الاعتذار عن الترشيح وترك المجال للجيل الجديد ليأخذ دوره مع بقائي معهم أقدم لهم النصيحة والرأي الصحيح . غير ان الزملاء التجار الأكارم ألزموني فتقدمت ونجحت ، ولكن في دورة عام ١٩٨٨ كان تصميمي قوياً ونهائياً فلم أرشح نفسي وظللت على عزمي وقراري حتى آخر يوم لتقديم الترشيح وكاد ينقضي ، وفجأة جاء إليّ وفد يقارب المئتي تاجر من وجهاء التجار الحقيقيين ومن جميع المهن في دمشق يطلبون مني أن أرشح نفسي ، اعتذرت ، أصروا وأصررت على الاعتذار مع الوعد بأنني لن أتوانى عن حضور أية جلسة يطلب مني حضورها ، ولكنني لن أتمكن من الترشيح لأسباب عدة . وطال الجدل حتى بلغنا آخر الدوام ونحن على ما بدأنا هم يصرون وأنا اعتذر وهنا قام أحد الحاضرين واتصل مع الحاج ممدوح أبو هنده وطلب إليه الحضور فحضر ، وكان أن قام ثلاثة من كبارهم بجلب ورقة الترشيح وأصروا على توقيعها بين أصوات الأصرار ، هنا وقفت في وضع محرج أمام هذا الاصرار ، وخفت إذا لم استجب أن يفلت من أحدهم كلام يخرج عن المنطق ويقول للآخرين كفانا ما أمضينا من الوقت في الرجاء وأن تخرج كلمة لا أرضاها ، فأجبرت نفسي على الانصياع وترشحت .

بدأت الانتخابات ، وأشرفت عليها بكل تجرد واخلاص ، وبعد انتهائها واحصاء النتائج وجدت انني كنت الخامس بين الناجحين ، ثم زال عجبي حين علمت بعد ذلك ان

بين بعض وجهاء التجار الذين كانوا يصرون على ترشيحي اجتمع سبعة من المرشحين في دار أحد الوجهاء ووقعوا على قائمة حلوا فيها خلافاتهم فيما بينهم وأقسموا على القرآن الا ينتخبوا سوى السبعة المذكورين ولم أكن بينهم بالطبع .

ومع ذلك ، فقد جاء هؤلاء الى داري بين المهنئين فلم أملك إلا الترحيب بهم والشكر والتجاوز عما جرى .

ذكرت هذه الحادثة لأشير الى أن الأخلاق الحقيقية التي يجب ان يتميز بها التجار الحقيقيون قد تفقد بعض مظاهرها أو بعضاً من قوتها عندما تتحرك المصالح . وهذا درس يجب ان نتعلمه أمام التوسع الكبير في الفئة التجارية وتكاثر المستجدين فيها وعلى التجار الحقيقيين الحرص على أن تسود هذه الأخلاق المثلى وأن ينتبهوا لهذا الدرس وأمثاله ، انه درس لا يجوز المرور به دون ذكره ، وواجبي وأنا في أواخر حياتي التجارية أن أقوله للفائدة والنصيحة .

وفيما يلي ضبط الاجتماع الذي جرى فيه أخيراً قبولي بالترشيح وصورة عن كتاب اعتذاري .

نص رسالة الاعتذار عن الترشيح
الموجهة الى المجلس

أخواني الأعزاء

أهديكم عاطر سلامي ومحبتي وتقديري ، وأشير الى سعادتي واغتباطي وشكري لما غمرتموني به من محبة ومؤازرة وتسامح أثناء تعاوننا في الأعوام السابقة . إن شعوري بالأخوة والإكبار لكم هو شعور صادق وأكيد ، وإني لأحفظ أحلى الذكريات لأوقات سعيدة ومثمرة قضيناها معاً في خدمة الغرفة والاقتصاد والتجارة والتجار .

ان اقتراب انتخابات الغرفة الجديدة يدعوني لأشرح وضعي وموقفي بالصراحة والصدق الذي عهدتموه مني وعاهدتكم عليه ، وأرجو قبوله بنفس الروح التي أوردها لكم .

١ ـ تقع على الغرفة مسؤولية الخدمة المتفانية للمصلحة العامة ومن ضمنها مصلحة الاقتصاد والتجارة والتجار ، وتشكل هذه المسؤولية أهمية خاصة نظراً للظروف الدقيقة التي نمر بها والضغوط والمؤامرات المستمرة التي تحاك وتثار ضدنا بشكل متزايد ومتواصل . وهذا يحتم على مجلسكم الكريم ضرورة الاتفاق الكامل على لائحة موحدة تحظى بثقة ودعم الأكثرية الساحقة للعائلة التجارية ، حتى إذا ما نجحت بقوة أصبحت أكثر قدرة على القيام بمهماتها وأعبائها . وبقدر التأييد الذي يحظى به المجلس الجديد سيكون المسؤولون مستعدين للتعاون معهم لأنهم فعلاً يمثلون الأغلبية الساحقة للعائلة التجارية .

٢ ـ أود أن ألفت أنظاركم الكريمة لنقطة توازن أفضل في مجلسكم الكريم المقبل وذلك باختياركم شخصية من إخواننا المسيحيين الأكارم زملائنا بالمهنة لإرساء الوحدة الوطنية ، ولربما تجدون من الأفضل أيضاً تطعيم اللائحة بعنصر شاب أو أكثر يمكن أن يزيد في نشاط المجلس المقبل .

٣ ـ بالنسبة لي شخصياً ، تذكرون ان وجودي معكم في المجلس الحالي كان بنتيجة لإصرار مجلسكم الكريم على أن أكون معكم ونزولي عند هذه الرغبة الكريمة واللفتة الأخوية ، كان رغم كل أصراري وحبي في الاعتزال وإذ أسطر شكري الذي لا يوصف على هذه اللفتة والمحبة فاسمحوا لي أن أوكد رغبتي في الاعتزال وقراري النهائي بالتنحي .

٤ ـ إنني واثق بأن المجلس الجديد سيتابع المسيرة ويقوم بالخدمة المطلوبة منه خير قيام لأنه فعلاً يضم النخبة الطيبة المخلصة من العائلة التجارية في دمشق .

كما انني واثق كل الثقة ان السادة المسؤولين كانوا يتقبلون مراجعاتنا وطلباتنا بالروح الايجابية باعتبارها تهدف لخدمة الوطن عن طريق خدمة التجارة والاقتصاد وهذا بنظري يمثل أحد أهم جوانب الوحدة الوطنية وهو أيضاً أحد أركان التجاوب والتفاهم بين الحكومة والشعب.

إن صحتي وسني المتقدمة يدعواني للاعتزال عن الناحية الإدارية ولا يعني هذا انني سأكون بعيداً عنكم . وأعاهدكم انني سأبقى الأخ الأصغر الجاهز لكل خدمة تطلب مني طالما وجدت عندي القدرة على ذلك .

وسلفاً أعرف بأن محبتكم ستدعوكم لقبول اعتذاري حول هذا القرار وإذا شاء مجلسكم الكريم ان استمر في مشاركتكم الخدمة بشكل استشاري فلا مانع ان انضم اليكم كعضو فخري وذلك عملاً بالفقرة /١/ من المادة /٣٧/ من القرار بالقانون رقم ١٣١ لعام ١٩٥٩ .

أخيراً انني بقدر ما سعدت بالقيام بشرف الخدمة في غرفة التجارة فالسعادة تنبعث من مؤازرة مجلسكم الكريم ومن تأييد الأخوة التجار . شكراً لكم يا أخواني الأعزاء على تعاونكم وحبكم ومشاعركم وشكراً للسادة المسؤولين على أذنهم الصاغية وتجاوبهم وتآزرهم .

وشكراً للأخ الابن الأستاذ ثابت المهايني (أبو غالب) المدير العام الذي كنت اعتبره زميلاً وليس مديراً حيث كان والده المرحوم زميلاً وأخاً كريماً في هذه الغرفة الكريمة . وشكراً للأخوة الأعزاء موظفي الغرفة الكرام جميعاً . وشكراً لله عز وجل لما منّ عليّ من نعم وغمرني به من كرم ، ويكفي ما خصني به من أخوة كرام أعزاء وأكارم حفظكم الله بحفظه ورعاكم برعايته وزادكم توفيقاً وإخلاصاً وتفانياً ودمتم .

بدر الدين الشلاح

دمشق في ١٩٨٠/١٢/١٠

الموافق ٣ صفر ١٤٠١

محضر اجتماع الجلسة الثامنة والأربعين لمجلس الادارة

يوم الأحد الواقع في ١٤ صفر ١٤٠١ الموافق لـ ٢١ كانون الأول ١٩٨٠

في تمام الساعة الخامسة من مساء يوم الأحد الواقع في ١٤ صفر ١٤٠١ الموافق لـ ٢١ كانون الأول ١٩٨٠ ، عقد مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق ، جلسته الثامنة والأربعين برئاسة رئيس مجلس الإدارة السيد بدر الدين الشلاح ، وحضور كل من السادة الأعضاء : صائب النحاس ، محمد غسان القلاع ، عادل الرفاعي ، محمد سعيد البردان ، عمر برادعي ، سالم حداد ، محمد توفيق سكر ، تحسين الصفدي ، عبد الرحمن عطار ، برهان عودة ، تيسير الفرا ، عبد اللطيف قطيط ، عدنان النحلاوي .

واعتذر عن الحضور بسبب السفر كل من السيدين : فاروق عياش ، مصطفى حسن .

وبسبب ارتباطهم بموعد آخر السيدان : ممدوح أبو هنده ، متعب هزيم .

كما حضر الجلسة مندوب وزارة التموين والتجارة الداخلية السيد خيرو شتيوي .

مج/٤٨/٣٤٨ ـ عرض التلكس الوارد من الأمانة العامة لاتحاد الغرف العربية في بيروت بشأن طلب مجلس السفراء العرب في روما من الغرفة العربية الايطالية لمبلغ خمسين مليون لير ، وبعد المناقشة ترك الموضوع للسيد الرئيس لمعالجته مع السيد الأمين العام للاتحاد المذكور ، وذلك خلال زيارته لبيروت .

مج/٤٨/٣٤٩ ـ تلي الكتاب المقدم من الرئيس الحاج بدر الدين الشلاح بشأن قبول اعتذاره عن الترشيح لانتخابات الغرفة وقد أصر الأعضاء الحاضرون على السيد الرئيس تقديم ترشيحه ونزولاً عند رأيهم وافق على تقديم الترشيح شاكراً لهم هذه الثقة وقد تم حفظ الكتاب المذكور .

واختتمت الجلسة بتمام الساعة السابعة .

عادل الرفاعي	محمد غسان القلاع	صائب النحاس	بدر الدين الشلاح
عبد الرحمن العطار	تحسين الصفدي	محمد توفيق السكر	سالم حداد
عمر برادعي	محمد سعيد البردان	عدنان النحلاوي	عبد اللطيف قطيط
تيسير الفرا	برهان عودة		

غرفــــة تجـــارة دمشــق

مجلـــس الادارة

محضر اجتماع الجلسة الثامنة والأربعين لمجلس الادارة

يوم الأحد الواقع في ١٤ صفـر ١٤٠١ الموافق لـ ٢١ كانون الأول ١٩٨٠

في تمام الساعة الخامسة من مساء يوم الأحد الواقع في ١٤ صفر ١٤٠١ الموافق لـ ٢١ كانون الأول ١٩٨٠ ، عقد مجلس ادارة غرفـة تجارة دمشق ، جلسته الثامنـة والأربعين برئاسة رئيس مجلس الادارة السيد بـدر الدين الشلاح ، وحضور كل من السادة الأعضاء : صائب النحاس ، محمـد غسان القلاع ، عادل الرفاعي ، محمد سعيد البردان ، عمر براذعـي ، سالم حداد ، محمد توفيق سكر ، تحسين الصفدي ، عبد الرحمن المطار ، برهان عـودة ، تيسير الفرا ، عبد اللطيـف قطيط ، عدنان النحـلاوي .

واعتذر عـن الحضور بسبب السفر كل مـن السيدين : فاروق عياش ، مصطفى حسن .

وبسبب ارتباطهم بموعـد آخـر السيدان : ممدوح أبـو هنـدي ، متعـب هـزيم .

كما حضر الجلسة مندوبٌ وزارة التموين والتجارة الداخليـة السيد خيرو شـتيوي .

م ٣٤٨/٤٨/ ـ عرض التلكس الوارد من الأمانـة العامـة لاتحاد الغرف العربية في بيروت بشـأن طلب مجلس السفراء العرب في رومـا من الغرفة العربية الايطالية لمبلغ خمسين مليون لـير ، وبعد المناقشة ترك الموضوع للسيد الرئيس لمعالجته مع السـيد الأمين العام للاتحاد المذكور ، وذلك خلال زيارتـه لبيروت .

م ٣٤٩/٤٨/ ـ تلي الكتاب المقدم من الرئيس الحاج بدر الدين الشلاح بشأن قبول اعتذاره عـن الترشيح لانتخابات الغرفـة وقـد أصـر الأعضاء الحاضرون على السيد الرئيـس تقديم ترشيحه ونزولا عند رأيهم وافق على تقديم الترشيح شاكرا لهم هـذه الثقـة وقـد تم حفـظ الكتاب المذكـور .

واختتمت الجلسـة بتمـام الساعـة السابعـة .

عادل الرفاعـي	محمد غسان القلاع	صائب النحاس	بدر الدين الشلاح
عبد الرحمن المطار	تحسين الصفـدي	محمد توفيق سكر	سـالم حـداد
عمـر براذعـي	محمد سعيد البردان	عدنان النحلاوي	عبد اللطيف قطيط
تيسير الفـرا	برهان عـوده		

جدول كامل بأسماء السادة أعضاء مجلس ادارة

من ١٩٢٢ ـ ١٩٩١

الاسم	الصفة	بداية العضوية	نهاية العضوية	مدة العضوية
١ ـ عارف الحلبوني	رئيساً	١٩٢٢	١٩٣٦	١٥ سنة
٢ ـ حسام الدين العمري	عضواً	١٩٢٢	١٩٢٣	سنتان
٣ ـ عبد الرحمن المرابط	عضواً	١٩٢٢	١٩٢٦	خمس سنوات
٤ ـ صياح قصاب باشي	عضواً	١٩٢٢	١٩٣٤	١٣ سنة
٥ ـ سعيد السادات	عضواً	١٩٢٢	١٩٢٣	سنتان
٦ ـ مصطفى ستي	عضواً	١٩٢٢	١٩٢٢	سنة
٧ ـ مسلم السيوفي	رئيساً	١٩٢٢	١٩٥٦	١٧ سنة
٨ ـ انطون السيوفي	نائباً للرئيس	١٩٢٢	١٩٤١	٢٠ سنة
٩ ـ توفيق سعود	عضواً	١٩٢٢	١٩٣٤	١٣ سنة
١٠ ـ سرحان شحفة	عضواً	١٩٢٢	١٩٢٩	٨ سنوات
١١ ـ ميشيل مرقده	عضواً	١٩٢٢	١٩٣٤	١٣ سنة
١٢ ـ يوسف معتوق	عضواً	١٩٢٢	١٩٣٤	١٣ سنة
١٣ ـ رشدي الركابي السكري	عضواً	١٩٣٥	١٩٤١	٧ سنوات
١٤ ـ رشدي بعلبكي	نائباً للرئيس	١٩٣٥	١٩٤٦	١١ سنة
١٥ ـ محمد أبو الفرج الموقع	عضواً	١٩٣٥	١٩٣٧	٣ سنوات
١٦ ـ سليم الشلاح	عضواً	١٩٣٥	١٩٤١	٧ سنوات
١٧ ـ لطفي الحفار	نائباً للرئيس	١٩٢٣	١٩٣٤	١٢ سنة
١٨ ـ محمد خير دياب	نائباً للرئيس	١٩٢٤	١٩٣٤	١١ سنة
١٩ ـ محمد شريف النص	نائباً للرئيس	١٩٢٤	١٩٣٩	١٦ سنة
٢٠ ـ موسى غناجه	خازن الغرفة	١٩٣٥	١٩٥٠	١٦ سنة
٢١ ـ سعيد صادق	عضواً	١٩٣٥	١٩٤١	٧ سنوات
٢٢ ـ حسان قدسي	عضواً	١٩٣٥	١٩٤١	٧ سنوات
٢٣ ـ سامي القباني	خازن الغرفة	١٩٣٥	١٩٤١	٧ سنوات
٢٤ ـ حنين صحناوي	خازن الغرفة	١٩٣٥	١٩٤١	٧ سنوات

٢٥ ـ محمد مدني الحفار	عضو مكتب	١٩٣٥	١٩٤٧	١٣ سنة
٢٦ ـ محمد غالب المهايني	عضواً	١٩٣٥		
٢٧ ـ ابراهيم طوطح	عضواً	١٩٣٥	١٩٤٦	١٢ سنة
٢٨ ـ ميشال فتال	عضواً	١٩٣٥	١٩٣٧	ثلاث سنوات
٢٩ ـ فيليب السودا	عضو مكتب	١٩٣٨	١٩٤١	٤ سنوات
٣٠ ـ محمد شفيق البزره	عضواً	١٩٣٨	١٩٤٦	٩ سنوات
٣١ ـ محمد رفعت الايتوني	عضواً	١٩٣٨	١٩٥٠	١٣ سنة
٣٢ ـ عبد الحميد دياب	أميناً للسر	١٩٤٢	١٩٤٦	٥ سنوات
٣٣ ـ صلاح الدين الشربجي	عضو مكتب	١٩٤٢	١٩٤٦	٥ سنوات
٣٤ ـ محمد أنور قصاب باشي	نائباً للرئيس	١٩٤٢	١٩٧٠	٢٩ سنة
٣٥ ـ بديع قصص	خازن الغرفة	١٩٤٢	١٩٥٠	٩ سنوات
٣٦ ـ محمد بشير رمضان	رئيساًوعضواً	١٩٤٢	١٩٧٢	٣١ سنة
٣٧ ـ عبد الهادي الرباط	عضواً	١٩٤٢	١٩٤٦	٥ سنوات
٣٨ ـ ممدوح كوكش	عضواً	١٩٤٢	١٩٥٠	٩ سنوات
٣٩ ـ محمد منير المهايني	نائباً للرئيس	١٩٤٢	١٩٦١	٢٠ سنة
٤٠ ـ نوري الحكيم	عضواً	١٩٤٢	١٩٤٦	٥ سنوات
٤١ ـ وديع شحفه	عضواً	١٩٤٢	١٩٥٠	٩ سنوات
٤٢ ـ عبد الحميد الطباع	نائباً للرئيس	١٩٤٧	١٩٥٠	٤ سنوات
٤٣ ـ بدر الدين الشلاح	رئيساً وعضواً	١٩٤٦	٢٥ عضواً و٢٠ رئيساً	
٤٤ ـ حسني الهبل	أميناً للسر	١٩٤٧	١٩٦١	١٥ سنة
٤٥ ـ رفيق سعيد	عضواً	١٩٤٧	١٩٥٠	٤ سنوات
٤٦ ـ سليم البارودي	عضواً	١٩٤٧	١٩٥٠	٤ سنوات
٤٧ ـ صباح البغدادي	خازن الغرفة	١٩٤٧	١٩٧٠	٢٤ سنة
٤٨ ـ عبد الهادي المارديني	عضواً	١٩٤٧	١٩٥٧	١١ سنة
٤٩ ـ وجيه الصمادي	عضواً	١٩٤٧	١٩٥٨	١٢ سنة
٥٠ ـ أمين شحاده	خازن الغرفة	١٩٤٨	١٩٧٧	٣٠ سنة
٥١ ـ رضا المعلبكي	عضواً	١٩٤٨	١٩٥٤	٧ سنوات
٥٢ ـ عادل الخجا	رئيساً وعضواً	١٩٥١	١٩٧٠	٧ سنوات
٥٣ ـ بطرس مقنص	عضو مكتب	١٩٥١	١٩٥٨	٨ سنوات
٥٤ ـ ابراهيم الحسامي	عضواً	١٩٥١	١٩٥٤	٥ سنوات

٥٥ - توفيق الطرابيشي	عضواً	١٩٥١	١٩٥٤	٥ سنوات
٥٦ - جورج ساره	عضواً	١٩٥١	١٩٧٠	٢٠ سنة
٥٧ - خيري القتابي	عضواً	١٩٥١	١٩٥٤	٤ سنوات
٥٨ - محمد نوري النص	عضواً	١٩٥١	١٩٥٨	٨ سنوات
٥٩ - فؤاد الخباز	عضواً	١٩٥٢	١٩٥٨	٧ سنوات
٦٠ - جوزيف صحناوي	عضواً	١٩٥٥	١٩٥٨	٤ سنوات
٦١ - عرفان الجلاد	أميناً للسر	١٩٥٧	١٩٧٠	١٤ سنة
٦٢ - عزت الشامي	عضواً	١٩٥٥	١٩٦١	٦ سنوات
٦٣ - محمد الميداني	عضواً	١٩٥٥	١٩٥٨	٤ سنوات
٦٤ - عمر المعلبكي	عضواً	١٩٥٧	١٩٦١	٥ سنوات
٦٥ - عوض بركات	عضو مكتب	١٩٥٩	١٩٦٣	٥ سنوات
٦٦ - بدر جمال الدين	عضو مكتب	١٩٥٩	١٩٧٣	١٥ سنة
٦٧ - حامد سلطان	عضواً	١٩٥٩	١٩٧٠	١٢ سنة
٦٨ - فريد كحالة	عضواً	١٩٥٩	١٩٦١	٣ سنوات
٦٩ - مسلم قطرميز	عضواً	١٩٥٩	١٩٧٧	١٩ سنة
٧٠ - محمد منذر الجندي	عضواً	١٩٥٩	١٩٦١	٣ سنوات
٧١ - محمد نصوح الطباع	عضو مكتب	١٩٥٩	١٩٧٠	١٢ سنة
٧٢ - هشام شورى	عضواً	١٩٥٩	١٩٧٠	١٢ سنة
٧٣ - محمد رفيق السيوفي	عضو مكتب	١٩٦٢	١٩٧٠	٩ سنوات
٧٤ - رشاد جبري	عضواً	١٩٦٢	١٩٧٠	٩ سنوات
٧٥ - سعيد بويس	عضواً	١٩٦٢	١٩٧٠	٩ سنوات
٧٦ - موفق الميداني	عضواً	١٩٦٢	١٩٧٠	٩ سنوات
٧٧ - طلال الزعبي	نائباً للرئيس	١٩٧٠	١٩٧١	سنتين
٧٨ - موفق الحفار	أميناً للسر	١٩٧٠	١٩٧١	سنتين
٧٩ - عزيز خليفة	عضو مكتب	١٩٧٠	١٩٧٠	سنة
٨٠ - ابراهيم عاد	نائباً للرئيس	١٩٧٠	١٩٧٣	٤ سنوات
٨١ - بهيج أديب	عضواً	١٩٧٠	١٩٧١	سنتان
٨٢ - حسين القدة	عضواً	١٩٧٠	١٩٧٣	٤ سنوات
٨٣ - خالد الهيان	عضواً	١٩٧٠	١٩٧٣	٤ سنوات
٨٤ - عبد الكريم العلبي	عضواً	١٩٧٠	١٩٧٣	٤ سنوات

٨٥ - محمد عدنان شهاب الدين	عضواً	١٩٧٠	١٩٧٢	سنتان
٨٦ - علي الخير	عضواً	١٩٧٠	١٩٧٠	سنة
٨٧ - كريم بيطار	عضواً	١٩٧٠	١٩٧١	سنتان
٨٨ - محمود أبو وطفه	عضواً	١٩٧٠	١٩٨٨	١٩ سنة
٨٩ - نجيب جاد الله	عضواً	١٩٧٠	١٩٧٣	٤ سنوات
٩٠ - نديم مغربي	عضواً	١٩٧٠	١٩٧٣	٤ سنوات
٩١ - محمد المحاميد	عضو مكتب	١٩٧١	١٩٧١	سنة
٩٢ - عيسى درويش	عضواً	١٩٧١	١٩٧٣	٣ سنوات
٩٣ - وليد كيوان	أميناً للسر	١٩٧١	١٩٧٣	٣ سنوات
٩٤ - مظهر الجندي	عضواً	١٩٧١	١٩٧٣	٣ سنوات
٩٥ - حسين الزعبي	عضواً	١٩٧١	١٩٧٣	٣ سنوات
٩٦ - عبد الرحمن العطار	عضواً وأميناً للسر	١٩٧١	الى الآن	١٠ سنوات
٩٧ - عبد الله الصباغ	عضواً	١٩٧١	١٩٧٣	٣ سنوات
٩٨ - صائب النحاس	عضواً وأميناً للسر	١٩٧٢	١٩٨١	١٠ سنوات
٩٩ - عبد اللطيف قطيط	نائباً للرئيس	١٩٧٣	١٩٨١	٩ سنوات
١٠٠ - ممدوح أبو هنده	نائباً للرئيس	١٩٧٣	١٩٨٨	١٦ سنة
١٠١ - عادل الرفاعي	نائباً للرئيس	١٩٧٣	١٩٨٨	١٦ سنة
١٠٢ - محمد غسان القلاع	خازن الغرفة	١٩٧٣		
١٠٣ - صلاح الدين الأكتع	عضواً	١٩٧٣	١٩٧٧	٥ سنوات
١٠٤ - محمد سعيد البردان	عضو مكتب	١٩٧٣	١٩٨٨	١٦ سنة
١٠٥ - محمد الديك	عضواً	١٩٧٣	١٩٧٧	٥ سنوات
١٠٦ - محمد توفيق سكر	عضواً	١٩٧٣	١٩٧٧	٥ سنوات
١٠٧ - محمد عماد الدين صبري	عضواً	١٩٧٣	١٩٧٧	٥ سنوات
١٠٨ - إدوار صباغ	عضواً	١٩٧٣	١٩٧٧	٥ سنوات
١٠٩ - تيسير الفرا	عضو مكتب	١٩٧٣		
١١٠ - تحسين الصفدي	نائباً للرئيس	١٩٧٣	١٩٨٨	١٦ سنة
١١١ - عدنان النحلاوي	عضواً	١٩٧٣	١٩٨٥	١٣ سنة
١١٢ - فاروق عياس	نائباً للرئيس	١٩٧٧	١٩٨٨	١٢ سنة
١١٣ - عمر برادعي	عضواً	١٩٧٧	١٩٨٦	١٠ سنوات
١١٤ - سالم حداد	عضواً	١٩٧٧	١٩٨٧	١١ سنة

١١٥ - مصطفى حسن	عضواً	١٩٧٧	١٩٨٦	١٠ سنوات
١١٦ - برهان عوده	عضواً	١٩٧٧	إلى الآن	
١١٧ - متعب هزيم	عضواً	١٩٧٧	١٩٨١	٥ سنوات
١١٨ - بديع فلاحة	عضواً ونائباً للرئيس	١٩٨١	الى الآن	١٥ سنة
١١٩ - برهان الدين الأشقر	عضواً	١٩٨٥	الى الآن	
١٢٠ - نبيل الأشقر	عضواً	١٩٨١	١٩٨٨	٨ سنوات
١٢١ - نصوح ملص	عضواً	١٩٨١	١٩٨٥	٨ سنوات
١٢٢ - أحمد الراشد	نائباً للرئيس	١٩٨٤		٥ سنوات
١٢٣ - محمد جمال السطل	عضواً	١٩٨٦	١٩٨٨	٣ سنوات
١٢٤ - عقل حمود	عضواً	١٩٨٦		٣ سنوات
١٢٥ - محمد أبو النصر	عضواً	١٩٨٩	إلى الآن	
١٢٦ - ابراهيم حجار	عضواً	١٩٨٩	إلى الآن	
١٢٧ - محمد زهير تيناوي	عضواً	١٩٨٩	إلى الآن	
١٢٨ محمد سراقبي	عضواً	١٩٨٩	إلى الآن	
١٢٩ - فاروق الطباع	عضواً	١٩٨٩	إلى الآن	
١٣٠ - محمد الخطاب	عضواً	١٩٨٩	إلى الآن	
١٣١ - محمد مأمون السبيعي	عضواً	١٩٨٤	إلى الآن	

وقد سجلت ما اذكره من معلومات عن ٩٤ منهم ولم أحصل على المعلومات الضرورية عن الباقين فمنهم العذر.

معلومات عن أعضاء الغرف التجارية

عارف الحلبوني

أبدأ بالمرحوم عارف الحلبوني رئيس الغرفة من ١٩٢٢ حتى وفاته في ١٩٣٧ أي أربع دورات متوالية ، فقد كان من أكبر تجار منسوجات الحرير الطبيعي وهي أشرف وأغنى مهنة نظراً لجودة أسعارها وأهميتها التصديرية وفي عهده صدرت عن المجلس النشرة الاقتصادية التي أصبحت مجلة معروفة ، وله فيها مقالات تدل على الغيرة الوطنية والحماسة لازدهار الاقتصاد والمتابعة الجادة لأحواله ومشكلاته .

وقد أنشأ المرحوم عارف الحلبوني قصراً جميلاً في الحي الذي يحمل الآن اسم (الحلبوني) ، كما أنشأ أفراد الأسرة الكريمة قصراً آخر أمامه بجوار جامع الحلبوني وقد تحول الى مقر لكلية التربية ، أما الدار الكبيرة فقد بيعت للسيدين فؤاد الخباز وشمسي شيخ المولوية اللذين أجراها مدرسة ثم هدمت بعد نقل واجهتها الأثرية وأنشات مكانها مدرسة كبيرة ، وأذكر أنني زرت بصحبة والدي دار الحلبوني الكبيرة وأعجبت بحديقتها الواسعة .

عبد الرحمن المرابط

وعرفت السيد عبد الرحمن المرابط الذي كان عضواً في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق في عام ١٩٢٢ لدورة واحدة ، وأكن له الاحترام .

ثم جواد المرابط الذي بدأ موظفاً في بلدية دمشق وانتقل الى وزارة الداخلية وأصبح أميناً عاماً لها ، واختير فيما بعد سفيراً لسورية في المملكة العربية السعودية وقد عرف بأخلاقه العالية وإخلاصه لعمله وقيامه بمهام منصبه على خير وجه إضافة الى وفائه لأصدقائه .

صياح قصاب باشي

عرفت أيضاً السيد صياح قصاب باشي ، وقد انتخب عضواً في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق منذ عام ١٩٢٢ ثلاث دورات متوالية وكان من أقدم وأكبر تجار الحبوب ومخزنه

(البايكة) في باب مصلى أكبر أمثاله بحي الميدان وظل أكثر من ثلاثين سنة نائباً لرئيس بلدية دمشق وعضواً في المجلس البلدي . ومن أول الوجهاء بدمشق وليس بحي الميدان فقط .

مصطفى حسن ستي

وكان السيد مصطفى حسن ستي عضواً في مجلس إدارة الغرفة لدورة ١٩٢٢ وقد عمل مع شقيقه شريكين في التجارة خلال الحرب العالمية الأولى وأصيبا بصدمة أثر هبوط الأسعار المفاجىء بعد انتهاء الحرب وفيها بعد توجه الى الحجاز . وهناك زوج إحدى بناته الى الشيخ يوسف ياسين الذي كان معاوناً لوزير الخارجية السعودي وهو سوري من اللاذقية .

مسلم السيوفي

وظل السيد **مسلم السيوفي** عضواً في مجلس إدارة الغرفة منذ عام ١٩٢٢ وحتى عام ١٩٣٤ أي خمس دورات متوالية ثم انتخب رئيساً للغرفة أربع دورات متوالية حتى عام ١٩٥٧ حيث حل محله في الرئاسة السيد محمد عادل الخجا ، وكان السيد السيوفي من أكبر تجار الحرير مع أشقائه ووالده ، وله علاقات تجارية واسعة مع مصر وما زالت أملاك الأسرة في القاهرة حتى الآن .

وكان بوسع السيد السيوفي أن يترأس غرفة التجارة منذ ١٩٣٦ اثر وفاة المرحوم عارف الحلبوني إلا أنه تخلى عنها لصهره الشيخ محمد خير دياب رغم أنه أقدم وأعلم وأقدر منه فهو شيخ بعمامة بيضاء وبعد أن تولى الأخير رئاسة الغرفة حل به المرض وظل طريح الفراش زمناً طويلاً .

وقد أسس المرحوم **مسلم السيوفي** شركة التبريد والمخابز عام ١٩٤٤ وتولى رئاسة معمل الاسمنت . أما ولده الأستاذ **رفيق السيوفي** ، فقد تولى مناصب بارزة منها الأمين العام لوزارة المالية وإدارة العديد من المصارف وأشرف على تأسيس مصرف سورية المركزي وساهم في وضع التشريعات المالية ، كما ألف كتاباً للمرحلة الثانوية ، وبعد التقاعد انصرف الى العمل الزراعي وأشهد له بالأناة والهدوء وطول البال وسداد الرأي . وقد توفي في آخر صيف ١٩٩١ رحمه الله .

ميشيل مرقدة وحكاية إفلاس المصرف

ومن ذلك الجيل الرائد المرحوم **ميشيل مرقدة** وكان عضواً في مجلس إدارة الغرفة منذ عام ١٩٢٢ ولثلاث دورات واشتهر بالعمل المصرفي وكان بنك مرقدة أخوان في سوق البزورية أمام خان السبيعي قد احتل مكانة جيدة في عمليات الايداع والاقراض ولم يكن افلاسه مفتعلاً أو نتيجة سوء نية بل بسبب الكساد المالي .

افلاس بنك مرقده

لم يكن هناك أساس حقيقي لإفلاس بنك مرقدة الذي كان من أنشط المصارف في دمشق ، ومقره في سوق البزورية ، إلا أن أحد أفراد عائلة مرقدة كان صرافاً في سوق البورص فأفلس ، وشاع في دمشق أن بنك مرقدة اخوان نفسه تعرض للإفلاس ، فهرع الناس لسحب ودائعهم واشتد الضغط على البنك ، وصادف ذلك خلال الأزمة العالمية ما بين أعوام ١٩٢٩ الى ١٩٣٣ حيث هز الكساد العالمي أمريكا نفسها وكان فيها الكثيرون الذين تعرضوا للإفلاس .

وكان والدي المرحوم سليم الشلاح قد أودع في بنك مرقدة ٤٩٢٦ ليرة عثمانية ذهبية وهذا المبلغ هو حصيلة تصدير والدي للقمرالدين والنقوع والزبيب الدربلي واللوز والجوز من انتاج الشام الى مصر والبندق من تركيا ، وكانت القيمة تودع إثر تحويلها في بنك مرقدة ، وتترك دون فائدة ولكنها تعفى من نفقات التحويل ، وعندما شاع خبر الافلاس سحب والدي من البنك ألفي ليرة عثمانية ذهبية في اليوم الأول ، وسحب في اليوم الثاني ألف ليرة أخرى وفي اليوم الثالث حاول سحب خمسمائة ليرة فاتصل به لمقابلته فجاء إليه ووجد عنده التاجر المعروف رشدي السكري وأبو درويش سويد اللذين طلبا من والدي أن يؤجل سحب رصيده نظراً لتكاثر طلبات المودعين ، وأكدا أن مرقدة لم يفلس ولديه عقارات مرهونة تساوي الديون غير أن الوقت غير كاف لتدارك المبالغ المطلوبة ، ولكن والدي رفض التأجيل فعرض عليه مرقدة شراء حمام الملكة المرهون لديه لقاء الديون المترتبة

على الشيخ سعيد السلطجي الذي ورد ذكره ، وتم الاتفاق على بيع الحمام لوالدي لقاء /١١٥٠/ ليرة عثمانية وجرى فراغ البيع في السجل العقاري ، وبقي لنا في ذمة بنك مرقدة /٣٣٠/ ليرة سجلت في سندات لمدد ، وتم قبض ثلاثة منها ، أما الباقي فقد ذهب إثر عجز البنك المذكور عن السداد .

والحقيقة أن بنك مرقدة لم يفلس ولكن أبناء عمهم طرحوا الشائعة افتراء وألحقوا أضراراً بالغة بالعمل المصرفي، وأدى هجوم المودعين الى عجز كبير في السيولة ولم يكن ثمة وقت كاف لتدارك الأموال من المدينين.

والشائع أن إفلاس بنك مرقدة كشف كثيراً من المتسولين الذين كانوا يتظاهرون بالفقر والعوز ويمدون اليد الى الناس ، وتبين أن كثيراً منهم كانت له ودائع لدى البنك المذكور ، وترددت في دمشق أغان شعبية حول هذا الحدث ، والواقع أن بنك مرقدة لم يكن مستودع أموال التسول بل كان له دور مفيد في العمل التجاري وقدم خدمات جلى للتجار وكان موضع ثقتهم .

انطون السيوفي

كان المرحوم انطون السيوفي عضواً في مجلس إدارة غرفة التجارة لعشرين سنة في خمس دورات متتالية من ١٩٢٢ ـ ١٩٤٢ . وقد درس في دمشق ثم نال شهادة الحقوق من السوربون واشتغل مع والده في مصرف سيوفي وصباغ وشركاهم . وقد عمل في مشاريع تجارية وصناعية وزراعية ، ونال أوسمة من جهات عديدة كما كان قنصلاً فخرياً للنروج في سورية ، وتوفي ١٩٥٢ تاركاً ولداً واحداً ذكراً هو ميشيل .

وكان لمصرفه اسم كبير قبل الحرب العالمية الأولى وتعامل معه والدي واذكر انه كان والدي قد سحب شيكات على الاسكندرية ولما أعلنت الحرب توقف الكثيرون عن السداد وانقطعت الصلة بين البلدان وأصدرت الدولة العثمانية عملة ورقية لتحل محل الليرة العثمانية الذهبية (بسعر ١٣٠ قرشاً) ولكن الناس لم يقبلوا عليها فهبطت قيمتها الى خمسين

وحاول البعض السداد بواسطتها . ولما طالب السيوفي والدي سدد له والدي قيمة الشيكات بالليرات الذهبية كما كان قبضها فكان لهذا وقع عند آل السيوفي ذكروه بكل تقدير .

ثم انسحب انطون السيوفي من المصرف وانفرد بالعمل وذهب شريكه الصباغ الى بيروت وأسس مصرفاً ما يزال قائماً حتى الآن ، ولكن أعمال السيوفي تقلصت حتى لم يبق عنده موظف ولا آذن فكان يقوم بأعماله بنفسه بما في ذلك النزول الى البريد ولكنه تابع أعماله كوكيل لشركة لويدز البريطانية للتأمين .

وفي عام ١٩٤٧ طلب منا ان نبيعه مائة طن من القمر الدين لشحنها الى انكلتره على أن يكون العرض باسمه فاعترضنا ووافقنا على أن يتم العرض باسمنا وبسعر ١٣٣ جنيهاً استرلينياً للطن . وكان والدي آنذاك قد مرض وانشغلت به عن إجابة الشركة على مراسلاتها ، واذكر ان والدي قال لي ذات يوم : غداً سترى !. . ولم أفهم قصده أولاً . وحين طلبنا من السيوفي شهادة جودة للبضاعة لم يقبل حتى رقمنا صناديقها تباعاً واختار هو من هذه الصناديق بعضها كما أراد فوجدها مطابقة فأعطانا الشهادة . ولما جاء وقت السداد كانت الحكومة تسدد قيمة الجنيه بسعر ٩٩٠ قرشاً في حين أن سعره في السوق كان ١٣٥٠ قرشاً . وتصادف في هذا الوقت بالذات ان طلبني فخامة الرئيس شكري القوتلي ليسألني عن حال البلد وعن القمر الدين فأجبته بالأمر الواقع وأن القمر الدين سوقه بارد ولما سألني عن السبب أجبته ان قيمة التصدير تسدد من المصرف بسعر ٩٩٠ قرشاً للجنيه في حين أن سعر الصرف من السوق الحرة ١٣٩٠ وهنا رفع السماعة واتصل مع السيد حنين صحناوي وزير الاقتصاد بالهاتف وسأله عن سعر الجنيه الاسترليني في السوق فأجابه كما رويت له تماماً قال له الرئيس : ضروري ان تصرفوا قيمة البضاعة المصدرة ولا سيما الزراعية بسعر السوق الواقعي والحقيقي تشجيعاً للزراعة .

وعندما استلمنا بوالص الشحن ذهبنا الى المصرف وقبضنا الجنيه الاسترليني بسعر السوق فارتفع ربحنا بنسبة جيدة ، وهنا تذكرت كلمة والدي التي قالها (غداً سترى ـ ويعني نتائج رضا الوالدين) . كما وردت الى خاطري الآية الكريمة **(وفي السماء رزقكم وما توعدون)** كما ذكرت أحاديث شريفة وأخرى قدسية بالمعنى نفسه .

ولا بد في ختام الحديث عن السيد انطون السيوفي ان اذكر مأثرة لأرملته السيدة كلير بولاد . فعندما فكرنا في جمعية لإقامة مدرسة مشابهة لمدرسة برمانا تدرس اللغات الأجنبية واعترض بعض الأثرياء على إقامتها في الزبداني ، توجهنا الى إقامتها في الأشرفية قرب دمشق وفيها أرض كبيرة للمرحوم انطون السيوفي فاتصلنا بأرملته فقالت ان زوجها تعب في استصلاح التربة واستورد لها نصبات أشجار الزيتون من ايطاليا فلا تتنازل عنها ولكن تتبرع بلا مقابل بالأرض البعلية اللازمة لمشروعنا . حملت البشرى الى الجمعية ولكنها انحلت بعيد ذلك لتهرب البعض من التبرع ، وأضرب صفحاً عن ذكرهم ، فلعلهم كانت لديهم مبررات لم يكن لي بها علم .

سليم الشلاح

كان والدي المرحوم سليم الشلاح قد ولد في عام ١٨٦٦ وتوفي الى رحمة الله في الرابع من تشرين الأول ١٩٤٧ . انتخب عضواً في مجلس الغرفة في عام ١٩٣٦ وظل فيها الى عام ١٩٤٢ حيث انفصل عنها الى غرفة الصناعة وظل فيها حتى وفاته . وقد ورد وصفه في السجل الذهبي بأنه يعمل في التجارة العامة والكونسروة .

بدأ تعليمه في مدرسة الكردي وأكمل تحصيله الشرعي على علماء دمشق . مارس التجارة مع والده رشيد الشلاح تحت اسم (رشيد الشلاح وولده سليم) . نفي أثناء الحرب العالمية الأولى من قبل السلطة التركية الى انقره (وقد جاء ذكر ذلك في كتابي الأول ـ للتاريخ والذكرى ـ مفصلاً) . ساهم في تأسيس جمعية الاسعاف الخيري وكان عضواً بارزاً فيها ، وكان من مؤسسي شركة الكونسرة وعضواً في مجلس إدارتها وعضواً في المجلس البلدي لدمشق ، وحاز على وسام الجمهورية الفرنسية عام ١٩٢٨ ووسام الاستحقاق السوري . تبرع بالأرض التي شيدت عليها مدرسة الاسعاف الخيري ، وعمل في الحقل الوطني ضد الاستعمار الفرنسي . كان عضواً في جمعية المواساة التي بنت المشفى المعروف باسمها في المزة .

نشر المرحوم أدهم الجندي مفصل حياته وتبرعاته في الصفحات ١٠٠ ـ ١٠٢ من كتابه أعلام الأدب والفن الذي نشر عام ١٩٥٤ ، وفي كتاب أعلام دمشق تأليف الدكتور محمد عبد اللطيف صالح فرفور وفي كتب أخرى .

سمى باسمه شارع بين رأس طلعة التجهيز ووزارة الصحة حتى يصل الى الشعلان .

إن جدي رشيد لم يترك ذرية كبيرة بعكس أبناء الأعمام الذين كانت ذريتهم كبيرة . فقد ترك ثلاثة أولاد وأربع بنات ، فالذكور هم والدي سليم ونعيم وولد ثالث توفي صغيراً وكان كل واحد منهم من والدة . ان نعيم عمل مع ابن خالته حسن الحلبي واستقر عشر سنوات في خان الجمرك بسوق الحميدية ثم عاد الى والدي وعمل معه حتى ١٩٤٥ وفتح محلاً بسوق الهال ومن بعدها ذهب الى عمان وعمل بالتجارة مع آل اللبابيدي الذين كانوا يتاجرون في نيجيريا ولندن الى ان توفاه الله في ١٩٧٥/١٠/١ تاركاً ذكرين وبنتين . توفي من الولدين أحدهما وبقي الثاني واسمه أحمد وما يزال يعمل بالتجارة .

أما سليم فقد ولد له خمسة ذكور وبنت واحدة (وهذه تزوجت المرحوم محمد عيد سكر وأنجبت سبعة ذكور واربع إناث) . فأما الذكور الخمسة فهم محمد وبدر الدين (كاتب هذه السطور) وأنور وشفيق ورشاد وكلهم مارسوا التجارة والزراعة والصناعة وتابعهم في ذلك أولادهم وأحفادهم . وقد وردت تفاصيل العائلة وحياتها في كتابي الأول (للتاريخ والذكرى) وفيه الكفاية .

سعيد الموقع (أبو الفرج)

تولد ١٨٧٥ وتوفي ١٩٥٣ ورث التجارة عن والده انتسب الى الغرفة من ١٩٣٥ حتى ١٩٣٧ وكان تاجر خيوط وحرير وقصب العقادة ، ومحله في سوق الخياطين خان الجوخية من زمان والده وحتى الآن مع أولاده وأحفاده ، شارك في تأسيس شركة سورية لحياكة القمصان مع محمد علي الفرا وعبد الرزاق تقي الدين في شارع غسان بالحريقة وانحلت الشركة بوفاة أبي الفرج ، وشارك في تأسيس معمل الزجاج وكان عضواً مؤسساً وأنجب من الأولاد ستة ذكور واربع إناث وهو صديق للمرحوم الشيخ تاج الدين الحسيني منذ الصغر وللمرحوم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر .

وفيما يلي ترجمة حياة أولاده الذكور وأولهم :

١ ـ سعيد : تولد ١٩١٠ وقد درس الحقوق وكان عضواً في مجلس الشورى ثم انتقل الى القضاء بوزارة العدل .
وخلف اثنين من الذكور واثنتين من الإناث . وتوفي بعدها رحمه الله .

٢ ـ بشير : تولد ١٩١٥ حصل على شهادة البكالوريا وعمل مع والده ولا زال الى الآن في عمله وله ثلاثة ذكور وبنتان .

٣ ـ منير : تولد ١٩١٦ درس الحقوق في فرنسا وحصل على شهادة دكتوراه وعمل مع والده له ابن واحد وابنتان .

٤ ـ نذير : تولد ١٩٢٠ درس في المانيا هندسة حياكة النسيج وعمل في معمل شركة الحياكة التي أسسها والده له ابن ذكر وبنتان تحملان شهادة دكتواره .

٥ ـ زهير : تولد ١٩٢٦ عمل ممثلاً لشركات الطيران وقنصلاً فخرياً لجمهورية تشاد ، ولا زال ، له ابنتان متزوجتان .

٦ ـ وليد : تولد ١٩٢٩ درس الحقوق ومارس مهنة المحاماة ثم عاد للتجارة وعمل وكيلاً لعدة شركات أوربية وما زال حتى الآن . . وله ثلاث بنات .

صبحي وصلاح الدين الشربجي

ولا يزال اسم السيدين صبحي وصلاح الدين الشربجي في ذاكرة السوريين الذي اطلعوا على البدايات الأولى للصناعة الوطنية وقد بدأ الأخوان من حلب حيث أقاما معملاً لورق السكاير ثم انتقلا الى مصر حيث اسسا صناعات للنسيج والجوارب وأحرزا مكانة اجتماعية مرموقة حتى أن الأسرة صاهرت الزعيم المصري مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد ورئيس الوزراء أكثر من مرة . ولما أدرك التأميم مصانع الشربجي في مصر توجه صلاح الدين الى اسبانيا حيث أنشأ مشروعاً سياحياً ثم عاد الى دمشق واسس مزرعة كبيرة في الغوطة أذكر أن مساحتها (١٢٣٦٠) دونماً على أرض اشتراها من أبناء عبد الرحمن باشا اليوسف وأصبحت أفضل مزرعة في غوطة دمشق ثم أدركها الاصلاح الزراعي ولم يترك المرحوم صلاح الدين سوى ابنة واحدة .

وقد انتخب السيد صلاح الدين الشربجي عضواً في غرفة تجارة دمشق مرة واحدة في دورة عام ١٩٤٢ ، ولكنه لم يترك ذرية ولم يتلذذ بها ويتذوق حلاوتها ولم يترك أثراً يتذكره به الناس ، بل ترك زوجة دفعت ٢٥ مليون ليرة ضريبة تركات ، رحمه الله . . . .

حنين صحناوي
وال الصحناوي

بطبيعة الحال لا بد من ذكر آل الصحناوي فهم يوصفون بأنهم أكبر مستوردي الحديد .

وكان لهم مخزن ضخم ومستودعات في سوق العصرونية تم هدمها منذ سنوات قليلة لكشف الجانب الشرقي من قلعة دمشق ، ولهم وجاهة كبيرة في الوسط المسيحي وكانوا يستوردون كميات كبيرة من الحديد ويبيعونها بأسعار معتدلة لا تنافس .

واشترك السيد حنين صحناوي في الحملة الكبرى لانشاء الشركات الوطنية المساهمة وشغل رئاسة مجالس إدارات بعضها ، كالسكر والكونسروة والزجاج وعين وزيراً للإقتصاد في عهد الرئيس شكري القوتلي وانتخب نائباً في البرلمان كما انتخب شقيقه السيد جورج صحناوي أيضاً ، ولهما محلات تجارية في بيروت يديرها أشقاؤهم وأقاربهم . ولما صدرت قوانين التأميم انتقلوا الى لبنان، واشتروا عدة أراضي زراعية في شتوره صارت الآن منطقة عمران وارتفع سعرها الى أكثر من مئة ضعف ولا زالت الى الآن ملكهم . وعند مشتراها دعاني حنين الصحناوي الى شتوره للاطلاع عليها قبل الشراء وكان رحمه الله صديقاً من أعز الأصدقاء لأنه كان مؤدباً ويحترم الناس ويسر مني عند اجتماعات الهيئة العامة للشركات .

ومما يجدر ذكره أن السيد حنين صحناوي انتخب عضواً لمجلس إدارة غرفة تجارة دمشق في دورات أعوام ١٩٣٥ و ١٩٣٨ و ١٩٥٠ وحل محله السيد جوزيف صحناوي في دورات متتالية . . . .

رشدي البعلبكي

يعد السيد رشدي البعلبكي من أكبر تجار العباءات والعكل في سوق مدحت باشا في دمشق ، وهذه الصناعة والتجارة التي لها أسواق هامة في الجزيرة العربية ورثها عن والده عزو البعلبكي الذي أنجب ستة أبناء هم صبحي ورشدي وكامل وعبد الرؤوف وعمر ورضا ، وهؤلاء بدورهم أنجبوا ذرية كبيرة العدد ومنهم أولاد صبحي وهم عزت وعدنان وأحمد وفؤاد ، وأولاد رشدي وهم رشاد ومحمود وفائز وبشير وعلاء الدين وأنجب كامل كلاً من فهد ومحمد وبدر الدين وزهير وضياء وترك عبد الرؤوف ولدين هما ياسين وخلدون ، وترك عمر كلاً من حسن وإحسان وتحسين ومنصور ، وترك رضا كلاً من وجيه ومحمد ، أي أن أحفاد عزو البعلبكي بلغوا /٢٧/ حفيداً عدا البنات والجميع يقومون بأعمال تجارية أو صناعية أو فنية .

وقد عمل بعض آل البعلبكي في عمان وأحرزوا ثروات مكنتهم من شراء الأراضي الزراعية في جرمانا والخيارة وبيت قوقا في الشاغور في فترة هبطت فيها أسعار الأراضي الى أدنى حد .

وعندما نفذ طريق مطار دمشق الدولي اخترق أراضيهم في جرمانا كما أن شارع الكورنيش الممتد من الجمارك الى حي باب مصلى اخترق أراضيهم من حي الشاغور بستان المكركب الذي كان مستأجراً من سليم عرنوس أبو عزت .

ومما يجدر ذكره أن السيد رشدي البعلبكي انتخب عضواً ونائباً للرئيس في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق منذ عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٤٦ .

وانتخب شقيقه السيد رضا البعلبكي من ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٤ وكان يعمل باسمه بنطاق ضيق . والسيد عمر البعلبكي فقد انتخب ١٩٥٧ حتى عام ١٩٦١ وكان خليفة لشقيقه المرحوم السيد رشدي البعلبكي واشتهر بالأخلاق والمعاملة والسمعة الممتازة والنشاط العملي وترك أبناء محافظين كما كان والدهم .

التاجر رشدي السكري

في مسيرتي التجارية حرصت دائماً على تقصي الأمثلة الأخلاقية في سلوك الرجال الذين تعاملت معهم ، وأردت أن أتعلم أفضل الدروس وأن أستوعب أجود الخبرات ، وإذا كنت قد بدأت بتلقن الدروس العملية من المرحوم والدي فإن اتساع مجال احتكاكي بالرجال أتاح لي معرفة شخصيات تجارية لها سماتها الخاصة وطريقة للحياة والتصرف تستحق الاعجاب . ومن هؤلاء الرجال رشدي السكري .

لقد اختفى اسم رشدي ركاب السكري منذ سنوات ، وكان واحداً من ألمع نجوم المجتمع التجاري في أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين . وما زلت أذكر قامته المتواضعة وعينيه الزرقاوين الذكيتين ونظراته الصافية البعيدة الغور وصوته الهادىء .

ولقد كان تاجراً مستقيماً أقام علاقات واسعة على المستويات الشامية والعربية والدولية ، شارك في عضوية غرفة التجارة حتى عام ١٩٤١ ، ووصف في تلك الأيام بأنه أكبر تاجر في دمشق ، وأنه (بنك) ، وكان له رأي مسموع ومكانة محترمة .

أنجب المرحوم رشدي السكري خمسة أبناء ذكور : هم ـ شفيق ـ من مواليد عام ١٨٩٧ ، ـ ورفيق ـ من مواليد عام ١٩٠١ ، ـ ومنيب ـ من مواليد عام ١٩٠٣ ، وعزة ، ـ وبشير ـ من مواليد عام ١٩١٠ ، وقد حصل منيب على شهادة الحقوق وحصل بشير على الثانوية العامة كما أنجب المرحوم السكري ثلاث بنات .

تعامل المرحوم مع تاجرين كبيرين أحدهما في حلب واسمه عبد الرحمن الأسود والثاني في حماه واسمه عبد الرحمن عدي ، وقد بلغ المرحوم من العمر السادسة والتسعين ولم يشرك أحداً من أولاده في اسمه التجاري وفي عام ١٩٣٢ فوجىء بشجار بين ولده الأكبر شفيق وكاتبه محي الدين البيطار حول عامل في المحل ، ولما أطلع على الموضوع انحاز الى كاتبه فانزعج ولده شفيق واعتبرها إهانة له فترك محل أبيه وانفرد بعمله باسم شفيق السكري ، وكان لدينا كمية من السمن العراقي استوردناها أثناء شح موسم السمن السوري ولكنها كسدت إثر وصول كمية جديدة من السمن الايراني أفضل منها بلونها

الأبيض، وكان السمن الايراني يأتي في ظروف ثم ننقله الى التنك. وقد تم تسويقه بينما كسد السمن العراقي لأن لونه أصفر بسبب وضع مادة الورص فيه ، وهو غير مرغوب ، وتأخر تصريفه بسبب استيرادنا لسمن ايراني أبيض وممتاز . ثم جاءنا الشيخ حسن الكل أشهر دلال في البزورية وأخبرنا بأن التاجر شفيق السكري يريد شراء السمن العراقي بسعر ٢٠ قرشاً للرطل بوعدة لمدة ثلاثة أشهر ووافقت على ذلك على أن يرسل طنبراً لوزنه واستلامه وفي هذه الأثناء حضر والدي المرحوم الحاج سليم الشلاح وأخبرته بأننا تخلصنا من السمن العراقي وبعناه الى شفيق السكري فاعترض على البيع لوعدة . ولما أجبته أن المدة قريبة وهي ثلاثة أشهر لم يوافق ثم حضر الدلال للاستلام فقلت له أن والدي رفض البيع المؤجل السداد واقترحت اختصار المدة الى شهرين فذهب الدلال الى الشاري الذي وافق ولكن والدي أصر على رفض البيع المؤجل .

أصبحت في حيرة من أمري ، وندمت على مشاورة والدي ، وذلك لأننا منذ عام ١٩٢٨ انفردنا بالعمل باسمي بدر الدين وشفيق الشلاح وأعلنا إذاعة تجارية وصرنا نستطيع التصرف دون مشورة وسرعان ما اتصل بنا الوالد وسألنا عما جرى فأخبرته بتنزيل مدة السداد الى شهرين وأن الشاري هو نجل التاجر الشهير رشدي السكري ، وقلت له أنني أخاف على اسم الشلاح فقال لي بالحرف الواحد : لا نبيع بالوعدة ولو كان الشاري من السماء وهنا لم يبق أمامي إلا الخلاص عن طريق التسامح مع شفيق بتنزيل السعر وقلت للدلال : والدي لم يقبل وأنا مستعد لتخفيض السعر الى ١٩ أو ١٨٫٥ قرش على أن يكون الدفع نقداً . وبعد نصف ساعة جاء شفيق السكري غاضباً واتهمنا بقلة الوفاء وانصرف وهكذا تخلصنا من الصفقة ، وبقي لدينا السمن العراقي الكاسد ، وبعد مضي شهر واحد أصدر المفوض السامي الفرنسي قراراً برفع رسوم الجمرك على السمن المستورد من ١٠ الى ٢٥ بالمئة فارتفع سعر السمن وبعنا ما لدينا من السمن العراقي الى السيد زمزم من تجار النبك بسعر ٢٤ قرشاً أي بزيادة ٢٠ بالمائة ، والتاجر المذكور ما زال حياً وهو عضو في غرفة تجارة محافظة ريف دمشق .

أما السيد شفيق السكري فقد استحقت عليه سندات للتاجر الكبير انطون الياس مزنر ولم يسددها وأقيمت عليه دعوى قضائية فاضطر لمغادرة البلاد الى مصر حيث عمل كاتباً لدى أحد تجار بور سعيد وتزوج فتاة مصرية وأنجبت له خمسة ذكور وثلاث إناث وكان قد ترك في دمشق زوجة وثلاث أولاد اضطر جدهم رشدي السكري لإعالتهم .

وقد صدر الحكم على شفيق السكري غيابياً بالسجن وحاول بعض أصدقاء والده حل المشكلة صلحاً وبحدود ٥٠ بالمائة وأعلن الحكم في الصحف باسم شفيق رشدي ركاب السكري ولكن المرحوم رشدي رفض دفع أي مبلغ ، وبقي شفيق خارج البلاد خمسة وثلاثين عاماً وعاد إليها بعد وفاة والده بشهر واحد وتوفي هو نفسه بعد وفاة والده بأربعين يوماً .

وتوزع أبناء شفيق في أكثر من بلد فأولاده من زوجته الأولى سميح وربيح وأويس ويعمل الأول في إحدى شركات النفط أما أويس فقد أصبح أستاذاً في إحدى الجامعات الاميركية وعين مديراً للغرفة التجارية العربية الامريكية في شيكاغو .

أما أولاد رشدي الآخرون فهم رفيق ، منيب ، بشير ، عزة - فيعمل الأولان في شركة سكري وحداد في بيروت حتى الآن ، وقد أنجب منيب ولداً يعمل الآن في الكويت ، وثلاث بنات ، وأنجب رفيق أربعة ذكور ، أما عزة فما زال محله في البزورية وله أربعة أولاد المهندس أحمد (في الرياض) والسيد ابراهيم بالعمل الحر في الدمام ، وسليم ونبيل في جدة ، ومعتز في النمسا ويشارك مروان ابن رفيق في محل جده في خان البزورية بتجارة مال القبان باسم شركة براوي وسكري .

ونعود الآن الى الجد المرحوم رشدي السكري حيث كان في عام ١٩٥٩ بحاجة الى سيولة مالية فطلب حفيده قرضاً من المصرف الزراعي وكان مديره آنذاك الأستاذ نصوح الدقاق الذي أوفد السيد زهير التيناوي مدير المعلومات ليسألني عن أوضاع السيد رشدي السكري فأخبرته بما أعلمه وهو أن المرحوم رشدي السكري يملك أرضاً في حي الشاغور مجاورة لقرية جرمانا اسمها اليونسية ومساحتها ٣٤ فداناً ويملك قرية في الجولان اسمها كفر حارب قبل حدود الحمة وله دار مقابلة للمستشفى الايطالي بدمشق وعمارة ذات ثلاث طوابق في دخلة البسام بالجسر يقطن أحدها ولده منيب وزدت على ما ذكرته مخزناً في سوق البزورية لم يكن موفد المصرف على علم به وهو أكبر مخزن في السوق وكان مصرف مرقدة أخوان يشغله ، فأضافه الى القائمة ، وله محل في الدباغات يديره ولده رفيق وحفيده مروان .

أعود الى المرحوم رشدي السكري الذي توقف عن العمل في عام ١٩٥٨ وأجريت له عملية بروستات في بيروت واستأجروا له داراً في مصيف حمانا بلبنان واصبح بحاجة الى

ممرضة تلازمه وتوضب المنزل ، فلم يجد ذووه غير زوجة ولده بشير الذي كان يرعى أعمال والده في بغداد وطهران سنوات طويلة ، وخلال وجوده هناك تزوج امرأة بولونية فلما عاد الى سورية وعلم والده بذلك رفض استقباله أو استقبال زوجته الأجنبية وتوسط أصدقاؤه لكي يقبل بالواقع وقالوا له أن زوجة بشير أسلمت فقال لهم ينقص الاسلام واحد .

وهكذا بقيت زوجة بشير قاطنة مع زوجها في بيروت وبعد انتهاء العملية زرت المرحوم رشدي السكري في منزله بجرمانا فاعترف لي أنه أخطأ بحقها وأنها كانت مثالية بالأخلاق والخدمة ولكن هذا الاعتراف جاء متأخراً وبعد ١٣ سنة من عودتها وزوجها بشير أي بعد فوات الأوان .

يبدو لي أن امتناع المرحوم عن إشراك أولاده في الاسم التجاري وعدم اعطائهم الصلاحية ورفضه أن يكون لهم اسم خاص بهم أدى الى تصرفات غير سليمة وخسائر كبيرة كان من الممكن تفاديها والابقاء على اسم لامع ومحترم في عالم التجارة بدمشق .

التاجر حسن الحفار

صادفت في حياتي التجارية نماذج متنوعة من الرجال لكل منها سمات خاصة وظروف مختلفة ، بينها من كان كبيراً بأعماله وبخبراته ، وبينها من كان حسن السيرة محبباً الى النفس موفقاً في ذريته .

واذكر من هذه الأمثلة التاجر المحترم المرحوم حسن الحفار الذي كان يعمل في تجارة صنفي الديما والصاية من المنسوجات ، ومحله في خان الحماصنة جانب جامع النبهان ، انتقل الى رحمة الله تاركاً سبعة من الذكور وثمانياً من الإناث رزق بهم من زوجتين ، وقد انطبق عليه المثل (من خلّف ما مات).

عمل ولده الأول السيد محمود في تجارة المنسوجات على منوال أبيه وعرف بالأمانة وكرم الخلق الى ان توفاه الله مأسوفاً على شمائله ، وقد أنجب السيد محمود الأستاذ وجيه الحفار صاحب جريدة الإنشاء ، وكان بدوره مثالاً للثقافة والتهذيب يكتب في جريدته مقالاً افتتاحياً رصيناً ومقروءاً ، وأسس مطبعة الانشاء التي يديرها من بعده ولده الدكتور بشار الحفار بنجاح .

والولد الثاني لمحمود هو الدكتور محمد حسن الحفار المجاز في الحقوق ، له خدمات جلى في القضاء وما زال معروفاً بأدبه ورقه حاشيته وعلمه .

أما الحاج أمين وهو ثاني أبناء حسن الحفار فقد سلك طريق التجارة وأحرز سمعة عالية في العمل التجاري كما أنشأ معملاً للصابون اشتهر بجودة الانتاج وفي عام ١٩٥٦ انتقل الى رحمة الله وله من الأبناء فوزي وفيصل وعبد الستار تولاهم الله جميعاً برحمته ورضوانه .

وعمل ولده الثالث جمال في تجارة المنسوجات مع شقيقه المرحوم الحاج أمين وعندما لاقى وجه ربه كان له نجل كريم هو السيد نبيه الذي تزوج كريمة الحاج محمدعيد سكر فأنجبت له ولداً أسماه (جمال) تيمناً بجده ، وتخرج جمال مهندساً مدنياً وأول عمل له كان في مؤسسة مياه عين الفيجة المشروع التعاوني المثالي الذي أنشأه أبناء دمشق بأموالهم وجهودهم وآراء وأفكار لطفي الحفار ، وظل جمال في المشروع حتى إحالته على التقاعد .

لطفي الحفار

ونأتي الآن على ذكر أشهر أولاده وهو المرحوم الأستاذ لطفي الحفار من ألمع وأنظف الوجوه في الكتلة الوطنية ، ولد رحمه الله عام ١٨٩١ وتلقى المعارف الابتدائية والثانوية في المعاهد التركية والسورية وحصل على دروس خاصة في العلوم الاجتماعية والاقتصادية والمالية على أيدي أساتذة أجلاء .

انخرط الأستاذ لطفي الحفار في حياة الجهاد الوطني منذ عام ١٩٠٧ حيث اشترك في تأسيس جميعة النهضة العربية الى جانب كبار الوطنين كالدكتور عبد الرحمن الشهبندر والدكتور صالح قنباز والسادة شكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي وعارف الشهابي وتوفيق بساط (من شهداء الثورة العربية) ومحي الدين الخطيب وصلاح الدين القاسمي وجورج حداد ، ثم تابع الأستاذ لطفي العمل الوطني الصادق عبر مختلف المراحل ويسجل له تاريخ دمشق أنه من أكبر مؤسسي مشروع مياه عين الفيجة في عام ١٩٢٤ وبعد انجازه انتخب رئيساً له طيله حياته وكان نائباً لرئيس غرفة تجارة دمشق ومن مؤسسي شركتي الاسمنت والانشاءات .

تولى المرحوم لطفي الحفار في عام ١٩٢٦ وزارة الأشغال العامة وعندما جرت المواجهة بين الكتلة الوطنية والانتداب الفرنسي نفته السلطة الفرنسية الى الحسكة وسجن أكثر من مرة وعندما شكلت الجمعية التأسيسية لوضع الدستور في عام ١٩٣٢ انتخب عضواً في الجمعية وممثلاً لدمشق ، كما انتخب في عام ١٩٣٦ نائباً لمدينة دمشق وتولى في عام ١٩٣٨ وزارة المالية وما لبث ان كلف برئاسة مجلس الوزراء ووزارة المعارف في العام التالي ، ومن جديد انتخبته دمشق في عام ١٩٣٤ نائباً لها ، ولا يتسع المجال هنا لتعداد مناقبه ، ولكن الكتاب الذي يتضمن خطبه السياسية وأفكاره الاقتصادية الذي نشر فيما بعد يدل على صدق وطنيته وسعة علمه وأهمية خبرته بالنواحي الاقتصادية .

ويحمل المرحوم لطفي الحفار وسام النهضة من جلالة عاهل المملكة الأردنية الهاشمية .

ثم انتقل الى ابن المرحوم جمال الأستاذ مأمون الحفار الذي تولى مناصب هامة وأصبح سفيراً لسورية في طهران ، وقد اجتمعت اليه هناك في عام ١٩٥٣ حيث ترك في نفسي أفضل انطباع وكنت عضواً في لجنة تضم الأستاذ عبد الرحمن الطباع مدير أوقاف دمشق والسيد زكي قطنا لشراء السجاد اللازم لمساجد دمشق من ايران وقد حملنا الشيكات اللازمة بالدولار والجنيه الاسترليني وقبل أن نصل الى طهران مررنا ببغداد لنطلع على اسعار السجاد الايراني ونحصل على عناوين تجاره .

وعندما وصلنا الى طهران كان في استقبالنا السفير السوري الأستاذ مأمون الحفار في المطار ، وكان أحد الطلاب الايرانيين تعرف علينا في الطائرة ورافقنا كدليل على أسواق السجاد وحللنا في البداية في فندق بعيد عن المدينة بسبب ازدحام الفنادق ولكن جلبة النزلاء الأمريكيين الذين كان ضجيج آلاتهم الكاتبة لا يهدأ حملنا على البحث عن مقهى هادىء ليتاح للأستاذ الطباع ممارسة عادته المفضلة في تدخين الأركيلة وكنا نتوقع ان تكون المقاهي الايرانية غاصة بالأراكيل نظراً لكثرة التنباك العجمي الشهير في ايران ، ولكننا فوجئنا بان هذه المقاهي لا تقدم الأركيلة فتطوع الطالب الايراني بدعوتنا الى دار والده حيث أعد الأركيلة للأستاذ الطباع ، وللأسف تبين أنهم هناك لا يستعملون النربيج بل يعمدون الى وضع قصبة بدلاً عنه ولهذا زهد الأستاذ الطباع بالأركيلة وأقلع عنها منذ ذلك الحين .

ونعود الى مهمتنا الأساسية وقد وجدنا السجاد رخيصاً جداً بسبب الظرف السياسي في ايران آنذاك ، وكان الدكتور مصدق رئيساً للوزراء وآية الله الكاشاني زعيماً روحياً للشعب ، وأدت الأوضاع الى كساد السجاد ورخص أسعاره بل أن الدولة نفسها كانت تبيع السجاد لتؤمن مورداً لمعاشات الموظفين والمحلات غاصة بمختلف الأصناف فاشترينا كامل حاجتنا .

وعلى مائدة الأستاذ مأمون الحفار سفيرنا في طهران الذي أقام لنا مأدبة غداء جرى الحديث عن السجاد وعندما ذكرنا أمام السفراء العرب أننا دفعنا القيمة بالدولار بسعر ٧٫٥٠ مع أن السعر الرسمي ٣٫٥٠ فوجئنا بالمأزق الذي وقعنا به وذلك اننا عند دخولنا ايران سجلت في جوازاتنا كميات العملة التي نحملها ولن يسمح بخروجنا إلا بإبراز شيكات هذه العملة كما سجلت في الجواز ، أو تقديم الدليل على أننا صرفنا دولاراتنا في البنك بالسعر الرسمي .

ظل النقاش حول هذا المأزق ساعتين دون أن نصل الى حل، وعلمنا أن التاجر السوري بشير اللحام كان اشترى سجاداً إيرانياً ونقص لديه مائتي دولار لم يستطع إثبات كيفية صرفها فمنع من السفر، واضطر للاقتراض من السفير لتسديدها قبل السماح له بالخروج من إيران.

خرجنا من دار السفير وقد تملكتنا الحيرة فقابلنا آية الله الكاشاني وعرضنا عليه المشكلة مؤكدين ان السجاد المشترى سيوزع على المساجد فأجابنا أنه لا توجد امكانية للتوسط، قابلنا مدير البنك المركزي للبحث عن حل فأكد بدوره أنه لا يمكن خرق القانون ولا مناص من صرف الدولارات في البنك بينما كانت دولاراتنا قد دفعت بشكل شيكات الى تجار السجاد .

جلسنا في المقهى أنا والمرحومان عبد الرحمن الطباع وزكي قطنا الذي توفي في شهر آذار الماضي ونحن نضرب كفاً على كف ونسأل الله الفرج ، فجاءنا شخص وسألني : هل أنت الشلاح ؟ فأجبته نعم وقال لي أن معلمي ينتظرك في المحل .

هنا تذكرت أنني أحمل تحريراً الى هذا التاجر الايراني من السيد عبد الأمير الصراف ببغداد وتوجهنا أنا والسيدان الطباع وقطنا الى المحل حيث استقبلنا التاجر الايراني وقدم لنا

الشاي وتبين لي أنه أكبر تاجر للسجاد في طهران وأن السيد الصراف أوصاه بنا فأخبرته بما حدث وتساءل كيف تدفعون الدولار للبائع بسعره مع أن سعره ٣ر٥ والدولارات مسجلة على جوازاتكم هذا غلط فاعترفت له بأنني نسيت تحرير السيد الصراف وكان من الواجب أن أحضر إليك مباشرة في طهران ، هنا اقترح علينا أن يحضر الشيكات من التجار الذين اشترينا منهم السجاد ويسدد لهم القيمة على أن نعود نحن الى السيد الصراف في بغداد وهو يتحاسب معه .

هنا صعقت لهذا الكلام إذ كيف يتحمل عنا هذا الرجل الكريم دفع الملايين دون صكوك وأوراق وانفرج الهم المكبوت في صدري فأجهشت بالبكاء الحار حتى أغمي عليّ ووقعت أرضاً فأسعفوني ولما صحوت لم استطع التوقف عن البكاء وشعرت بأن رضى الوالدين يرافقني في كل محنة ، وعندما هدأت نفسي توجهت بالشكر الى الله عز وجل .

ولما أتممنا شحن السجاد عدنا الى بغداد وقابلنا السيد عبد الأمير الصراف وسلمناه الشيكات ليحول القيمة الى التاجر الايراني الذي نسيت اسمه وكان يعد من كبار تجار السجاد . وأذكر انه زاد معنا فرق عملة عن بيعنا لهم في طهران أكثر من مائتي دينار عراقي .

وفي دمشق كان المرحوم الطباع يقول للمهنئين ان ما عمله أبو راتب لا يصدق ولا يقبله عقل وما كنا نعرف مصيرنا لولا وجود أبي راتب معنا وصار كل مهنىء يطلب منا حكاية القصة بالتفصيل .

وأذكر أنني أحضرت معي الى دمشق أربع قطع خاصة لي دخلت مع البضاعة العائدة للأوقاف واقترح الطباع على المخلص الجمركي تخليصهم مع تلك البضاعة ولكني أصررت على تخليصهم باسمي وبذلك ظهر مفعول رضى الوالدين ثانية .

بعد هذه الواقعة أعود الى السيد محمد خامس أولاد حسن الحفار وقد عمل في تجارة النسيج الوطني واشترك بعض الوقت مع أخيه المرحوم الحاج أمين وعندما وافاه الأجل كان قد بلغ السبعين من عمره .

والسيد صبحي هو سادس أولاد حسن الحفار وقد عمل بالزراعة وأصبح خبيراً لدى المحاكم يكلف بحل الخلافات بين المتخاصمين ولم يترك ذرية .

وافتتح السيد أحمد وهو الولد السابع لحسن الحفار من زوجته الثانية محلا لبيع الحلويات في سوق الحميدية ولم يتزوج ليرعى شقيقاته الثلاث وقد انتقل الى رحمة الله .

ولا يزال أحفاد حسن الحفار يتكاثرون ، بارك الله بهم وأحسن إليهم فقد كانوا أمثلة كريمة على حسن التربية وجودة الأصل وسلامة السلوك ، وأعطوا للوطن سلالة مشرفة .

محمد شريف النص

السيد محمد شريف النص تاجر محترم انتخب نائباً لرئيس غرفة تجارة دمشق من عام ١٩٣٥ واستمرت عضويته لمجلس إدارتها حتى عام ١٩٣٩ ، وقد مارس التجارة العامة وكان عضواً مؤسساً لشركتي اسمنت دمشق والمغازل والمناسج وعضواً في مجلس إدارة أوقاف دمشق إضافة الى تضلعه بالدين والحديث النبوي وتلمذته لدى المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني . من النوادر التي جرت للسيد محمد شريف النص أن رجلاً دخل عليه في محله التجاري وقال له أمام بعض التجار أعطني الأمانة التي أودعتها لديك فقال له ما قدرها أجاب مئتا ليرة عثمانية ذهبية ، سأله هل أنت متأكد أجاب : طبعاً متأكد ففتح النص صندوقه الحديدي ودفع له مائتي ليرة عثمانية ذهبية وبعد ثلاثة أشهر عاد ذلك الشخص الى السيد النص وأعاد له المبلغ طالباً أن يسامحه وقال كنت ماراً بالطريق وصادفني الشيخ موسى الطويل فتذكرت أنني أودعت الأمانة عنده وليس عندك ولهذا استلمتها وأعدت المبلغ إليك ثم سأله كيف دفعت لي وأنت لم تستلم مني شيئاً فقال له أنت رجل محترم وسمعتك معروفة لا يمكن أن تعتدي على الغير ، ولما دخلت علي وطلبت الأمانة كان لدي بالمحل أصدقاء لهم مكانتهم فإذا لم أدفع لك يظنون أنني أنكر واقعة لا تحتاج الى جدال فاشتريت سمعتي بمالي ودفعت لك مائتي ليرة عثمانية وها هي الحقيقة ظهرت وتذكرت أنت أين أودعت أمانتك فأعدت لي المبلغ مع الاعتذار «وهنا القول المأثور المال الحلال لا يحرق ولا يسرق ولا يغرق».

ويروى عنه أن بضاعة واردة له من الخارج احترقت في الجمرك ولكنه ذهب الى المصرف ودفع قيمة بوالص الشحن واستلم الأوراق فقال له مدير البنك كيف تدفع ثمن البضاعة التي احترقت فأجابه ليس الذنب على البنك بل هو القضاء والقدر وعلي أن أتحمل والعوض على الله .

وكان السيد عادل الخجا يعمل كاتباً عند السيد شريف النص فوثق به وارتاح الى استقامته فزوجه ابنته وهكذا كانت أخلاق التجار حينما يطمئنون الى موظف لديهم ويلمسون أمانته وأخلاقه لا يترددون في جعله صهراً لهم .

أما أولاد السيد النص فهم الدكتور عمر النص الأستاذ بالجامعة إضافة الى عمله بالتجارة وله ولدان يعملان في الكويت ، والولد الثاني السيد ممدوح النص له ستة أولاد من الذكور وهم الدكتور محمد شريف النص ويعمل دكتور أشعة والدكتور عبد الله طبيب صحة والدكتور محمد سامر يعمل بالقوات المسلحة بالمملكة العربية السعودية والأستاذ رياض مهندس بالسعودية ومحمد أنس تاجر بمحل والده وعبد الله يعمل داخلياً بدمشق وحلب .

لقد توفي السيد ممدوح منذ عامين تقريباً على أثر عملية جراحية غير أنه كان صورة طبق الأصل عن والده لا يفارق دروس العلم مع أهل العلم وورث عن والده مكتبة غنية تعد من أولى المكاتب في دمشق وهو وديع هادىء يبعد عن كل عمل به تعب أو مخالفة نظام ، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

غالب المهايني

أما قريبه السيد غالب المهايني فهو بدوره من كبار تجار الحبوب ومن وجهاء حي الميدان حيث تتمتع أسرته بالمكانة البارزة والسمعة الحسنة ، وقد انتخب عضواً في غرفة التجارة ست دورات متتالية بدءاً من عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٤٨ وترك بعده ولده الأستاذ ثابت المهايني وشقيقه الأستاذ المهندس رياض المهايني.

ثابت المهايني

وقد أنجب الأستاذ ثابت المهايني الصديق الكريم والرجل اللامع في أوساط المجتمع، وأذكر أنه تعاون مع شقيقي أنور الشلاح في شركة البترول التي أنشأها وعين في عام ١٩٥٨ معاوناً لمدير غرفة التجارة ثم تسلم إدارتها محوطاً بالثقة والاحترام ، وأظهر

كفاءة ملموسة في التعامل مع الوزارات والإدارات العامة وكبار الموظفين ثم رشح نفسه لعضوية مجلس الشعب فنال معظم الأصوات وأصبح عضواً مرموقاً نشيطاً ، وفي عام ١٩٨٣ استقال من إدارة الغرفة وتسلم مدير غرفة للتجارة العربية الأمريكية في نيويورك ، ونظراً لأن أولاده يدرسون في الولايات المتحدة الامريكية استقر هناك ، ولكنه ظل على صلة مستمرة بأقربائه واصدقائه ومعارفه في الوطن .

ولا بد أن أذكر أنه في أوائل السبعينات تسلم إدارة محلات تجارية كبرى في الكويت بنجاح عدة سنوات .

وأعرف شقيقه المهندس رياض اللامع والأستاذ في الجامعات الامريكية وقد ألتقيت به عدة مرات في المملكة العربية السعودية حينما اشترك مع فريق هندسي امريكي لتخطيط مكة المكرمة .

سامي ومهدي القباني

ومن التجار البارزين الأخوان سامي ومهدي القباني ولدا المرحوم عبد القادر القباني التاجر القديم في سوق البزورية ، ولهما مكتب تجاري في خان العامود المقابل لخان أسعد باشا العظم الأثري وكانا يصدران المكسرات الى فلسطين وأقاما مطحنة لعرق السوس عند مدخل المليحة لمنافسة انتاج مزنر والبيرقدار كما اشتركا مع السيدين صبحي وصلاح الدين الشربجي لشراء أرض حمام الناصري ومقهى الشماس وإقامة البناء المعروف باسم عمارة شربجي وقباني التي تتصدر ساحة المرجة حتى الآن .

وقد توفي الشقيق الأول سامي وانفرد شقيقه مهدي بالعمل ، وكان لهما أخ ثالث يدعى عادل لم ينل النجاح الذي أصاب أخويه ، وقد زوج ابنته الصغيرة (دلع) للشيخ عبد الله السليمان وزير المالية السعودي ، وأثمرت هذه المصاهرة تعهدات هامة في السعودية استفاد منها مهدي القباني وأما شقيقه عادل فاستفاد من عقارات سجلت باسم ابنته .

وقد أنجب المرحوم سامي القباني نجله السيد ربيح الذي حصل على تعهدات هامة في ليبيا ، وبنجل آخر هو السيد عبد القادر .

ولنا حادثة مع الأخوين مهدي وسامي في عام ١٩٤٦ حيث اشتريت قطعتي أرض من جبة الأفندي بعد أن فتح شارع أديب اسحاق الممتد من شارع فيصل الى جسر باب

توما أمام جامع الثقفي واصبح الشارع الترابي بنصف الأرض المشتراة ولما بلغ والدي الخبر استكثر الثمن البالغ إحدى وثلاثين ليرة عثمانية للقصبة الواحدة فقلت له هذه الأرض يمكن أن تبنى بكاملها وليس عليها وجائب وبعد أسبوع جاءني السيد مهدي القباني طالباً شراء الأرض فطلبت أربعين ليرة عثمانية ثمناً للقصبة ووافق مهدي على الشراء ودفع لي العربون ، ولما علم والدي بالخبر منعني من إتمام البيع بسبب خلافاته مع سامي ومهدي القباني حول معمل سوس قديم ، وشعر مهدي بأن والدي لن يتم الصفقة فاستعاد عربونه واستأجر أرضاً أمام مصنع الزجاج القديم عند مدخل المليحة لانشاء معمل طحن وتعبئة السوس .

وحملني والدي على الأثر لشراء قطعة أرض أخرى بالجوار فأقمنا عليها عمارة كبيرة تحتوي على ثلاثة أقبية وأحد عشر مخزناً كبيراً واثنتي عشرة داراً وبعد الثامن من آذار عام ١٩٦٣ بدأنا بيع هذه المخازن والدور وحتى عام ١٩٦٩ لم يبق لدينا منها سوى قبو واحد وأنفقنا ثمنها على بناء الجوامع والمآذن وتعليم الأولاد وفي عام ١٩٦٥ بعنا بناية منها صفقة واحدة للسيد زكي هامس من صيدنايا بمبلغ /١٦٠/ ألف ليرة سورية وما زالت في ملكيته ، وقد باع منها مخزناً واحداً بنصف مليون وأجر دارين للمصرف الزراعي بمائتي ألف ليرة وأجر باقي المخازن بمبالغ كبيرة وهذا نصيبه ونحمد الله على أننا ما زلنا في نعم وخير ورضاء تام وشكر لله تعالى ليلاً ونهاراً طالبين من الله الستر .

وبهذه المناسبة ليلة وفاة والدي جلس وقال لي الله يجيركم من ساعة الغفلة . وهنا صار عندي جرأة وطلبت منه مزيداً من الدعاء . فطلبت أن يدعو لنا بالستر فأعاد دعوته الأولى رجوته مرة ثانية أن يدعو لنا بالستر لأنه ليس لنا مطلب في هذه الدنيا أكثر من أن نموت مستورين وليس علينا أي ذمة لأحد ولكنه أعاد دعائه الله يجيركم من ساعة الغفلة والقصد منها ان لا يكون الانسان في بيته ويأتيه خبر مزعج وإما حريق كله وإما حادث دهس ولده وإما طلب حكومي وراءه سجن. رحمك الله يا والدي وجزاك عنا كل خير.

منير المهايني

ورث السيد منير المهايني تجارة الحنطة والطحين عن والده سرور آغا المهايني وأصبح من ألمع تجارها ، وعندما استلم العمل مع والده أسس شركة شيخ وجلاد ومهايني ، وأنشأ

أحدث مطحنة آلية للدقيق بجوار الخط الحديدي عند نهاية حي الميدان ، ثم اتفق مع جميع أصحاب المطاحن في دمشق على تسويق موحد وتأمين حاجة جميع الأفران الى الدقيق دون تأخير أو إحداث زحام ، وكان عملهم منتظماً للغاية ، الا أنه بعد تأميم المطاحن انشأ معملاً للخميرة في حرستا مع شريكه أنور الداية فأدركه التأميم أيضاً وتوجه بعد ذلك الى بيروت حيث أسس أعمالاً تجارية ناجحة ومعملاً للخميرة . وتركه لأولاده سميح وأكرم وغسان ومحمد ومفيد وجميعهم رجال أعمال .

ومما يجدر ذكره أن السيد منير مهايني انتخب عضواً لمجلس إدارة غرفة تجارة دمشق في دورات ١٩٤٨ و١٩٥١ و١٩٥٣ و ١٩٥٥ وكان نائباً لرئيس الغرفة في دورات عام ١٩٧٥ و١٩٥٨ و١٩٦٠ .

وعلى ذكر شركة شيخ ومهايني فإن (شيخ) هو السيد أحمد الشيخ الذي كان يعمل قبل عام ١٩١٥ في العنبر الغربي من محطة البرامكة حيث كان مخصصاً للطحين فقط ويرسل الى بيروت بالقطار قبل أن تستخدم السيارات أو توجد . وكان هو الذي ينقل الطحين من العنبر الى الفاكونات (العربات) . فكيف قفز من نقل الطحين الى ان صار أكبر تاجر بالطحين والمطاحن وشريكاً مع تاجرين كبيرين لهما ماضيهما ووجودهما بالوراثة ؟

وهنا اذكر حادثة من حوادث التاريخ . فعندما تأسست شركة شيخ ومهايني وجلاد وتم تركيب المطحنة الآلية بالقدم كلفوا الأستاذ سعيد محاسن المحامي اللامع بصياغة عقد الشركة . وكان هناك محام حضر من مدينة صفد وسبق له أن عمل في القضاء وله عمامة على رأسه وجاء فسكن في الميدان ، فأحبوا أن يطمئنوا على صياغة العقد وسلامته فأعطوه أياه فوعدهم بالدراسة والجواب في اليوم التالي . وفي الغد جاؤوا فقال لهم يلزم دفع أجرة على ذلك ، فقالوا له نحن جيران ، أجاب : حق الجوار قدمته وهو فنجان قهوة . سألوه كم تأمر قال مئة ليرة عثمانية ذهب فاستكثروا المبلغ ولكن الفأر كان لعب بعبهم فاضطروا للدفع فدفعوا . وكان المحامي يفحص كل ليرة ذهبية لئلا تكون ناقصة فوزنها جميعاً وأعاد لهم ثلاثاً منها فأبدلوها ، وكان يتمرن عنده المحامي الأستاذ محمود النحاس . ولما سلمهم العقد سألوه عن موضع التبديل لأنهم لم يروه فأشار الى مكان وضع فيه حرف (و) . قالوا له : مئة ليرة ذهبية من أجل حرف ؟ قال لهم أسألوا الأستاذ محاسن إن كانت تستاهل هذا المبلغ ، اذهبوا واسألوه فإذا قال لا تستاهل تعالوا أرجع لكم المبلغ بكامله ، ولما ذهبوا الى الأستاذ محاسن وسألوه أقر بأن التعديل يستحق هذا المبلغ .

موسى غناجة

شغل السيد موسى غناجة عضوية مجلس إدارة الغرفة في دورتي عام ١٩٣٥ وعام ١٩٣٧ حيث كان خازناً لها ، وكان عضواً لمجلس الإدارة في دورة عام ١٩٤٧ التي استمرت عاماً واحداً ودورة عام ١٩٤٨ التي استمرت ثلاثة أعوام . وكان من كبار مستوردي الطحين والأكياس والإطارات ، واذكر اننا استوردنا عن طريقه أربعمائة طن من الدقيق وكميات من الأكياس الفارغة لتعبئة العرقسوس المطحون . وقد عرف بالأمانة في المعاملة وإذا استورد بضائع لحساب المتعامل معه وعند وصول البضائع حدث تحسن بالسعر كان يسلم المادة دون زيادة عن السعر المتفق عليه ، بينما كان غيره من التجار الوسطاء (القومسيونجية) يستغنون عن تسليم البضائع إذا تحسن سعرها ، ويبيعونها لحسابهم .

لم يخلف المرحوم موسى غناجة ولداً ، وأوصى ببناء كنيسة قرب جامع الحسين في شارع الجلاء (أبو رمانة) على نفقته ، وتم بناؤها بعد وفاته . رحمه الله لأنه أراد التقرب الى الله لأنه عاش حياته كوسيط أمين وثقة ومستقيم .

ميشيل فتال

وشغل السيد ميشيل فتال عضوية مجلس إدارة الغرفة في دورة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ ودورة ١٩٣٧ ودورة ١٩٤٢ التي استمرت حتى عام ١٩٤٦ وكان فيها خازناً للغرفة . وهو نجل السيد خليل فتال أكبر وكلاء ووسطاء الشركات الاوربية واذكر اننا اتفقنا معه على شحن منتجاتنا الى مصر وغيرها في بواخر ايطالية كان وكيلاً لها ، بشرط ان تخفض أسعار الشحن عن الكميات الزائدة عن الكميات المتفق عليها ولكن الشركة مالكة البواخر طلبت منه إلغاء الاتفاق فتساهلنا معه نظراً لمكانته وحسن معاملته .

وقد وسع ولده السيد ميشيل أعماله التجارية بعد وفاة والده ، وبنى عمارة ضخمة على شاطىء بيروت تمتد من شارع اللنبي الى شارع فوش .

سعيد صادق

السيد سعيد صادق من تجار سوق الحميدية المعروفين ، وانتخب عضواً لمجلس إدارة الغرفة لدورة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ ودورة ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ وكان شريكاً في محل صادق ورمضان المعروف في سوق الحميدية واذكر انهما مثال الشريكين المثاليين في الأخلاق العالية وحسن المعاملة ، وعندما تخرج السيد بشير رمضان نجل الشريك عبد الله رمضان من كلية الحقوق حل محل والده ، وتفرد السيد سعيد صادق بالعمل التجاري دون شريك ، وظلت سمعته كما كانت .

وكان المرحوم عبد الله رمضان يقطن داراً عربية كبيرة في أول طلعة جوزة الحدبا بحي سوق ساروجة ، استأجرتها المالية فيما بعد وحاول المرحوم عبد الله حل مشاكل تركته مع ولده تيسير الذي توفي قبله ومع أخوانه ولم يتم له ذلك بسبب أحد ممثلي ورثة المرحوم بشير الذي لم يتعود حل المشاكل ولا زالت الأمور معلقة للآن رغم وفاة الأخ الثاني .

ابراهيم طوطح

السيد ابراهيم طوطح تولى عضوية مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق طوال دورات ١٩٣٥ حتى ١٩٣٦ ومن ١٩٣٧ حتى ١٩٤٢ ـ ثم في عام ١٩٤٦ أي حوالي أحد عشر عاماً ، كان له محلان تجاريان الأول في بناء مردم بك بساحة المرجة والثاني في شارع العابد، وعمل شريكاً مع أحمد الشرباتي نجل التاجر الوطني عثمان الشرباتي الذي كان يرسل برقيات الاجتماع الى هيئة الأمم ويدفع نفقاتها ويصرف على السوريين الفارين من سورية .

مدني الحفار

محمد مدني الحفار (أبو توفيق) كان تاجراً كبيراً من تجار مال القبان في سوق البزورية وما زال محله معروفاً وسط السوق وقد اشترى قرية في الغوطة تدعى المحمدية واستدان منه

الرئيس شكري القوتلي بضمان رهن أراضيه في بادىء الأمر مما اضطر السيد عادل شقيق الرئيس لوفاء هذه الديون مع فوائدها حتى استطاع تحرير الأرض المرهونة، وترك بناء كبير على العظم بشارع هنانو جانب بناء عبد الوهاب الصمادي وباعه ورثته الى الحكومة لجعله دائرة مخابرات ولكن رئيس الوزراء اللواء عبد الرحمن الخليفاوي حوله ليكون مقراً لوزارة الخارجية.

انتخب أبو توفيق عضواً في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق في دورات ١٩٣٥ حتى عام ١٩٧٤ .

السيد جان قدسي

السيد جان قدسي تاجر ووسيط ووكيل لشركة سيارات البونتياك والدودج وقد اشترى من والد السيد شمسي شيخ المولوية أرضاً أقام عليها بناء القدسي المعروف مقابل المؤسسة العامة للبريد والهاتف ، وبعد ان تم البناء أجر الطابق الأول والسفلي لدائرة البريد مقراً لها .

وحينما مددت شركات البترول خط الأنابيب الممتد من العراق الى الشاطىء السوري بلغت عمولته من بيع السيارات لهذه الشركات حوالي عشرة آلاف جنيه استرليني أرسلتها له الشركة دون أن يكون عنده علم بها وهكذا الأمانة ، كما كان قنصلاً فخرياً .

وانه قد تعرض لبعض الصعوبات في أعماله وكان من جملتها أن وقع بينه وبين السيد فريد كحالة شجار حاد بينما كانا في إحدى الحفلات . فأصيب القدسي على أثرها بنوبة قلبية ووافاه الأجل .

وبعد ان اشترى الأرض من المولوية وبناها اشترى قطعة ثانية من شمسي شيخ المولوية بعد وفاة والده . وبعد أن أصدر حسني الزعيم مرسوماً بحل الأوقاف الذرية والخيرية واستلمت الأوقاف إدارة الوقف أقامت دعاوى على القدسي بدأت أمام المحكمة الأجنبية في حلب حول الأراضي المشتراة من شيخ المولوية ولما انتخب عضواً في مجلس الأوقاف اجتمعت مع المرحوم القدسي وانهيت الخلاف بجلسة واحدة بصفتي عضواً في

مجلس إدارة الأوقاف وكان مضى على الدعوى خمسة عشر عاماً ، وتم استرداد الأرض فأقيم عليها البناء الحالي الذي يضم وزارة الزرعة ومديرية أوقاف دمشق، وكان يملك حصة كبيرة من قرية الشيفونية التابعة لدوما وبنى بها معمل سبرتو ثم اقتطع منها قسم للاصلاح والباقي تم بيعه.

شفيق البزرة

من زملائنا في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق السيد شفيق البزرة تم انتخابه عضواً في دورات عام ١٩٣٨ و ١٩٤٠ و ١٩٤٢ حتى عام ١٩٤٧ إضافة الى عضويته في غرفة الصناعة ، وكان والده من أكبر أصحاب مصانع السكاكر وأسفر الخلاف بين والده وعمه بسبب المناصفة عن انفراد كل من ولديهما بالحصة غير ان السيد شفيق انطلق وحده وأصبح من أكبر الصناعيين في هذه المهنة ، وابتاع مساحات هامة من أراضي المليحة ثم أدركته المنية مبكراً ، وخلفه ولده الذي احتل مركز والده وحقق المزيد من التوسع وابن عمه توفى وهو يعمل بالدلالة .

عبد الحميد دياب

السيد عبد الحميد دياب والده التاجر المرحوم ياسين دياب أحد مؤسسي مشروع مياه عين الفيجة ، وساهم بتأسيس الشركة الخماسية وشركة مع السيد أنور القطب وعمل بالمؤسسة بطريقة علمية حديثة ، واذكر اننا تعاوننا معاً في لجنة بناء مشفى الأطفال وكانت آراؤه صريحة وبناءة ومتزنة .

وورث العمل التجاري عن والده وحقق الكثير من التوسع وأحرز مركزاً اجتماعياً حسناً وشيد أول مصيف في بقين ، أول دار للمصيف جانب نبع مياه بقين وكانت المواصلات بالقطار حيث القطار في موقف اسمه الحنفي ، ومنها يصعد سكان بقين إما مشياً على الأقدام وإما على ظهر البهائم وكان لي حظ ان اجتمعت معه بالقطار وأنا عائد من الزبداني في عام ١٩٢٣ .

وقد شغل عضوية مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق وأمانة سره في دورة عام ١٩٤٢ التي استمرت حتى عام ١٩٤٦ .

عادل الخجا

السيد عادل الخجا هو أحد مؤسسي الشركة الخماسية ومن كبار تجار دمشق وقد انتخب عضواً لمجلس إدارة غرفة تجارة دمشق لدورة ١٩٥١ ودورة عام ١٩٥٢ ودورة ١٩٥٥ وكان نائباً لرئيس الغرفة وفي دورة عام ١٩٥٧ أصبح رئيساً للغرفة وظل رئيساً لها طوال دورات ١٩٥٨ و ١٩٥٩ و١٩٦٢ و ١٩٦٤ .

كان والده السيد محمود الخجا قبل الحرب العالمية الأولى رئيساً لبلدية بيروت ، أما السيد عادل فقد بدأ حياته العملية كاتباً لدى التاجر الكبير شريف النص ، ثم تفرد بالعمل التجاري مع شقيقه واصل واشتركا في تأسيس الشركة الخماسية وله شقيق في المملكة السعودية هو المرحوم صادق الخجا التاجر المعروف في جدة وأنجب ذرية كبيرة موجود منها عدد كبير في المدينة المنورة وفي جدة أما ولده محمود فقد ذهب الى المغرب حيث أسس في طنجة معملاً ناجحاً وولده الثاني الدكتور محمد في الكويت وبلغ من تقدير صاحب عمله المرحوم شريف النص انه زوجه ابنته نظراً لأدبه ونشاطه وهكذا كان التجار يفتخرون بالصهر الذي يعمل عندهم لأنه يتعلم ويتمرن جيداً بدلاً من الدلال ، وقد صبر على مرض زوجته الذي دام أكثر من /١٥/ عاماً وبعد وفاتها تزوج من امرأة مسنة لخدمته لأنه بقي منفرداً في الدار حيث تقدم بالسن وتعب صحياً وأولاده بعيدون عنه . وصهره الدكتور مأمون الكزبري كان استقر في باريس وبقي صهره صالح الخطيب بجواره الى أن توفاه الله رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

موفق الميداني

ولا بد من الحديث عن موفق الميداني الذي لمع في دمشق كصاحب مشاريع وشركات ، وترأس الجمعية التعاونية للبترول التي كان أسسها أخي أنور الشلاح وكنت رئيساً لها واعتذرت عن قبول الرئاسة عند إعادة الانتخابات رغم إصرار يوسف مزاحم على قبول الرئاسة مرة ثانية . وكان آنذاك مديراً لمالية محافظة مدينة دمشق ثم صار وزيراً للأوقاف وأقام بعد الانفصال في القاهرة ولا زال للآن وهو بالأصل من سكان عين

الفيجة . وأسس موفق الميداني بنك العالم العربي وقام بأعمال تجارية واسعة وشيد قصراً معروفاً في شارع الروضة ربما كان أول قصر يقام هناك ، إلا أنه بعد الثامن من آذار تعرضت مشاريعه للتأميم وصودرت أملاكه فتوجه الى السعودية حيث بدأ من جديد وأصاب سمعة جيدة وثروة كبيرة عوضت له أضعاف ما خسره في سورية .

وقبل طبع الكتاب توفى موفق الميداني في أميركا ودفن في أميركا وترك أولاداً في باريس وعملوا له تعزية بدمشق .

ويمثل هذه الحوادث يتحسر المواطن السوري إذ أن هذا الوطن قد حرم من ثمرة جهود وأتعاب أمثال المرحوم موفق الميداني كما يتحسر على أمثال المرحوم موفق إذ أنهم أنفسهم حرموا من متعة العيش في هذا الوطن ومتعة وسعادة العطاء للوطن وترك أثر ناطق فيه عما حققوه وجمعوه وأنجزوه .

السيد بشير رمضان

السيد بشير رمضان في مقدمة تجار سوق الحميدية وجاهة ونشاطاً تخرج من كلية الحقوق وعمل مع والده عبد الله رمضان أحد شريكي محل صادق ورمضان المشهور في السوق ثم استقل مع والده بإدارة هذا المحل الشهير ، وفي عام ١٩٤٢ خاض معركة انتخابات غرفة التجارة في قائمة تضم السادة : نوري الحكيم ـ ممدوح كوكش ـ بديع قصص . وفاز الأربعة معاً بعضوية مجلس إدارة الغرفة .

وبعد ذلك فاز السيد بشير رمضان بعضوية إدارة الغرفة في دورات أعوام ٤٩ و ٥١ و ٥٢ و ٥٥ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ وفي دورتي عام ١٩٦٢ و ١٩٦٤ انتخب نائباً لرئيس الغرفة غير انه في الدورة التي بدأت في ١٤/٧/١٩٧٠ عين بقرار من الحكومة رئيساً في الجمعية الغراء وفي جمعية المواساة ، وانتخب عضواً في البرلمان وشارك السيد شفيق سكر في بعض الأصناف وشارك محمد الكسواني في معمل جرابات وتفارقا قبل الوفاة .

عبد الهادي الرباط

السيد عبد الهادي الرباط من تجار دمشق المرموقين اشتهر بالوسامة والوجاهة والسمعة التجارية وكان له محل تجاري في سوق مدحت باشا مع شريكه السيد أنور

الدسوقي للتجارة والأقمشة الخام المستوردة من اليابان وفي عام ١٩٤٢ خلال الحرب العالمية الثانية أنشأ السيدان الرباط والدسوقي الشركة الخماسية بالتعاون مع السادة عادل الخجا وبدر الدين دياب وإخوانه وعبد المجيد دياب وإخوانه وأنور القطب وإخوانه فأقامت الشركة أول وأكبر مصنع في سورية لصنع الأقمشة الشعبية من القطن وأصابت نجاحاً عظيماً في الانتاج والتطور ثم أدركها التأميم واستملكت أرض الرباط في جبل قاسيون .

وقد تزوج عبد الهادي الرباط من كريمة التاجر المعروف عبد الوهاب الصمادي وأنجب منها المهندس عرفان .

ومن مآثر هذا الوجه الدمشقي الكريم أنه حتى بعد التأميم تبرع بمليون ليرة سورية للقوات المسلحة وبعد ذلك بزمن قليل وافته المنية في لبنان وما زال الوسط التجاري الدمشقي يحتفظ لهذا الوجه بالتقدير والمودة وأنني شخصياً أكن للمرحوم عبد الهادي الرباط أصدق المحبة ، كما أنني على علاقة وثيقة بزوج ابنته الدكتور عبد الغني حمور الذي كان مديراً لغرفة تجارة دمشق في أعوام ٥٥ وما بعد ثم نزح الى السعودية حيث أقام عدداً من المشاريع الموفقة تحت اشراف خيرة الموظفين : ويقيم الدكتور عبد الغني حمور في فرنسا حيث أحرز سمعة عالية باستقامته وخلقه وأكن له المحبة كأنه أحد أبنائي وفقه الله وأرجوه تعالى أن يكتب لي الاجتماع معه حتى أسرّ بأن اجتمع اليه وهو في هذا التوفيق .

أعود الى السيد عبد الهادي الرباط لأسجل انه انتخب عضواً في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق لدورة عام ١٩٤٢ التي استمرت حتى عام ١٩٤٦ .

في عام ١٩٥٥ عندما أقمنا حفلة لشكري بك القوتلي في فندق سميراميس قبل ترشيحه لرئاسة الجمهورية بعد عودته من الاسكندرية ، كتب الدكتور عبد الغني حمور كلمة لتلقى في الحفل الذي كنا وراءه دون الظهور ولكن لم يقبل بالقائها حاولنا فلم يقبل وقال أنا لا أريد أدخل السياسة مما اضطررنا الى رجاء أحد الأساتذة المحامين من آل الجلاد الذي تفضل وألقاها في ذلك الحفل المعروف .

سليم البارودي

أعرف عن كثب السيد سليم البارودي الذي ورث تجارة الخضار والفواكه عن والده المرحوم رشيد البارودي . توفي هذا الأخير في عام ١٩١٥ حينما كان ولده سليم مجنداً يخدم

في قلعة دمشق فاستلم مع شقيقه السيد فهمي زمام العمل باسم شركة رشيد البارودي وأولاده ، وكانت علاقاته واسعة مع مزارعي سوق وادي بردى ودير قانون وكفر العواميد وداريا ومعربا لضمان محاصيلهم من المشمش ، وبعد الحرب العالمية الأولى اتسعت أعمالهم التجارية مع القدس وحيفا ويافا ، وفي عام ١٩٤٥ كان شقيقه فهمي يؤدي صلاة الجمعة في جامع دنكيز فانهالت قنابل العدوان الفرنسي على الجامع وتهدم فوق المصلين وكان بينهم المرحوم فهمي الذي لاقى حتفه .

وقد تجاوز سليم البارودي العام التسعين من العمر ولم ينجب أولاداً وكان عضواً في مجلس إدراة غرفة تجارة دمشق في دورة ١٩٤٢-١٩٤٦ ودورة ١٩٤٧ ودورة ١٩٤٨ - ١٩٥٠ . وبعد وفاة والده المرحوم رشيد البارودي اشترى وأخوه فهمي قطعة أرض في بستان المحددة الذي كان يملكه العلبي وشيدا داراً عربية كبيرة خلف بناية المرحوم أبو رشدي المحايري الذي كان من أكبر تجار سوق الأروام بسوق الحميدية وجاراً للمرحوم كوكش .

نصوح الطباع

السيد محمد نصوح الطباع من مواليد ١٩١٦ وتخرج من الكلية العلمية الوطنية بدمشق وعمل في التجارة العامة على نطاق واسع شمل دمشق والقدس وعمان وفي دورة عام ١٩٥٩ انتخب عضواً لمجلس إدارة غرفة تجارة دمشق وأعيد انتخابه عضواً للمكتب في دورة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ودورة ١٩٦٤ - ١٩٧٠ وكان له معمل للألبسة الداخلية بشراكة نوري أخوان وطباع أدركه التأميم .

بعد عام ١٩٧٠ استقر السيد نصوح الطباع في عمان وبقي شريكاً للسيد عثمان النوري في شركة نوري أخوان وطباع .

اذكر أننا التقينا في أداء فريضة الحج عام ١٩٤٤ وكان معه شريكه السيد عثمان النوري وافتتح محلاً تجارياً في شارع بن زفر في جده بجوار محلنا (بدر الدين وشفيق الشلاح) الذي أسسناه منذ عام ١٩٤٨، تغمده الله برحمته وأجزل ثوابه.

حامد سلطان

السيد حامد محمود سلطان انتخب عضواً لمجلس إدارة غرفة تجارة دمشق في دورة ١٩٥٩ - ١٩٦١ ودورة عام ١٩٦٤ - ١٩٧٠ وكان مؤسساً وعضواً في شركات الأقطان والزيوت في حلب ، سكر عدرا ، وخيوط النايلون بدمشق بعد التأميم .

انتقل الى عمان ومارس تجارة مال القبان في محل يملكه من قبل ، كان والده تاجر زيت ودبس في خان البطيخ ، وما زال حياً يناهز الخامسة والتسعين من عمره وأزوره في منزله حتى الآن لأننا تعاملنا معه في صنف الزيت عندما كنا نشحن الزيت بكميات الى ايطاليا وترك أولاداً موفقين .

رشاد جبري

عرفت أيضاً المرحوم السيد رشاد جبري وتوطدت الصلة بيني وبينه تبعاً لعلاقاتي مع والده المرحوم طلعت جبري الذي كان تاجر أخشاب في منطقة الحواصل وسط شارع فيصل ، وأنشأ معملاً للثلج ، وكنا نلتقي بين حين وآخر للاتفاق على انتاج الثلج بصفتي رئيساً لشركة التبريد وفي الحرب العالمية الأولى كان والد السيد رشاد من كبار المتعهدين واستفاد معارفه من عمله هذا للتخلص من الجندية في العهد العثماني بذريعة أن أبناءهم يخدمون في تعهداته للدولة ، إلا أن أحواله ساءت بعد انتهاء الحرب اثر تقلب الأسعار ، وألقي الحجر على عقاراته في باب توما شارع الحكم الدمشقي ، غير انه استطاع تجديد نشاطه ورفع الحجز عن عقاراته .

اذكر هذه التفاصيل عن بعض التجار لأبين ان أكثرهم كافح وعمل وجاهد وتعرض لهزات وصعوبات والرجولة تكمن في قدرتهم على تحملها وتجاوزها .

أما ولده السيد جبري فقد باشر نشاطه إثر عودته من الدراسة في اوربا ، وتولى الاشراف على توزيع إطارات السيارات فكان شديد ا لحرص على عدم تسليم أي عجلة إلا للسيارة المحتاجة إليها .

انتسب السيد رشاد جبري الى حزب الشعب وانتخب رئيساً له في المجلس النيابي وأصبح وزيراً أكثر من مرة ومن أمثلة استقامته انه لم يوافق على الترخيص لوالده بإنشاء معمل في حاصله لأن ذلك مخالف للأنظمة المرعية .

انتخب السيد رشاد جبري عضواً في مجلس إدارة الغرفة لدورة عام ١٩٦٢ ودورة عام ١٩٦٤ التي انتهت في ١٦/٨/١٩٧٠ .

محمد نوري النص

السيد محمد نوري النص من مواليد عام ١٨٩٧ أدرك العمل التجاري حينما كانت آفاق التبادل التجاري مفتوحة على رحبها مع فلسطين والحجاز ومصر وتركيا ، ولم يكن الاستعمار الغربي قد فرض على بلادنا الواحدة كابوس التجزئة وأقام بينها الحواجز السياسية والتجارية .

عين السيد محمد نوري النص عضواً في مجلس إدارة غرفة التجارية في عام ١٩٥١ واستمرت عضويته حتى عام ١٩٥٨ .

عمل في التجارة شريكاً مع شقيقه السيد شريف النص وتشارك مع السيد عزت فرحات الطباع وعمل مع السيد موسى الصفدي التاجر في المدينة المنورة وتشارك مع التاجر أديب السيروان وشقيقه شريف النص في حيفا وكانت أكثر الأعمال التجارية في حيفا ويافا والقدس محصورة في أيدي السوريين .

وفي الحرب العالمية الثانية عمل السيد النص مع التاجرين الكبيرين عادل الخجا وفؤاد الفرا من بيروت في نشاط تجاري واسع ما بين بغداد وايران والهند .

وقد خلفه ولده السيد أنور الذي لمع في نشاطه التجاري بين سورية ولبنان والبلاد العربية وكان عضواً في النادي العربي الذي يضم خيرة رجالات دمشق .

ويعمل معه شقيقه عدنان الذي أقام في مانشستر منذ عام ١٩٥٢ وله هناك مصنع كبير جداً .

فؤاد نظام

عرفت السيد فؤاد نظام من أكبر تجار سوق العصرونية ومن أبرز الوجوه في عائلة نظام المعروفة ، وقد اختير عضواً لمجلس إدارة الغرفة في دورتي عام ١٩٦٢ و ١٩٦٤ ومن أولاده الدكتورة نازك نظام والسيد علي نظام ولا يزال بعض السادة من آل نظام يمارسون النشاط التجاري في سوق العصرونية بسلوك محترم وخبرة عريقة .

وقد شغل السيد فؤاد نظام عضوية مجلس إدارة الغرفة في دورتي عام ١٩٦٢ و ١٩٦٤ . كما لأخيه وشريكه المرحوم جميل نظام شابان كريمان هما السيد حسان الذي عمل في كالفورنيا ولمع كرجل أعمال ناجح ومحترم ومحبوب والآخر هو السيد فتحي نظام الذي يقيم في القطر وحصل على مركز محترم ومرموق . والحقيقة أن آل نظام يمثلون فئة من رجال الأعمال الناجحين الدؤوبين والموفقين وتفتخر بهم الأسرة الاقتصادية بدمشق وإن كنت لا أذكر اسماءهم جميعاً .

نوري الحكيم

السيد نوري الحكيم من ألمع الوجوه المعروفة في الوسط التجاري في النصف الأول من القرن وهو سليل أسرة وجيهة ذات شأن في حي الميدان الفوقاني . بدأ حياته العملية موظفاً في البلدية ولازم الثائر الشيخ محمد الأشمر ، كما عمل ملتزماً في رسوم القبان ورسوم (الباج) على بيع البهائم ورسوم الذبيحة ، وتسلم إدارة شركة الكونسروة السورية بعض الوقت ، وانتخب عضواً في المجلس النيابي وكما أصبح عضواً لمجلس إدارة غرفة تجارة دمشق لدورة عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٦ . وقد نزح بعض الوقت الى بيروت بسبب ملاحقة السلطة ثم عاد الى الوطن واشترى قطعة أرض بالمزاد من تنظيم حي الميدان وما لبث ان توفي بعدها وخلف أبناءً ذكوراً وبنات ورشحت إحدى بناته لانتخابات مجلس الشعب عام ١٩٩١ ولكنها بقيت مثابرة غير انها لم توفق بالنجاح مع أنها شابة مثقفة وأديبة محترمة .

عرفان الجلاد

عين عضواً في غرفة تجارة دمشق بين عام ١٩٥٧ و ١٩٧٠ وهو نجل المرحوم حمدي الجلاد الذي تولى منصب مدير الشرطة منذ العام ١٩٢٢ ، وأقام البناء الموجود خلف دائرة

الشرطة ليكون لتوقيف الشخص حتى يحال الى القضاء وهو المعروف باسم (النظارة) من الانتظار وعلى حائط البناء قطعة مسجل عليها تاريخ البناء وأظن انه كان في عام ١٩٢٢ .

وكان المرحوم حمدي الجلاد قد حضر حفلة تلبيستي في دارنا بالسنجقدار ومعه المرحوم يحيى الصواف الذي كان يلبس عمة من نوع (لام ألف) من شغل الهند ، وحضر ايضاً كل من عبد الحميد باشا القلطقجي وحمدي بك الشلق الذي كان رئيساً لمحكمة الجنايات بالعدلية .

عمل عرفان الجلاد رئيساً لمؤسسة الكوبيراتيف التي أسستها الحكومة في شارع العابد بدمشق عام ١٩٤٦ ، ثم عمل مع الشركة الخماسية في مؤسسة السيارات ثم عمل بالتجارة وأخيراً سافر الى باريس وتوفي هناك رحمه الله .

عوض بركات

عين عضواً في غرفة التجارة من عام ١٩٥٩ حتى ١٩٦٣ . كان موظفاً مالياً أتم دراسته وحصل على الدكتوراه وعيّن أميناً عاماً في وزارة المالية ثم صار وزيراً للمالية وترأس الوفد السوري الذي سافر الى الرياض لتجديد الاتفاقية التجارية بين سورية والمملكة العربية السعودية في تشرين الأول عام ١٩٦١ وكنت برفقته ، وكانت أحسن وأفضل اتفاقية من نوعها عقدت بين سورية وبقية الأقطار . ثم تسلم منصب مدير للمصرف في بيروت ، ويعد من البارزين بين مديري المصارف ، وكنت كلما ذهبت الى بيروت أزوره ولا أنقطع عن زيارته من محبتي وتقديري له ، وهذا ايضاً ممن خسرتهم سوريا في القطاع المصرفي .

بدر جمال الدين

ولد عام ١٩١٤ انتخب عضواً في غرفة تجارة دمشق عام ١٩٥٩ وعضو مكتب في عام ١٩٧٠ وانتهت عضويته عام ١٩٧٣ . كان له محل تجاري من أكبر المحال التجارية في

سوق الحميدية وكان من أكبر تجار الأجواخ والمنسوجات الصوفية . ساهم في تأسيس عدة شركات وكان رئيساً لمجلس إدارة الشركة المتحدة لصناعة الأصواف .

توفي في عام ١٩٧٤ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، ولده هو الأستاذ ماجد جمال الدين ، درس في الجامعة السورية وتابع تحصيله بالجامعة الاميركية وتخرج منها وكان ولدي راتب أحد أساتذته . عمل بالكويت مديراً لغرفةالتجارة ثم مستشاراً للغرفة وكان كاتباً أديباً من الدرجة الأولى له مكانته في الأوساط التجارية بالكويت وباقي الدول العربية وبين الغرف العربية المشتركة محبوباً من جميع معارفه وبالدرجة الأولى من رئيس غرفة تجارة الكويت الذي يعتبر من أعمدة اتحاد الغرف العربية .

مسلم القطرميز

انتخب عضواً في العام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٧٧ يحمل الشهادة الثانوية وهو تاجر من أبرز التجار في سوق العصرونية للأدوات المنزلية ، ورئيس جمعية هذا السوق ، وعضو جمعية دار الحديث النبوي الشريف . له وجاهته في حي الميدان رحمه الله تعالى .

فؤاد الخباز

ولد فؤاد الخباز عام ١٩٠١ عين عضواً في عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٨ وكان له أكبر محل في سوق الحميدية بجانب سوق البورصة . عمل في صناعة التريكو والمطاط ومارس التجارة منذ عام ١٩١٤ وأسس مصنعاً للتريكو في عام ١٩٢٠ ثم أسس معملاً للمطاط عام ١٩٥٣ وكان عضواً في جمعية المواساة السورية والجمعية الغراء وكان عضواً في غرفة الصناعة بدمشق بعض الدورات كما كان رئيساً لنقابة أصحاب معامل التريكو وعضواً في مجالس إدارات شركات التبريد والانشاءات والكونسروة ، وكان موفقاً بجميع أعماله فقد وظف فائض ماله بالأملاك فاشترى مقر مستشفى السادات ثم دار الحلبوني ثم معمل الشتيوي وحوله الى بناية كبيرة وغيرها وكان شريكاً له في بعضها المرحوم شمسي المولوي ، وترك أربعة من الذكور عدنان الذي استلم محل والده وأحمد وغسان وعرفان يعملون أعمالاً حرة ونرجو لهم زيادة التوفيق .

محمد توفيق سكر

السيد محمد توفيق سكر من مواليد عام ١٩٢٤ انتخب عضواً في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق وحافظ على هذه العضوية حتى عام ١٩٧٧ .

ينتمي إلى أسرة سكر التي تقطن حي الصالحية وهي غير أسرة سكر المعروفة في باب مصلى من حي الميدان ولا توجد بينهما قرابة .

انخرط محمد توفيق سكر في العمل التجاري ولا يزيد عمره عن اثني عشر عاماً ، والده محمد عيد سكر وبعد أن انفرد عن شقيقه الشيخ طه شارك السيد محمد الشربجي ثلاث سنوات فاضطر لاخراج ولده توفيق من المدرسة قبل أن يحصل على الشهادة وزجه في العمل التجاري فاكتسب خبرة طويلة بالسوق .

وتربطني بعائلة سكر (الصالحانية) قرابة قديمة تعود الى أكثر من قرن من الزمن كان جدي رشيد الشلاح زوج ابنته الكبرى الى أبي سليم عرنوس وكان الأخير بدوره على صلة مصاهرة مع أسرة الدوغلي التي تربطها أيضاً الصلة نفسها مع أسرة سكر (أبو توفيق) من شقيقتي زكية الشلاح ، واشتد الارتباط بين العائلتين بزواج ابراهيم سكر من ابنه أخي رشاد واقترن توفيق سكر بن محمد عيد سكر بابنتي واقترن شقيقه محي الدين بابنة أخي شفيق الشلاح .

ويعي أبناؤنا جد عائلة سكر وهو الشيخ موسى سكر الذي يرقد في مثواه الأخير بالصالحية فقد أنجب ثلاثة أبناء هم عبد القادر ، وموسى ، ويونس ، وأنجب الأول عبد القادر الأبناء الأربعة سعيد ، محمود ، طه ، ومحمد عيد ، وأنجب سعيد بدوره كلاً من شفيق وعبد القادر وعلي ، وأنجب محمود ولده عربي وخلف طه كلاً من عبد الوهاب ، بهاء ، عادل ، والشيخ محمد حافظ القرآن والإمام الحالي لمسجد الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، وخلف محمد عيد ستة أبناء هم محمد توفيق الذي ترجمنا له في بداية هذه الفقرة ، ومحي الدين والعميد زهير ومختار ونافع وبشار ولم ينجب يونس غير ابن واحد هو صبحي وأنجب عزة .

وأنجب موسى الدكتور حمدي سكر الذي عاش حتى الثالثة والتسعين من العمر ولم يتزوج ، وأنجب أيضاً سليم كلاً من موفق وياسر وهشام ومأمون وبلغ مجموع أولاد وأحفاد الشيخ موسى أي الجيلين الأول والثاني واحداً وعشرين أما الجيل الثالث من الأحفاد فبلغوا الأربعين ولا يقل عدد الذين عملوا بالتجارة من هذه الأسرة عن الثلاثين ، وقد عرفت أسرة سكر الكريمة بالاستقامة والأمانة وحافظت على التراث التجاري الذي كونته بجهودها وخبراتها وعلاقاتها السليمة وهو تراث تعتز به الأسرة التجارية في دمشق .

صلاح الدين الأكتع

تولد عام ١٩٢٣ انتخب عضواً في عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٧ له تجارة عامة بالحبوب لمختلف أنحاء العالم ، وهو عضو الجمعية الخيرية في حي الميدان الوسطاني بدمشق لرعاية العائلات المستورة .

وأضيف أنه كان من أوائل وجهاء حي الميدان . جريء ونشيط ومحبوب بالوسط التجاري وصهره أحمد عبود من كبار التجار والصناعيين والوجهاء بالأوساط التجارية .

محمد الميداني

انه نجل المرحوم الشيخ جميل الميداني الذي كان مدرساً في المدرسة الكاملية الذي كان يشرف عليها المربي كامل القصار .

والسيد محمد الميداني بدأ حياته العملية مهندساً بالكاداسترو ، ثم أصبح وكيلاً لآل الصباغ على ممتلكاتهم الهامة في دمشق والمعروف أن آل الصباغ هم من حيث الأصل دمشقيون كان جدهم حبيب الصباغ يعمل في حل وصباغة الحرير وتصديره واشترى بستان الوراقة الذي تقوم عليه سينما الأهرام ومقهى الكمال وعدة أبنية اخرى الآن ، واستفاد من عين الوراقة الموجودة في البستان لأعمال الحرير ، وعندما تطورت دمشق عمرانياً وارتفعت أسعار الأراضي أقام آل الصباغ البناء الحالي المعروف ، إلا أنه ظهر فيما بعد ان هذه

الأراضي تعود الى وقف عز الدين ايبك وظهر عدد من أدعياء الحقوق في هذا الوقف وأقاموا الدعاوى على آل الصباغ الذين أصبحوا من كبار الأثرياء وأصحاب المصارف في لبنان ، واشتركت أوقاف دمشق في هذه الدعاوى التي استمرت ٤٠ عاماً ، ومنذ سنوات حسمت الدولة هذا الموضوع وأصدرت مرسوماً باستملاك هذه الأراضي والعقارات لصالح الأوقاف .

وقد ظل السيد محمد الميداني وكيلاً لآل الصباغ في هذه الخصومة الطويلة وعمل في تجارة الأدوات الهندسية وانتخب عضواً في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق لدورات عام ١٩٥٥ و ١٩٥٧ و ١٩٥٨ ، وإثر تأميم أعماله ومصادرة أملاكه هاجر الى لبنان وأنشأ أعمالاً كبيرة في السعودية وفرنسا .

ممدوح أبو هندة

ومن الوجوه اللامعة في الوسط التجاري السيد ممدوح أبو هندة وقد انتخب عضواً في مجلس إدارة الغرفة في دورة عام ١٩٧٣ واختير نائباً للرئيس حينما توليت رئاسة الغرفة للمرة الثانية وقد أعيد انتخابه لعضوية المجلس جميع الدورات حتى عام ١٩٨٩ نظراً لسمعته العالية وحسن تعامله مع الناس .

وما زلت احتفظ بعلاقات جيدة معه ومع أسرته ونتبادل الزيارات .

عمل السيد ممدوح وشقيقه السيد مشهور بالتجارة منذ نشأته في سوق البزورية وخلال العدوان على مصر عام ١٩٥٦ كنا نستورد الرز المصري معاً ، واستلم السيد ممدوح الوكالة العامة لمنتجات شركة الكونسروة واستورد السمن النباتي من اوربا عدة سنوات قبل حصره بوزارة التموين .

والسيد ممدوح أبو هندة وجه بارز في حي الميدان ، كما أنه المرجع الأول لحل الخلافات بين تجار سوق البزورية وكلمته نافذة ومسموعة وقد فقدته الغرفة في دورتها الأخيرة وما زال عضواً في لجان إعادة النظر بالمالية ، والده عبدو ترك /٤/ ذكور وانثى واحدة ما عدا الأحفاد وهم رشاد وعماد وماهر ، والسيد مشهور كذلك ترك /٣/ محمد نذير وربيح ومازن وجميعهم يعملون بالتجارة والحمد لله .

صائب النحاس

من مواليد ١٩٣٧ ، وهو نجل شفيق حفيد التاجر رضا ، وعين عضواً في عام ١٩٧٢ وانتخب أميناً للسر حتى عام ١٩٨٢ ، يحمل شهادة بكالوريوس في التجارة وبدأ نشاطه التجاري في صناعة التريكو وتجارتها وتصديرها عام ١٩٥٢ وأضاف تجارة الراديو والأجهزة الكهربائية وآلات التريكو عام ١٩٥٤ والتجهيزات الطبية والعلمية والهندسية عام ١٩٦٢ وافتتح في العام ١٩٦٤ فرعاً للسياحة والسفر ووكالات شركات الطيران وفي العام ١٩٧٤ امتد نشاطه الى ميدان الآليات والسيارات ، ورئيس جمعية مكاتب السياحة والسفر في سورية ، وهو عضو مجلس الإدارة ومستشار في غرفة التجارة العربية الفرنسية في باريس .

وهذه معلوماته المسجلة في السجل الذهبي لأعضاء الغرفة التجارية بدمشق . أضيف الى ذلك انني في العام ١٩٤٢ وما يليه كنت مصدراً للكثير من أصناف النسيج ، وكنت اشتري من عند جده رضا قماش الماروكان ماركة جيت كنت أتسوقها بسعر المتر ١٤ ليرة سورية وماركة الشبثون بسعر ١٠ ليرات وماركة صائم الدهر في حلب بسعر ١٢ ل.س وقد أطلعت السيد صائب على فواتير والده المحفوظة لدي منذ عام ١٩٤٢ ، ولا أريد أن أزيد عن توسعه بالأعمال لأنها معروفة ولكن الذي لا بد من ذكره ان السيد صائب هو من الشخصيات الاقتصادية التي لعبت دوراً هاماً في نشاطات القطاع الخاص وساهم في العديد من المشاريع الاقتصادية والسياحية الهامة في سورية .

د. عبد الرحمن العطار

من مواليد ١٩٣٨ وهو نجل الحاج مصطفى العطار ، وعين عضواً عام ١٩٧١ وجدد انتخابه للعضوية عام ١٩٧٣ يحمل شهادة اختصاص في التجهيزات الالكترونية والهاتفية ، شغل عضوية مجلس إدارة معرض دمشق الدولي مدة أربع سنوات كما شغل عضوية مجلس إدارة المؤسسة العربية للاعلان ، وكذلك عضوية الهيئة الاستشارية العليا للسياحة ومجلس إدارة جمعية مكاتب السياحة والسفر وترأسها وهو أيضا عضو مجلس إدارة

غرفة التجارة العربية الايطالية ، وكذلك مجلس إدارة غرفة التجارة العربية الاسبانية وقد عين عضواً في غرفة تجارة دمشق ثم انتخب عضواً وفي عام ١٩٨١ انتخب أميناً للسر ولا زال للآن .

وانني أضيف معرفتي لوالده ، منذ أول نشأتي حيث عمل مع سبيعي وعقاد وشركاهم ومع شركة صواف وسيدا التي كانت تنقل الحجاج بالبواخر .

لعب السيد العطار دوراً مرموقاً في المجال الاقتصادي منذ أوائل السبعينات وتبوأ مركزاً هاماً في مجال نشاط القطاع الخاص .

عبد اللطيف قطيط

شغل وتقلب في عدة مناصب ، وهو يحمل شهادة بكالوريوس في الهندسة من جامعة الاسكندرية ، في العام ١٩٧٣ عين نائباً لرئيس غرفة التجارة بدمشق حتى العام ١٩٨١ وقد عمل في وزارة الصناعة، وشغل منصب رئيس مجلس الإدارة والمدير العام للشركة العربية المتحدة ، ثم المدير العام للهيئة العامة للقطاع الصناعي ثم أصبح وزيراً للصناعة ، ثم المدير العام لمجلس إدارة المؤسسة العامة للصناعات النسيجية ثم استقال وعمل تاجراً وأصبح من كبار وكلاء الشركات في الشام وفرنسا .

عماد صبري

ولد عام ١٩٣٧ وعين في غرفة التجارة عام ١٩٧٢ وبقي حتى عام ١٩٧٧ . وهو يحمل شهادة بكالوريوس من جامعة حلب ، وشغل منصب المدير لعدة شركات ثم صار مديراً لفرع المؤسسة العامة الاستهلاكية .

عين عضواً لغرفة تجارة دمشق عام ١٩٧٣ ، وله صلة كبيرة مع الكثيرين من أهالي دمشق ، عرفت جده لوالدته المرحوم أبو مستو الكوسا وهو رجل مشهور في حي سوق ساروجة الذي كان يسمى حي استانبول . كان جده من أظرف من تعرفت عليهم . إذا

أراد تأنيب ولد يقول له : وانجاصة تحت سنانك تهرسها هرس ، وذلك بدلاً من كلمة يستعملها الكثيرون وهي (ورصاصة تهري سنانك) أو تصحي راسك .

وهكذا كان تأنيبه مداعبة . . كان لي حظ مرافقته في أثناء انعقاد الدورة التاسعة عشرة في العام ١٩٧٤ لاتحاد الغرف العربية التي انعقدت في تونس ، فقد كان زهرة الوفد طوال الوقت ولا زال الى الآن زهرة المجالس ، يخدم الناس لوجه الله ، وبدون أي مَنّ ، مع حفظ الحقوق العامة والخاصة ولا يخرج صاحب الحاجة من لدنه إلا وهو راض . وجهه ضحوك طوال الوقت . شغل عدة مناصب إدارية كان فيها موضع محبة واحترام وآخرها أمانة سر مجلس محافظة مدينة دمشق .

تحسين الصفدي

من الوجوه الفاضلة والخيرة في وسطنا التجاري ، الزميل السيد تحسين صابر الصفدي عرفته دمشق ساعياً سباقاً الى أعمال الخير والبر والمساعدة ورغم أعماله في مخزنه المعروف بسوق الحميدية لبيع الشرقيات يرأس أكثر من جمعية خيرية ولجنة بناء مسجد ، ولا يتردد في المبادرة الى مساعدة أهل الحاجة وحل مشاكلهم .

السيد الصفدي من مواليد ١٩١٤ وسليل أسرة كريمة ، أصاب نجاحاً كبيراً في تجارة التحف الشرقية وقبلها بالكلف والنوفوتيه ، وانتخب عضواً في غرفة تجارة دمشق لدورة ١٩٧٣ حتى ١٩٨٨ . كما كان عضواً عاملاً ونشيطاً في مجلس الشعب السوري لأكثر من دورة ، وما زال حتى كتابة هذه السطور رئيساً للجنة الأسواق التجارية .

عدنان النحلاوي

السيد عدنان النحلاوي من التجار اللامعين الذين شغلوا عضوية غرفة تجارة دمشق واستفادت من ذكائهم ونشاطهم واستمرت عضويته في مجلس إدارة الغرفة من عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٥ وكان والده توفيق النحلاوي من تجار الحرير قبل الحرب العالمية الأولى

وعمل في القاهرة شريكاً للتاجر الكبير الحاج ياسين دياب ومن أولاده المرحوم موفق النحلاوي الذي كان نائباً لرئيس محكمة النقض وفائق الذي كان أميناً عاماً للمجلس النيابي السوري والسيد فائز النحلاوي الذي كان من كبار موظفي الخارجية وعين سفيراً لسورية في باريس وعندما تخلى عن الوظيفة استقر في باريس سكنياً وما زال فيها حتى الآن وآخرهم عدنان النحلاوي هو مدار حديثنا في هذه العجالة .

ما زال السيد عدنان النحلاوي يزاول التجارة التي ورثها عن أبيه المرحوم توفيق وقد أحرز سمعة ممتازة في الوسط التجاري .

أذكر أنني دعوته في عام ١٩٧٢ لتأليف قائمة مشتركة لدخول معركة انتخابات مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق فلم يقبل في البداية فطلبت الى ابن عمه الأستاذ نزار نحلاوي التوسط معه للقبول .

والأستاذ نزار محام لامع ونشيط أعرفه منذ كنت رئيساً لمجلس إدارة شركة التبريد والمخابز الفنية وتم اختياره عضواً في مجلس الإدارة وقد أوكلنا اليه آنذاك بالمرافعة في الدعاوى التي أقيمت على الشركة وصدرت بها أحكام بدائية بمبالغ كبيرة واستطاع الأستاذ نزار بمتابعاته القيمة نقض الأحكام لصالح الشركة .

الأستاذ نزار ابن عم السيد عدنان كان والده السيد منير عميداً في الجيش التركي وبعد الاحتلال الفرنسي انتقل الى سلك الدرك السوري أما ولداه الآخران فهما عادل الخبير بالأعمال الفنية للمصالح العقارية (الكداسترو) التي كان للفرنسيين الفضل بإحداثها والسيد مطيع النحلاوي المدير المالي لوزارة الأوقاف والافتاء وهو من أفضل موظفيها وهو في عز شبابه .

الأخ الثالث للسيد عدنان هو السيد رفيق النحلاوي الذي عمل في التجارة بالمشاركة مع أخيه توفيق والسيدين وجيه الصمادي ومحمد خير حمور إلا أن السيد رفيق وافته المنية وهو في عز شبابه .

والأخ الرابع هو الأستاذ عبد الهادي النحلاوي المدير العام السابق لوزارة المالية ثم معاون السيد وزير المالية حتى التقاعد وكان قد تخرج من كلية الحقوق وتدرب على المحاماة في مكتب المرحوم الأستاذ سعيد الغزي رئيس الوزراء ووزير العدل عدة مرات .

أذكر أنني كنت على صداقة وثيقة مع المرحومين توفيق ومنير النحلاوي وكنا في عداد جماعة تضم ثلاثين رجلاً من أعيان دمشق نجتمع ليلة كل جمعة في دار أحدنا لنقرأ البردة ونتدارس الشؤون الدينية والاجتماعية ، وبيننا عدد من خيرة رجال الدين والعلم والموظفين وتقتصر سهرتنا على تناول الشاي والكعك لتجنب النفقات الكبيرة ومن أعضاء هذه الحلقة الخيرة الشيخ عبد الكريم الآوي والشيخ عبد الوهاب الصلاحي إمام جامع الحلبوني وأحد تلاميذ الإمام المحدث بدر الدين الحسني ومن التجار كان بيننا السادة رشدي السكري ونسيب سليق والأخير من أشهر تجار الفواكه المجففة والمربيات في سوق البزورية ولم يترك ذرية أبداً ، رحمهم الله وأسكنهم منازل رضوانه وفسيح جنانه .

غسان قلاع

السيد غسان قلاع من مواليد دمشق عام ١٩٤١ ، تخرج من كلية التجارة في حلب عام ١٩٦٤ ، بدأ حياة العمل منذ صغره في متجر والده المرحوم توفيق القلاع في سوق الحميدية ، وكان ذلك مدرسته الحقيقية وأقنعته التجربة بأن العمل التجاري لا ينفصل عن العمل الصناعي فاعتمد أولاً على الانتاج قبل التسويق ، وطبق هذا المبدأ في نشاطاته الصناعية والتجارية بأمانة وحرص وعقلانية . وقد تعاملت مع والده عندما كان في شركة حبال وقلاع .

أصبح السيد محمد غسان قلاع عضواً في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق لأول مرة في دورة عام ١٩٧٣ ، وكان أصغر أعضاء المجلس سناً ، فاستفاد من خبرة الزملاء والأكبر سناً واستقى منهم الأصول وقواعد التعامل اليومي وأساليب حل المشاكل ، واعتبرهم مدرسته الثالثة في الحياة .

السيد غسان قلاع (أبو عامر) عضو في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق واتحاد غرف التجارة السورية منذ تأسيسه، وغرفة التجارة العربية ـ الايطالية ومشارك نشيط بالعمل والرأي في جميع المؤتمرات والندوات الاقتصادية.

وقد استمرت عضويته في مجالس إدارة الغرفة منذ عام ١٩٧٣ حتى الآن .

آل البردان والحافي

محمد سعيد البردان ، تولد ١٩٢٧ انتخب عضواً بالغرفة عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٨ مارس تجارة الحبوب بشركة أسسها والده عبد الحميد البردان مع زملائه وأقربائه في المهنة تحت عنوان أكتع وحافي وبردان منذ عام ١٩٠٠ ورغم مضي ٩١ عاماً على هذه الشركة لا زال عملها كما هو وانتقل الى الأولاد ثم الأحفاد ولم يسمع أحد عن هذه الشركة أي خلاف بينهم رغم كثرة الأولاد والأحفاد .

لذلك سأعطي عن هذه العائلة بعض الايضاح :
ان الأب عبد الحميد البردان قد ترك ٦ ذكور و ٩ إناث من ثلاث زوجات .

الأول حمدي ، أنجب ٦ ذكور و ٩ إناث من زوجة واحدة وجميعهم تزوجوا وجميع الذكور يعملون تجاراً .
الثاني محمد سعيد ، ٥ ذكور وانثى واحدة تزوج الجميع ، يعملون تجاراً ما عدا واحد يتمم دراسته في أميركا .
الثالث محمود ، ٤ ذكور و ٤ إناث جميعهم تزوجوا ويعملون تجاراً .
الرابع الدكتور منير ، ٢ ذكور و ٢ إناث ، يعمل مع أولاده بالتجارة .
الخامس الدكتور بشر ، ٣ ذكور وانثى واحدة متزوجة ، والذكور يدرسون في أميركا .
السادس الدكتور نذير ، ٣ ذكور وانثى واحدة ، تزوجت الابنة والذكور يدرسون في اميركا .

حصيلة الأب مع أولاده ٥٣ ما عدا الأحفاد .

خالد الحافي أحد أعضاء الشركة المؤسسة أكتع وحافي وبردان منذ عام ١٩٠٠ . خالد الحافي أنجب ٤ ذكور وإناث كثيرات .

الأول عبده ، أنجب ٤ ذكور و ٥ إناث يعمل في التجارة للآن وأولاده كذلك يعملون بالتجارة .
الثاني محمد ، أنجب ٤ مهندسين و ٥ إناث متزوجات .

الثالث صبحي ، أنجب ٣ ذكور و٢ إناث .

الرابع مصطفى ، أنجب ٤ ذكور وانثى ، عمل ضابطاً بالجيش ثم عاد للتجارة ولا زال للآن تاجراً .

بدوي الأكتع أحد الشركاء الثلاثة ترك ولدين الواحد بديع الأكتع الذي لا زال شريكاً بالشركة المستديمة من زمن والده وهو لا زال شريكاً ورث الشراكة من والده ووالده من جده .

مثل هذه النماذج للمشاركة والتعاون لم يجر بالتاريخ مثلها لا بسورية ولا بالعالم العربي ولا في بلاد العالم . شركة عادية لم يكن عند تسجيلها لا دوائر تسجيل ولا قانون شركات وبدون صكوك بدوائر عدل ولا بصكوك عادية تدوم أكثر من ٩٠ سنة ويرثها الأولاد والأحفاد وأحفاد الأحفاد وهي تعمل بالعنوان ذاته وبدون أي مشكل سمعناه عن هذه الشركات من يوم وعينا على الحياة وعلى ممارستي بالعمل التجاري منذ ٧٣ عاماً . ألا يحق لي سرد هذه الحادثة التي تكفي التجار فخراً . اذكر هذه السيرة حيث ان غايتي من ذلك إظهار مواصفات التجار والشركات والتعاون والتعامل فهي بالحقيقة تمثل تراث التجارة والتجار والتشارك والتعامل في هذا القطر جهد متواصل دؤوب مندفع غير متهور وصدوق غير متلون تقي غير متقاتل انه يمثل لعبة التوازن والتعقل والايمان التي جمعها تجارنا فنجحوا بدون شطط وحققوا دون ظلم وحلقوا دون تكبر .

الآباء والأبناء

لقد مرت في هذه الصفحات أسماء عدد كبير من التجار أنجبوا ـ أكثرهم ـ أولاداً من ذكور وإناث . وإذا استعرضنا أسماء أولادهم وأحفادهم نجد بينهم عدداً لا بأس به ما يزالون يعملون في الأسواق والمصانع المتعددة بنشاط وسمعة . ومن هؤلاء البردان فقد ترك خمسة عشر ولداً بينهم ذكور وإناث وأولاده تركوا أحفاداً ناشطين ، وأمثاله كثيرون ، وأكثر أولاد التجار عملوا في التجارة وقليل منهم من عمل في السياسة ولكنهم يرقبون السياسة حفظاً للوطن الغالي .

وإليكم بعض الآيات الكريمة:

(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً) الآية ٨ من سورة النساء .

وفي الآية الكريمة ٨١ من سورة الكهف **(اما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحاً فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك)**

والتفسير أن أباهما كان من سابع جد صالحاً وهكذا ينتقل صلاح الجد السابع الى الحفيد السابع لذلك نسأل الله أن يرزقنا الصلاح حتى يستفيد منه أحفادنا حتى الدرجة السابعة .

الدكتور عيسى درويش

الدكتور عيسى درويش حصل على بكالوريوس في الاقتصاد والسياسة من جامعة الاسكندرية وعين مديراً عاماً للشركة الخماسية صاحبة أكبر مصنع للنسيج في سورية ، وشارك في وضع لوائح منظمة العمل العربية ومثل سورية في العديد من مؤتمرات العمل العربية والدولية .

وشغل عضوية مجلس إدارة مرفأ اللاذقية ومجلس إدارة المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية واختير وزيراً للنفط والثروة المعدنية ، ثم عين سفيراً لسورية في دولة الكويت حيث سجل أفضل العلاقات والتعاون مع الجالية السورية هناك ونجح في حل مشاكل السوريين مع بلدهم فعادوا الى زيارة الوطن ، وكان يجمعهم كل أسبوع في دار السفارة السورية ويبحث احتياجاتهم والآن يعمل في مصر كأول سفير لسورية في القاهرة بعد عودة العلاقات بين البلدين الشقيقين ، ويرعى مصالح السوريين في مصر وعددهم كبير .

ومثل السيد عيسى درويش القطاع العام الصناعي في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق في دورات ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٣ .

وقد دامت الصداقة بيني وبينه منذ ذلك الحين وكنت أجتمع معه في جميع المناسبات سواء في سوريا أم في الكويت والقاهرة عدة مرات .

عادل الرفاعي

السيد عادل الرفاعي بدأ حياته العملية موظفاً في سلك الأمن العام ثم ترك الوظيفة وافتتح محله التجاري المعروف في بناء محاسن الذي تشغل جميع طوابقه وزارة التموين والتجارة الداخلية ، وتخصص بالعطور والنوفوتيه ، وبعد صدور لجنة الترشيد بمنع استيراد هذه المادة وأنشأ معملاً لانتاج أفخر العطور الفرنسية ، وعرض عليّ الشراكة فاعتذرت لأنني لا أرغب بالمشاركات فشارك يوسف كباب ولم تدم هذه الشراكة لأكثر من ثلاثة أعوام حتى اختص السيد كباب بالعمل الذي فتحت آفاقه باستيراد العطورات عن طريق اتفاقية المدفوعات وبقي مختصاً في التصدير لروسيا بينها خصص محله لبيع وتوزيع منتجاته وبعدها أسس معملاً جديداً للعطور .

شغل السيد الرفاعي عضوية مجلس إدارة الغرفة في دورة عام ١٩٧٣ ودورة عام

بديع فلاحة

السيد بديع فلاحة نائب رئيس الغرفة ، من الوجوه اللامعة والشابة والنشيطة في الوسط التجاري تم انتخابه لعضوية مجلس الإدارة ثلاث دورات متوالية بدأت من عام ١٩٨١ ودلت الأصوات التي اقترعت لصالحه على شعبيته ومكانته الاجتماعية . من مواليد ١٩٣٧ في حي الميدان يحمل بكالوريس علوم عسكرية ويتكلم اللغة الانكليزية . مارس التجارة العامة وأصاب نجاحاً ملموساً وأنشأ معملاً لصناعة التريكو ، أسجل له أنه في دورة ١٩٨١ ، أحرز أصواتاً أكثر من الأصوات التي حصلت عليها فأصررت على أن يتولى رئاسة الغرفة واعتبرت ذلك من حقه ولكنه لم يقبل ترشيح نفسه للرئاسة ، وهو اليوم عضو مرموق في مجلس الشعب ونائب لرئيس مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق حيث أنه وزملاءه الشباب في الغرفة يتحملون هموم إدارتها اليومية وأنا أحاول تخفيف حضوري ووجودي بالغرفة فاسحاً بذلك المجال لهم للتجربة واستلام الأمانة في الدورة المقبلة .

برهان الدين عودة

السيد برهان الدين عودة من مواليد حي العمارة بدمشق عام ١٩٣٠ ينحدر من أسرة دمشقية تمارس أباً عن جد تجارة الخيوط والأقمشة والألبسة ، بدأ العمل التجاري كمساعد لوالده السيد علاء الدين عودة ثم استقل بالعمل في عام ١٩٥٢ وافتتح محلاً في شارع السليمانية لتعاطي تجارة النوفوتيه بالجملة واستمر عضواً في نقابة النوفوتيه من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٨٦ ، سافر السيد برهان الدين عودة الى اوروبا للتعرف على الشركات المصدرة الى الشرق الأوسط وعلى الوكالات التي كانت تعطى لأصحاب العمل اللبنانيين لأسباب متعددة ، وبعد التضلع بأصول التعامل التجاري ومعرفة المصادر الرئيسية المصدرة سمح له بالحصول على منتجات متناسبة مع حاجات سورية وبأسعار مناسبة وقام بانشاء معمل لصنع التريكو والألبسة الداخلية ويصدر كامل انتاجه الى الاتحاد السوفييتي وبلدان اخرى .

من أمانيه دخول صناعات جديدة والاستفادة من الازدهار العالمي للسياحة وتنشيط الاجراءات في المناطق الحرة ، والسماح باستيراد المواد التي تصل الى الأسواق بالتهريب . وهو الآن بصدد إقامة مشروع صناعي كبير لصنع الأدوية بالتعاون مع رجل الأعمال المرموق والناشط السيد صائب نحاس .

تيسير الفرا

السيد تيسير الفرا من مواليد عام ١٩١٨ ، وقد بدأ العمل في السادسة عشرة من عمره في محل السيد فؤاد الخباز بسوق الحميدية ثم استقل بالعمل وأقام معمل تريكو في وكالة المرابط وتحول بعد ذلك الى التجارة فافتتح محلاً تجارياً في شارع الصالحية وأصاب نجاحاً لاشتهاره بالاستقامة والسعر الواحد .

وفي عام ١٩٥٣ انتخب عضواً لمكتب نقابة تجارة النوفوتيه، واختير أميناً للصندوق وظل حاملاً هذه المسؤولية حتى عام ١٩٦٤ ، وكان عضواً في جمعية الدفاع عن

الحدود السورية التي كان يرأسها المجاهد الوطني فخري البارودي وعقب قيام الحركة التصحيحية المباركة أصبح عضواً في جمعية بنات الشهداء وفي عام ١٩٧٣ انتخب عضواً في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق من عام ١٩٧٣ ـ حتى عام ١٩٨١ وأعيد انتخابه في عام ١٩٨٨ .

وهو في الوقت نفسه عضو في جمعية دار الحديث ومحاسب لها وعضو في مجلس إدارة ميتم سيد قريش ، وانتخب أميناً لصندوقه . وهو الآن صناعي مرموق ناجح بالإضافة الى أنه تاجر محترم ووجه اجتماعي محترم .

نبيل الأشقر

السيد نبيل الأشقر عضو مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق منذ بداية عام ١٩٨١ وفي عام ١٩٨٨ . من مواليد عام ١٩٣٩ ، مارس التجارة والصناعة معاً واختصاصه صناعة مواد التجميل ، وشغل لفترة عضوية غرفة التجارة العربية ـ اليونانية ، وهو رئيس جمعية المدرسة اليوسفية ورئيس لجنة بناء مقام وجامع السيدة رقية في حي العمارة ، شريكه وابن عمه الأستاذ المحامي عماد بيضون المعروف بأخلاقه واستقامته وحرصه في استلام الدعاوى على أن تكون محقة . وبفضل نشاطه وذكائه أصبح نشاطه الآن على مستوى عالمي ينتشر في العديد من بلدان العالم .

نصوح ملص

السيد نصوح ملص من مواليد عام ١٩٢٩ ، يحمل بكالوريوس في الهندسة الميكانيكية من الولايات المتحدة الاميركية عام ١٩٥٣ ، بدأ العمل مديراً للرقابة الصناعية في وزارة الصناعة ثم عين مديراً عاماً للقطاع العام الصناعي فمديراً عاماً للمؤسسة العامة للصناعات الكيميائية ، ونقل بعد ذلك مديراً عاماً للصناعات الهندسية وترأس مجلس إدارة شركة ـ سيركونتيل السورية ـ الفرنسية المختلطة وانتخب عضواً في مجلس إدارة نقابة

المهندسين وهو من أسرة تجارية عريقة ، وأخيراً تخلى عن العمل الحكومي وعمل في الشركات السياحية الكبرى التي يديرها السيد صائب نحاس ، وقد انتخب في دورة عام ١٩٨١ عضواً في مجلس إدارة غرفة التجارة حتى عام ١٩٨٥ .

أحمد الراشد

السيد أحمد الراشد أحد زملائنا ممثلي القطاع العام في مجلس إدارة الغرفة منذ عام ١٩٨٥ ، من مواليد عام ١٩٤٥ يحمل ليسانس في التاريخ من جامعة دمشق ، بدأ العمل في المؤسسة العامة لسد الفرات ، ثم عين مديراً عاماً لشركة الخزن والتبريد وهو الآن المدير العام والناجح لشركة التجزئة ، عرف بالدأب في العمل وعقلانية التصرف أذكر له حسن الرفقة والحديث خلال اشتراكنا في وفد الغرف السورية الى اجتماعات مجلس اتحاد الغرف العربية . وفي الدورة الأخيرة كان النائب الثاني لرئيس غرفة تجارة دمشق .

فاروق عياش

السيد فاروق عياش من مواليد دير الزور في عام ١٩٣٧ ويحمل إجازة في الحقوق ، عين مديراً عاماً للمصرف العقاري بدمشق وأصبح رئيساً لمجلس إدارته والتحق بدورة مصرفية لمدة سنة في لندن ومما يذكر أن السيد فاروق عياش هو حفيد المرحوم السيد محمد العايش نائب دير الزور ومن أبرز وجهائها ، والذي في أكثر من فترة تولى رئاسة المجلس النيابي في الخمسينات كما تولى مناصب وزارية ، وكان محباً ومواليا للمغفور له الرئيس شكري القوتلي كما تربطه مع أسرة الشلاح روابط وثيقة رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه . ونحن نذكر الآن بإعزاز الروابط التي تربطنا مع الأخ السيد فاروق كما نذكر بفخر السمعة العطرة والمكانة الحميدة التي يتمتع بها في جميع الأوساط .

مصطفى حسن

السيد الدكتور مصطفى حسن من مواليد عام ١٩٣٩ في القطيفة يحمل دكتوراه في العلوم الاقتصادية ، عين مديراً عاماً للمؤسسة الاستهلاكية وبعدها عين مديراً عاماً لمؤسسة الحبوب ثم تخلى عن العمل الحكومي وأثبت الكفاءة والاستقامة والنزاهة . حيث

أنه تولى مهمة ومسؤولية إدارة مؤسسة الحبوب في أدق وأصعب مرحلة مرت ، وقد برهن أنه مثال الأخلاق والجدارة .

عقل حمود

السيد عقل حسن حمود من مواليد ١٩٥٢ ، يحمل إجازة ليسانس في الآداب ودبلوماً من جامعة دمشق ، عين عضواً في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق من عام ١٩٨٦ وما زال يشغل هذه العضوية . ويعمل ليلاً نهاراً وبكل استقامة وعمله شاق لصعوبة إرضاء الطامعين . عين مديراً عاماً لمؤسسة عمران خلفاً للسيد عمر برادعي الذي لو وضعت في الحسبان الضغوط التي كان يتحملها لمنح هذه المواد لمن يتاجرون بها لكان جديراً بالرأفة وتقدير الظروف الصعبة التي يمر بها المسؤولون عن توزيع هذه المواد .

إدوار صباغ

السيد إدوار صباغ من مواليد عام ١٩٢٥ عمل في تجارة وخياطة الألبسة وكان من التجار النشيطين في سوق الحميدية ، عين عضواً في مجلس إدارة الغرفة اعتباراً من ١٩٧٣/٧/٢٢ ، وقدم خدمات جلى لأصحاب المحلات التي صودرت في عام ١٩٦٣ ، وعلى علاقة وثيقة بجميع التجار وموضع ثنائهم . رافقته في عدة رحلات مع زوجته وكانت رحلات لا تنسى .

الدكتور محمد جمال السطل

ولد عام ١٩٤٣ عين عضواً في العام ١٩٨٦ حتى عام ١٩٨٨ يحمل شهادة دكتوراه في العلوم الاقتصادية ، شغل منصب المدير العام للشركة العامة لتجارة التجزئة والآن يشغل أعلى المراكز في وزارة التموين والتجارة الداخلية .

برهان الأشقر

ولد عام ١٩٤٣ انتخب عضواً في غرفة تجارة دمشق عام ١٩٨٥ وما يزال حتى الآن أمين السر لنقابة أرباب عمل الألبسة الجاهزة وهو رئيس مجلس الإدارة لجمعية سوق الخجا ويعمل في صناعة وتجارة الألبسة الجاهزة .

وانتهز هذه المناسبة لأشكر مساعيه ودأبه على استلامه محضر الأرض في شارع الثورة الذي أقيم عليه بناء سوق الخجا الجديد والذي تم إنجازه منذ أكثر من خمسة أعوام وقد جاء آية معمارية تليق بهذه المهنة العريقة والمشهورة ، والجدير بالذكر أن السيد برهان الأشقر يتميز بنشاطه في كل عمل يؤديه أو يكلف به ومن مزاياه أيضاً أنه لا يعرف المحاباة ويقول كلمة الحق دون أن يزعج أحداً .

بهاء الدين حسن

السيد بهاء الدين حسن انتخب عضواً في مجلس إدارة الغرفة في أول عام ١٩٨٥ ، وما زال حتى الآن زميلاً لنا في المجلس وهو من أبرز تجار مواد البناء في دمشق وأقام عدة أبنية سكنية ويعد من ألمع وجوه الخير والبر والنشاط الاجتماعي في العاصمة وانتخب عضواً في مجلس الشعب حيث يمثل الأسرة التجارية والمواطنين بنشاط وصدق ومتابعة .

محمود أبو وطفة

السيد محمود أبو وطفة أحرز عضوية مجلس إدارة الغرفة منذ عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٣ ، وكان عضواً في مجلس محافظة دمشق وعضواً في اللجنة الاستشارية للمؤسسة العامة الاستهلاكية وكان والده وشقيقه يعملان في تسويق المحاصيل الزراعية للمنطقة الجنوبية .

السيد هاني الجلاد

لم يعرف تاريخ النصف الأول من هذا القرن مثل السيد هاني الجلاد تاجراً كبيراً يجمع بين الخبرة التجارية الثمينة والثقافة العميقة وقوة الحجة وموهبة الخطابة والجرأة في الكلام أمام المسؤولين مع اللباقة ، وحسن التأثير .

وورث السيد هاني الجلاد العمل التجاري عن آبائه وأجداده لعدة قرون وكان عمله الأول في الطريق الممتد من سوق العصرونية الى باب البريد ـ خلف سوق البورصة ـ ولما أنشئت الأسواق التجارية في منطقة الحريقة انتقل الى الشارع المتصل مباشرة بسوق مدحت باشا وانشأ متجراً كبيراً للأقمشة بالجملة ، وبلغ من مهارته التجارية ان كان يستورد كميات كبيرة من الأقمشة الأوروبية ويبيعها لتجار الجملة والمفرق بأسعار تغنيهم عن عناء ونفقات استيرادها مباشرة ، ولهذا كانوا ينتظرون ورود بضائعه بفارغ الصبر .

ورغم أنه لم يكن بيننا أي تعامل تجاري فلقد كنا نجتمع سوية في مجالات الخدمة العامة المتعلقة بالتجارة والاقتصاد والمجتمع وكنا دائماً نستفيد من خبرته وجرأته .

تلقى السيد هاني الجلاد العلم منذ الصغر من كبار الفقهاء ورجال الشرع والدين كالشيخ محمد القاسمي والشيخ أمين سويد ، واشتهر بموهبة الخطابة في المناسبات الوطنية وفي الاجتماعات العامة ، وقد آزر الكتلة الوطنية أيام الانتداب الفرنسي وسجن أكثر من مرة لانتقاده العلني لسياسة الاحتلال ومطالبته بالاستقلال .

وحينما تعقد المجالس كان السيد هاني الجلاد يستأثر بالحديث حول شؤون السياسة والتجارة بطلاقة وموضوعية وجرأة .

ولم يخلفه أحد في الحجة والمنطق وترك أبناء منهم من لا يزال يزاول التجارة ومنهم المحامي ومنهم الطبيب ولا يزالون بوضع تقدير بين المجتمع .

توفي عام ١٩٧٥ في دمشق ، ودفن فيها تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه .

سعيد النابلسي

هذه صفحات أكرسها للتاريخ كشاهد صدق وأمانة على أدوار لا يعرفها إلا القليل وعندما أحرص على ذكرها فلأن لها دلالة على المروءة والنجدة عند الضيق رغم وجود الخلاف .

أبدأ بذكر الدكتور محمد سعيد النابلسي الابن البار لدمشق الخالدة والرجل الذي كانت كفاءته وحسن تصرفه في معالجة الأزمات مضرب المثل ، كان ركناً من أركان المصرف المركزي السوري وأستاذاً مرموقاً في جامعة دمشق واستطاعت المملكة الأردنية الهاشمية الاستفادة من كفاءته فأنيط به منصب حاكم المصرف المركزي الأردني فأحسن إدارته وسار به خلال تصاعد أسعار الذهب بمرونة وخبرة بالسوق .

في تلك الفترة وصل سعر أونصة الذهب الى /٨٥٠/ دولار وأونصة الفضة الى ٥٠ دولار وتورط تجار الخليج في شرائها عندما بلغ السعر هذه القيمة ثم بدأ بالنزول فأصيبوا بخسائر هائلة عندما عادت الأسعار الى معدلها الطبيعي ، أما الدكتور النابلسي فقد تصرف بحنكة وكان يبيع عند الصعود ويشتري عند الهبوط فأحرز ربحاً للبنك المركزي الأردني بحدود أربعمائة مليون دولار .

وحدث أن تولى الدكتور النابلسي وزارة الاقتصاد الأردنية وفي يوم من الأيام آنذاك فوجئت بجرس الهاتف يدق وعندما رفعت السماعة كان المتكلم هو الدكتور النابلسي فأخبرني بأن الأردن بحاجة الى عشرة آلاف طن من الحنطة على عجل وكان بانتظار خمسين ألف طن متعاقد عليها إلا أن البائع لم ينفذ الصفقة والبلاد بمسيس الحاجة إليها ، وسألته من أين يتكلم فأجاب من مقره في رئاسة الوزارة فطلبت منه رقم هاتفه وسجلته وقلت : أمهلني نصف ساعة أو ساعة على الأكثر حتى اتصل مع المسؤولين وأعطيك الجواب . وحالاً اتصلت مع الدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد فقال أن موضوع الحنطة يعود الى السيد محمد حيدر نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية فاتصلت به وأخبرت بحاجة الأردن الى عشرة آلاف طن من الحنطة ، ومهما كان من خلافات سياسية فان الصديق عند الضيق ومن واجبنا الموافقة وأكدت ان السيد الرئيس حافظ الأسد سوف يوافق على تلبية

هذا الطلب ، وقبل مضي نصف ساعة علمت أن السيد الرئيس أمر بتلبية الطلب على وجه السرعة فاتصلت بالأردن على رقم هاتف الدكتور النابلسي وأخبرته بالموافقة وقلت له أن الدكتور محمد العمادي سيكون غداً بانتظارك في درعا ، وان السيارات المحملة بالحنطة ستكون بانتظاره ، وفي اليوم التالي التقى الوزيران الدكتور العمادي والدكتور النابلسي في درعا وحضرا معاً الى دمشق ، وتم استقبال الدكتور النابلسي وتوديعه بحفاوة ، وكان مسروراً لأن الموافقة على شحن الحبوب تحققت نتيجة الاتصالات .

فمن واجبي أن أشيد بمروءة وشهامة السيد الرئيس حافظ الأسد لايعازه الفوري بتلبية الطلب رغم أن الجو كان مشحوناً بالخلاف السياسي ، كما أن السيدين الدكتور محمد العمادي والأستاذ محمد حيدر ساعدا على إنجاز العملية . وقد أسعدني هذا الحادث لأنه كان دليلاً على ثقة ومحبة المسؤولين في القطرين لي ، وهي أغلى من كل ثروة مادية وستبقى ذخراً لي تشجعني على العمل الصادق المخلص للوطن والانسان .

وبعد عودة الدكتور النابلسي الى الأردن في اليوم التالي تلقيت منه برقية هذا نصها :

وصول
١٢ ايار ١٩٧٢

19.5.73

عد ٢١٦/٢٥١

ع الحسين ٥٢ ١٩ ١٥٠٠

: الى الحاج بدر الدين الشلاح رئيس غرفة تجارة دمشق

: ارجو ان اتقدم بالشكر الجزيل والامتنان البالغ لسماحتكم واصحابكم

بالنجاح مصص اثناء زيارتي لاهلي واخواني في دمشق راجيا من الله ان

يوفقنا لما فيه خير امتنا ووطننا وان يحفظكم ذخرا للعاملين في سبيل

سعادة وسؤدد اوطانهم

الدكتور سعيد النابلسي وزير الاقتصاد الوطني

غرفة تجارة ...
الرقم : ١٠٩٤٠ د الوارد
تاريخ الورود : ٢٠ - ٥ - ١٩٧٢

وخلاصة القول:

إنني في حديثي عن رجال التجارة والصناعة لم أستهدف المديح ، بل كنت أسجل أمام ربي وضميري شهادة صدق ووفاء . فهم مواطنون رواد قامت بدايات النهضة الاقتصادية على أكتافهم وتم تمويل البناء والتصنيع بأموالهم لم يكلفوا الخزانة العامة قرشاً واحداً بل اعتقدوا انهم مسؤولون عن تحقيق التنمية الوطنية وفتحوا أوسع الأبواب أمام الاستثمار الناجح الشريف للمدخرات عن طريق الشركات المساهمة ، وكانت تجربتهم مثمرة وبناءة بدليل أنهم أوجدوا موارد جيدة لآلاف العائلات وهي عائدات الأسهم التي سترت الناس وضمنت الأيتام وأغنت البلاد .

كانوا وما زالوا يستحقون التقدير والتكريم ولو لم يدركهم التأميم ، ولو أتيح لهم الوقت والمناخ المناسب لملأوا سورية كلها بالمصانع والمزارع ، تاركين للدولة أن تنهض بالمشاريع الاستراتيجية كاستخراج النفط وتصفيته ونقله والفوسفات والخطوط الحديدية وغيرها بحيث تتكامل التنمية من جميع الوجوه وتعود على الوطن والانسان بالخير والتقدم .

وها هي الأحداث العالمية تبرهن من جديد على أهمية المبادرة الفردية وحرية الانسان في إيجاد محركات التقدم وتحقيق المعجزات الاقتصادية ، فاستعاد القطاع الخاص الثقة بدوره وامكاناته في كل مكان ، وتبخرت تلك المقولات التي نسبت اليه صفات الاستغلال والأنانية والجشع ، ذلك لأن الحقائق بددت أوهام التنظير وضباب الشعارات لتوضح أن القطاع الخاص هو الساحة المفتوحة لجميع المواطنين دون استئثار أو احتكار وان الامكانات هي مجموع امكانات كل انسان نشيط وراغب في العمل المنتج ، وان ايجاد المناخ المناسب لاطلاق قدراته يقود الى الاشتراكية الحقيقية .

وأعود للحديث عن زملائي التجار والصناعيين السوريين لأخص بالذكر بعض مزاياهم كالجرأة والإقدام والأمانة والتأقلم في أي مجتمع ، حتى في أقسى ظروف الاغتراب ، ويبلغ عدد السوريين في الخارج حوالي سبعة ملايين انسان (وبعض المصادر تقول مليونين) موزعين في أقطار العالم دون استثناء . وكل منهم ، إلا ما ندر ، يملك موهبة العطاء . والتعامل الذكي في الامكانات والظروف ويضع قدراته في خدمة المجتمع ليحرز

المكانة اللائقة به . وقد سمعنا من الدكتور عبد المؤمن العلبي موفد المؤسسة العربية للاستثمار تأكيداً مفاده أن ٩٠ بالمائة من إدارات المصارف والمؤسسات الاقتصادية ومجموعات الأعمال في الوطن العربي يديرها سوريون .

وأكد السيد الدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية أن السيد تورغوت أوزال رئيس الجمهورية التركية أعلن أكثر من مرة أنه بحاجة الى رجال أعمال سوريين لتسويق الانتاج التركي في العالم .

وما أكثر الأدلة على إمكانات الانسان العربي في سورية حينما يتوفر فه المناخ المشجع والخلاق ليعمل دون قيود أو مخاوف أو تردد .

وأرجو ممن يقرأ كتابي هذا أن يتعمق ويفكر كيف كانت سمعة السوريين التجارية تملأ العالم بأسره ليكونوا قدوة للجيل القادم وحتى تحافظ سورية ودمشق خاصة على هذه السمعة .

التجار السوريون المغتربون

وبالمناسبة فليس ثمة تقدير دقيق لعدد السوريين بين مقيم ومغترب ، والذين هاجروا وهم موزعون في جميع أرجاء العالم تقريباً بينهم نسبة كبيرة من الناجحين المبرزين في عالم التجارة والصناعة والهندسة والطب والمحاماة والعلم والفن وسائر المهن الحرة . وهناك من تسلم مناصب عالية جداً في المهاجر وأحدث مثال على ذلك السيد كارلوس منعم الذي انتخب رئيساً لجمهورية الارجنتين ، وأصله من يبرود في ريف دمشق .

إذا راجعنا الأرقام الرسمية نجد أن عدد السوريين المقيمين كان في عام ١٩٦٠ أربعة ملايين و ٥٣١ ألف نسمة وفي عام ١٩٧٠ بلغ ستة ملايين و ٤٥٧ ألف نسمة وفي عام ١٩٧٩ ارتفع الى ثمانية ملايين و ٧٠٤ آلاف نسمة وفي عام ١٩٨٨ بلغ أحد عشر مليوناً و ٣٣٨ ألف نسمة ، أما في عام ١٩٩١ فإن الرقم الرسمي لعدد السكان كما ورد في المجموعة الاحصائية الرسمية هو اثنا عشر مليوناً و ٥٢٩ ألف نسمة وقد أشار هامش المعلومة الى أن هذا الرقم يتعلق بعام ١٩٩٠ ، وبما أن الزيادة السكانية المقدرة تصل الى

٣ر٧ بالألف فان عدد السكان الفعلي لعام ١٩٩١ يقارب الثلاثة عشر مليون نسمة . نستقبل كل سنة حوالي ٤٠٠ الف مولود جديد ولا يزيد الفرق بين عدد الذكور والإناث عن ٢٧٠ ألفاً لصالح الذكور ولكن نسبة الذين تقل أعمارهم عن عشرين سنة تزيد عن ربع المجموعة .

وتتضارب التقديرات عن عدد السوريين المغتربين والقاطنين في الخارج وقد رفع البعض هذا العدد الى خمسة عشر مليون نسمة ولكن الدكتور يحيى الهندي رئيس غرفة صناعة دمشق يقول في مقال نشر في العدد ٦٧ ـ ٦٨ من مجلة غرفة الصناعة الصادرة في كانون الأول عام ١٩٩٠ (ص ١١) :

«اننا نملك رأسمالاً بشرياً بنسبة عالية ومتفوقة لا من حيث الكم بل من حيث النوع ففي العالم الخارجي الآن حوالي سبعة ملايين سوري يقطن جلهم في امريكا الشمالية والجنوبية وقليل منهم يقطن في اوربة ، ونسبة لا بأس بها منهم تعمل في الدول العربية الشقيقة» .

ويضيف : «إذا درسنا دراسة متأنية واقع هؤلاء المهاجرين السوريين نجد ان جلهم يعمل في الصناعة والتجارة علاوة على أعداد جيدة من أطباء وعلماء ومهندسين وأصحاب شركات أو مساهمين رئيسيين في شركات تعمل في قطاع الخدمات ، وقليل منهم يعمل كعامل او مزارع عادي فالرأسمال البشري السوري إذا أتيح له المناخ المناسب تجده يقف الى جانب الرأسمال البشري العالمي جنبا الى جنب» .

حول هذا الواقع الملموس جرى جدال بين السفير السوري في بون السيد سليمان حداد والسفير التركي هناك فقال الأول : ما شاء الله لكم في المانيا ثلاثة ملايين تركي وهناك شوارع خاصة يسكنها الأتراك بينما لا يزيد عدد السوريين في المانيا عن ثلاثين ألفاً فعقب السفير التركي على ذلك بقوله : هذا صحيح من حيث العدد ، ولكن لا تنس ان الأتراك الموجودين في المانيا يقومون بأعمال مأجورة ذات دخل محدود ، أما السوريون هنا فانهم يعملون في مهن حرة كالتجارة والصناعة والطب والهندسة ويزيد دخلهم عن عشرة أضعاف مجموع دخل العاملين الأتراك .

وفي انكلترا توجد أيضاً جالية سورية اثبتت حضورها الممتاز في هذه المجالات أيضاً اذكر منهم السادة شاكر شمسي باشا ، صلاح دياب ، عبد العزيز مراد ، عزيز كحالة ،

نعيم الشلاح ، نصوح القباني ، مأمون الدركزنلي ، جابرّ جلاد ، محمد شمسي باشا ، محمد الحافظ ، عصام النص ، بهيج الأسطواني ، وفيق سعيد ، نبيه مقيد ، غيث الأرمنازي ، كوستي شحلاوي ، هشام اليافي ، وائل العابد ، أسامة الأنصاري ، عزيز علوني ، وليد هارون ، فيصل القدسي ، رياض الريس ، عصام القباني ، فواز الأخرس وهو طبيب في لندن .

وفي فرنسا اذكر السادة المهندس محمد الميداني ، والمحامي أسعد محاسن ، الدكتور مأمون الكزبري ، محمد الحايك ، سليم الحسن ، آصف قباني ، أما المرحوم أكرم صبحي العجة فهو أشهر من أن يعرف وقد أحرز مكانة مرموقة في العمل التجاري . كما اذكر السادة الدكتور عبد الغني حمور ، مطيع الفرا ، الدكتور هيثم بكداش المتخصص في طب الأمراض الصدرية ، والدكتور حسان فوق العادة ، والسيد زاهد العسلي ، والسيد فادي شامية ، والتاجر إحسان الصباغ ، والمهندس أسامة أدهم والتاجر عمران أدهم ، وكثيرين جداً غيرهم .

وأعرف كثيرين من الجالية السورية في ألمانيا ، ومنهم السيد عدنان الزين وهو صحفي .

وفي النمسا أيضاً تلمع أسماء عدد من السوريين ومنهم الدكتور نبيل الكزبري نجل التاجر الدمشقي المرحوم رفيق الكزبري .

ومن إخواننا في اليونان السيد طلال الزين .

وفي الولايات المتحدة الامريكية اذكر الأصدقاء السادة ثابت المهايني في نيويورك ، وعبد الله العظم وإحسان نظام في لوس انجلوس وأويس السكري في شيكاغو ونبيل بعوف وخالد اليوسف في فرجينيا .

وفي دبي اذكر السادة المحامي محمد كف الغزال والقاضي محمد الشماع والأستاذ نذير بوجه ، والسيد خلدون الرملي ، والسيد عبد المجيد الخطيب .

وفي هونغ كونغ نتعرف على السيد نذير أبو داوود والسيد فهد البغدادي .

ولنا في ايران جالية محترمة منها السيد محمد زهير البدوي وولده عضو في البرلمان وهو خريج مدرسة الاسعاف الخيري في دمشق .

ويزيد عدد الجالية السورية في الكويت عن أربعين ألف نسمة بينهم عدد كبير من التجار والأطباء والمهندسين والمدرسين والصحفيين ويقدر مجموع أموالهم بأكثر من ٤ مليارات دولار الا ان خسائرهم من الاحتلال العراقي للكويت لا تقل عن ثمانية مليارات من الدولارات .

ومن المؤسف اننا لم نأخذ هذه الخسائر بعين الاعتبار بل زدنا الوطأة عليهم برفع الرسوم على سياراتهم العائدة من الكويت من ٥٠٠ ليرة الى ٥٤٠ دولار بالأسبوع أي أننا نجبرهم على شراء الدولارات بصورة غير مشروعة تعرضهم لأحكام القانون ٢٤ .

كنت أود أن أبيّض هذه الصفحات بأكبر عدد ممكن من أسماء هؤلاء الأخوة الذين رفعوا رأس سورية عالياً بين الشعوب المتقدمة واثبتوا في أصعب الظروف كفاءتهم وذكاءهم ولكن تعداد أبرز اللامعين منهم يحتاج الى مجلدات ، ومهما كتب ونشر عن مآثرهم فهو أقل مما يستحقون .

انهم تاريخ مجيد من تراجم الرجال الجادين الأباة ، رواد البناء والمغامرة الشريفة والمبادرة المفيدة حيثما حلوا ، كانوا ناقلي حضارة وأخلاق وفاتحي آفاق للتقدم والعمل ، ولم يكونوا عالة على أي مجتمع حلوا فيه . رائدهم الاستثمار المنتج وتجنيد الذكاء والعقل والسواعد لخير الناس وكرامة العيش وتأسيس العائلة المستقرة الآمنة .

ليس من السهل على الانسان ان يبدأ من الصفر في مجتمع مختلف ولكن تجارب المغتربين السوريين في الأصقاع البعيدة والمهاجر النائية كشفت عن جوهرهم الأصيل وموهبتهم في تذليل الصعوبات وتوليد الفرص وكسب الثقة والتأقلم مع الظروف المختلفة بحيث يتجاوزون الشعور بالغربة وينفذون الى القلوب بالدأب والأمانة واحترام العرف والتقاليد والأديان .

نسجل لهم أنهم لم يتنكروا لأوطانهم ولم تنسهم المراكز والأعمال والثروات تلك البلدان والمجتمعات التي نشأوا في ظلالها وتلقنوا أفضل الدروس الوطنية والانسانية على أيدي معلميها ، ولما واجهوا صعوبات الحياة آثروا الاعتماد على أنفسهم في مجتمعات جديدة ولكن صورة الوطن وثوابت الدين استقرت في ضمائرهم وكانوا أمثلة على الجد والمثابرة والكفاءة وحسن السيرة ومن حقنا ان نفخر بهم أمام الآخرين .

فلهم من شعبنا كل التحية والتقدير فهم يسهمون في الترفيه عن عائلاتهم ويدعمون السيولة النقدية في وطنهم الأم .

وممن أذكرهم الآن السادة:

المهندس فارس أتاسي - رجل أعمال

فيكتور عطية - حاكم ولاية أوريجان

انطاكي - رجل أعمال دولي

ماري روز عوكر - ممثلة في مجلس الكونغرس الاميركي

معروف رزوق - جراح قلب

فرد الياس - أصحاب مطاعم بيغ بوي وهي سلسلة مطاعم في أميركا

لويس الياس - سلسلة مطاعم اميركا

فخر الدين خليل - رجل مالي

روبرت لحام - صناعي

د. فاروق عيد - دكتور جراح في ديترويت

د. علاء الدين إمام - طبيب أمراض هضمية

د. وليد دمشقية - طبيب جراح ورئيس أطباء وصهر الدكتور شاكر فحام

د. أبو الخير أتاسي - طبيب قلب لامع في كليفلاند

مصطفى العقاد - مخرج سينمائي عالمي

أيمن ميداني - رجل أعمال في هيوستن والقنصل الفخري للجمهورية العربية السورية

د. فالح الحسيني - طبيب نسائية وتوليد نجل المرحوم صلاح الحسيني

جورج شامي - رجل أعمال وناشر

ولتر شامي - مرشح سابق لمحافظة دتيرويت

عمر الصواف - رجل أعمال في هيوستن

د. بشار سكر - رئيس جمعية الأطباء العرب الامريكيين رئيس قسم جراحة الأذن والأنف والحنجرة في مشفى سانت جوزيف في ديترويت

عائلة تجارية محافظة

ال السيروان

المرحوم عمر السيروان ـ رحمه الله ـ مضى الى الدار الآخرة تاركاً أربعة أبناء ـ مصطفى وسليم وأحمد وبدر الدين ـ .

استمرت رابطة العمل بينهم بعد وفاة المرحوم والدهم حيث تابعوا عمل الأباء في صناعة وتجارة الألبسة العربية الجاهزة واستمرت شركتهم حتى نهاية الطريق حيث توفى الله عز وجل سليم ومصطفى وأحمد وبقي بدر ا لدين على وتيرة العمل نفسه وفي مكان العمل نفسه .

الابن الأكبر ، المرحوم الحاج مصطفى ، كان كبير الأخوة ذا عقل راجح ورأي سديد أنجب سبعة من الأبناء وهم نذير وحكمت والأستاذ جمال ورضوان وعمر وعدنان وياسر .

نذير وحكمت يعملان سويةً بصناعة الألبسة العربية الجاهزة والشيخ حكمت من الأطباء البارزين بدمشق حيث يمضي معظم أوقاته في مجالس الخير .

والأستاذ جمال ورضوان وعمر وعدنان وياسر يعملون بصناعة وتجارة الألبسةالجاهزة وهم من الموفقين في أعمالهم .

أما الأستاذ جمال فهو من العلماء البارزين والخطباء الموفقين شغل منبر مسجد القصور في ساحة التجارة بدمشق لفترة تزيد عن خمسة عشر عاماً .

ترك دمشق وتوجه الى جده متابعاً مسيرة العلم والتوجيه بالإضافة الى عمله التجاري كما أنه كثيراً ما يحاضر في اجتماعات الجالية السورية في جدة .

وعمر عضو في غرفة صناعة دمشق ويشغل عضوية كثير من الجمعيات الخيرية البارزة في مدينة دمشق ويمتاز بصراحة رأيه ووضوح موقفه في كل المناسبات وعدنان نشأ في مجالس العلم والإيمان حيث حضر دروس المرحوم الشيخ عبد الكريم الرفاعي في العلوم الشرعية .

الابن الثاني ، سليم ، أنجب ثمانية من الذكور هم زهير ونصوح وممدوح ورفيق وصفوح ومحمدوخالد ومازن .

أما زهير ورفيق فيعملان في التجارة منذ نشأتها ، ونصوح وممدوح فيعملان في صناعة التريكو والأبسة النسائية ، ومحمد يعمل في التجارة في جدة ، وخالد يعمل في صناعة التريكو وصفوح ، ومازن يعملان في صناعة الألمنيوم .

الابن الثالث ، أحمد ، ترك اثنين من الذكور ، كمال ومحي الدين ، كمال بقي في محل والده بعد وفاته ، ومحي الدين يعمل في صناعة التريكو والألبسة النسائية .

الابن الرابع ، بدر الدين ، له ثلاثة من الذكور ، نادر ومروان ومحمد ، نادر ومروان يعملان في ألمانيا ، ومحمد يعمل مع والده .

إنها سيرة عائلة نشأت على محبة العلم والعمل ومحبة العلماء والفضلاء ، ربى الآباء الأبناء على قواعد الأدب والحياء تقديراً للكبار واحتراماً لكل ذي شأن .

البَـابُ الثـاني :

اجتماعات اتحاد غرف التجارة السّورية
واتحاد غرف التجارة العَربيّة

الباب الثاني

اجتماعات اتحاد غرف التجارة السورية واتحاد غرف التجارة العربية وأبرز النقط الواردة في الكلمات والمناقشات والمقترحات

كلماتي في اتحاد غرف التجارة السورية

حين هيأت المشروع الأول لهذا الكتاب دعتني فكرة التوثيق الى أن أضع النص الكامل لكل كلمة ألقيتها في كل اجتماع من اجتماعات اتحاد الغرف التي عقدت في سورية منذ عام ١٩٧٧ أي منذ خمسة عشر عاماً . ثم رأيت أن ما اجتمع من هذه الكلمات أصبح يحتل عشرات الصفحات وشككت في رغبة القارىء ـ وهو من التجار وغيرهم ـ في متابعة النصوص الكاملة لهذه الكلمات التي كان لها في حينها ومكان إلقائها ضرورة تقتضيها المناسبة ، ونحن في زمن صار فيه الوقت غالياً على أصحابه ، ولما كنت لا أتوانى عن الدعوة الى مكافحة الهدر في كل مجال ، ولا سيما في الزمان ، فقد عدت ألخص كلماتي في هذه الاجتماعات بما يوضح الخطوط العامة ، ومن شاء التقصي فله ان يرجع الى سجلات الاتحاد حيث النصوص كاملة .

وأنا لا أنسى أن هذا الكتاب الذي وضعته كان حصيلة فكر عربي مسلم تاجر يخاف الله تعالى واقتصادي يعمل من أجل الجدوى ، وأنني مكلف فيه كذلك بإحياء ذكرى عدد كبير من معارفي وأصدقائي الذين لهم مكانة ولحياتهم طعم خاص ، ولذا فقد توسعت في سيرتهم بعض الشيء ، وقلصت الباقي .

أبرز جلسات الاتحاد

كان الخط الذي أرتأيته واتفقنا فسرنا عليه هو أن نجعل جلسات الاتحاد تتم تباعاً في كل واحدة من المدن السورية . ففي هذا تكريم لتجار هذه المدينة وفيه إتاحة لزائريها كي يطلعوا على أحوالها الاقتصادية والاجتماعية ويعرفوا زملاءهم فيها ، وفي هذا ما يفيد في تقوية الصلات الانسانية والتجارية ويعود بالفائدة على الجميع .

وقد عقدنا جلسة في **حمص** في ١٩٧٧/٢/٢٦ تقرر فيها الموافقة على هذا الاقتراح .

جلسة الاتحاد في حلب

١٩٧٨/١٠/٥

كان مستهل كلمتي في هذا الاجتماع انني تحدثت عن حلب ، تلك المدينة القديمة في التاريخ التي كانت منطلقاً للفكر والأدب والفن والعلوم والتي بلغت من الصناعة أن سميت بحق (يابان) سورية . واتبعت ذلك بالحديث عن المشاريع التي أنجزت في سورية مثل سد الفرات والطرقات الدولية والخطوط الحديدية والعمران والمشاريع العامة والاقتصادية . ثم ألمحت الى المؤتمر الحادي والعشرين لاتحاد الغرف العربية الذي انعقد في دمشق وكان من أنجح المؤتمرات ويكفي للدلالة على نجاحه أنه قد حضر افتتاحه رئيس الوزراء وخمسة عشر وزيراً وكان برعاية الرئيس الأسد ، وهذا يوضح عناية الدولة الفائقة بالتعاون الاقتصادي العربي ، في حين أن المؤتمرات المماثلة في بلدان اخرى لم يكن يحضرها سوى الوزير المختص .

وأشرت الى ان هذا المؤتمر قد طرحت فيه ضرورة إنشاء **السوق العربية المشتركة** وساهم في أعماله وكلماته المحاضرون والمعلقون من علماء الاقتصاد العربي والأجانب حتى صارت مناقشاته مرجعاً رسمياً في الجامعة العربية وكثير من الأوساط الاقتصادية العالمية .

ثم ألمحت الى انه بعد المؤتمر تم اجتماع الهيئة العامة للاتحاد في دمشق والتقت برئيس مجلس الوزراء وانتهى الاجتماع الى قرارات عديدة، ولكن لم ينفذ منها فيما بعد إلا القليل، ومن ذلك تحقيق تصفية ضرائب الدخل المتراكمة التي بوشر بتنفيذها.

ولا بد من أن أشير بسرور الى كتاب ورد من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تعرب فيه الجامعة عن تقديرها لمساهمة الاتحاد في المؤتمر القومي لستراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك الذي انعقد في بغداد بين ٦ ـ ١٢ أيار ١٩٧٨ وقد ربطنا عنه صورة وزعت عليكم مع جدول الأعمال .

ثم ختمت كلمتي برجاء تحويل ما جمع من تبرعات لشراء أرض لدار الاتحاد وتحقيق الغاية .

اجتماع الهيئة العامة للاتحاد في دمشق

١٩٧٩/٥/٢١

بدأت كلمتي في هذا الاجتماع بالإشارة الى صدور القرار ١٠٧٩ تاريخ ١٩٧٥/٩/١٣ القاضي بإحداث الاتحاد تطبيقاً للفقرتين ١ و ٢ من المادة ٦١ من القانون ١٣١ لعام ١٩٥٩ . وأسفت لتخلف غرفة صناعة دمشق عن الانضمام إليه .

ثم استعرضت بعض منجزات الاتحاد . إذ هو مؤسسة عامة لكل الفعاليات الاقتصادية في جميع المحافظات تجمع وتوزع كافة المعلومات الاقتصادية على الغرف في القطر لتستفيد منها . كما ان اجتماعاته توفر الصلة الوثقى بين أكبر عدد من أعضاء المكتب الذين يجتمعون مرة في كل شهر على الأقل كما أن مجلس الاتحاد ينعقد مرتين في السنة فتتحقق الفائدة .

ان اجتماع خمسة وعشرين عضواً هم مجلس الاتحاد كان له أبعاده الكبيرة ، كما أن عقده كل مرة في مدينة كانت له فائدة الاطلاع على أحوال المدن . وقد سبق أن اجتمعنا في دمشق وحمص وحلب وأخيراً طرطوس . وكانت حصيلة الاجتماع الذي عقد مع وزير التموين التخفيف من كثير من المتاعب والمعوقات في الأسعار والتوزيع والمخالفات (وقد قل عددها) كما ناقشنا الكثير من المسائل الاقتصادية والضريبية وقضايا النقل ، وتفرعت ست لجان لدراسة ورقة العمل واتخذت توصياتها . وحضر معاون وزير المالية ومدير مالية دمشق اللذان اشتركا في المناقشة حول ضريبة الدخل وغيرها ، ووعدا بالتسهيلات كإنهاء أمر

التراكم من ضرائب الدخل وبالفعل صدر البلاغ ٢٤/٨/١١٧٥٨ المتعلق بذلك ، وتجتمع اللجان يومياً في دمشق وستباشر في حلب وبقية المحافظات .

ثم اكد المؤتمر على اهمية وضرورة ما كنت اقترحته وتم القبول به من تاسيس شركات قطاع مشترك وبالفعل تم تأسيس الشركة العربية السورية للمنشآت السياحية والشركة السورية للنقل والتسويق السياحي ، وقامت الغرف بالدعاية لهما فتمت تغطية للأسهم بزيادة وانتخبت مجالس إدارانها وباشرت أعمالها .

ثم صدر بلاغ تفسيري حول رسوم التخزين في المرافىء ، وتم التبرع من التجار لشراء أرض أو عمارة للاتحاد .

وتم تاسيس الشركة القابضة التي سميت فيما بعد بالشركة العربية للاستثمارات العامة التي اقترحها مؤتمر ١٩٧٧ ، وأقر نظامها الداخلي وصدر مرسوم من سمو الأمير راشد آل مكتوم أمير دبي بالتصديق عليه واشتركت سورية بالاكتتاب وقريباً سيجتمع رؤساء الغرف العربية في بغداد لتسمية المصارف التي تقبض أقساط الأسهم ، وبذلك تكون عوناً للادخار لرجال الأعمال والمواطنين عامة وللحكومات العربية التي يكون اشتراكها دعماً وتشجيعاً للأفراد . وهذه الشركة برأسمال ٧٠٠ مليون درهم أي ما يقرب من ٨٠٠ مليون ليرة سورية ، وتكون داعماً للمشاريع الانتاجية في البلاد التي تعاني العسر المادي ، ويشرف عليها مجلس إدارة من رجال الأعمال العرب وأعضاء مجلس الاتحاد العام للغرف العربية . لذلك فان الاتحاد يرجو أعضاءه الاشتراك في هذه الشركة والدعوة إليها ، وقد يكون اشتراكنا بنسبة خمسة ملايين واستفادتنا بنسبة ثمانين مليوناً .

انني من هذا المنبر أوجه الدعوة الى رجال الأعمال ليدعموا هذه الشركة بالدعاية والمساهمة لتخرج الى حيز العمل والتنفيذ وهو مشروع عظيم ما زلنا نطالب به منذ سنة ١٩٥٠ .

الهيئة العامة للاتحاد ـ اللاذقية

٢٥ نيسان ١٩٨١

وفي ٢٥ نيسان ١٩٨١ اجتمعت الهيئة العامة للاتحاد في اللاذقية ، وقد تضمنت كلمتي الافتتاحية ، الإشارة الى جولاتي القديمة جداً في اللاذقية ومنها الى اسكندرون

وانطاكية ، وعودة منها الى طرابلس التي تسمى طرابلس الشام . وتحدثت عن أهمية اللاذقية وكل المدن الأخرى المذكورة ، ولا سيما بعد الاكتشافات الأثرية العريقة . وأشرت الى جمال اللاذقية وعمرانها والمرفأ والميناء العظيم وقرب وصول الخط الحديدي من حمص مباشرة ، وأهمية محصول الزيت في هذه المنطقة .

ثم تحدثت عن **قانون المخالفات التموينية** وانتقدت وضعها الراهن الذي لا يساعد في الحدّ من التصرفات الشاذة والردع . وقدمت اقتراحات بهذا الشأن تقوم على التمييز بين التصرفات الضارة المقصودة والتصرفات البسيطة أو الجاهلة . ان أكثر من ٣٠٪ من أصحاب الدكاكين يقوم فيها بالعمل الرجال وزوجاتهم وأولادهم وهم من البسطاء فليس من الضروري أن تكون كل عقوبة هي الحبس المحتوم وتكفي في كثير منها الغرامة واقفال المحل . ولا ننسى أن تقدير الثمن الحقيقي للسلع مع التكاليف الحقيقية بغية تحديد الأسعار أمر بالغ الصعوبة بل مستحيل . وأخيراً طلبت بأن يعاد الى القاضي حق التقدير في خطورة المخالفة حتى لا تكبل يده ، **ولا يصبح المراقب** هو الذي يصدر الحكم النهائي بالحبس لمجرد تنظيم الضبط .

وتحدثت عن **تقلبات اسعار النقد** بعد الارتفاع الكبير المفاجىء في سعر الدولار وقلت ان الاقتصاد الاوربي والغربي يعاني من ظواهر جديدة هي البطالة والتضخم ، وقد عجز المنظرون الى الآن عن إيجاد حل لهذا التناقض . وقد اعتمدت بعض الدول نظرية قديمة هي تقليص كمية النقد المتداول برفع أسعار الفوائد فارتفعت فائدة الدولار من ١٠ الى ٢٤ بالمئة .

وقد زاد ارتفاع الدولار في الخلل الحاصل في الهياكل الاقتصادية لأكثر بلدان العالم ولا سيما الدول النامية التي تثبت أسعار الدولار والعملات الاجنبية ، فتأثرت بنتيجة ذلك . ولتصحيح الخلل وإعادة ترشيد الاقتصاد ضمن الإطارات تأسست لجنة وزارية يرئسها الدكتور عبد الرؤوف الكسم رئيس الوزراء ، وتمت الموافقة على إحداث سوق موازية وحولت لائحة من المنتجات الوطنية المعدة للتصدير بنسب معينة الى هذه السوق مع تحديد سعر القطع حسب العرض والطلب، وأناطت بالمصارف المعتمدة مهمة تحويل قيمة جميع المواد المستوردة الى القطر، ولا تزال اللجنة توالي عملها في معالجة الكثير من القضايا الهامة .

ولكن تجدر الإشارة الى ان بعض الخلل الذي ظهر لم يكن محصوراً بالنظام النقدي وبأسعار العملات الأجنبية فقط مما يجعل البحث أشمل ، كما أن معركتنا الرئيسية تكمن في ترسيخ قواعد المجتمع المنتج والمعطاء ولا بد لنا من إعادة توجيه جهودنا وطاقاتنا وإمكانياتنا للمزيد من التوظيف والبناء والانتاج في الزراعة والصناعة والخدمات وإيجاد الصيغ الرديفة المطلوبة لذلك .

ان هذا الموضوع يتطلب دراسة شاملة كاملة وقد سبق ان تقدمنا بدراسات حولها ولنا الأمل بأن نكون قاربنا الوصول الى تقديم ما تتطلبه من اجراءات وقوانين ودعم وتوجيه .

أما انتاجنا الزراعي فلم تطرأ عليه منذ عشرين عاماً زيادة بل نقص انتاج القطن من ٤٠٣ ألف طن في ١٩٦٢ الى ٣٧٧ ألف طن في عام ١٩٧٨ . ونقص انتاج الحنطة من ١٣٧٤ ألف طن الى ١٠٢٥ في المدة نفسها . ومثل ذلك يقال في بقية المنتجات . ومرد هذا الى هجرة أبناء الريف الى المدن وهجر الزراعة إضافة لقلة الأمطار ، ولذلك يجب الرجوع الى أهل المعرفة والخبرة لمعرفة الأسباب ورسم الخطط وعندئذ تصدر القوانين المناسبة لتشجيع النمو السريع في الحاصلات وتأمين الأمن الغذائي . فنحن كنا نصدر الفاكهة والخضار والسمن العربي والأجبان والزبدة والعدس وقمر الدين الى البلاد العربية ولا سيما مصر ولبنان والعراق والأردن وفلسطين ، والآن بعد انصرافنا عن الزراعة نستورد الكثير من المواد الغذائية حتى الخضار والفواكه فنحن نستورد من الموز وحده بقيمة سبعين مليون ليرة وبندورة بتسعة وثلاثين مليوناً وحمضيات بعشرين مليوناً وتفاحاً بتسعة وعشرين مليوناً ونحن بلد ينتج كل هذه الأصناف ، وهذا أمر غير مقبول .

اجتماع الهيئة العامة لاتحاد الغرف. دمشق

١٩٨١/٦/١

ألقيتُ في افتتاحه كلمة ذكرت فيها (بعد الترحيب) ما طرأ على الساحة السياسية العربية والدولية من أحداث وضغط العدو الصهيوني على سورية . ان اتحادنا لا يتداخل في الأمور السياسية العليا ولكن قطاعنا الاقتصادي حساس في جسد الوطن وقد أهملنا واجباتنا ويجب أن نعمل بكل طاقاتنا لتكون سورية كما كانت أبد الدهر درعاً وسنداً لعزة الوطن وكرامته .

لقد سبق للتجار أن قاموا بأعمال باهرة في عام ١٩٢٥ عندما اجتمعوا في دار المرحوم هاني الجلاد ثم قدموا للمفوض السامي مطالبهم وذلك عندما كان السياسيون بالمنفى والثورة ، ثم في أعوام ١٩٢٨ و١٩٣٢ و١٩٣٦ و١٩٤٥ كانوا في طليعة الكفاح .

فعندما أراد المستعمر إعطاء شركة فرنسية امتيازاً لانتاج الاسمنت تنادى التجار وعلى رأسهم سعدي القتابي وصادق ملص لتأسيس شركة وطنية للاسمنت بقيت مزدهرة . وعندما أراد الفرنسيون تلزيم المياه لشركة فرنسية قام التجار فأسسوا شركة وطنية وكان في مقدمتهم لطفي الحفار ومسلم السيوفي والحاج شريف النص ولم يتركوا للمستعمر فرصة .

لقد أبرق التجار لسيادة الرئيس القائد يؤيدون ويدعمون خطواته الموفقة معربين لسيادته عن استعدادهم لتقديم أية تضحية .

ولكن هنا أتساءل هل لم تعد للمسائل الاقتصادية أهمية أمام أحداث سياسية؟ وعلى العكس ، فقطرنا يعمل اليوم على وضع قوانين متطورة لدعم الاقتصاد بتشجيع الانتاج والتصدير وتطوير حركة الاستيراد ووضع إطار جديد للاستهلاك . وقد قرأتم عنها وقد يكون لديكم تساؤلات وملاحظات واقتراحات عليها . ان هذه القرارات تشكل غطاء شاملاً للتجارة الخارجية في القطر وتستهدف هدفين رئيسيين :

١ ـ تنشيط الانتاج والتصدير وذلك بتحديد نسبة القطع التي تدفع للمصدر على السعر الرسمي والسعر الموازي تبعاً لأهمية الصنف .

٢ ـ الحد من الاستهلاك والاستيراد على ضوء المتوفر من القطع الأجنبي . ومهما يكن رأينا فانني أشير الى أن تحديد الاستهلاك والاستيراد بالطرق الرسمية سيؤدي الى انعكاسات بزيادة الاستيراد عن طريق التهريب ولا يخفى على أحد أن جميع المواد الممنوعة موجودة بوفرة في الأسواق .

٣ ـ ان ما صدر من قرارات ليس سوى بداية مما ينتظر ولا بد من دراسة ما يتعلق بكل صنف بشكل موضوعي ومعقول وأرجو أن تتريثوا حتى تقوم اللجنة بمهامها .

غير أن وجهة نظر وزير الاقتصاد ووجهة نظري كانت أن تدخل كافة سلع الانتاج التي تحتاج الى الدعم بالدعم وبنسبة واحدة ، وتقييد السلع التي لا تحتاج الى دعم لكي لا تقوم عراقيل بوجه التصدير .

٤ ـ لا بد من قرارات تتعلق بعمليات المناطق الحرة وهي مصدر يمكن الاعتماد عليه في بعض استيراداتنا وفي عمليات الادخال المؤقت .
٥ ـ ثم هل يبقى الاستيراد من الدول المجاورة خاضعاً لنفس الشروط ؟
٦ ـ وهناك صادرات لبعض الدول المجاورة ولدول تربطنا بها اتفاقية مدفوعات .

وإننا مستعدون لاستلام أي مطلب تجدونه ضرورياً في الأمور الاقتصادية والنقدية ، وننقل وجهات نظركم الى المسؤولين راجين أن تكون ضمن الممكن والمعقول وما يتفق مع المصالح العامة قبل الخاصة .

وقد كان شغلنا الشاغل في العامين الماضي والحالي المرسوم ٢ لعام ١٩٨٠ المتعلق بالمخالفات التموينية وقد سبق في اجتماع سابق أن حدثتكم عنه وما نزال نتابع الجهود.

أما عن التبرع لبناء الاتحاد فقد بلغ حتى الآن ٤٠٠ ألف ليرة في دمشق وربما كان من المفيد دعمه بمبلغ لإضافة جناح لغرفة تجارة دمشق .

وكذلك عن عمليات التبرع لجمعية السرطان فقد أصبح مبلغ العشر ليرات غير كاف واقترح زيادته على درجتين الى ٧٥ و ١٠٠ ليرة سورية وتعميم الفائدة منه .

اجتماع دير الزور

١٩٨٢/٤/٢٦

تحدثت في كلمتي الافتتاحية عن الفرات وهو يعني في اللغة (العذب) وكان يسقي في الماضي أرضاً تطعم نحو ١٦ مليوناً وهو عدد سكان سورية في الماضي .

واننا إذ نشكر دير الزور على ضيافتها نقول أن زيارة مدننا أولى من زيارة بلدان العالم ، فالكثير منكم لم يخطر ببالهم زيارة دير الزور والسويداء مثلاً قبل اجتماعاتنا .

وقد كانت لهذه المدينة شهرتها في أيام الخلفاء وكانت الرقة مصيف هرون الرشيد وكانت الدير معبر القوافل التجارية والطريق اليها وفيها ظليلة بالأشجار .

وكانت أولى زياراتي لها عام ١٩٢٦ أواخر الثورة وكنت بسيارة (لانسيا) وكان الوقت موسم الكمأة ، وقد استغرق الطريق اليها ١٤ ساعة ولما وصلت بدوت من الغبار كأني

كنت في طاحون . وفي عام ١٩٢٨ عملت في أسواق السمن البلدي مع التاجر المرحوم طه العلوني ونحن بدأنا تعبئته بالتنك بدلاً من الظروف ، وكان يمتاز عن الحموي بأنه أقل زخماً وراج في أسواق دمشق لخفته ولونه الناصع ورائحته الذكية وسهولة هضمه نسبياً .

وفي تموز ١٩٣٩ زرت المحافظة لشراء أراض للاستثمار الزراعي وكان المرحوم توفيق شامية محافظاً وعبد الغني القضماني قائداً للدرك وبعد التجول لم أعثر على الأرض وكانت شواطىء النهر مملوكة ودرجة الحرارة أربعون مئوية ليلاً داخل الغرفة.

ومنها توجهت الى الحسكة وكان قائد الدرك فيها عزة عزت والد الدكتور اسماعيل عزت رئيس الجامعةالسورية، وجد الدكتور هشام اسماعيل عزت . وكان عبور النهر بين الضفتين على جسر من زوارق خشبية مربوطة بعضها ببعض ومسافة الطرق ١٨٠ كم . ركبنا سيارة فورد (أبو دعسة) توربيدو وفيها ٨ ركاب وحوائجهم ، فدام الطريق سبع ساعات ونصفاً مع الغبار والحر الشديد . وهناك جرت قصة ذكرتها بالتفصيل في حديثي وفي كتابي (للتاريخ والذكرى) .

وكان هناك سد قديم على الخابور يسقي مناطق واسعة . ثم تابعنا السير الى القامشلي وفيها الخيرات الكثيرة ومردود الأرض لعام يفوق ثمنها . ثم عدت في ١٩٤٩ ومعي أولادي بالطريق الصحراوي وضعنا فيه أربع ساعات وكاد البنزين أن ينضب ثم هدانا الله .

وفي اجتماع الدورة الثالثة لاتحاد الغرف (١٩٥٣) درسنا مشروع سكة الحديد من حلب الى الرقة والدير وفرع الى القامشلي وفرع الى بغداد ولكنه لم ينفذ إلا في عهد الحركة التصحيحية المباركة ، وأحمد الله على أنني شاهدت هذا الخط .

وفي العام الماضي ذهبت الى القامشلي بالطائرة وعدت بالقطار وتجولت في هذه المدينة وهي عروس الصحراء ، فيها ثلاثة جسور بدلاً من الجسر الخشبي وترتبط بكل الطرق المعبدة وصارت بواسطتها تأتينا الفاكهة والخضار الممتازة فالجانرك سيباع بـ ٤٠٠ ـ ٥٠٠ قرش والدمشقي يباع بخمسين .

وبقي علي أن أتساءل لماذا لم يزد محصولنا من الحنطة والقطن منذ عام ١٩٦٣ ؟ وربما كان الجواب ان العامل ترك الحقل والجيل الجديد لحق الوظيفة وصاحب الأرض اكتفى

بأقل مساحة بسبب قانون العلاقات الزراعية وهو لم يزرع المحبة بين صاحب الأرض والعامل .

نتوجه بالشكر الى السيد الرئيس لما قدمه وحكومته لكل المحافظات من عناية ، ولرؤساء وأعضاء الغرف التجارية والزراعية والسيد المحافظ وجميع الحاضرين .

الجلسة الثالثة عشرة. ادلب

١٩٨٢/١٠/٢٥

نحيي أهل هذه المحافظة وأكثرنا يزورها للمرة الأولى ، وهي البلد الجميل الذي انطلقت منه ومن سفح جبل الزاوية أول رصاصة وجهت الى صدر المحتل الفرنسي . ان ادلب معروفة بالمنطقة الخضراء ، يحيطها الزيتون والتين والعنب ، كما أن فيها الآثار القديمة وفيها كانت مملكة ايبلا واشتهرت بالطريق الروماني القديم الذي يصلها بباب النيرب ، وفيها كنيسة اللويزة وجامع العربي في معرة النعمان وجبل الأربعين في أريحا وسهلا الغاب وخان شيخون ومساحتها البالغة ستين ألف كيلومتر تفوق مساحة هولندا وبلجيكا مجتمعتين ، وفيها ٧ ملايين شجرة زيتون وتنتج ٤٠ ألف طن من الزيت سنوياً ، وقد انفصلت مؤخراً عن محافظة حلب مما يتيح مزيداً من التركيز عليها .

والآن اسمحوا لي أن أعالج القرار ١٢ الصادر عن لجنة الترشيد . فأنتم تعلمون أن الوجه الزراعي لانتاجنا هو المتميز وكذلك الصناعات الزراعية . ومن هذا المنطلق خطا قطرنا خطوات متينة لتطوير الانتاج الريفي .

فتأمين الغذاء هو التحدي الأكبر الذي يتزايد أهمية في العالم وسيكون مستقبلنا وازدهارنا رهينين بتوسيع قواعد الانتاج وعناصره من فكر ومال وسواعد . وقد ظهرت أخيراً مؤشرات عالمية منها :

- زيادة هائلة في الأموال العائمة وسريعة التحرك وتؤثر في الاقتصاد الدولي .
- ودائع هائلة لدى المؤسسات المصرفية العالمية وبالتالي تساهل في التسليف للحكومات فصارت تعجز عن دفع الفوائد الباهظة وكذلك بالاحرى عن تسديد الديون .

ـ الديون الجديدة امتصت ورهنت موارد البلاد المدينة لدفع الفوائد بدل استخدامها للانتاج والتنمية . وبذلك حدث خلل خطير في ميزان المدفوعات فتقلص كثيراً حجم التبادل التجاري الدولي وانخفضت في معدلات الأسعار والضحية الكبرى هي الدول النامية .

ـ والظاهرة الأخيرة انخفاض الناتج **القومي** لمعظم البلدان وهي تتواكب مع البطالة والركود .

وما يعنينا في هذه الظواهر اثرها على اقتصادياتنا خاصة وهي آثار عميقة وطويلة المدى ، بالإضافة الى ان المنظرين الاقتصاديين في العالم لم يتوصلوا بعد الى حلول مشتركة وسريعة .

كما أن كون العدوان الاسرائيلي يمتص نسبة عالية من ميزانية الدولة للدفاع والوفاء بالتزاماتنا القومية ، واقتران هذا بالأوضاع الاقتصادية العالمية المتردية قد كانا من وراء تأليف لجنة الترشيد برئاسة رئيس مجلس الوزراء وإعادة النظر في مناهج الاستيراد والتصدير .

نجحت هذه اللجنة بكبح الاستيرادات المتزايدة ووقف الشطط في حاجتنا الى القطع الأجنبي وفي تسويق التصدير فانخفض سعر الدولار ٢٠ ٪ في حين عانت دول العالم من ارتفاعه في هذه الفترة .

وتتدارس الأسرة الاقتصادية قرار اللجنة الأخير بحصر تمويل الاستيراد عن طريق الاعتمادات المستندية من المصارف المعتمدة في القطر والغاء الدفع ضد المستندات أو بعد وصول البضاعة .

نؤيد هذه القرارات ونشير الى بعض النقاط الهامة :

١ ـ إن عملية ترشيد الاستيراد يجب الا تستند على الإيقاف المؤقت مهما طال الاستيراد واستنفاذ السلع الموجودة . فإذا بقيت العملية قائمة على تأجيل الاستيراد تأتي بنتيجة عكسية فعندما يعود السماح بالاستيراد يشكل ضغطاً على سعره يؤدي الى ارتفاعه بما يتنافى مع خطة الدولة والاقتصاد وحاجات المستهلك .

كما أن حصر تمويل الاقتصاد بالمصارف التجارية السورية يتطلب منا أن نهيء لهذا الجهاز الموارد الكافية وتدفق الأموال الأجنبية حتى لا يصبح مرهقاً بديون يعجز عن تسديدها.

٢ ـ إن ترشيد الاستيراد يجب الا يصل الى السلع السهلة الانتقال من البلدان المجاورة حتى لا يشجع التهريب وتدخل السلع من المدخل الخاطىء .

٣ ـ ويجب ألا تصل عملية الترشيد الى السلع الضرورية للتصدير ، كما يجب إعادة النظر في قواعد الإدخال المؤقت والمناطق الحرة . وقد سجل هذان العنصران فعالية كبرى وأصبحت حلقة هامة في تركيب تجارتنا الخارجية ، وما تم بناؤه حتى الآن لا يجب أن يهدم ويذهب سدى . كل ما يجب اصلاح الأساليب حتى تكون سليمة وتخدم المصلحة العامة وتبقى المناطق الحرة والإدخال المؤقت في خدمة التصدير .

٤ ـ إن ترشيد الاستيراد يجب ألا يتحول الى كابوس روتيني بكثرة القرارات المعرقلة .

٥ ـ مما يستند إليه الترشيد أن اكثرمن ٧٠٠ ألف عامل سوري يعملون في المهجر وإن الأموال التي يجنونها يمكن أن تلعب دوراً كبيراً ورئيسياً في التنمية والانتاج والتصدير وفي تسديد قيمة المستوردات وعلينا استدراجها ثم توظيفها . فلماذا نحجب هذه الامكانات ونمنعها مطلقاً ؟

هذه النقاط وكثير غيرها برزت بعد قرار الحصر الأخير . وقد وافق رئيس الوزراء على تأسيس لجنة تدرس الموضوع دراسة وافية ، ولذلك طلبنا الى كل فرع تقديم مذكرة بالتواصي التي تهمه ، ولا ريب أنكم تدرسون في اجتماعكم هذه الأمور ونأمل أن نوفق الى مذكرةمنطقية وعملية تحقق جميع أهداف الدولة وتخفف أعباء المواطن والمستهلك وتؤمن الانتاجية والتقدم والرخاء .

اخواني الكرام إن الحوار بين المسؤولين وأسرتنا الاقتصادية سيؤدي الى الحلول السليمة فلنتفان لتحقيق هذه الأهداف ، وأخيراً فإن علينا زيارة هذه المحافظة زيارات عديدة ومتكررة ونجعل منها جزءاً من إجازتنا السنوية .

الجلسة الرابعة عشرة

الرقة ـ ٤ نيسان ١٩٨٣

يذكر التاريخ أن الرقة ازدهرت بحضارات عديدة قبل الاسلام ، ثم جاء الفتح الاسلامي في سنة ١٦ هـ ـ ٦٣٦ م فسكنت فيها أسر عربية . وفي سنة ١٥٥ هـ ـ ٧٧١ م بنى أبو جعفر المنصور مدينة الرافقة على أطراف البلدة القديمة ، وعلى طراز مدينة بغداد وجعل لها سوراً ، كما فيها آثار كثيرة .

وكانت الرقة وما تزال الى جانب قيمتها المعنوية تطعم بخيراتها وقطنها طابت لكم مدينة وطبتم لأهلها .

أيها الأخوة كل من زار هذه المدينة قبل عشر سنوات ثم عاد إليها يلمح التقدم الكبير . ففضلاً عن مشروع سد الفرات العظيم الذي أولاه رئيسنا كل اهتمامه ، وعن بحيرة الأسد ، أقيم سد البحث التنظيمي ومشروع استصلاح الأراضي كما لا ننسى الطاقة الكهربائية التي توفرها الرقة للقطر بأسره فمن يطوف فوق سورية بالطائرة ليلاً يراها تشع كلها بالنور .

أيها الأخوة هذا اجتماعنا التاسع ومن قبله درنا في المحافظات المختلفة ولم يبق علينا سوى حماه والحسكة والقنيطرة ولعل الاجتماع فيها يكون مع التحرير .

الجلسة الخامسة عشرة

حماة ـ ٩ تشرين الثاني ١٩٨٣

عندما وصلنا الى حماه أقيمت مأدبة غداء كبرى ألقيت فيها الكلمة التي أوجزها فيما يلي :

اشتهرت هذه المدينة بخيراتها وأراضيها المعطاءة وتفوقها في الانتاج الزراعي والحيواني والسمن الحموي الشهير وهو مضرب المثل في الجودة . وكذلك تصدر الأجبان والصوف والجلود كما تشتهر بتربية الخيول العربية . وفضلاً عن ذلك فهي مدينة الكتاب

والأدباء والشعراء والصحفيين أمثال المرحوم نجيب الريس وشقيقه منير وبدر الدين الحامد والشيخ محمد النعسان والشيخ محمد الحامد وغيرهم .

إن أول واجبات المواطن التعرف على أنحاء بلده في رحلات داخلية فردية وجماعية والأوربي لا يخرج الى بلاد العالم إلا وقد زار بقاع بلاده . إن آثار حماه في طليعة الآثار التي تستقطب اهتمام العلماء والسائحين .

وهنا أتحدث لكم عن لجنة الترشيد برئاسة الدكتور رئيس مجلس الوزراء وتضم وزراء مختصين وممثلين للفعاليات الاقتصادية . وقد كان لقراراتها بتقليص الاستيراد وتشجيع التصدير ان تحسنت العملة السوريةوصارت قيمتها عندنا تعادل قيمتها في البلاد الأخرى .

وقد أوضحت للسيد رئيس مجلس الوزراء رئيس لجنة الترشيد وأعضائها أن تثبيت سوق النقد الأجنبي والحد من التضخم ليسا الهدف المطلق ، بل لا بد من مراعاة عوامل أخرى لا يسمح المجال باستعراضها الآن ، ويمكن أن أشير فقط الى سبل الاستيرادات البديلة والملتوية والتي تسيء الى الاقتصاد إساءة بالغة ، كما أشير الى تأمين حاجات البلاد الى المواد الرئيسية وخاصة منها ما يتصل بالمواد الأولية والآلات اللازمة للانتاج والتصدير . وأفضل السبل لمعالجة هذا الوضع امتصاص الامكانيات المادية والبشرية الكبيرة والتي هي شبه مجمدة حالياً ، واجتذابها وخلق البنية الانشائية لها ، وهذا بالطبع يتطلب تحديداً للقطاع المشترك والقطاعين العام والخاص وفتح المجال واسعاً وواضحاً لكل منهما . كما لا بد من رفع السعر الموازي للدولار بشكل متواكب مع السوق العالميةللحد من نشاط السوق السوداء الذي يزدهر عندما تتفاقم الفوارق بين السوق العالمية والسعر الموازي المعتمد .

وختمت كلمتي بالتمنيات المعتادة .

اجتماع مجلس إدارة الاتحاد في السويداء

١٩٨٥/٩/٢٠

بدأت كلمتي بالإشارة الى الصراع الذي دام خمسة وعشرين عاماً مع الفرنسيين والى ثورة حوران التي قتل فيها عبد الرحمن باشا اليوسف وعلاء الدين الدروبي في محطة خربة

الغزالة في حوران . ثم الى ثورة صالح العلي وثورة ابراهيم هنانو ثم ثورة سلطان باشا الأطرش وما قدمه فيها الدروز من تضحيات وحققوه من انتصارات ، وكيف كان الى جانبه عبد الرحمن الشهبندر وشكري القوتلي وفوزي البكري ونزيه المؤيد وحسن الخراط ومحمد الأشمر وأخوانهم الكثيرون .

ويسعدنا أن نشاهد هذا التطور الكبير الذي جرى في السويداء وان نشارك في تدشين بناء غرفة التجارة والصناعة فيها ، ان السويداء تعتبر من أفضل المدن السورية في تخطيطها ووجائب الأبنية فيها وحدائقها وهي كلها داعية الى البهجة والفخار .

ان اجتماعنا اليوم في السويداء يعني اننا انجزنا كل الزيارات الى مدن القطر . وإذا قارنا وضع قطرنا اليوم بما قبل خمسة عشر عاماً نجد ا لتقدم في كل مجال ولا سيما التعليم بدرجاته ، وكذلك التعمير ونشر الكهرباء وجر المياه وأعمال الري وإقامة السدود لتوسيع الزراعة وكل ذلك رغم أن سبعين في المئة من موازنتنا تنفق على الدفاع . وانتقل القطاع الصناعي من ٣٠٠ مليون عام ٦٠ الى ١١٣ مليار الآن . وقامت شركات القطاع المشترك بأعمال ناجحة جداً وبلغت أرباحها الموزعة نسبة ما يوزع في أحسن بلدا ، العالم ، كما اتجه القطاع المشترك الى القطاع الزراعي والغذائي . وصارت لجنة الترشيد توالي قراراتها لتشجيع التصدير . ولا بد انكم اطلعتم على قرارها المتخذ في ١٩٨٥/٩/١٣ وتصريحات رئيسها الدكتور الكسم بصدد ذلك . وغداً يفتتح مهرجان الكرمة في السويداء وهو شاهد كبير على تطور زراعة الفواكه وقد صارت هذه المحافظة هي الأولى في انتاجها فالشكر لكم مع تمنيات النجاح .

اجتماع درعا

١٩٨٦/٤/١٥

من عاصمة حوران أحييكم ، وهي المحافظة ذات المجد الغابر التي ردت غارات التتر والصليبيين . إن حوران هي السهول الخصبة والأرض الطيبة والانتاج العظيم بفضل السواعد القوية . وقد كانت درعا محطة لقوافل الحج القادمة من كل أنحاء العالم عن طريق دمشق وكانت عقدة مواصلات حديدية توصل الى فلسطين والى الحجاز وتنقل المحصولات

التي تنتجها وتسوقها الى الشمال والجنوب وأهمها القمح والبطيخ الأخضر . إن إعادة تسيير الخط الحديدي الحجازي ضرورة لخدمة النقل بدلاً من السيارات ذات النفقات الباهظة وتتعرض للإساءات في الذهاب والإياب ، وكل قاطرة تغني عن خمسين سيارة برحلة واحدة .

كما تحققت أمنية غالية علينا بفتح طريق الأوتوستراد الذي نرجو أن يتصل بأمثاله في الأردن والسعودية .

ان لي في هذه المدينة ذكريات لا أنساها عندما كنت اتنقل بين دمشق وطول كرم لشراء البطيخ . وحدث انني جئت بشحنة في ايام تلت دخول فرنسا الى سوريا في تموز ١٩٢٠ وخفت على الحمولة فاستنجدت بصديق لوالدي المرحوم الشيخ فاضل المحاميد الذي كان مسجوناً مع والدي عام ١٩١٧ فأعانني وأمن سفر شاحنة البطيخ العائدة لي ، ولما وصلنا الى خربة غزالة أوقف أهل حوران قطارنا يفتشون عن عبد الرحمن باشا اليوسف فلم يجدوه وتابعنا بالقطار . وبعد يومين أوقف القطار وفيه اليوسف وعلاء الدين الدروبي اللذان كانا قادمين لاقناع أهل حوران بمسالمة الفرنسيين ولكنهما قتلا بسبب هذا الموقف .

ورغم شح الأمطار في هذا الموسم فان أهل حوران بنشاطهم قد انتجوا كميات ضخمة من البندورة الفاخرة وأغرقوا أسواق دمشق .

وبمناسبة الزراعة يجب التركيز عليها حتى لا نضطر الى الاستيراد بالقطع الأجنبي الذي قل في سورية لانقطاع كثير مما يجلبه العاملون في دول الخليج .

والآن وقد صدر المرسوم ١٠ عن انشاء شركات القطاع المشترك مع التشجيعات والاعفاءات التي وردت فيه لم يبق على القطاع الخاص إلا أن يمد يده ويشارك في إنشاء هذه الشركات المساهمة المشتركة ويشمر عن سواعده بجميع فعالياته وفاء لوطننا وأمتنا والأبناء والأحفاد .

ثم لا تنسوا أيها الأخوان مكافحة الهدر . فالله قد أعطانا الماء والأرض والشمس والهواء وسيحاسبنا على ما تركناه منها دون استغلال ونتيجة الأهمال .

هذا وبمناسبة افتتاح مؤتمر القمة الاقتصادي العربي فانني أعرب عن آمال الأمة حين أرجو أن يتناول :

١ ـ توزيع عائدات النفط لخدمة الاقتصاد العربي وإنشاء المصانع والمشاريع الانمائية لزيادة الانتاج ولا سيما الزراعي لتحقيق الأمن الغذائي الذي يزداد طلبه يوماً بعد يوم .
٢ ـ تخصيص المبالغ اللازمة لدول المواجهة .
٣ ـ تمويل الخط الحديدي الحجازي فهو الشريان الذي يغذي العلاقات ويوفر المبالغ الطائلة في النقل .
٤ ـ تحقيق السوق العربية المشتركة مع الدورة الاقتصادية التي نادى بها اتحاد الغرف العربية .

اجتماع اتحاد الغرف التجارية السورية في طرطوس

١٩٨٦/١٠/٢٥

. . لا شك باننا جميعاً مهتمون بالأوضاع التي دعت الحكومة لاصدار المرسوم ٢٤ المتعلق بقمع من يهربون النقد الأجنبي والمضاربين . وقد سارعت غرفة تجارة دمشق لتقديم مذكرة حول الموضوع تتناول النقط العملية والتطبيقية آملين أخذها بعين الاعتبار .

فنحن مواطنون قبل أن نكون تجاراً أو صناعيين أو مزارعين ، ولذلك فنظرتنا شمولية فيها التجرد والاخلاص . اننا مع كل اجراء من شأنه أن يدعم الاقتصاد الوطني ويعزز المسيرة للتنمية والازدهار ، وقد نجحت الاجراءات المتخذة فعلاً بارتفاع أسعار النقد الأجنبي وتعرضه للمضاربات ، ولكن المهم ألا يكون هذا النجاح مؤقتاً أو عابراً لأن مشكلة القطع الأجنبي هي انعكاس لجانب واحد من جوانب الموضوع الأشمل الذي يتناول الحقل الاقتصادي بكل أبعاده وأشكاله فلا بد من مسح وتقييم شاملين وخطة مدروسة بدقة وعناية على ضوء الأوضاع الاقتصادية في القطر والمنطقة العربية والعالم كله .

ان الدولة ليست أصلاً ضد العمليات البسيطة والروتينية في النقد الأجنبي ولا ضد ايفاء المواطنين لحاجات فعلية مقبولة وصغيرة . ان الهدف الرئيس هو ردع ومنع أعمال المضاربة والتهريب الضارة والمخربة وعليها يجب التركيز .

ومع اهتمامنا بالأعمال الزجرية يجب إلا ننسى ان الأجدى هو العمل الايجابي . ان قطرنا يتمتع بمزايا وامكانيات وطاقات هائلة جداً من الثروة البشرية المتمتعة بالاحترام

والمقدرة والابداع ، وهي كتلة عملاقة قادرة على أن تحقق الأهداف وتنجز المطلوب في عملية التنمية . ونردد دائماً الرجاء بأن تعي الدولة أن الغرف التجارية قادرة على طرح الأفكار البناءة والنصح القويم اذا سئلت ، وحبذا لو سئلنا عن رأينا فأبديناه فإما أن يؤخذ به أو لا يؤخذ .

ونعلمكم بأننا أخذنا وعداً من رئيس مجلس الوزراء ووزير الاقتصاد بتعديل قرار القطع للبضائع المصدرة كي نتمكن من منافسة البلدان المجاورة ولا نفقد ما بقي من الأسواق . وفي هذا استجابة للمرسوم الجمهوري ١٩ تاريخ ١٦/٥/١٩٨٦ بتشكيل لجنة وزارية لتشجيع التصدير .

ثم تحدثت عن تاريخ طرطوس الطويل وعن حاضرها الاقتصادي الكبير وعن ارتباطها عن طريق الخط الحديدي والأوتوستراد بسائر أنحاء القطر ، وقد جئنا إليها عن طريق القطار في رحلة ممتعة .

وانتقلت الى أرواد التي تذكرنا بالأحرار الذين كانوا يفرون إليها ايام الاستعمار الفرنسي ، ورحبت بالزملاء والضيوف أعضاء غرفة طرابلس التجارية .

اجتماع مجلس إدارة الاتحاد في اللاذقية

١٩٨٨/١/١٩

بدأت بالحديث عن نهضة اللاذقية منذ الحركة التصحيحية والنشاط الذي ظهر في كل حقل حتى غدت مدينة عصرية مرموقة في الصناعة والسياحة والزراعة والرياضة والتنظيم والإدارة والتنسيق ، ثم ثنيت بأن النهضة نبعت من مزايا ثابتة يتمتع بها الفرد السوري في قطر ليس فيه مناجم أو معادن أو بترول كثيف . ولذلك فأن ما جنيناه كان نتيجة الجهد والتعب والعرق ونتيجة هجرة وتغرب وحياة زهد ووفر وتقتير ، والكل يشهد للمواطن السوري بالكفاءة والاستقامة والصدق والدأب . ومع كل ذلك يحمل القطر لواء العروبة وحمايتها والدفاع عنها ومن آخر الأمثلة مثال لبنان .

وقد واكب تطورنا السريع تعرض كبير لمظاهر الحضارة الغربية ومغرياتها فأفرز هذا التعرض معطيات جديدة على حياتنا وتصرفاتنا ونظرتنا ومنطلقاتنا .

فبعد أن كانت حياتنا في الماضي تتميز بالزهد والقناعة والتوفير ونؤمن ان الجهد والاستقامة والصدق هي السبيل الأكيد لتحقيق النجاح والازدهار وأن مطامحنا لن تتحقق بالطرق المختصرة والكسب السريع صرنا نشهد الآن اقبالاً على حياة اليسر والبحبوحة والتبرج ومن أقرب الطرق وأسهلها . نحن لا نريد وقف عقارب الساعة أو تأخير عجلة التقدم ولكننا نجد أن التطور الذي أخذ أبعاداً جديدة واسعة وسريعة وعميقة صار يشكل ضرراً على المجموعة والوطن والمستقبل . فلا بد من حدود تقف عندها حرية الفرد وراحته ورفاهيته لمصلحة الوطن والمواطنين ككل ، كما أن حاجة الحاضر لا بد أن تتكيف وتنصقل بناء لضرورات المستقبل والوطن .

لذلك أصبح لزاماً علينا توجيه أجيالنا الشابة والمستقبلة على أن الانتاج (وليس الطفيلية) هو السائد والرائد في هذا القطر وبأن لا مستقبل لسواه ، وان التوفير والقناعة والاقتصاد هي ميزات حميدة جداً وضرورة مطلقة تحتمها المرحلة الحالية والمقبلة في تاريخنا .

اننا جميعاً مدعوون لعملية مزدوجة تتلخص بزيادة في الانتاج وتقليص للمصروف وهذا الشعار ستتطور أهميته بالنظر للظروف المتغيرة التي تعيشها المنطقة بكاملها بل يعيشها عالمنا بأكمله شرقه وغربه .

ولقد أعطت الدولة بالغ اهتمامها لعملية الانتاج بكامل أشكاله وانواعه مما يدعم الزراعة والصناعة دعماً مطلقاً ، وبعد صدور المرسوم ١٠ بشأن إنشاء الشركات المساهمة المشتركة تشكلت خمس شركات وتغطت أسهمها وباشرت أعمالها وهذا لا يعني أن الأفراد الذين لديهم الامكانيات والرأسمال يبقون واقفين ، فمهما كثرت الشركات فانها لا تقدر على القيام بالنتائج المطلوبة بل على القطاع الخاص الفردي أن يدخل المعركة ويحول جزءاً من نشاطه الى الزراعة . والحقيقة أن النجاحات والمكاسب التي حققها العمل الزراعي بلغت حدوداً مبهرة ومغرية ، وقد سمعتم أن من المألوف والطبيعي أن يبلغ مورد الدونم عشرة آلاف ليرة ويصل في بعض الأحيان الى أربعين ألفاً .

من هنا نأمل بأن المعطيات الجديدة للزراعة الحديثة ستوجد الحوافز الملموسة لدخولنا في هذا المجال لنبني ثروتنا الزراعية ونقلل من الاعتماد على الاستيراد لكل ما يمكن انتاجه في هذا القطر .

نرجو أن يكون تجاوبنا بالمستوى المطلوب وليتنا نتنادى لطرح مشاريع انتاجية جديدة على بساط البحث الجدي لنوفق في اتمامها واخراجها ، وان كانت هناك مشاكل خاصة تعرض على المسؤولين نرجو ذكرها لنسعى في حلها .

ومن أهم النقاط التي أود لو نطرحها موضوع البيروقراطية والروتين البغيض حيث أن تسربهما السريع لن يكون لمصلحة الوطن والانتاج والاقتصاد .

في اجتماع الهيئة العامة للغرف السورية في حلب

١٩٨٨/٦/٢٥

يسعدني اجتماع الهيئة العامة لاتحاد الغرف التجارية السورية للمرة الأولى في حلب ، العاصمة الثانية لجمهوريتنا ، باب الأناضول ، والمنافسة لليابان ، وقد تولى رئاسة مجلس إدارتها الزميل الحاج محمد مهروسة الرجل الصدوق العامل للمصلحة العامة الذي أقام هذا الصرح الذي هو بناء الغرفة وفندق من أكبر الفنادق التي كانت تفتقر إليها الشهباء . ومن باب التذكير فانني أقول انني ساهمت في اقناع الجهات الرسمية ببيع أرضه الى الغرفة واستغرق ذلك جهداً حتى تم ، فهنيئاً لحلب وغرفة تجارتها بهذا المبنى العظيم .

. . وانني لأبارك بالجهود التي قام بها المنتجون والمصدرون والمزارعون في إقامة نهضة حقيقية . وعلى سبيل المثال اذكر ان انتاج الفستق الذي كان بحدود ألف طن عام ١٩٦٣ ارتفع عشرين ضعفاً في ربع قرن فصارت له قمة سوقية تبلغ ٧١٥ مليون ليرة سورية ولسوف يصل في عام ١٩٩٥ الى أكثر من ثلاثين ضعفاً . ومثل ذلك يقال عن الحمضيات والتفاح وغيرها . ففي حين كنا نستورد حمضيات بمبلغ ١٨ مليون دولار قبل عشرة أعوام بلغنا الآن مرحلة الاكتفاء الذاتي وفي ١٩٩٢ سيكون عندنا فائض للتصدير . وكذلك التفاح بعد أن تركت الحكومة تسويقه للقطاع الخاص .

إن الأهم الآن هو استكمال عملية الانتاج أفقياً عن طريق التصنيع والتعبئة والأمبلاج وألا نسمح في ذلك بالهدر وسوء الإدارة .

ونحمد الله على أن السيد رئيس الجمهورية قد وجه الجميع الى إعطاء كافة الجهود للزراعة التي صارت في مركز الاهتمام .

ولقد كان عملنا لفت نظر المسؤولين الى كل ما تشكو منه الأسرة الاقتصادية مساهمة في التوجيه الرسمي وتحقيقه .

ولذلك نلفت النظر الى النزعة الاستهلاكية التي واكبت نهضتنا وطلبنا بأن نكافح الهدر ونرشد الاستهلاك ولفتنا النظر الى خطر التضخم الذي يأكل الكثير من الانجازات ويؤثر على القوة الشرائية والمستوى المعيشي لأصحاب الدخل المحدود . ومع ذلك فاننا نؤكد أن وضعنا الاقتصادي ، بوجه عام ، وضع سليم .

فنحن نؤيد قيام المصارف الرئيسية ببلادنا ومكتب القطع بدورها ونريد أن يتم القضاء على المضاربة بأسعار العملة السورية داخل القطر وخارجه ، غير أن هذا يستلزم أن تكون الدولة قادرة على أن تسيطر على هذه الأسواق بالتدخل السريع بيعاً وشراء .

وأود أن أشير بعد هذا الى أن رجال الأعمال في بلدنا يحظون بمكانة وبأذن مسموعة من المسؤولين ، والى أن المسؤولين يعملون ليل نهار . وكل هذا يترك انعكاسه الخيّر على بلادنا ، في حين تشكو بلاد كثيرة في العالم من المجاعة والاضطرابات وانعدام الاستقرار .

إن هذا الاتحاد أمانة في أعناقكم ولا ريب أنكم ستحملونها ما دمتم تعطون المصلحة العامة الصدارة .

اجتماع الهيئة العامة للغرف في دمشق

١٩٨٨/٨/٢٥

افتتحت الاجتماع بكلمة ترحيبية أشرت فيها الى تعاظم دور التجار في النهضة الانمائية الشاملة التي يقودها السيد الرئيس حافظ الأسد بشجاعة وحكمة وصواب ، ولا ريب في أن المسيرة جادة لتشجيع القطاع الخاص والمبادرة الفردية آخذة بعين الاعتبار معطيات التجربة التي مر بها القطر وأسفرت عن الاقتناع العميق بأهميته في تنشيط كل القطاعات وإيجاد مناخ جيد ومشجع لاطلاق إمكانياتها دون تمييز.

ان تقدير الدولة لاتحادنا أصبح أمراً ملموساً وقوامه التعاون والاتفاق وإيجاد الحلول الممكنة ولذلك نأمل بأن يأخذ الاتحاد كامل أبعاده كهيئة وطنية على مستوى القطر ويجند

قدراته لتوسيع نطاق الاستثمار المشترك والخاص على أساس الانتاج وتقليص مجال المضاربة والعمل العقاري .

وفي التقرير المقدم العديد من الأمثلة عن لوائح الأعمال المنجزة والخطوات الجارية لإغناء العمل المشترك والمفيد .

الاجتماع في غرفة تجارة دمشق

١٩٨٩/٣/٢٢

افتتحت الاجتماع الدوري للهيئة العامة لاتحاد غرف التجارة السورية بالترحيب بمن وفدوا بعزيمة وجد ليشاركوا في التخطيط والتوجيه والمتابعة ودفع عملية الاقتصاد الوطني .

وقلت أنني أشاطركم مشاعر التفاؤل بمسيرتنا وتعاظم دورنا في النهضة الانمائية التي يقودها الرئيس الأسد بمنتهى الشجاعة والحكمة والصواب ، ومن جملة مرتكزاتها تشجيع القطاع الخاص والمبادرة الفردية وتعاون القطاعات في مناخ جيد واطلاق امكاناتها دون تمييز .

وقد لمستم مدى تجاوب الجهات المسؤولة بالقول والعمل مع ملاحظاتنا وآرائنا حول الاحتياجات وان محادثاتنا مع الجانب الحكومي تتم بروح التعاون والاتفاق وايجاد الحلول الممكنة . ان نظرة الدولة الى اتحادنا تشع بالتأييد والمساندة ليأخذ كامل أبعاده كهيئة وطنية على مستوى القطر ويجند قدراته لتوسيع الاستثمار المشترك والخاص في مجالات الانتاج ونبذ المضاربة في العمل العقاري، وكلما تقدمنا في هذا الاتجاه أقبل المسؤولون على تلبية مطالب القطاع الاقتصادي وتذليل كل صعوبة تطرأ على حركة التجارة المشروعة، وما أكثر الأمثلة على إيجابية العلاقات بين الجانبين.

وسوف تجدون في التقرير المقدم إليكم العديد من الأمثلة ولوائح المنجزات والخطوات الجارية من قبلنا لإغناء العمل المشترك بعد الاطلاع على إمكانات جميع المحافظات والتعرف على ما فيها من فرص وامكانيات .

واختتم بالتحية ورجاء التوفيق .

اجتماع اتحاد الغرف السورية. حمص

١٩٨٩/٩/٢١

بدأت ، بعد تحية الاجتماع ، بالقول اننا عندما لم يكن لدينا في القطر اتحاد للغرف التجارية كان العمل في هذا المجال مشرذماً متقطعاً ولا تنسيق بين الغرف ولا ترابط بين الأعضاء والمحور الأساسي يقتصر على دمشق وحلب . ونحمد الله اننا وفقنا منذ اثني عشر عاماً بصدور القرار ١٠٧٩ بإنشاء اتحاد غرف هذا القطر الذي لعب دوراً مرموقاً وحقق الكثير من المجالات الاقتصادية على المستويين القطري والقومي .

وقد كنت دائماً معكم في القناعة بضرورة استكمال اتحادنا شكله ومضمونه ليكون بشموله مؤهلاً وقادراً على أن يكون الدعامة والمرجع والمنبر لكل قرار واجراء وتدبير من أي نوع اقتصادي أو مالي أو نقدي . كذلك فانني كنت اتمنى أن يكون الاتحاد سنداً لكل عضو من الأسرة الاقتصادية في أي مجال من أجل خدمة الاقتصاد الخاص ، فباسمكم أرحب به وبممثليه الأوائل آملين بأن انضمامه يزيدنا قدرة وكفاءة وعملاً .

ولهذا فاننا نتمنى على المسؤولين استكمال تكوين اتحادنا في تنظيمه النهائي باستكمال تنظيم الغرف الصناعية والزراعية حتى تلتم كل الفعاليات الاقتصادية في مجلس شورى يتصدى لكل تشريع وبحث وقرار ويكون العين الساهرة المساعدة على تحقيق توازن معقول بين كل الفعاليات في القطاعات المختلفة .

ولا أخفي عنكم ان بعض أمثلة الخلل نتيجة التطور المتسارع قد ظهرت أخيراً كما في موضوع القطن إذ كان المزارع يقبض ١٢ ليرة ثمن كيلو القطن الذي ينتجه مما يشكل مردوداً متواضعاً لجهده ونفقاته ومخاطر الطبيعة وسائر النفقات والمصاريف مما يجعل الفائدة ضئيلة جداً بعد كل ذلك . ولذلك فان المسؤولين تنبهوا لما يمكن ان تجنيه بعض حلقات التوزيع المتحررة من كل نفقة وبلا أية مخاطرة ، والتفتوا الى محاولة التصحيح .

ان اتحادنا يمكن أن يكون المرجع لكل سياسة تضع التوازن بين الفعاليات والنشاطات والقطاعات ولكل مزارع وكل صانع ومهني وتاجر وعامل منتج لمساعدة عامة متوازنة لا خاصة فردية .

ان الأمور التي تحتاج الى عمل مخلص وجدير في الخدمة العامة والخاصة الفاعلة والمجردة ، تجعلنا أمام ضرورة ملحة تفرضها الظروف والتحديات والتطورات المتسارعة التي يشهدها العمل الاقتصادي ويبدو لي أن اتحادنا سيصبح متكاملاً في تكوينه شاملاً في نظرته منسقاً لمتطلبات جميع الفئات والفعاليات غنياً بأفكاره وتجاربه وآرائه ، يملك القدرة على الوفاء بكل ما يطلب من مستشار حكيم يقترح الحلول ويعطي الأجوبة لتحقيق العمل الاقتصادي الأمثل في سبيل خدمة وطننا الغالي بسرعة وبسهولة وفعالية .

والله من وراء القصد

الهيئة العامة للغرف السورية. غوطة دمشق. فندق ايبلا

١٩٩٠/٧/١٦

أتحدث من موقع الأخ والزميل المشارك معكم منذ أكثر من خمسين عاماً أكدت لي صواب مسيرتنا على كل المستويات وضرورة الارتقاء بها في مواكبة العصر وجعلها مثالاً وقدوة .

إن تعاظم الوزن النوعي لاتحادكم وتعامل الجهات الرسمية معكم كفعاليات مسؤولة في مسيرة التنمية جعل كلمتكم مسموعة والجهات الرسمية تدرك وضوح رؤيتنا للمسيرة الاقتصادية ونحن ماضون في التعاون معها بإيجاد آلية التنشيط لكل عمل انتاجي يفيد الوطن .

لقد أدرك القطاع الخاص أهمية دوره ومبادراته ، واتحادكم منذ تأسيسه تحول الى هيئة قومية تمثل المصالح التجارية لجميع الغرف وتنسق مع الهيئات الشقيقة في البلاد العربية من أجل الوحدة الاقتصادية . كما أن تعاوننا مع وزارة التموين أوصلنا الى اجراءات أفضل لتحسين أداء القانون وتقليل حالات التعسف في الرقابة التموينية .

وها نحن نفخر بتقدير السيد الرئيس الأسد لقطاعنا المنتج والبناء ، كما نفخر بنجاح عدد من زملائنا في مجلس الشعب الجديد مما يؤمن مشاركة في أعمال السلطة التشريعية ويعزز رصيدنا الوطني والأخلاقي ويدعم حرص الدولة على تحديث القوانين وتنشيط الاقتصاد .

إن سورية الحبيبة ، وطننا الصغير ، تنتظر منا المزيد من الجهد في دفع حركة البناء وابتكار وتنويع طرق التنمية وتنشيط العامل الذاتي فنحن في عالم يتعامل مع الكفاءة والفاعلية ويبحث جاهداً عن حلول حاسمة للتخلف والفقر نعتقد أنها كامنة في نفوسنا وأفكارنا جميعاً، ونحتاج الى اندفاعة صادقة في العمل الجاد لتطوير الانتاج في الحالات الزراعية والصناعية والتجارية والسياحية ، وان نكافح شهوات المجتمع الاستهلاكي للهدر والتبذير عن طريق تقليص استيراد الكماليات .

لقد صمدت سورية رغم الصعاب وانهيار أسعار النفط وغياب المساعدات ، وبرهنت على إمكان الاعتماد على الذات ، وهذا ما نشارك فيه ونعتبره جزءاً من مسؤولياتنا ومهامنا .

نسأل الله العون والتوفيق وتسديد الخطا

اجتماع الهيئة العامة للغرف السورية

حماة ـ ١٩٩٢/٧/١١

السادة الزملاء،
اخواني وأبنائي..

يحق لنا ونحن نلتقي اليوم على مستوى اتحاد غرف التجارة السورية أن نجهر بفرحة الانجاز وقوة التطلع الواثق الى المستقبل، وأن نؤكد ارتياحنا الى تطور ونمو هذا الصرح النقابي المتين الذي تضافرت جهودنا لجعله هيئة فاعلة مسؤولة تمارس دورها في البناء الاقتصادي والمشاركة الموضوعية في صنع القرار.

على صعيد هذا الاتحاد تلاقت جهود غرف التجارة في جميع المحافظات وتحولت الى قوة بنّاءة تخطط لتطوير العمل التجاري وتثقيف الكوادر وتحديث التجهيزات وإقامة الندوات اللازمة للاطلاع على المستجدات العالمية، وتوثيق العلاقات مع المنظمات الاقتصادية العربية والعالمية، لكي نواكب التحولات الكبرى بالتفهم والمتابعة والامداد.

لقد أقام اتحادنا هذه الجسور مع الوطن العربي والكتل الاقتصادية الكبرى وما زال طامحا الى المزيد آملا الاستفادة من كل تطور إيجابي في علاقات التبادل والتعاون الاقتصادي، ودعم كل جهد محلي يفيدنا في سباق الأمم على الكفاءة والنتاج.

قبل قيام هذه الهيئة كانت أصواتنا مفرقة ومتباعدة لا تسمع، وكان اتحاد العمال الذي يضم أربعا وثمانين نقابة عالي الصوت مسموع الكلمة يتحمل مسؤولياته في الدفاع عن مصالح الأخوة العمال ومتابعة مطالبهم والاعداد لمستقبلهم، ويحق لنا أن نتخذ المسار نفسه بوصفنا مواطنين منتجين فاعلين يتنامى دورنا في التنمية يوما بعد يوم، وليس له بديل.

واليوم نراجع ما تم عمله خلال السنوات القليلة من عمر الاتحاد، ونشعر بأنه احتل الموقع المتناسب مع دوره وأهميته، وتم تمثيله في هيئات صناعة القرار الاقتصادي كجهة يجب الاسترشاد بخبرتها وتجربتها وآرائها.

وبفضل ثقة الرئيس حافظ الأسد بدور القطاع الخاص وقدراته غير المحدودة على رفد البناء الاقتصادي، وعلى نهج التعددية الاقتصادية الذي أعطى أفضل الثمار، أصبح اتحادنا منبر الأسرة التجارية ورجال الأعمال، يجمع بينهم وبين المسؤولين في لقاءات نقاش حر وتبادل صريح للآراء، وعرض طليق للحالات التي تستوجب الشكوى والنقد والمراجعة. وأصبح اتحادكم مرجعا للوزارات والمؤسسات بمختلف أنواعها لطلب الخبرة والاستشارة والرأي، وطلب الدراسة والتعقيب على أي قرار أو تشريع له صلة بالنشاط التجاري، وأفضل مثال على هذه العلاقة المسؤولة التواجد الفعال للاتحاد في لجنة ترشيد الاستيراد والتصدير والاستهلاك التي صدرت بقرار من القيادة القطرية برئاسة السيد رئيس الجمهورية حافظ الأسد والذي أضاف على أعضائها رئيس غرفة تجارة دمشق، وتتمتع هذه اللجنة بأوسع الصلاحيات، وفي طليعتها اصدار القرارات النهائية في جميع مجالات التجارة الخارجية.

وبتواضع لا يخلو من الاعتزاز، نعيد الى الأذهان مساهمة الاتحاد من خلال أعضائه وممثليه، في تشجيع وانجاح التوجيهات الاقتصادية الجديدة التي قلبت ميزان سورية التجاري من العجز الى الفائض، وأتاحت لنا مضاعفة رقم التصدير عدة مرات في فترة زمنية قليلة، وفتحت أمامنا أهم الأسواق العالمية.

من الواضح أن هذه القفزة النوعية هي وليدة انطلاق المبادرات الانتاجية في جميع محافظات ومناطق القطر، وكان نصيب الأخوة أعضاء الاتحاد في هذا التحول الواسع كبيرا وملموسا، غير أن طموحنا يتخطى الأرقام الراهنة وينشد سد جميع الثغرات التي ظهرت في مسار الانطلاق، وأهمها إقامة صناعة كبرى للتعبئة والتغليف تضمن ايصال منتجاتنا سليمة الى الأسواق المجاورة والأسواق البعيدة دون عقبات.

ولن ننسى في هذا المجال أن هذه المبادرات حينما تقترن بتطوير القوانين والأنظمة هي التي ستؤمن أوسع الفرص للشريحة الكبرى من المحتاجين الى فرص العمل، أو الباحثين عن مجالات توظيف ناجحة تؤمن لهم دخلا اضافيا لمواجهة أعباء المعيشة، وهي التي ستقنع المغتربين بأن سورية هي المكان الأفضل والأكثر جدوى لاستثمار أموالهم.

نرجوا أن يترفع اتحادكم عن المصالح الفردية والآنية لأي عضو من أعضائه، وأن يرتقي في نهجه وتفكيره الى المستوى الوطني، ويجند طاقاته لدعم مسيرة البناء والتقدم التي قادها السيد الرئيس حافظ الأسد، ووفر لها شروط الدعم والنجاح. وهو الآن همزة الوصل

ومركز العلاقات بين غرف التجارة العربية والاسلامية والغرف العربية الأوروبية والأمريكية والآسيوية، يقدم ما تحتاجه من خدمات واستشارات، وفي الوقت نفسه يمثل سورية فيما تريد إقامته من معارض خارج القطر، أو فيما تريد الدول العربية والأجنبية اقامته داخل القطر، اضافة الى المشاركة النشيطة في جميع الندوات والمؤتمرات الاقتصادية، حيث يعتبر لسان حال الغرف السورية ورجال الأعمال السوريين بأمانة وصدق.

على امتداد السنوات القليلة من عمر الاتحاد، استطاع الظهور كهيئة فعالة طموحة برهنت على أهميتها وفاعليتها واستحقت المزيد من التأييد والدعم، وفي كل ملتقى جديد نشعر بأن الاتحاد مدعو الى مهام أوسع نطاقا في جميع الاتجاهات، ونحن الآن أمام مرحلة تتسم بوجود آفاق عريضة للانتاج والتصدير والاستثمار لم يسبق لها مثيل، تعتمد على المبادرة الفردية والسوق الطليق والتحرر من قيود الروتين والبيروقراطية، ولا بد لاتحادنا من أن يواكب هذه المرحلة بالرأي والدراسة والمقترحات مسترشداً بخبراتكم وتجاربكم، ومستفيداً من ثقة الدولة وعونها.

وفي ضوء هذه المهام المتعاظمة، أوصيكم بدعم الاتحاد، هذا الصرح الفتي الكبير، ومؤازرته في مواجهة مسؤولياته على الجبهة الاقتصادية الوطنية التي نعمل فيها جميعاً لتحقيق الازدهار والرفاهية والبحبوحة لكل مواطن، في عالم يسوده التنافس على الكفاءة والابتكار والابداع.

وكخطوة. . أرى ضرورة انشاء مركز لائق لاتحادنا هذا، يتضمن جميع الأجهزة الحديثة والتجهيزات، اضافة الى القاعات والمكاتب والمراجع، بحيث يتناسب مع أهمية هذا الصرح الهام، ويتلاءم مع مهام الدور الرائد الذي يترتب على هذا الاتحاد أن يلعبه. وهذا يتطلب منا جميعاً اعطاءه اهتمامنا الحثيث والفعال، فيبدأ بالموافقة على هذه الفكرة ويتبعها وضع خطة استراتيجية واقعية لكيفية اخراج هذا البناء لحيز الوجود.

وسلفا أقول لكم بأن جميع الغرف الأعضاء ـ مؤسسات وأفراداً ـ مدعوة بأن تساهم المساهمة الفعالة في الجهد والدعم المالي المطلوب. أرجو أن تتم الموافقة، وآمل بأن الخطى العملية المطلوبة ستأخذ مجراها بسرعة وجدية.

أرجو لاتحادكم هذا كل التوفيق والانجاز والازدهار.

والله ولي التوفيق. . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

البَابُ الثّالث :

آراء اقتصاديّة
حَول الاقتصاد العَربي السّوري

الباب الثالث

اراء اقتصادية
حول الاقتصاد العربي والسوري

النشاط الاقتصادي العربي

بعض من صور هذا النشاط كما تجلت
في كلمات ألقيتها ومحاضرات وقرارات اتخذت في لقاءات غرف التجارة العربية ، وسواها من المناسبات ، في مختلف
الدول والبلاد العربية والأجنبية

إن تشريف اخواني لي بانتخابي رئيساً لاتحاد الغرف التجارية السورية وأن أترأس اتحاد الغرف العربية بين الحين والآخر حين انعقاده في سورية ، هو الذي جعلني أحظى بلقاءات كثيرة وممتعة وعلى مدى أكثر من عشرين عاماً مع كبار رجالات التجارة والاقتصاد العرب والأجانب ، كما ألزمني بالقاء كلمات في هذه المناسبات وكثيراً ما كانت مناسبات رسمية يحضرها كبار المسؤولين السياسيين والاقتصاديين .

فليأذن لي القارىء الكريم بأن أسجل بعضاً من هذه الكلمات وأن أذكر بعضاً من المقترحات والقرارات التي اتخذت في حينها مع الإشارة الى ما فعل الله بها بعد حماسة اللحظة التي أنتجتها ، والعبرة للنتائج بطبيعة الحال غير أن ذكر النوايا الحسنة يفيد في تذكير أصحاب المسؤولية والرأي في عالمنا الاقتصادي العربي بخطورة ما دعونا إليه ، وفي أنه لم

يفت الأوان أبداً لتحقيق ما يمكن وينفع . والتقدم يبدأ دائماً بحلم جميل وتوقع خيِّر ، ثم يكون الباقي على همم الرجال ومن مسؤولية الرجال .

ولعل في هذا التوثيق ما يشكل نوعاً من الخارطة الاقتصادية ذات بعدين أحدهما يتصل بالمردود المرتجى والآخر بالزمن الذي يمضي ولا يستعاد ، وفي كل ذلك عبرة لمن اعتبر .

الاقتراح بإيجاد نقد عربي موحد ومصرف عربي
المقدم من وفد الغرفة السورية
الى مؤتمر الخرطوم المنعقد بتاريخ ١٩٧١/١/١٦

«إن تعدد النقد واختلافه في الأقطار العربية ، هو عقبة كأداء في سبيل تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية المنشودة ، وأن استمرار التعامل بالعملات الأجنبية كالدولار والاسترليني بين الأفراد العرب في تنقلاتهم في الأقطار العربية وبين الحكومات العربية في تنفيذ اتفاقياتها مع بعضها ، هو نقطة ضعف خطيرة تهدر كيان الاقتصاد العربي وكرامته ، لذلك فإن الوفد السوري يتقدم بالاقتراح التالي :

توصية المكتب الدائم بإعداد دراسة فنية لمشروع مصرف عربي مركزي ، تساهم فيه كافة الدول العربية تكون مهمته :

اولاً ـ اصدار دينار عربي موحدتكون قوته مماثلة لقوة العملات الأجنبية الرئيسية يصلح للتعامل :

أ ـ بين الأفراد العرب أثناء تنقلهم في الأقطار العربية بدلاً من الدولار والاسترليني والعملات الأخرى .

ب ـ بين الحكومات العربية في تسديد حساباتها وتنفيذ اتفاقياتها النقدية فيما بينها .

ثانياً ـ اصدار شيكات سياحية تصلح للتعامل في الأقطار العربية والبلاد الأجنبية بدلاً من الشيكات السياحية الأجنبية ، ثم عرض هذه الدراسة على مجلس الاتحاد لاقرارها والعمل على ابرازها الى حيز الوجود .

والوفد السوري يرى أن تحقيق هذا المشروع سيكون نواة لتوحيد النقد في البلاد العربية في المستقبل وبالتالي سيساعد على تحقيق الوحدة العربية المنشودة» .

وبعد دراسة الاقتراح ، اتخذ مؤتمر الغرف العربية المنعقد في الخرطوم خلال الفترة من ١٦ الى ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٧١ ، التوصية التالية

«يكلف المؤتمر المكتب الدائم بتقديم دراسة تمهيدية بصدد انشاء جهاز نقدي عربي يعنى بأمور المقاصة ، وتسهيل معاملات انتقال البضائع والرعايا العرب بالعملات الوطنية وغير ذلك من الأمور النقدية ، وتقديمها الى مجلس الاتحاد بدورته القادمة» .

زيارة وفد الغرف التجارية والصناعية السورية الى بلاد الخليج ـ ١٩٧٢

نشأت فكرة ارسال وفد تجاري لزيارة دول الخليج العربي منذ كانون الأول ١٩٧١ من أجل الاتصال بأعضاء الجاليات السورية في هذه الدول واعطائهم فكرة عن الأوضاع الجديدة في البلاد ودراسة أسواق دول الخليج لمعرفة الامكانيات المتاحة أمام التبادل التجاري معها ، وإقامة أسواق جديدة في المنطقة ، وتشجيع الاصطياف في سورية وأخيراً تشجيع العمل في المناطق الحرة .

ساهمت في تنظيم الجولة وتمويلها غرفتا تجارة دمشق وحلب وغرفتا الصناعة فيهما وعدد من التجار المرافقين بصورة شخصية ، وكان ذلك بموافقة رئاسة مجلس الوزراء ووزارات الاقتصاد والتموين .

غادرنا دمشق يوم ١٩٧١/٤/١٥ وكانت محطتنا الأولى في الكويت .

الكويت

فلما بلغناها استقبلنا فيها بحفاوة كبيرة من زملائنا في غرف التجارة والصناعة الكويتيين ونظمت لنا زيارات وأقيمت مآدب وتعرفنا الى أسماء التجار والمستوردين للأصناف السورية . وبعد أن شرحنا لهم الأوضاع الجديدة في سورية المبشرة بالخير وجدنا ما يلي :

١ ـ **حول التمويل** ان الكويتيين كانت لهم تجارب حادة مع سورية (كما في أمر السيدين المرحوم عبد الله العثمان والسيد يوسف الفليج) ولا بد من حل المشاكل القائمة إذا شئنا تقوية الصلات واستدراج الأموال الجديدة.

٢ ـ وقد كانت الصادرات السورية تحتل مكاناً لائقاً ولكن بضائع أخرى أرخص حلت محلها فصارت استعادة مكانة الصادرات السورية تحتاج الى جهد إضافي ويزيد من هذه الصعوبة اجراءات الروتين السورية التي لم يتعود عليها التاجر الكويتي ، والمنافسون هم اليابانيون والكوريون .

٣ ـ يحب الكويتيون الاصطياف في سورية ولكن يتضايقون من اجراءات التفتيش على الطرقات ومن عدم توفر الراحة في كل المصايف السورية .

٤ ـ وقد شرح وفدنا ما تم من انشاء للمناطق الحرة ولكن مع تشجع الكويتيين حولها يتخوفون من إيقاف عمليات الترانزيت بسبب الخلافات السياسية العربية التي تذهب بجدوى هذه المناطق .

٥ ـ وأوضح وفدنا أهمية اتجاه الدولة الجديد للقطاع المشترك .

أما الجالية السورية في الكويت فقد أبدت استعدادها لدعم الاتجاه الجديد في سورية غير أن هناك تساؤلات عن أوضاع المغتربين السوريين ومدى التسهيلات التي يمنحها وطنهم لهم كإدخال أثاثهم وغيرها لتشجيعهم للعودة الى بلادهم كما شكا الكثيرون من ارتفاع الرسوم المفروضة على سياراتهم عند إدخالها مؤقتاً الى سورية كما يأملون في اجراء يساعد على ادخالها عند عودتهم نهائياً الى البلاد .

أما الملاحظة الأخيرة فهي تطبيق قانون خدمة العلم الالزامية وكذلك الاحتياطية على الشباب السوريين العاملين في الكويت ومثل ذلك يقولون عن الاحتفاظ بالخدمة ويأملون أن يشمل دفع البدل النقدي أولاد المغتربين.

الشيخ راشد المكتوم

بهذه المناسبة وعند تحرير هذا الكتاب في عام ١٩٩٢ وبمناسبة وفاة الرجل الكبير الشيخ راشد المكتوم رأيت أن أسجل بعض خواطري عن هذه الشخصية العظيمة في ميدان الاقتصاد والادارة وبعد النظر.

يدفعني شعور طاغ بالاعجاب والتقدير الى تسجيل هذه الخواطر عن ظاهرة النهضة في إمارة دبي بوصفها انجازاً نادراً تحقق في زمن قياسي وتم بهمم طموح الرجال ، وأصبح مثالاً للتقدم والابداع الحضاري في وطننا العربي يستحق أن يحتذى به في عالم البناء والاعمار .

ونظراً لصلاتي الوثيقة واطلاعي المباشر على مراحل هذا الانجاز أرى من واجبي الحديث عنه في مذكراتي بشيء من التفصيل وأذكر أنني ـ بناء على طلب الجهات المسؤولة ـ توجهت في عام ١٩٧٢ الى الخليج العربي على رأس وفد من أعضاء الغرف التجارية السورية سبق أن ذكرتهم في كتابي السابق .

وقد زار الوفد الكويت والبحرين وقطر وأبو ظبي ودبي وقابل رؤساءها ووضع تقريراً عن هذه الزيارة ، وما زلت أذكر أن إمارة دبي كانت أكثر الإمارات الخليجية نشاطاً ونمواً وتقدماً . وتشتمل على مظاهر العمران وجودة الخدمات ومرافق السياحة ، ولاحظت آنذاك أن خور دبي كان في ذلك الحين يستقبل أكثر من أربعين سفينة في اليوم الواحد تحمل البضائع الى إيران والباكستان والهند ، وفي دبي عدة فنادق على مستوى محترم بينما لم يكن في إمارة أبو ظبي آنذاك غير فندق صغير فيه عشرون سريراً تقريباً .

وخلال مقابلة الوفد للشيخ راشد المكتوم لمست علو همته وسعة اطلاعه وشدة اهتمامه بالتجارة والعمران وطموحه لتنفيذ المشاريع الكبيرة التي تحقق التقدم السريع للإمارة ، وقد شجعتني هذه المقابلة على تكرار زيارة دبي عدة مرات بمناسبة المؤتمرات التي عقدت في الخليج .

اشتد التنافس بين الإمارات على التقدم والعمران اقتداء بإمارة دبي ، وكانت الشارقة بقيادة حاكمها الشيخ سلطان ، وإمارة عجمان بقيادة الشيخ حميد تتسابقان على اللحاق بدبي ، ورغم ما تحقق من هاتين الإمارتين بقي الفارق .

خلال هذه الزيارة لبيت دعوة كريمة من حاكم الشارقة الدكتور سلطان القاسمي وكان مقعدي بجواره على مائدة الطعام وتبادلت أطيب الحديث معه ، وحدت بي هذه البادرة الجميلة الى تكرار زيارة الشارقة ، ومتابعة الاتصال .

وأتيح لي إقامة علاقات وثيقة مع حاكم عجمان الشيخ حميد . ونشأت صداقة حميمة بيني وبين شقيقه المرحوم الشيخ علي النعيمي ، وأبنائه ذوي الثقافة العالية والذين يشغلون مراكز عالية في دولة الإمارات وما زلت أكن لوالدهم كل احترام وتقدير ، وكان صهري السيد خلدون الرملي صديقه الوحيد ويتمتع برعايته ورعاية أولاده وفقهم الله .

هذه لمحة عن اتصالي بالخليج العربي ورؤسائه ، وانطباعي عن هؤلاء الرجال الذين حققوا النهضة الرائعة لإماراته المزدهرة ، وقد أردت تسجيل إعجابي بانجازاتهم وفاء لحقهم وانصافاً لجهودهم وإنني إذ أبدأ الآن بإمارة دبي فلا بد لي من متابعة الحديث عن بقية الإمارات التي تمضي في التنافس على البناء والتقدم لمصلحة الانسان .

يعود الفضل في نشوء دبي كمركز تجاري بحري في الخليج منذ القرن الرابع قبل الميلاد الى خور دبي ، وهو لسان مائي يمتد في اليابسة حوالي ١٦ كيلومتراً مشكلاً ميناء طبيعياً لرسو السفن التي كانت تنقل البضائع من الهند والصين شرقاً الى القارة الأوروبية .

غير أن دبي عرفت السلطة المنظمة منذ تسلم آل المكتوم زمام الأمور ، وذلك في عام ١٨٣٣ حينما ارتحل إليها من أبو ظبي ثمانمائة شخص من عشيرة بوفلاسة وهي بطن من قبيلة بني ياس ، وعلى رأسهم عبيد بن سعيد ومكتوم بن بطي ، وقد استقر هؤلاء في دبي ووقعوا اتفاقاً للمهادنة البحرية تعهدوا فيه بعدم الاقتتال مع القبائل الأخرى في مواسم صيد اللؤلؤ.

وكان مكتوم بن بطي بن سهيل أول حاكم لدبي واستمر في إدارة شؤونها منذ عام ١٨٣٣ حتى وفاته في عام ١٨٥٢ ، وخلفه شقيقه سعيد بن بطي في حكم دبي حتى وفاته في عام ١٨٥٩ حيث آل الحكم الى حشر بن مكتوم الذي تولى السلطة الى عام ١٨٨٦ وخلفه راشد بن مكتوم حتى وفاته في عام ١٨٩٤ وتلاه مكتوم بن حشر حتى وفاته في عام ١٩٠٦ وبعده حكم بطي بن سهيل بن مكتوم حتى عام ١٩١٢ ، ثم آلت السلطة الى سعيد بن مكتوم حتى وفاته في عام ١٩٥٨ وخلفه ولده المرحوم راشد وخلال هذه الفترة في عهد الشيخ راشد ووالده سعيد شهد ميناء دبي ازدهاراً سريعاً في ظل الاستقرار والحرية والوعي

والأمن جعله الميناء الرئيسي للمنطقة ، وأصبحت دبي المركز التجاري البحري لها نظراً لموقعها المتوسط بين إمارات ومدن الإمارات المتحدة ولتطور مرافقها وخدماتها ولا سيما بعد أن تم تعميق الخور - بفضل همة المرحوم الشيخ راشد وتنظيم شطآنه بحيث أصبح صالحاً لرسو السفن الكبيرة والقاطرات والناقلات .

بلغت دبي قمة ازدهارها ونهضتها في عهد المرحوم الشيخ راشد بن سعيد المكتوم الذي تولى الإمارة إثر وفاة والده في عام ١٩٥٨ ، إلا أنه كان منذ عام ١٩٣٨ حينما أصبح ولياً للعهد يشارك في تسيير أمور البلاد في كنف والده واكتسب حنكة ودراية وبصيرة نيرة ساهمت مع ذكائه وعلو همته وحرصه على المشورة واشراك من حوله بالقرارات في وضع دعائم البنية الأساسية للنهضة الشاملة .

ومنذ تولي الإمارة رسمياً في عام ١٩٥٨ جند كامل طاقته وخبرته وذكائه في تحويل دبي الى مركز عالمي للعمل والتجارة فكان المهندس الأول لتطويرها والمحرك لكل عمل خلاق فيها ، والعقل المفكر وراء كل مشروع ، والقوة الدافعة للتنفيذ السريع ، بل كان يبث في كل من حوله بروح الإقدام والمبادرة ويحثهم على المتابعة وتحمل المسؤولية .

يبدأ برنامجه اليومي بعد صلاة الفجر بجولة تفقدية تستغرق ساعتين أو أكثر يطلع خلالها على سير العمل في تنفيذ المشاريع ، ثم يعود الى منزله لتناول إفطاره ويتوجه عقب ذلك الى مكتبه حيث يستقبل المواطنين والزوار من رجال أعمال ومصرفيين ومقاولين ومراجعين ويعمل لتصريف الأمور بأناة وصبر ، وقد عرف برحابة الصدر وتقبل النقد البناء بتواضع والتقاط الأفكار الجيدة للاستفادة منها .

وبعد استراحة الظهيرة يستأنف الشيخ راشد نشاطه برعاية المشاريع الجديدة ليعود بعد صلاة المغرب الى استقبال الناس في مجلسه بقصر الجميرا حيث يفتح الحوار وتناقش الآراء ويجري التحليل لكل الوجوه حتى يصل سمو الشيخ الى قرار يطمئن إليه ، على هذا الصعيد من الشورى والانفتاح الاقتصادي وتشجيع النشاط الخاص تجلت قدرة الناس على البذل والعطاء .

وقد أثمرت سياسة استقطاب الخبرات وتشجيع المبادرات أن إمارة دبي احتضنت أكثر من ستين جنسية تعمل بنشاط في جو من سيادة النظام واحترام الحريات والتعايش البناء .

منذ عام ١٩٦٤ لعب الشيخ راشد دوراً حاسماً في افتتاح أول بنك في دبي وناب عن والده في المفاوضات وأصر على أن تتضمن الاتفاقية التزام ذلك البنك وهو البنك البريطاني للشرق الأوسط بتوظيف مواطنين من دبي في الأعمال الكتابية ، وكانت هذه الخطوة خدمة كبيرة لتجار دبي الذين كانوا يحتفظون بأموالهم في صناديقهم الحديدية.

وأعاد الشيخ راشد تنظيم الجمارك فوضع رسوماً معتدلة على البضائع المستوردة لا تزيد عن ٤ر٢٥ بالمائة فنشطت التجارة وعادت الرسوم بدخل للإمارة بلغ مليوناً و٤٠٠ ألف روبية في عام ١٩٥٠ ، وكان مبلغاً جيداً في ذلك الحين .

أما الخطوة الكبرى فكانت تنظيف وتعميق خور دبي وهو ممر مائي يخترق عمق المدينة ويقسمها الى شطرين هما (بردبي) و(ديره) ولكن الرمال المنحدرة من شواطىء الخور سدت مجراه المائي في مطلع الخمسينات وأعاقت حركة الملاحة فيه فبادر الشيخ راشد الى تكليف هالكرّ وشركاه البريطانية بدراسة المشكلة ووضع الحل ، وتولى بنفسه تذليل عقبة التمويل فأصدر سندات مالية خاصة بخور دبي باعها الى التجار لتمويل عمليات المسح ، وفي عام ١٩٥٨ رتب قرضاً مقداره نصف مليون جنيه استرليني من الكويت لتمويل الحفر والتعميق ، وكان الشيخ راشد يجتمع بنفسه يومياً مع المهندس المشرف لمتابعة التنفيذ حتى تم تعميق الخور وقامت الحواجز الاسمنتية والحديدية على جوانبه لمنع تراكم الرمال وبذلك حققت بداية التطور الكبير في الحركة التجارية .

وتبعاً لتنامي التجارة في دبي وقدوم البواخر الكبيرة إليها قرر الشيخ راشد انشاء ميناء عميق يستقبل السفن التي يبلغ غاطسها ثلاثين قدماً ، وبوشر في عام ١٩٦٨ تنفيذ هذا المشروع ، وفي عام ١٩٧٢ تم الافتتاح الرسمي لميناء راشد بكامل مراسيه العشرة ومستودعاته التي تبلغ مساحتها ثمانين ألف متر مربع . ولكن طموح الشيخ راشد تجاوز هذه الأحجام ، فطلب من شركه هالكر وشركاه أن يحتوي الميناء على خمسة عشر مرسى مع إعداده لتوسع مستقبلي بحيث يستوعب سبعة وثلاثين مرسى ، ويستطيع استقبال وتفريغ عشرات السفن في وقت واحد .

أمر الشيخ راشد أيضاً بإنشاء ميناء عملاق في جبل علي يستقبل أربعاً وسبعين سفينة في وقت واحد ، وقد بلغت تكاليف هذا الميناء العملاق ثمانمائة مليون جنيه استرليني واشتمل على ٦٦ مرسى بالإضافة الى مرسى خاص لناقلات النفط ، ومرسى خاص لمصنع

ألمنيوم دبي ، والواقع أنه أضخم ميناء من نوعه في الشرق الأوسط . وقد عزز مكانة دبي كمركز تجاري رئيسي في الخليج العربي والشرق الأوسط ، وألحقت به منطقة حرة تعمل فيها الشركات بعيداً عن التعقيدات الإدارية ، و٤٠ بالمائة منها شركات عربية .

وفي وقت مبكر خطط الشيخ راشد لانشاء مطار دبي الذي بدأ يستقبل الطائرات منذ عام ١٩٦٠ ، وتم تحديث مدرجه المرة تلو الأخرى فأخذ باستقبال طائرات الجامبو العملاقة من عام ١٩٧١ ، وأنجز التوسيع الأخير في عام ١٩٨٦ ، وتشير التقارير الى أن عدد الركاب الذين يستخدمون هذا المطار سنوياً يزيد عن ثلاثة ملايين ، فهو بحق من أبرز معالم دبي الحديثة ، ومن أفضل مطارات المنطقة كفاءة وتجهيزاً .

وتوالى سيل المشاريع دون توقف ومن أبرزها الحوض الجاف الذي وقع الشيخ راشد عقد تنفيذه في أواخر عام ١٩٧٣ وأنجز خلال خمس سنوات ، ويشتمل على ثلاثة أحواض عملاقة يتسع الكبير منها لناقلة من حمولة مليون طن وهذا الوزن لم يصنع بعد في العالم كله ، وألحق بالحوض الجاف مشروع جداف دبي الذي يقدم الخدمات والتسهيلات للمراكب الخشبية ، ويتسع لأربعين مركباً في آن واحد ، وقد جهز بمحطة كهربائية خاصة لتزويد الروافع بالكهرباء .

وهناك مشروع تسييل الغاز ويعالج هذا المصنع الغاز المرافق في حقول النفط ويحوله الى آلاف البراميل من الغازات المكثفة التي تستعمل في تشغيل العنفات وتوليد الكهرباء اللازمة لتشغيل مصنع الألمنيوم الضخم الذي أنشىء بمرسوم خاص من الشيخ راشد ويزيد انتاجه عن ١٥٠ ألف طن من الألمنيوم ، وألحقت بهذا المصنع محطة لتحلية المياه تنقل إليها الحرارة الضائعة لانتاج الماء العذب من البحر وتبلغ طاقتها /٢٥/ مليون غالون يومياً .

يضاف الى هذا كله مصنع الكابلات والأسلاك الكهربائية في جبل علي ، أما مشاريع الخدمات الحضارية اللازمة لرفاه الانسان فتملأ قائمة كبيرة ترى فيها مشافي راشد ودبي والأمل والمراكز الصحية العديدة وشبكات الصرف الصحي التي تكرر المياه وتجعلها من جديد صالحة للري ، فضلاً عن مشاريع الطرق والجسور والأنفاق .

نتيجة لهذه العوامل التي كانت ثمرة لبعد نظر وقدرة المغفور له الشيخ راشد بن سعيد حققت دبي نمواً متصاعداً وقياسياً حتى أنها تضاعفت من حيث الحجم خلال خمس

سنوات آخرها عام ١٩٩٠ وتابعت تحقيق نسبة نمو عالية رغم انعكاسات الحرب العراقية ـ الإيرانية وبعدها حرب الخليج بفضل بنيتها الاقتصادية التي ترتكز على التنويع ولا تعتمد على النفط ، ونظراً لقدرتها الذاتية على التكيف مع الظروف وللأداء الجيد في الأجهزة والمؤسسات .

وما دمنا في حدود انجازات المغفور له الشيخ راشد المكتوم فلا بد من الإشارة الى أهمية دوره في تجميع الإمارات المتصالحة وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة فقد ساهم في تأسيسها ورعايتها بحنكة وصدق ومتابعة ، وكانت البدايةلمسيرة الاتحاد قيام اتحاد بين إمارتي دبي وأبو ظبي وفي الثاني من كانون الأول ١٩٧١ أعلنت دولة الإمارات العربية المتحدة التي شملت دبي وأبو ظبي والشارقة وعجمان وأم القيوين وفي ١٩٧٣/٢/١٠ انضمت إليها إمارة رأس الخيمة .

وقد تولى منذ البداية منصب نائب رئيس دولة الإمارات ، وفي عام ١٩٧٩ تولى إضافة الى هذا المنصب رئاسة مجلس الوزراء وفي تلك المناسبة خاطب شعب الإمارات بما عرف عنه من بعد عن الكلام المنمق ، وابتهل الى الله ليوفقنا جميعاً للسير بالاتحاد في طريق التقدم وتوفير الأمن والرخاء لكافة المواطنين ابتداء من القرية الصغيرة النائية وانتهاء بالمدينة وأعرب عن ثقته بأن تعاون أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد (حكام الإمارات) وجميع المواطنين هو الذي سيمكنه من تحقيق الآمال العريضة التي يرجوها الجميع لبناء الانسان المؤمن بربه ووطنه .

ويسجل له موقفه المشرف من أزمة الشارقة حينما تعرضت لمحاولة اغتصاب الحكم فقد دافع عن حقوق الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة وأسفرت الأزمة عن إعادته الى السلطة معززاً مكرماً ، واقصاء المعتدي خارج الإمارة .

ومما يثلج الصدر أن سمو الشيخ مكتوم بن راشد الحاكم الحالي لدبي ونائب رئيس دولة الإمارات وأبناء المغفور له راشد وهم الشيخ حمدان والشيخ محمد والشيخ . . .يتابعون حمل الأمانة بعد والدهم الكريم بجدارة وفاعلية ومقدرة بحيث تستمر مسيرة الخير والتقدم في دبي ، ويتولى الشيخ حمدان بن راشد منصب وزير المالية والصناعة في دولة الإمارات العربية المتحدة وقد تميز بالكفاءة والدراية .

خلال ثلاثة عقود استطاع راشد تحويل دبي من دولة صغيرة في الخمسينات الى قطر عالمي يستقطب حركة التجارة بين الشرق والغرب ، ويصبح أهم مركز للأعمال والمال والتجارة في المنطقة يزخر بمقومات الحياة العصريةوخدماتها الأساسية بل إن دبي اليوم تمثل المحور والمركز في دائرة جغرافية واسعة النطاق ، وتستقر فيها مراكز تجارية لدول وشركات تعمل على أساس أن دبي هي قاعدة لسوق يشتمل على أكثر من مليار نسمة في الخليج والشرق الأوسط وشبه القارة الهندية وقسم من افريقيا الشرقية وتنصب فيها المنتجات من البلدان الصناعية المتقدمة في الغرب والشرق الأقصى ، ويعاد تصديرها الى أسواق هذه الدائرة الجغرافية الواسعة .

وبعد القطاع التجاري يرد الحديث عن القطاع السياحي فقد أقيمت فنادق دولية من الدرجة الأولى وأنشىء نادي الخور الذي يضم مجمعاً سياحياً ورياضياً وأنشئت في بردبي حديقة واسعة بين جسر المكتوم وجسر الفرهود بلغت تكاليفها نحو ١٤٠ مليون درهم يقام فيها فندق دولي كبير ، وأنشىء خور المحرز الملاصق لإمارة الشارقة ليكون مركزاً للرياضات البحرية وهواة البحر ، والى جانب حديقة عامة تشتمل على مسبح مجاور للخور والباقي حديقة عامة تشتمل على مختلف وسائل التسلية .

وتقع حديقة مشرف في منطقة مرتفعة ذات هواء عليل وأشجار كثيفة على أرض مساحتها حوالي ألف وخمسمائة دونم . في موقع على الطريق الموصل الى منطقة الخوانيج بالجزء الشرقي من دبي ، وقد غطت الحديقة المسطحات الخضراء وأقيمت فيها نماذج سكنية من مختلف أقطار العالم فغدت أشبه بقرية عالمية مختلطة تثقف الصغار وتعلم الكبار وفيها قاعة ألعاب مسقوفة للصغار ومكان لتقديم الوجبات الخفيفة ومقهى ، ويستطيع الزائر الدخول بسيارته لقاء رسم تجول بها على أن يضعها في الأماكن المخصصة لها تليها حديقة الصفا بين منطقة الجمير السكنية والطريق المتجه الى أبو ظبي وتبلغ مساحتها ثمانمائة وخمسين دونماً من المسطحات الخضراء والفسحات المشجرة تبرز فيها الأزهار وأشجار الزينة وتزخر بوسائل التسلية والألعاب .

وعلى الساحل مباشرة في منطقة جميرا السكنية جنوب غربي مدينة دبي تمتد حديقة الجميرا على أرض مساحتها ستمائة دونم وتنتشر فيها الأشجار وأحواض الأزهار وملاعب

الأطفال ، ولها شاطىء رملي جميل يزخر بالمتنزهين القادمين للمرح أو السباحة ، ويسمح بدخول السيارات الى الحديقة لقاء رسم على أن تستقر في الأماكن المخصصة لها .

وهناك حدائق أخرى أصغر مساحة يقصدها الناس أيام العطل ليمرح فيها أطفالهم ويستمتعون بجمال الأزهار والمسطحات الخضراء .

والقاسم المشترك بين هذه الحدائق والطرق والساحات هو النظافة التامة فلا تجد أثراً لورقة أو نفاية أو عقب سيكارة على الأرض ، ورغم أنه لا يقف أي شرطي عند مفرق طريق أوساحة فإن السائقين يتقيدون بالنظام ولا يقدمون على المخالفة ، وحتى أصحاب الدكاكين لم نر واحداً منهم تجاوز حدود محله ، ولم نسمع صوتاً لبوق سيارة مرة واحدة لا في الطرق ولا خارج المدينة .

البحرين

وفي البحرين التي وصلناها في ١٨/٤/١٩٧٢ لن نتحدث عن الاستقبال والحفاوة والوداع والاكرام وكلها كانت متميزة ، كما أن كبار المسؤولين استقبلوا الوفد واستمعوا الى إيضاحاته .

ولكن العقبة الأولى لتطور العلاقات مع البحرين هي عقبة النقل ولذلك بحثنا في السماح للطائرات السورية بالهبوط في مطار البحرين . وأخيراً فإن انطباع الوفد كان أن ليس من الممكن الدخول الى سوق البحرين ما لم يتأمن عنصر النقل للأفراد والبضائع .

أبو ظبي

وصلنا أبوظبي في يوم ٢١/٤/١٩٧٢ فلقينا استقبالاً حافلاً ولقاءات ودعوات واهتماماً شعبياً ، وتبين لنا أن الأمر هنا يشبه الأمر مع الكويت مع الفوارق التالية : فالبضائع السورية ليست معروضة في أبو ظبي مثلما هي في الكويت ، وإن المواصلات عقبة كبيرة ، وأخيراً وربما كان الأهم هو أنه لا توجد جالية عربية واسعة في أبو ظبي .

أما عن الاصطياف في سورية فيحتاج الى دعاية وتخفيض أسعار السفر . هذا وقد أبدى بعض المسؤولين في صندوق أبو ظبي للإنماء الاقتصادي العربي استعدادهم لتمويل مشاريع التنمية الصناعية والسياحية في سورية ولا سيما المشاريع ذات الربعية الفورية والجدوى الاقتصادية .

زيارة دبي

وفي ١٩٧٢/٤/٢٣ وصلنا الى مطار دبي فوجدنا استقبالاً حافلاً وحفلات ومآدب ترتقبنا ، وقمنا كما في المدن السابقة بشرح الأوضاع الجديدة في سورية فلقيت أقوالنا تفهماً ، ولكن بقيت تحفظات لدى أبناء دبي من استثمار أموالهم في سورية متحدثين عما جرى مع بعض الكويتيين لذلك فاستعادة الثقة تقتضي بذل الجهد الكبير . كما تحدث مستقبلونا عن صعوبة التعامل مع الشركات السورية بسبب أسلوبها في عرض البضائع وكذلك عمليات التصدير والشحن والتسليم كما اشتكوا من أن أسعار هذه البضائع بدأت تميل الى الارتفاع في حين تعرض بضائع أخرى أرخص .

ولما أوضحنا لهم أمر المناطق الحرة الجديدة التي يستطيعون بواسطتها تثمير أموالهم في مشاريعها ، أشاروا بمثل الملاحظة التي قدمها الكويتيون حول الترانزيت . وأبدوا نفس الموقف الذي أبداه الكويتيون فيما يتعلق بالمصايف السورية .

ولمس الوفد خلال زيارته لدبي حماسة السوريين لوطنهم وأبدوا نفس الملاحظات والشكاوى ، وتبين للوفد أخيراً أن مسألة المواصلات مسألة هامة وهي عائق كبير أمام الاقتصاد السوري .

قطر

وفي دبي ـ وكنت اضطررت للعودة الى دمشق لارتباطي بموعد مع وفد ياباني تجاري صناعي ـ ترأس الوفد رئيس غرفة تجارة حلب . وعند وصول الوفد الى مطار الدوحة في ١٩٧٧/٤/٢٥ وجد عين الحفاوة والاحتفالات الأخوية والرسمية . وقد تم لقاء الوفد مع

كثير من التجار ودارت أحاديث توضيحية وتبين أن شكاوى الأخوة في قطر وملاحظاتهم شبيهة بسواهم من تجار الخليج ، وكذلك أبناء الجالية السورية في قطر من حيث علاقاتهم بوطنهم وخدمة العلم وغيرها . ولمس الوفد امكانية تنشيط السياحة في المصايف السورية ولكن إذا أزيلت العقبات التي شكا منها اخوانهم أبناء الخليج الآخرون .

انطباعات عامة

وقد عدنا جميعاً ونحن نحمل انطباعات عن الظروف المواتية في اقتصاد الخليج وعن مدى التقدم الكبير في هذه الدول العربية ، ووجدنا أن اخواننا اللبنانيين سبقونا في الاستفادة من هذا التطور ولا سيما في مجالي إقامة الفنادق والتعهدات . كما لمسنا انخفاض التعرفات الجمركية في هذه البلدان فلا تتجاوز العشرة بالمئة إلا نادراً ، وبذلك نقول أن الخليج هو منطقة حرة عالمية حتى ما كان منها لا يتمتع بدخل نفطي .

وأخيراً فمن الانطباعات التي تولدت لدى الوفد نجد أن عدم حل مشكلة الأسهم المؤممة في سورية وعدم التعويض على حملة الأسهم ولا سيما المغتربون العرب غير السوريين تقف عقبة في وجه استعادة الثقة والطمأنينة .

إذن فلا بد من مواجهة الحقائق الباردة بالتدابير الحارة المتعلقة بتيسير انتقال البضائع والأشخاص والأموال ، ولعل من أبرز هذه التدابير وجود شركة شحن قادرة على تغطية الأرض العربية براً وبحراً وجواً ، ومن تنظيم جديد للتأمين أكثر فعالية ومرونة . وسيكون من أسباب دعم التصدير من سورية الى هذه البلدان أن تؤمن المواد الأولية اللازمة لإنتاج سلع التصدير في سورية بشكل جيد ، كما يكون ذلك بإعفاء المصدرات من الرسوم ودعمها بمكافآت تشجيعية .

خلاصة كلمة

في دورة الاتحاد العام في تونس ١٩٧٤

ما أجمل لقاء مجمع الاقتصاديين العرب في تونس الخضراء بعد القضاء على أسطورة الجيش الصهيوني وانتزاع احترام العالم . . . .

. . . .إن علينا كرجال اقتصاد أن نعي أن العنصر السياسي والعسكري يجب أن يصحبه نمو اقتصادي وتقدم حضاري وازدهار وعدالة اجتماعية تشمل الجميع في أمتنا العظيمة .

إن الأوان قد آن لنجعل أمتنا وحدة اقتصادية عملاقة لها مكانتها وكيانها ، وأن نحطم الحواجز الجمركية التي أقام المستعمرون لتمزيق أوصالنا .

إن الوحدة الاقتصادية هي طريقنا السليم الى الوحدة السياسية ، ومثلما رسمت الحرب العالمية الثانية لدول أوربا طريق الوحدة الاقتصادية والسوق الأوربية ، يجب أن ترسم حرب تشرين مثل هذه الوحدة للبلاد العربية . إن هذا يبدأ بمسح شامل لموجوداتنا النقدية والمصرفية إقامة تنسيق علمي وعملي لسياساتنا الانتاجية والانمائية وفتح أبوابنا أمام الحرية الكاملة لتنقل رؤوس الأموال والأشخاص والبضائع وعوامل الانتاج مبتعدين عن المصالح الضيقة .

خلاصة كلمتي

في دورة الاتحاد العام رقم ١٧ـ بغداد ١٩٧٢

أيها السادة ، تحية عربية في بغداد عاصمة الرشيد ومصدر الاشعاع الذي نقل الحضارة العربية الى أوربا والعالم قاطبة .

. . . .ونجتمع اليوم لنبحث شؤون الاقتصاد العربي بعد مضي عشرين عاماً على انقضاء أول مؤتمر للغرف العربية ، ويؤسفنا أن غاب عنا الكثيرون من الأخوة المؤسسين في

الاتحاد أذكر منهم المرحومين السادة عمر الداعوق ومسلم السيوفي ومحمد سعيد الزعيم وعلي شكري خميس (مصر) وكامل خضري وعبد الرحمن الحمداني وجعفر الشبيبي وعلي عبد الرحمن الوزان وكان آخرهم بشير رمضان، تغمدهم الله برحمته الواسعة وأسكنهم فسيح الجنان.

لقد مضى عشرون عاماً علينا ونحن نتوافد على البلاد العربية لنسهم في هذه اللقاءات ، ونعقد الاجتماعات ونلقي الخطب ونقدم الاقتراحات وندير المناقشات ونبعث بالتقارير الى الحكومات مقرونة بتوصيات يقرها المؤتمر في ختام اجتماعاته ملتمساً التنفيذ والتطبيق ، وطبعاً هذا أقصى ما نملكه .

ولكن ماذا علينا لو استعرضنا ، قبل البدء بحلقة جديدة ، ما أتممناه في الماضي وقدمناه من توصيات ومقررات ؟ ومتى درسناها وتساءلنا : لو طبقت بعضها أو كلها أما كنا اليوم نسابق الزمن في ازدهارنا الاقتصادي ؟

نعم ، لسنا بحاجة الى مزيد من الاقتراحات والتوصيات فلدينا ذخيرة كبيرة من اتفاقات الجامعة العربية والسوق العربية المشتركة والاتفاقات الثنائية ، ولو أنها طبقت لأصبحت الدول العربيةتشكل أقوى مجموعة اقتصادية موحدة بين دول العالم فتنعم بلادنا بالرخاء والازدهار والتقدم في مختلف المجالات .

إن أمامنا مثلاً هو اتحاد دول السوق الأوربية المشتركة التي جمعتها المصلحة فتناست أحقادها وعداواتها وخرجت على العالم بعملاق اقتصادي يخشاه الجميع وتسعى إليه كبريات الدول التي كانت بالأمس ترى في اشتراكها فيه خطراً يهدد سيادتها وحريتها ومكانتها واقتصادها . أما نحن فعلى النقيض ورغم حاجتنا الملحة الى وحدة اقتصادية كاملة ما نزال متفرقين رغم وحدة اللغة والعادات والتقاليد والتراث .

إن القوة الاقتصادية هي التي تخلق وحدة الصف والقوة العسكريةالتي تجابه العدو الغادر ، وسبيلنا الى ذلك تطبيق السوق العربية المشتركةالتي نادى بها مؤتمركم قبل ثمانية عشر عاماً وقبل أن تنادي الدول الأوربية الى سوقها المشتركة .

نسأل الله أن يلهم المسؤولين اعطاء الاقتصاد حقه الكامل ، وشكراً لكم .

في الدورة الثامنة عشرة.أبو ظبي ١٩٧٣
خلاصة كلمة ألقيت في الدورة

. . . .وإننا لنناشد المسؤولين العرب أن يتبنوا توصياتنا ولا سيما ما يتعلق بالسوق العربية المشتركة والوحدة الاقتصادية **العربية** ، إذ أننا نعتقد أنها السبيل الوحيد الى منعة الاقتصاد العربي وعزته .

كما نناشد جامعة الدول العربية **بان تتابع الخطوات الخيرة التي بداتها فيما يتعلق بالمسح الصناعي الشامل للصناعات العربية ، والتنسيق فيما بينها ،** باعتبار أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان عظيم ، نظراً للفوائد الكبيرة التي ستجنيها البلدان العربية بانتهاج خطة تصنيع عربية متنافسة متطورة، نظراً للأضرار التي ستلحق بهذه البلدان إذا ما تأخر اتمام هذه العملية بالسرعة المطلوبة.

وإن وفد الغرف السورية ، يكرر اقتراحه الداعي الى **إيجاد عملة عربية مشتركة**لكي نصبح قادرين على انتهاج سياسة نقدية ومالية مستقلة عن كل تأثيرات وضغوط يمكن أن تأتي من العالم الخارجي ، وحتى نزيل عن اقتصادنا الأخطار الناتجة عن تقلبات أسعار النقد .

في الدورة التاسعة عشرة للاتحاد العام
التي عقدت في تونس عام ١٩٧٤

ما أجمل هذا اللقاء ، أن يجتمع رجال الاقتصاد العرب في تونس الخضراء ، الجزء الكريم من الوطن العربي العظيم ، بعد نصر حققه الشعب العربي بالإيمان ووحدة الصف وجمع الكلمة ، هذا النصر الذي قضى على أسطورة تفوق العدو الصهيوني وجيشه الذي لا يقهر، وقد هزمناه بعون من الله في البر والبحر والجو وحطمنا عدده ومعداته وآلياته فوق بطاح الجولان وعلى رمال سيناء.

بهذا النصر أيها الأخوة انتزعنا تأييد العالم أجمع واحترامه، سواء في الغرب أم في الشرق، وبهذا النصر استطعنا أن نخضع الاقتصاد العالمي الى ضغط مؤتمراتنا بإشهار قسم من سلاحنا الاقتصادي لندعم حرب رمضان ، بسلاح البترول ، وإذا كنا نترك المعركة السياسية والعسكرية بأيدي قادتنا ، فإن علينا كرجال اقتصاد أن نعي بأن النصر السياسي والعسكري يجب أن يصحبه نمو اقتصادي وتقدم حضاري وازدهار حقيقي وعدالة اجتماعية تشمل كل فرد من أفراد أمتنا العظيمة ، وهذا لا يتحقق إلا بالدراسة والعلم والتخطيط والتعاون وحسن التنفيذ .

لقد أثبتت حرب رمضان أن لدى الأمة العربية كل المقومات والطاقات والآفاق ، وعلينا حسن استقطابها لننفض عنا علائم التخلف وتمحو الى الأبد آفات المرض والفقر والجهل . لقد حان وقت الجد والجهد وحان وقت الانتاج والعمل ، **كي نجعل لامتنا وحدة اقتصادية عملاقة لها مكانتها وكيانها** ، وحدة عربية تحطم الحواجز الجمركية التي أقامها المستعمر بين أقطارنا العربية ليفرق كلمتها ويمزق أوصالها .

إن الوحدة الاقتصادية هي طريقنا السليم الى الوحدة السياسية ، وحرب رمضان قد رسمت لنا هذا الطريق بوحدة الصف وجمع الكلمة ، كما رسمت الحرب العالمية الثانية لدول أوروبا وحدة الهدف التي ابتدأت بوحدة اقتصادية وانتهت بوحدة الرأي الأوروبي .

إن ما نتطلبه ونتطلع إليه لم يعد مجرد حلم أو تمنيات ، بل هو واقع واضح أكيد كالثمرة اليانعة التي تنتظر قطفها قبل أن تسقط فتضيع الفائدة منها ، فهلا بدأنا بمسح كامل لثرواتنا ومواردنا ، ونتبعه بتوحيد فعلي لمؤسساتنا وتنظيماتها الاقتصادية ، وتجميع حقيقي لموجوداتنا النقدية والمصرفية ، ندعمه بتنسيق علمي وعملي لسياساتنا الانتاجية والإنمائية ؟ وهلا فتحنا أبوابنا كلها أمام **الحرية الكاملة لتنقل رؤوس الاموال والاشخاص والبضائع وعوامل الانتاج** مبتعدين عن النظرة الضيقة **للمصالح القطرية** ؟

تاريخ اتحاد الغرف العربية
كلمة ألقيتها في دورة الاتحاد العام رقم «٢٠»
في مدينة الاسكندرية عام ١٩٧٦

أحييكم أيها الاخوة الزملاء تحية صادقة مباركة من هذا البلد العربي الذي انطلقت منه جحافل العرب بقيادة عقبة بن نافع شطر المغرب تكللها هالات النصر والعزة والفخار .

وما أحلاها من ذكرى عزيزة أن نجتمع هنا لنستعرض ذكريات حلوة تعود الى ما قبل سبع وعشرين سنة مضت من عمر الزمن حيث نادى بتأسيس اتحاد الغرف العربية المرحوم علي شكري خميس سكرتير عام غرفة تجارة الاسكندرية الذي راح يطوف البلاد العربية منذ عام ١٩٣٩ داعياً الى تأسيس غرفة تجارية عربية موحدة أو اتحاد للغرف العربية . وكانت النتيجة أن نجحت الدعوة ، وعقد أول اجتماع في آب من عام ١٩٣٩ في مدينة عاليه في لبنان بدار المرحوم عمر الداعوق رئيس غرفة تجارة بيروت ، حضره علي شكري خميس ومسلم السيوفي ومحمد سعيد الزعيم ووالدي سليم الشلاح وكنت مرافقاً له ، وتمت الموافقة في هذا الاجتماع على الدعوة لعقد اجتماع موسع من كافة الغرف التجارية في البلاد العربية . إلا أن اشتعال الحرب العالمية الثانية أعاق تنفيذ المشروع الى أن وضعت الحرب أوزارها . ولكن المرحوم علي شكري خميس لم ينثن عن عزيمته لتحقيق الفكرة ، وحضر الى بيروت ودمشق وعقد اجتماعاً تمهيدياً في بيروت دام من ١٩٥٠/٨/٣١ الى ١٩٥٠/٩/٤ ، واتفق في ذلك الاجتماع على البرنامج التحضيري لاقراره من جميع الغرف العربية وذلك تمهيداً لاجتماع يعقد بالاسكندرية و يتألف من السادة : علي شكري خميس ونجيب المنلا والأمير مالك شهاب وألفريد سكاف . زار السادة المذكورون سوريا والعراق والأردن ، وفي ١٩٥١/٢/٢٦ عقد اجتماع حضره مندوبون عن سوريا والأردن ومصر ولبنان اعتبر أول اجتماع للمؤتمر ، وتقرر عقد المؤتمر الثاني الذي تم بالاسكندرية في السابع من أيار عام

١٩٥١ بحضور مندوبي سبع غرف عربية هي : مصر وسوريا والسعودية والأردن ولبنان والعراق واليمن . وفي ١٩٥١/١٢/١٦ ، عقد مجلس الاتحاد اجتماعه في بيروت وأقر دستور الاتحاد واتخذ عدة توصيات . وفي الثامن من شهر أيار (مايو) عام ١٩٥٣ عقد المؤتمر الثالث في دمشق وحضره بالإضافة الى مندوبي الغرف العربية السبع ممثل واحد عن تونس والمغرب هو السيد محمد بدره ، والذي تولى بعدها وزارة الاقتصاد والمالية .

وكان من توصيات المؤتمر ما جاء في الفقرة (١) من المادة /٧/ من مناشدة جميع الحكومات العربية تسهيل التبادل التجاري وتخفيف قيود المعاملات الجمركية ، كما جاء بالفقرة (ج) من المادة ذاتها : اعفاء المحاصيل الزراعية والمواد المصنوعة من مواد أولية محلية من كافة الرسوم الجمركية ، واعفاء الصناعات العربية التي لا تزيد نسبة المواد الأجنبية فيها عن ٥٠٪ تشجيعاً للأيدي العربية العاملة في الصناعة .

وكانت حصيلة تلك الجهود أن أقر وزراء الاقتصاد والمال العرب اتفاقية التبادل التجاري والصناعي والزراعي وانتقال رؤوس الأموال ، وكان بين الوزراء العرب المرحوم محمد سعيد الزعيم الذي كان عضواً في لجنة التوصية للاتحاد العام ، والبلاد العربية ما زالت تجتني ثمار التبادل حتى يومنا هذا . ولنا زميل آخر في الدورة السابقة التي عقدت في تونس وكان عضواً بارزاً وفي دورتنا هذه أصبح وزيراً للتجارة والتموين . وإذ نلاحظ كثيراً من التقدير والاعجاب بالانجازات العملية وهذا الانفتاح والاتفاقيات الاقتصادية البعيدة عن السياسة التي حققها زميلنا الكريم زكريا توفيق عبد الفتاح فما ذلك إلا مثل حي يتكرر من حين الى آخر ويظهر مدى فعالية الدأب والخبرة والواقعية التي يتحلى بها رجال الأعمال .

وكذلك لنا زميل آخر وهو الشيخ محمد العوضي رئيس غرفة تجارة جدة سابقاً الذي أسندت إليه المملكة العربية السعودية وزراة التجارة ، فالحمد له على نعم الله .

أما الحصيلة الثانية ، فكانت دعم كل الحركات النضالية من أجل سلامة واستقلال الوطن العربي ، سواء بالاحتجاجات المتكررة ، أو بالجهد المادي والمعنوي ، أو بتحول هذا النضال عن طريق جباية التبرعات المالية والعينية .

وكانت الحصيلة الثالثة ، هي اتحادكم هذا الذي كان نواة لاتحادات كثيرة منها اتحاد المحامين العرب ، واتحاد المهندسين العرب ، واتحاد المجالس النيابية العربية وغيرها من الاتحادات .

وأما الحصيلة الرابعة ، فهي هذا الاجتماع السنوي بالذات الذي يضم النخبة الواعية من أرباب التجارة والصناعة والزراعة ، ولولاه لما أمكن أن يتم هذا اللقاء وهذا التعارف المثمر ، وأما باقي ثمار هذا الاتحاد ، فان الأخ الأمين العام الأستاذ برهان الدجاني شرحها لنا في التقارير العامة بالاضافة الى البحوث الاقتصادية التي يطبعها سنوياً والتي أصبحت مرجعاً أساسياً للاقتصاد العربي ، فالتحية والشكر للأستاذ الدجاني .

أيها الأخوة الزملاء ، أود أن أذكر لمحة عن المرحوم علي شكري خميس . لقد كان حركة دائمة رغم بلوغه العقد الثامن ، شأنه شأن كل رجل عمل . لقد كان كأنما يمشي على أرض مفروشة بالدبابيس فلا يستقر في مكان سعياً وراء خدمة الوطن والشعب . هذه صفة رجال الأعمال ، وأما الاتكاليون فأرضهم مفروشة بالبيض ، ولذلك يبقون حيث وضعوا أنفسهم ، وشتان بين وخز الدبابيس وبين من ينشد الراحة مفضلاً الأنانية وحب الذات .

كلمة قدمت الى وزارة الاقتصاد في شباط ١٩٧٧
لمناسبة زيارة الوفد الألماني الى دمشق

. . . لو تسنى لنا أن نعيد قراءة التوصيات والدراسات في مؤتمراتنا منذ انعقادها لوجدناها مثالاً في القومية الصحيحة الواقعية بعيدة النظر حسنة التقدير .

ومما يثير الاعتزاز أن تكون أكثر هذه التوصيات قد أصبحت نواة للعديد من التشريعات والاتفاقيات العربية في الاقتصاد والتجارة وما إليهما . وقد قطع التعاون الاقتصادي العربي شوطاً تبلور في اتجاهين ملموسين أولهما الاتفاقيات الثنائية بين الأقطار العربية ، والثاني هو الاتفاقيات والتشريعات المشتركة ضمن إطار الجامعة العربية والسوق العربية المشتركة . وليس من ينكر النتائج الحميدة التي تحققت لأجزاء عربية وللوطن العربي

ككل ، ولذلك فإننا نرحب بأي تعاون أو تقارب جزئي ما دام هدفه الوحدة الاقتصادية الكاملة التي من خلالها تكون للعرب القوة الاقتصادية التي تحقق الرفاه والتقدم وتعطي العرب وزنهم في الحقل العالمي .

ولا بد هنا من إلقاء الضوء على نقاط نعتبرها هامة ، أولاها ان الانجازات في التعاون الاقتصادي ما زالت أقل بكثير من الآمال ومما تطلبه المصلحة القومية المشتركة ولا تمكننا من استغلال الطاقات والمجالات الهائلة المفتوحة لنا . وإن العرب لا يستطيعون الاكتفاء بفتات الموائد .

والنقطة الثانية هي التحذير من العراقيل التي تقام في بعض الأقطار لجعل الاتفاقات عديمة الجدوى ومخالفة للهدف الأساسي . **والثالثة** اننا نخاف على التضامن العربي من الجمود ولا بد من دفعه باستمرار ، **والرابعة** هي التحذير من أن دولاً عالمية لها مصلحة مصيرية في إبقاء التفكك العربي وإعاقة المسيرة نحو الوحدة الاقتصادية الشاملة .

وهناك مؤشرات اقتصادية أخرى يحسن بحثها. فالعالم يتميز الآن بتزايد سكاني هائل فمنذ أسابيع بلغ سكان العالم أربعة مليارات ، ولن تمضي أربعون سنة أخرى قبل أن يصل الرقم الى ثمانية مليارات ، وهذا سيقلب الكثير من المقاييس والمعادلات وموازين القوى في العالم والعلاقات الدولية ، إنه لأمر أعمق وأبعد من أن نعالجه هنا ولكن نشير فقط الى ان المستقبل لن يكون إلا لصالح المنتج والانتاج والانتاجية . ومن المؤسف ان نلاحظ ميل البلاد العربية بمجموعها الى المزيد من الاستهلاك ، ورغم مخططات التصنيع العربية التي نفذت لم تتمكن الدول العربية الى الانتقال من كتلة مستهلكة الى كتلة منتجة ، بل على العكس .

نحذر بألا مستقبل ولا رفاه ولا معرفة دون حملة جديدة وخطة علمية واقعية مشتركة تهدف الى نقلنا الى مقام الدول المنتجة المصنعة وفق خطة مشتركة لأن العوامل والعناصر والإمكانات للوصول الى هذا الهدف متوفرة لدى الدول العربية بمجموعها ولا تتوفر لأي قطر منفرد .

نادي بخطة مشتركة ، قولاً وعملاً ، لأن التنسيق بين خطط التنمية والتصنيع في الأقطار العربية لم يبرهن حتى الآن على فعالية كافية رغم الاتفاقات الثنائية وعلى مستوى

الجامعة التي أعطت بعض النتائج الايجابية . وكم من صناعة تقام هنا وهي تكرار لصناعات تقام في أمكنة أخرى ، ولذلك فلا بد من التنسيق الفعلي في مجالات التصنيع والانماء .

كلمتي في زيارة وفد اتحاد الغرف العربية للهند

١٩٧٨/٢/٢٧

. . . ان الهند الحديثة تتميز بنقطتين متناقضتين : الأولى تطورها السريع في الفترة القصيرة التي تلت استقلالها ـ بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد تجلى في الزراعة والتصنيع والخدمات . والثانية التزايد الكبير في عدد السكان الذي ينقص آثار الزيادات في الانتاج والدخل . ان تقليص عدد الولادات هو نفسه قد كافأه تقلص وفيات الأطفال وزاد في معدل الأعمار فظلت الزيادة في النفوس عائقاً كبيراً في رفع مستوى دخل الأفراد .

أما العلاقات العربية الهندية فان التكنولوجيا الهندية العالمية تجعلها في المرتبة الثالثة في العالم من حيث عدد العلماء والتقنيين . وقد حققت الهند في مجالات التصنيع المتطور والمتنوع شيئاً كبيراً وصادراتها تشير الى هذا التقدم الصناعي . إن الصادرات الهندية عام ١٩٧٧ من المواد الأولية والكيمياوية والمصنعة والمعدات تجاوزت أربعة مليارات دولار أميركي .

وقد تكون التجربة الهندية أكثر ملاءمة للوضع العربي من حيث التبسيط والبعد عن التكاليف والتعقيد الفني . وقد اهتمت الهند في السنين الأخيرة بالمشروعات المشتركة خاصة مع البلاد النامية وتشير الاحصاءات الى أن الهند ساهمت منذ ١٩٥٩ بحوالي ثلاثمئة مشروع مشترك في آسيا وافريقيا كان نصيب البلاد العربية منها أكثر من ٥٠ مشروعاً تتضمن الكيماويات والنسيج والورق والاسمنت والسلع الهندسية . وعقدت عدة اتفاقات هندية سورية لتبادل العلماء والفنيين وللتنقيب عن البترول ولإنشاء مصانع في سورية في الاسمنت والنسيج والبيوت الجاهزة واتفاقات تجارية .

ولا بد أن نشير الى نهج السياسة الهندية المستقلة ، وكانت الهند دائماً مساندة للخط العربي والقضايا العربية .

ان زيارتنا تهدف الى وضع إطار للتعاون مع اتحاد الغرف الهندية ، وقد تركزت المناقشات على الخطوات العملية بين الجانبين وتحليل المجالات المتاحة أمام الطرف الهندي للمساهمة في التنمية العربية وتذليل العقبات .

وقد أثار الوفد العربي عدة نقاط في ما يخص هذا التعاون ليكون مستمراً ومفيداً وقائماً على التعاون بالمثل وإتاحة الفرص للجانب العربي في الهند مثل ما تتاح أمام الهند في البلاد العربية ، ولا بد لذلك من توازن الاستيرادات الهندية مع الصادرات ولذلك ندعو الهند الى انفتاح أكبر على البضائع والسلع العربية .

وسوف نتابع الأبحاث التي تمت في جو ودي أخوي وصريح وتأكد لدى الجميع فوائد التعاون العربي الهندي والحاجة لاستمراره وتوسيعه .

في دورة الاتحاد العام رقم ٢٣ لعام ١٩٧٩
في الرباط ـ المغرب

أيها الأخوة ان لنا منذ ربع قرن هذا الاجتماع السنوي نتداول فيه الأمور ونعالجها ، وكم من مرة أبدينا تخوفنا من أن تكون هذه الاجتماعات بلا جدوى عملية .

ولكن التعاون الذي تحقق قد أعطى ثمراته في عديد من المؤسسات التي تم تشكيلها على مستوى العالم العربي . ثم أن الأهداف قد توضحت وآن لنا أن ننطلق في تأسيس مشاريع عربية مشتركة تنمو وتتوسع بشكل تدريجي ، وحتى إذا كانت متواضعة في بدايتها فهي إذا نجحت صارت مثلاً وقاعدة يترسخ عليها العمل والنظام العربي المشترك . إن أي تقاعس في البدء بتحقيق ذلك مسؤولية لا يمكن لنا تحملها . لذلك يسرني أن أشير الى تأسيس الشركة الاستشارية العربية وأدعوكم الى مؤازرتها ودعمها إذ ربما وجد رجال الأعمال أنها وسيلة عملية لتحقيق قاعدة للعمل العربي المشترك . إن دعمكم لهذه الشركة ووضعكم مخططات لمشاريع معينة تقوم بتنفيذها خلال العام القادم هي خير جواب على التحدي المطروح أمامنا وأمام الشركة في هذا المجال وبذلك نكون بدأنا بتحقيق ما دعونا اليه منذ ربع قرن كامل . . .

ثم ختمت بمواضيع أخرى وبالشكر والتحية .

في اجتماع الدورة ٢٤ في المنامة (البحرين)

عام ١٩٨٠

بدأت كلمتي في هذا الاجتماع قائلاً ان هذا البلد انطلقت منه القوافل التجارية الى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وآسيا وبعض اجزاء اوربا ، كما اننا جعلناه مقراً للمدارسة في شؤون اقتصاد العالم العربي للتعاون والتبادل المشترك . وقد كان لبلدكم فضل السبق في بحث مشروع السوق العربية المشتركة قبل أن تفكر دول اوربا نفسها بالسوق المشتركة ولكن اوربا سارعت الى التنفيذ رغم القرون التي مرت عليها وهي مختلفة اللغات ، وقامت بينها أكثر من حرب مدمرة . أما نحن فقد دعونا الى السوق العربية المشتركة حين لم تكن الصناعة تشكل أكثر من ١٠٪ من البلاد التي بدأت التصنيع وهي ثلاث فقط من عشرين دولة عربية . وقد عرض اتحادكم خطة التنسيق والتكامل الاقتصادي بحيث تختص كل دولة عربية بالصناعة التي تزودها بها مواردها الطبيعية من المواد الأولية والأيدي العاملة ، في حين أن الصناعات الفقيرة تترك لدول السوق حسب إمكانياتها .

إن السوق العربية المشتركة أهم ركائز الدعم الاقتصادي والتفوق الحالي والتجاري في الكسب كما هي وسيلة للوحدة السياسية التي يساندها ١٣٠ مليون مستهلك عربي . وإذا ما تم التنسيق الاقتصادي والصناعي وفتحت الحدود بين بلاد السوق وأصبحت البضائع تتنقل فيها دون عائق أو رسم ، فيكون البقاء للأحسن والأقوى في الجودة والابتكار . إن هذا يشجع على الإبداع في مزاحمة حرة ، ويجعلنا أمام اختبار عظيم في تفضيل الصناعات العربية على غيرها من الصناعات الأجنبية بعد أن تكون تمشت معها في الجودة والاتقان وزاحمتها في السعر .

ان السوق العربية هي التي تخلق الجو السياسي الملائم بين دولها وترسم خطة السياسة الوحيدة لها بعيدة عن الأهواء والمصالح الخاصة ، مثل ما تشاهدون الآن في السوق الأوروبية المشتركة التي دخلت معترك الاشتراك في رسم سياسات العالم وفق مصالحها الحيوية .

وفي نظري أن اطلاق حرية العمل لكل مواطن عربي وتحقيق السوق العربية المشتركة بإخراجها الى حيز التنفيذ العملي ، هو السلاح الماضي في وجه العدو الصهيوني ، وهو الدرع الواقي من أطماع الاستعمار في هذه البلاد للوصول الى استغلال ثروتها الخيرة .

وليس أدل على ذلك من السوق الأوروبية المشتركة التي وحدت الفكر الأوروبي سياسياً واقتصادياً وتجارياً وصناعياً ، ووضعت أنظمة التسويق والتنظيم والاستيراد والتصنيع ، وأخيراً نذكر محاولتها للاشتراك في الصراع السياسي العالمي الذي يشهده العالم اليوم .

لهذا كله أقول وأكرر ما قلت بأن قيام السوق العربية وفتح آفاق العمل أمام المواطن العربي ، هو السلاح القوي لصد هجمات أعداء العروبة عن بلاد العرب ، والسلام عليكم .

في الندوة الزراعية بالمغرب
١٨ آذار ١٩٨٢

كم تمنيت لو كنت من أرباب القلم وأصحاب اللسان من الموهوبين والخطباء لأعبر عن رأيي فيما جئت اليه الى هذا البلد الجميل الذي شهد حضارة الاسلام في عصر الأندلس والذي منه انطلقت الحضارة الأوروبية والتي بلغت قمتها اليوم .

أتقدم بالشكر الى اتحاد الغرف التجارية والزراعية والصناعية العربية والى أمينها العام الأستاذ الدجاني الذي أحب الاتحاد وعشقه وأعطاه من شبابه وشيخوخته وكهولته حتى أصبح مؤسسة اقتصادية على المستوى العربي والدولي والذي انبثقت عن وجوده الغرف الأجنبية المشتركة ومن أولى هذه الغرف الغرفة التجارية العربية الفرنسية التي أحبها وعشقها ورعاها ميشال حبيب ديلونكل ، الرئيس الدائم لها . فالشكر لهم على هذه الندوة التي تجمع أكثر من أربعين محاضراً ، دكاترة وأساتذة وباختصاصات متنوعة صرفوا الكثير من الوقت والجهد لتهيئة محاضراتهم التي ألقوا علينا أكثر من النصف في اليومين الماضيين وسنستمع الى الباقي في اليومين القادمين .

وحيث أنني زرعت حب الأرض بأولادي رغبت الحضور الى هذه الندوة لأصطحب أصغر أولادي غسان وعمره ٣٦ عاماً والذي أصبح يحب الأرض ويحب أن يعمل بها غير أن مشاغله حالت دون هذا الحضور . ومع انني منذ أسبوعين كنت في الدار البيضاء لاجتماع الهيئة العامة للغرف الاسلامية التجارية والصناعية وبالرغم من تقدمي بالعمر أي في

السابعة والسبعين ، فقد قررت الحضور وقضيت بالطريق من دمشق الى ان وصلت مراكش ١٨ ساعة ، كل هذا لأستفيد حكمة واحدة تماشياً مع القول : وهو (إذا سافر أحدكم من الشام الى أقصى اليمن واستفاد حكمة لما ضاع سفره ، قيل وهل الحكمة تتناسب مع سفر أربعة أشهر على الراحلة «الجمل» حيث هي واسطة السفر في ذلك الزمان الذي لم يكن فيه طائرات ولا سيارات ؟ فكان الجواب نعم لأن الحكمة من أخيك تغنيك والمال منه يطغيك) .

لقد أتى القرآن الكريم بأكثر من سبعين آية على العمل وأجر العمل واذكر لكم آية تقول (**انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً**) (**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملاً اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً**) «**صدق الله العظيم**» . وهل هناك أحسن من هذا الأجر للذين يعملون الصالحات أي العمل الصالح الذي يصلح الأرض والذي جاءت به الآية الكريمة (ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين) والمقصود بالصالحين الذين يعملون في الأرض ويصلحونها لفائدة المجتمع ، بالاضافة الى ناحية روحانية نحن نجهلها وإذا رجعنا للآية الكريمة التي وردت بالقرآن الكريم (**وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**) والمقصود تسبيح الشجرة ليلاً نهاراً: (اللهم اغفر لغارسي) حتى تزول، كذلك فإن وريثها الخشب الذي نستعمله في الأبنية وغيرها يدعو نفس الدعاء طالما هو باق.

فيا سلام على نعم الله تعالى على الانسان. إنما الذي أرغب أن أقوله أن على كل انسان أن يحب الأرض ويعشقها ليس فقط العامل فيها والمالك لها ، فالطبيب والمهندس والتاجر والموظف وغيرهم بحاجة اليها ، فالذي لا يعمل بالأرض ولا يملكها بحاجة الى انتاجها لذلك يتوجب عليه محبتها واعطاؤها وعلى دوائر التعليم ان تخصص حصة لبرامج التعليم ساعة بالأسبوع لزرع حب الأرض للأولاد من الصغار حتى الكبار وإذا تخرج التلميذ من المدارس أم الجامعات الزراعية ذهب الى الأرض مباشرة لأنه أحبها وعشقها ويترك الوظائف التي لا تعطيه ما تعطيه الأرض . وعلى مالك الأرض ان يعطي القدر الكافي للعامل بالأرض من مردود الانتاج حتى يبقى بالأرض وعلى الدولة ان تعتني بالقرية

وتعطيها ما تعطي للمدينة حتى لا يكون هناك فارق بين حياة المدينة وحياة القرية ومتى تم ذلك تتوقف هجرة الفلاح من القرية .

أما أنا فقد شاءت إرادة الله أن أكون من أهل التجارة التي ورثتها عن والدي وورثها والدي عن جدي وتشاء الأقدار أيضاً أن لا أكتفي بالتعامل التجاري بل ساقتني الطبيعة لأحب الأرض ولأتمتع بمناظرها الخلابة بأثوابها الزاهية المتعددة الألوان وأرضها الهندسية الخضراء ، فرحت أطلب ود الأرض والزرع وكنت على أبواب الأربعين عاماً من عمري . وهذا الحب للأرض دفعني الى ممارسة الزراعة فأحببتها بل وعشقتها واعطيتها فكري وجهدي ومالي وراحتي فكانت مصدراً للالهام والجمال والازدهار والانتاج الطيب المبارك والرزق الحلال .

الى هذا المكان جئت متحملاً مشاق السفر من أجل الزراعة لازداد من هذه الندوة معرفة وعلماً عن الزرع والزراعة وما طرأ عليها من تطور وتقدم، انه حب الأرض التي تنبت غذاء بني البشر وطعام الحيوان . لقد أحببت الأرض التي هي أشبه بقطعة السكر من أي مكان ذاقها الانسان يجد فيها حلاوة الطعم . لقد خلقنا الله تعالى على هذه الأرض لنعمل . فقد خلق الله لنا الطاقة اللازمة من الشمس والماء والهواء هذه العناصر المجتمعة هي الموارد الرئيسية للانتاج متى عرفنا كيف نعمل ليلاً ونهاراً. ومن حقنا استغلال هذه الطاقة وان لا ندعها تذهب هباء دون الاستفادة وهل يصح أن نستعمل السيارة ثم نترك المحرك في هديره بعد ان تنتهي حاجتنا منها ، طبعاً هذا يعتبر إسرافاً للطاقة وكذلك لا يجوز لنا أن نترك طاقات الشمس والهواء والماء تذهب هدراً دون استغلال .

أيها الأخوة ان الأرض من أجل أن تنتج تتطلب الجهد الجسماني وبذل المال وتطبيق العلم والعقل وعلى الدول النامية ودول العالم الثالث التي تتوفر فيها مساحات الأراضي الواسعة والمناخ والماء ان يكثروا من إنشاء الكليات الزراعية للتعليم والتطبيق وتحويل الخريجين الى العمل الانتاجي بدلاً من أن يأخذوا طريقهم الى الكراسي والوظائف والجلوس وراء الطاولات . وأخيراً وقبل كل شيء أن نحب الأرض ونزرع حب الأرض عند الجميع ومتى أحببناها تحبنا وتعطينا . هذا ما وددت أن أشير إليه في هذه الكلمة المتواضعة راجياً لهذه الندوة كل نجاح وان تخرج بنتائج ايجابية الى السبيل القويم لاستغلال الأرض والعالم مقبل على أزمة غذائية قد تذهب بالأخضر واليابس والسلام عليكم ورحمته وبركاته .

كلمة في مؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة

الطائف. نيسان ١٩٨٢

كان اجتماع الهيئة العامة لاتحاد الغرف العربية العام الذي انهى كافة أعماله في الكويت في ١٩٨٢/٢/١٤ قد أعقبه اجتماع الطائف الذي تمت فيه قراءة المقررات المتخذة للموافقة عليها . وعلى أثر ذلك كانت كلمتي الختامية التالية التي ألقيت على نحو (٧٥٠) عضواً حضروا المؤتمر وقد لخصتها بالأسطر التالية :

. . . لقد مضى على تأسيس اتحادنا هذا واحد وثلاثون عاماً ، وارتفع عدد البلاد المنضمة إليه من سبعة الى احدى وثلاثين دولة ، وفي خلال كل ذلك لم يحصل بيننا أي خلاف كرجال أعمال .

. . . ولقد كانت أعمالنا تهدف الى توحيد الجهود وتدعيم أسس التعاون ، فنحن كرجال أعمال نتسابق ونتنافس من أجل النجاح ولكن في عملنا هنا لم نكن نبحث عن مكاسب شخصية وإنما نعمل من أجل أن يكون البعد القومي لوطننا العربي مزدهراً بمجموعه وأجزائه ولا سيما في حقلنا الاقتصادي .

إننا نرجو أن نكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ! وقد وردت في القرآن الكريم سبعون آية في أجر العمل وثوابه .

أهنئكم باللقاء ، وأشكر الأخ اسماعيل أبو داود رئيس اتحاد الغرف التجارية والصناعية في المملكة العربية السعودية ورئيس غرفة تجارة وصناعة جدة ، وزملاءه الكرام ومعاونيه وجميع رؤوساء الغرف السعودية على الضيافة الكريمة . . كما أشكر الأمين العام للاتحاد الأستاذ برهان الدجاني ومعاونيه وكل من أعاننا وشاركنا في هذا اللقاء .

وقد كان عدد الحضور في المؤتمر خمسمئة شخص موزعين كالتالي : الأردن (٣١) الإمارات (١٥) البحرين (٩) تونس (٢٢) جيبوتي (١) السعودية (١٢٧) السودان (٣٠) سورية (٤٣) الصومال (١٨) العراق (٩) عمان (١) فلسطين (٤) قطر (٥) الكويت (٣٥) لبنان (١٣) ليبيا (٢) المغرب (٤٢) موريتانيا (١٨) اليمن الشمالي (٣٨) اليمن الجنوبي (٣) هيئات ومنظمات (٣٠) .

إضافة الى مئتين وخمسين وأكثر من رجال الأعمال السعوديين الذين لم تذكر أسماؤهم في الجدول .

مؤتمر رجال الأعمال والمستثمرين العرب
الطائف. نيسان ١٩٨٢

الجلسة الأولى

في الجلسة الأولى للمؤتمر ألقى الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير مكة المكرمة كلمة مفتتحاً المؤتمر، وتلاه الدكتور عبد الرحمن الزايل نيابة عن وزير التجارة، فالسيناتور الاميركي جيمس أبو رزق ، فالشيخ اسماعيل أبو داوود رئيس مجلس اتحاد الغرف السعودية .

وبعدئذٍ ألقى السيد عبد المحسن زلزلة الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية كلمة ، فالسيد مأمون حسن ابراهيم مدير عام المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ، وأخيراً كانت كلمة السيد برهان الدجاني الأمين العام لاتحاد الغرف العربية .

استئناف الجلسات

واستؤنفت الجلسة بعد الظهر، بكلمة للأمانة العامة لجامعة الدول العربية عن الاتفاقية الموحدة لاستثمار رؤوس الأموال العربية ، ثم كلمة المؤسسة العربية لضمان الاستثمار فكلمة أمين عام اتحاد الغرف العربية .

وفي اليوم التالي أي ١٩٨٢/٣/٣١ ، بحث موضوع الاستعدادات في الأردن ، فأعطي الكلام للدكتور سعيد النابلسي حاكم مصرف الأردن المركزي ، ثم السيد محمد علي بدير رئيس اتحاد غرف التجارة الأردنية ، فتحدث عن موضوع الاستثمار الجماعي ككل ، وقال : عند تأسيس البنك العربي في عمان طرح السهم حينئذ بعشرة دنانير ، وقد بلغ الآن سعر السهم الواحد في بورصة عمان ١٤٠ ديناراً ، وان صافي الأرباح التي توزعها

الشركات المساهمة في حدها الأدنى لا تقل عن عشرة في المائة ، وتصل الى ٢٠٪ وان تملك الأرض والعقار في الأردن مسموح لكل العرب ، وكذا الحال في اقتناء الأسهم .

ثم تكلم وزير تجارة السودان عن الاستثمار في السودان ، وأعقبه المتحدثون ، ومنهم من الصومال حول الاستعدادات الاستثمارية وحاجة بلادهم للمشاريع التي قد تعود على البلد المستثمر فيه رؤوس الأموال العربية ، وعلى المال نفسه ، بأحسن النتائج والفوائد .

شركة عربية بـ ٥٠٠٠ مليون دولار

وقد أقيمت حفلات غداء وعشاء على شرف أعضاء المؤتمر ، كما أقيمت حفلة عشاء وسمر في القاعدة الجوية بالطائف بموافقة وزير الدفاع وبدعوة من السيدين الشيخ صالح كامل والشريف حسين حارثي من رجال الأعمال السعوديين .

هذا ، وقد جرت مناقشة الوزراء الذي تحدثوا عن المشاريع التي تتطلبها بلادهم ، وقد طرح مشروع تأسيس شركة عربية للاستثمارات في حقل النشاط الزراعي برأسمال قدره خمسة آلاف مليون دولار أميركي ، على أن تبدأ بخمسمائة مليون دولار ، وتكون أعمال الشركة محصورة في استصلاح الأراضي الزراعية والمشاريع الزراعية المنتجة وما يتبعها من أعمال سدود وشق أقنية وانشاءات ومعدات ، وقد انتخب سبعة أعضاء لمتابعة الموضوع .

الخلاصة

خلاصة هذا المؤتمر ، ان هناك وعياً كاملاً واستجابة ملموسة ، بان استثمار الأموال لمثل هذه المشاريع بات ضرورياً ، ليس للعالم العربي فقط بل لكل الشعوب التي أخذ تعداد سكانها بالازدياد زيادة مركبة وخاصة في افريقيا والدول النامية .

إن أكبر دولة منتجة للغذاء ، تحتاج الى استيراد ٤٥ مليون طن حنطة ، مما اضطرها مؤخراً لبيع ذهبها المخزون بأقل من سعره الذي بلغه قبل عام عندما هبت أسعاره تلك الهبة الجنونية .

واعتقد أن أول عمل للشركة ، إذا ما تم تأسيسها ، سيكون في السودان ، هذا القطر الذي تتوفر فيه الأراضي الواسعة والماء والمناخ واليد العاملة ، وبعده القطر الصومالي .

وكان من المقرر ان تنتهي أعمال المؤتمر مساء الخميس في ١٩٨٢/٤/١ ، إلا أن عدداً من المشاركين بدأوا بمغادرة الطائف ، وهكذا أعلن انتهاء المؤتمر في اجتماعه الأخير قبل ظهر الخميس ، وأما الوفد السوري فمنهم من سافر من أول يوم ، ومنهم في اليوم الثاني ، ومنهم في اليوم الثالث ، ولم يبق الى اليوم الرابع إلا قلة من الوفد المشار إليه .

نتائج المؤتمر ومقرراته

وقد أسفر المؤتمر عن إقرار أوراق عمل من ٣ نقاط هي :

ورقة عمل الجامعة العربية

أولاً ـ الاتفاقية الموحدة لاستثمار رؤوس الأموال العربية في الدول العربية في إطار قانوني لتنظيم العلاقات الاستثمارية :

وهي ورقة العمل المقدمة من الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية في جامعة الدول العربية ، وترمي أبعاد هذه الورقة الى :

آ ـ إزالة كافة الحواجز البيروقراطية والبنيوية والقانونية المحلية وعقبات الاستثمار الاخرى التي تقف أمام تدفق الأموال العربية رغم انسيابها ، وذلك لخدمة المصالح الاقتصادية للدول المصدرة للمال والمستوردة له ، سواء بسواء . ونبذ العقبات القانونية والتشريعية والسياسات الضريبية والتشريعات الجمركية غير الواضحة ، والعمل على إيجاد المؤسسات المالية والمصرفية لدراسة الجدوى الاقتصادية .

ب ـ إزالة العقبات الإدارية والمسلكية وتوفير الخبرات والكفاءات والاختصاصات والأفكار الطموحة ، والعمل على توحيد أسعار الصرف وإزالة مشكلة سياسة التغير . واتخذ المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي (ضمن تأييد هذه الورقة) قراراً بوضع أسس مشروع الاتفاقية الموحدة لاستثمار رؤوس الأموال العربية بمبادىء تقوم على :

١ ـ تحقيق المواطنية الاقتصادية العربية بالنسبة لاستثمار رأس المال العربي .

٢ - تحقيق الهوية العربية لرأس المال المستثمر لضمان حلول عربية للإدارة والتكنولوجيا .

٣ - توفير الضمانات القانونية والمالية والقضائية والتسهيلات والحوافز الكفيلة بتشجيع الاستثمار العربي داخل الوطن العربي .

ورقة عمل المؤسسة العربية للاستثمار

ثانياً - تشريعات الاستثمار في البلاد العربية :

وهي الورقة التي تقدمت بها المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ، وترمي هذه الورقة بدورها الى تشجيع الاستثمار العربي في الدول العربية بمختلف الوسائل والطرق ، وتعريف المستثمر العربي بمناخ الاستثمار في العالم العربي وما يطرأ فيه من تغييرات (اقتصادية) وأوضاع وتدفقات استثمارية عن طريق العمل على إزالة المعوقات وإيجاد القوانين والتشريعات المنظمة للاستثمار وسد فراغ وتدفق المزيد من رؤوس الأموال العربية عبر الدول العربية .

ورقة عمل اتحاد الغرف العربية

ثالثاً - دور رجال الأعمال والمستثمرين العرب في تشجيع تبادل الاستثمارات بين البلاد العربية :

وهي الورقة التي تقدمت بها الأمانة العامة للاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية ، وترمي هذه الورقة الى :

١ - إبراز تشجيع الاستثمارات وتبادلها بين الأقطار العربية لخدمة أهداف التكامل الاقتصادي العربي وتأمين مستقبل الأموال العربية ودرء الأخطار الخارجية عنها ، وذلك بتوظيفها في مشروعات اقتصادية ناجحة تعطي مردوداً مناسباً .

٢ - تؤكد الورقة على أهمية الدور الذي يمكن لرجال الأعمال والمستثمرين العرب القيام به في تنمية الاستثمارات ودمجها نحو المشروعات الانمائية العربية .

الموافقة على نص القرارات والتوصيات

هذا ، وقد تمت مناقشة الأوراق الثلاث المقدمة ووُفق بالاجماع على توصياتها وأبعادها الاقتصادية وما ترمي إليه من أهداف .

وبنظري ان الفائدة الأولى من المؤتمر ، هي وعي رجال الأعمال وأصحاب الأموال بأن ايداع الأموال في المصارف كان خطأ كبيراً ، وسيأتي اليوم الذي تذهب فيه الأموال وفوائدها سدى، بينما لو كان الاستثمار في المشاريع الانتاجية، وعلى الأخص الزراعية لكانت الفوائد مزدوجة : أولاً ، بالحصول على فروق التضخم ، وثانياً ، ارتفاع الأسعار الذي يعادل أكثر من عشرة أمثال الفوائد المصرفية .

السناتور الاميركي ابو رزق
يستنكر تصرفات اسرائيل الاستيطانية

والجدير بالذكر ان استقطاب المؤتمر للعدد الهائل من الشخصيات الاقتصادية والسياسية ، خلق نوعاً من الانطباع الايجابي نحو نجاح أهدافه وفهم أبعاده وخلفياته على الصعيد السياسي الدولي .

فالسناتور الاميركي جيمس أبو رزق عضو مجلس الشيوخ الاميركي السابق والرئيس الحالي للجنة الدفاع عن الحقوق العربية في الولايات المتحدة الاميركية ، ندد بالانتهاكات الخارقة للقوانين والأعراف الدولية والانسانية التي تقوم بها قوى الشر الصهيونية في الأراضي العربية المحتلة ضد المواطنين الفلسطينيين وانتفاضاتهم التي تستهدف محاربة ومواجهة العدو الصهيوني إزاء أعماله التوسعية والوحشية في فلسطين المحتلة .

وقال أبو رزق : انني قد بعثت ببرقيات استنكار لمجلس الشيوخ الاميركي وللشعب الاميركي بشكل عام ، أطالب فيها التنديد بهذه الأعمال الوحشية التي تقترفها (اسرائيل) والاقلاع عن أعمال العنف اللا انسانية التي تقوم بها ضد المواطنين في فلسطين .

ويضيف قائلاً : ان اسرائيل بأعمالها الاستيطانية التوسعية واعتداءاتها المتكررة على الأراضي العربية المحتلة ، سواء في فلسطين المحتلة أو في لبنان أو في الجولان بسورية لا شك تدعونا جميعاً الى الشجب والمطالبة بايقافها وفق المقررات والأعراف الدولية التي تنادي بها هيئة الأمم المتحدة وينادي بها العالم بأسره ، ويرضاها الشعب الأميركي على وجه الخصوص .

خلاصة كلمتي في المؤتمر الثاني لرجال الأعمال والمستثمرين العرب

المغرب ١٩٨٣/١٠/٣١

إن مؤتمرنا هذا يأتي في مرحلة دقيقة من العمل العربي لتحقيق الكفاية ، والعالم يمر بظواهر ضعف متعددة ومتضاربة يعجز عن معالجتها وتجاوزها فلكل علاج تأثيراته السلبية .

إن الوضع المالي والاقتصادي العالمي له تأثيره على أوضاعنا والسياسات الممكنة في المجالات المتبقية لنا . وتشكو الدول المتطورة من تضخم خلقته البطالة التي تفشت فيها فانخفض الانتاج وتأثر الدخل وعجز ميزان التجارة والمدفوعات . ويبدو أن أسرع حل لهذه الأزمة ان تستمر دول العالم الثالث تستورد لتوقف الكساد الاقتصادي لدى الدول المتطورة ! وقد حصل هذا ظناً من الدول الفقيرة انها تحقق الرفاه مع الاستمرار في التنمية الانتاجية ولم تدرك ان الانزلاق في استيراداتها سيرفع مديونيتها بالعملات الأجنبية .

إن فوائد الديون صارت لدى بعض الدول تفوق كل صادراتها وشروط التبادل انعكست بصورة أسوأ ضد مصلحتها . وبالرغم من الأزمة العالمية حافظت السلع الصناعية على أسعارها في حين سجلت المواد الأولية التي تصدرها الدول النامية انخفاضاً ملحوظاً .

ويزداد الوضع تفاقماً وترتفع الديون والعجز عن سداد فوائدها دون سداد الأصل فتراجعت خطط الاستيراد من أجل التنمية. أما الدول المتطورة فتشكو من تضاؤل مبيعاتها التي تنعش اقتصادها كما تنتابها المخاوف من العجز عن سداد الديون العائدة للجهاز المصرفي العالمي الذي تديره وتحمل مسؤوليته الدول المتطورة ، حتى صار النظام المصرفي بأكمله تحت خطر جسيم لاحتمال تخلف دولة أو أكثر عن الوفاء . . وإذا سمحت للدول النامية ان تستمر في استيرادها المفتوح وتسديد الديون بالمزيد من الديون فان هذا يعتبر حلاً مؤقتاً لا يلبث ان يوصل الى فشل كبير للنظام المصرفي العالمي يهدد النظام الاقتصادي العالمي نفسه .

فالخيارات إذن صعبة ، وقد تجد كل الدول النامية ان التقشف في الاستيراد والاستهلاك هو الحل الى أن تعيد بناء اقتصادها بحيث تتمكن من الوفاء بالتزاماتها وتحقيق

خطة تنمية جديدة موافقة لهذه الغاية ، ولكن هذا سيؤدي الى انخفاض حجم التبادل التجاري العالمي الذي يضر بهذه الدول وأسعار صادراتها .

تبحث الدول المتطورة عن منفذ مؤقت ، لأن النظام المصرفي الحالي مغلق وقادر على احتمال تخلف بعض المديونين وما ديون إحدى الدول إلا أرصدة دولة أخرى . ولذلك فلا تمانع الدول المتطورة في توفير مبالغ جديدة عن طريق المصارف الدولية وذلك لتغطية الاستيرادات المقبلة . إن هذا السبيل سيوفي دولار البترول بحيث يصبح الممول الحقيقي والدائم لاستيرادات دول العالم الثالث التي تحمل وحدها فشل النظام المصرفي الدولي .

إذن فالوضع المالي العالمي مريض ولن تكون علاجاته جذرية ودائمة ، بل مؤقتة وخاضعة لتبدلات سريعة لقيامها على افتراضات مزعزعة . وما ذكرناه عن أسواق العملات والتوظيفات قصيرة الأجل ينطبق على أسواق السلع والبضائع والعقارات والأسهم والمعادن ، فكلها تخضع لتقلبات حادة مفاجئة .

ونستنتج ان مجالات التوظيف المتوفرة في العالم العربي أفضل منها في المجالات الاخرى . فالخيار الحقيقي ليس بين التوظيف هنا أو هناك بل هو في تخفيض التوظيف وتخصيص نسبة منه الى مجالات الاستثمار في العالم العربي . والصورة في البلاد المضيفة لا تقل عنها إلحاحاً في ضرورة واستحسان اجتذاب التوظيفات العربية لأن البلاد المضيفة بحاجة الى جهود مكثفة لنهضة حقيقية في طاقاتها وقدراتها . ويسرنا أن المؤتمر الأول لرجال الأعمال والمستثمرين العرب اتخذ قرارات أهمها :

١ ـ ان الاستثمار في الوطن العربي هو المكان الطبيعي والهدف الذي يجب أن تتجه إليه رؤوس الأموال العربية في مسارات متعددة ومتنوعة ضمن نظرة عربية شاملة ، وهي أقل تعرضاً للمخاطر مما تتعرض له في الخارج .

٢ ـ ان ترك فرص الاستثمار المتاحة في البلاد العربية دون استثمار ودون مستوى الكفاية يعني هدراً وتجميداً للموارد الاقتصادية العربية وزيادة في الاعتماد على الاستيراد من العالم الخارجي .

٣ ـ ان تبني هذا الاتجاه سيؤدي الى تدفق الأموال العربية يصحبه مناخ ايجابي يجذب الاستثمارات ويحميها وينميها بحيث تعطي المردود العادل والتوزيع المتوازن .

٤ ـ إنشاء شركة عربية مشتركة لاستصلاح الأراضي وإقامة المشاريع الزراعية عليها وتزويد مشاريعها بحاجاتها من الري والتخزين .

في مؤتمرنا الثاني هذا نتابع ما بحثناه في المؤتمر الأول ونقدم أفكاراً للقوانين اللازمة له ، كما نعمل على ترجمة فعلية لغاياته وأهدافه في دفع العمل العربي الاقتصادي المشترك نحو التنفيذ في إطار التعاون العربي .

تقريري عن المؤتمر الثاني لرجال الأعمال والمستثمرين العرب الذي عقد في مدينة الدار البيضاء بالمغرب من ١٠/٣١ الى ١٩٨٣/١١/٣

افتتحت الجلسة صباح يوم الاثنين في ١٩٨٣/١٠/٣١ في إحدى صالات فندق السفير برئاسة السيد ناجم أبا عقيل رئيس اتحاد جامعة الغرف التجارية في المغرب وقد تكلم في هذه الجلسة الأستاذ المعطي بو عبيد الوزير الأول في المغرب ، تلاه السيد ناجم أبا عقيل ، فالحاج بدر الدين الشلاح رئيس الاتحاد العام للغرف العربية .

ثم تكلم السادة : الدكتور عبد المحسن زلزلة الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية ومأمون ابراهيم حسن المدير العام للمؤسسة العربية لضمان الاستثمار ، فالأستاذ برهان عودة الأمين العام لاتحاد الغرف العربية ، ثم ألقى كلمة سعادة الدكتور سليم ياسين وزير الاقتصاد والتجارة الداخلية ، فأشار الى الانجازات الانمائية التي تم تحقيقها في إطار الخطط الخمسية المتعاقبة ، والتي أدت الى انشاء قاعدة عريضة ومتطورة للبنى الأساسية وتوسيع القاعدة الانتاجية الزراعية والصناعية . (مرفق نسخة منها) .

وبعدئذ تحدث الشيخ اسماعيل أبو داوود رئيس الجلسة الأولى لمؤتمر رجال الأعمال وقد اتفق الرأي على تأسيس الشركة العربية للاستثمار الزراعي برأسمال قدره مليار دولار على أن تكون شركة مساهمة بحرينية مغفلة ، مقرها البحرين ، وأن يساهم فيها عدد من المواطنين في البلدان العربية .

وقد تم انتخاب لجنة مؤلفة من أحد عشر عضواً ممثلين من أقطارهم من البلدان العربية وكان ممثل سورية الأستاذ عبد الرحمن العطار ، وبعد اجتماع اللجنة المذكورة انتخبت لجنة تأسيس وكان أحد الأعضاء الدكتور راتب الشلاح من سورية .

وقد تم وضع الأسس لطرح أسهم بقيمة /٢٥٠/ مليون دولار ، لأول مرة حتى إذا كان هناك ضرورة لطرح أسهم اضافية يجري طرحها على أن تكون قيمة السهم الواحد مئة دولار .

واستقر الرأي أيضاً على تأسيس شركة عربية للاستثمارات السمكية براسمال قدره مائة مليون دولار .

وهناك توصيات بتأسيس شركتين الأولى للصناعات الهندسية في البلدان العربية .

ووافق المؤتمر على أن يكون اجتماع المؤتمر الثالث في الكويت في عام ١٩٨٥ بناءً على دعوته .

كان عدد الحاضرين /٥٨٦/ عضواً من مختلف الأقطار العربية، وقد تفرعت عن المؤتمر خمس حلقات:

الحلقة الأولى : الصناعات الهندسية والكيميائية في الأقطار العربية .
الحلقة الثانية : الثروة الحيوانية السمكية .
الحلقة الثالثة : الشركة العربية للاستثمار الزراعي .
الحلقة الرابعة : السياحة والاسكان .
الحلقة الخامسة : تمويل المشاريع .

هذا وقد اجتمعت كل حلقة في قاعة منفردة ، وكانت الاجتماعات قد عقدت صباحاً ومساءً في يومي الثلاثاء والأربعاء وفي صباح يوم الخميس عقدت الجلسة الختامية حيث اتخذت المقررات المربوط نسخاً منها .

هذا موجز أبحاث المؤتمر الثاني لرجال الأعمال والمستثمرين العرب الذي عقد في المغرب .

خلاصة كلمتي في الدورة السابعة والعشرين

الخرطوم. ١٩٨٣

بعد التحية الى جميع الوفود أقول انه لمن دواعي السرور والاعتزاز أن تنعقد الدورة السابعة والعشرون من مؤتمرنا في مدينة الخرطوم عاصمة القطر السوداني الشقيق لنعيش أياماً بين أفراد شعبها الأبي الشهم الكريم . وإذا كان السودان يحتاج لبذل الجهود الكبيرة لتحقيق أهدافه وطموحاته في التنمية والتطوير فان هناك الكثير من المزايا التي يتمتع بها ، كسعة أراضيه وقابليتها للزرع والحرث والانتاج الخير . إن أراضي السودان إذا ما أحسن استغلالها فإنها تستطيع تموين البلاد العربية كلها بالقمح والحبوب .

من أفضل الدراسات التي قرأتها مؤخراً تلك التي قدمتها مشكورة الأمانة العامة للاتحاد العام للغرف التجارية والصناعية والزراعية للبلاد العربية ، وموضوع هذه الدراسة يدور حول دور الغرف في المجال الاجتماعي . أرجو أن تكون هذه الدراسة قد عممت على أكبر عدد من السادة الأعضاء والأخوة المهتمين بشؤون الغرف ونشاطاتها نظراً لما في هذه الدراسة من تبصر وحسن تحليل ورؤيا بعيدة.

أشارت هذه الدراسة الى أن التنمية الاقتصادية البحتة محدودة الجدوى ، وتبقى جدواها أقل من المطلوب إذا لم تلازمها وتواكبها تنمية متوازنة مع عوامل اخرى مرتبطة بالظروف الاجتماعية والثقافية ، وتنطلق هذه الدراسة من القناعة بان الجانب الاجتماعي هو الوجه الآخر للتنمية الاقتصادية ، بل هو يستبقها وأحياناً كثيرة يكون المحرك لها . وتطوير الشخصية الثقافية للمواطن هو احد العوامل التي تفسر وتؤدي الى مزيد من النمو والتقدم .

وتركز الدراسة على أهمية العنصر البشري وضرورة خلق الفرد القادر والمؤهل كشرط أساسي لبناء اقتصاد متين ومتطور . وعملية التطوير تتطلب المشاركة المتكافئة والمتناسقة لجميع الفئات بحيث يأتي نتاجها منسجماً مع متطلبات هذه الفئات كلها وتطلعاتها المستقبلية . وتستند هذه النظرية الى شمولية في تفهم أفضل لعملية التنمية على أساس أنها حتى تكون صحيحة وناجحة وفعالة ومستمرة . يجب أن يتوفر لها شرطان هما : تكافؤ وتناسق في العطاء ، وتناسق وتكافؤ بالاستفادة .

كان المفكرون الاقتصاديون في الماضي يدعون بأن كل فرد وكل مؤسسة تجارية واقتصادية تسعى الى تحقيق أكبر نسبة من الأرباح العادية من وراء مجموعة الأعمال التي تقوم بها ، فالربح هو المحرك الأساسي لكل عمل تقوم به ، هذا المفهوم برهن على أنه مفهوم خاطىء وغير صحيح ، وبأفضل الحالات أصبح يحتاج الى تصحيحين رئيسيين : الأول ، هو أن الربح الحقيقي لا يقاس أبداً بالدراهم والجنيهات ، فهناك عوامل واعتبارات وجوانب أخرى ـ قد لا تقاس بشكل مطلق ـ تفوق بأهميتها عامل الربح النقدي ، وحتى الكسب بمفهومه النقدي لا ينحصر بالربح الآني أو المباشر الذي يجنيه الفرد أو المؤسسة ، وحتى تنعكس فوائد عملية التطوير والتنمية على أصحاب المؤسسات أنفسهم أصبح لزاماً عليهم إعطاء الفرصة الكاملة الى الإدارة التي تقوم بالتنفيذ وذلك عن طريق تزويدها بالوسائل الكفيلة برفع مدى عطائها كماً ونوعاً وعدداً ، بالإضافة الى تفجير الإرادة للعمل والعطاء والتقديم .

ونحن إذ نعبر عن شكرنا على هذه الدراسة القيمة ، نرى أنها لربما توقفت عند مستواها القطري فقط، فهي تشير الى مهمة الغرف التجارية ضمن إطار القطر أو المدينة التي نعمل بها، ونحن كاتحاد للغرف العربية نود أن نشير الى أن هذا يجب أن يكون ضمن إطار أشمل وعلى المستوى القومي العام، علّنا نتمكن من الخروج الى هذا المستوى من دوامة الدراسات والتوصيات والاقتراحات والأماني.

اخواني الأعزاء ،

إن خير دليل للضغوط والمؤامرات والدسائس التي يتعرض لها عالمنا العربي ، الحروب العديدة التي شنها العدو ظلماً على الأراضي العربية ، مضافاً إليها حروب اقليمية تقاتل بها الأشقاء وبددوا معها ثرواتهم ودماء أبنائهم مضافاً إليها جرائم مسمومة بثت في كل بلد وقطر جراثيم التفرقة والدسائس والمؤامرات ، والتشكيك الذي زرع في قلب المواطنين حول امكاناتهم وقدراتهم ووطنيتهم وعروبتهم ، بل وحتى في حكوماتهم وقادتهم ، كل هذه الأشياء كافية لإعطائنا الدليل الكافي على أن هناك عدواً يبث السموم القاتلة خوفاً من أن تتوحد كلمتنا ، لأن لنا قدرة وقوة وشأناً لها كلها فعاليتها الأكيدة وتأثيرها على مجرى الأحداث العالمية وتطور الأمور في الوطن العربي الكريم .

أيها الزملاء الأكارم ،

حتى يتم التلاحم وتتوحد الجهود والمنطلقات في وقت نرجو أن لا يطول ، ندعو الله ان يقف وعينا وتبصرنا وايماننا سداً منيعاً يمنع تغلغل العدو الخطير ونتأمل من حكوماتنا الكريمة أن لا تسمح لمثل هذه الخلافات بأن تتعدى كونها خلافات بالرأي وبالنظرة والاستراتيجية والتقويم ، وليس عداء مصلحياً قومياً أو دائماً ، كما أننا نأمل حصر هذه الخلافات بإطارها السياسي فقط دون أن تتسرب الى الأطر الاخرى كالاقتصاد والمالية والتبادل التجاري وحرب التنقل لعناصر الانتاج .

والى أن يتم الذوبان الكامل لكل خلاف عربي ، يعزينا ويشرفنا ان يستمر الحوار البناء والعلاقات الأخوية المتينة بين أفراد الأمة العربية وخاصة فيما بين الأسرة الاقتصادية العربية المتمثلة باتحادكم الكريم .

أخواني الأكارم ،

أرجو لدورتكم هذه نجاحاً في دراستها ومطالعاتها وتوصياتها ، وأن يتمكن هذا الجمع الكريم كأفراد أو كمؤسسات أن يتوصل الى ترجمة هذا الحوار وهذا التفاهم الى اتفاقات مستمرة لتأسيس مشاريع عربية مشتركة تعود بالخير وأفضل الثمار لمؤسسيها ومستضيفيها لتصبح نواة متفجرة تحقق التعاون والتلاحم والتناسق والتكامل فيما بين الدول العربية هذا الأمل الذي يتمناه كل اقتصادي وكل تاجر وكل عربي . وسلام الى سائر أعضاء الحكومة السودانية وسلام الى رئيس وأعضاء اتحاد عام أرباب العمل السوداني والى كافة أفراد الشعب السوداني الطيب العزيز والمحبب الى قلوبنا جميعاً .

أرجو الله أن يكلل أعمالنا بالنجاح والسداد والتوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خلاصة كلمتي في دورة الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية ـ عمان ١٩٨٤

. . . لقد درجنا في جميع لقاءاتنا على استعراض المنجزات في المسيرة الاقتصادية العربية نحو هدفها وهو التعاون لمجابهة الصراع الاقتصادي العالمي .

اليوم نعود الى الأحلام والتطلعات التي كانت تراودنا وتدفعنا الى عمل دؤوب لجعل الاقتصاد العربي محوراً ونقطة انطلاق للتنسيق والتعاون من أجل تكامل اقتصادي أفضل يعم الحياة التجارية والزراعية والصناعية والاجتماعية والثقافية . فكل هذه القطاعات مترابطة وتخلق الازدهار في دنيا العرب الملأى بالخيرات .

لقد استطعنا ايجاد شركات عربية تسد النقص الاقتصادي ، وساهم اتحادنا في تقريب وجهات النظر لقيام هذه الشركات عملاً بخطة من الدفاع عن المصالح العربية والاسهام في النشاطات القومية والعمل على نقل التكنولوجيا الحديثة الى البلاد العربية .

وأهم منجزات اتحادكم إقامة شركات الاستثمار ومنها (شعاع) التي بدأت في المجال الزراعي والشركة العربية للاستثمارات السمكية التي نرجو تمامها ، والشركة العربية للاستثمار الزراعي .

ان الأخطار التي تتربص بالاقتصاد العربي تتجاوز مجرد جعلنا والعالم الثالث أكثر تعرضاً لحاجة الغذاء ، وأكثر من مجرد عدم ضمان الأموال المودعة والمستثمرة في البلاد الأجنبية ، وأخطر من تعرضها للتجميد أو المضاربة أو التأميم ، بل تصل الى نقطة الخوف على ضياع أكثر هذه التوظيفات بسبب المبالغة في تقديم أسعار عملات البلاد التي تتواجد فيها ، وهي في الوقت نفسه معرضة بالتأكيد للانهيار في أسعارها ونكون أول المتضررين .

إن مسيرتنا تقوم على تنسيق الجهود الموحدة للإفادة من التطورات التكنولوجية على مستوى السوق العربي ، فهو وسيلة التآخي والجو الأفضل والضمان للحفاظ على الأموال العربية بإبقائها وتنميتها في الوطن العربي .

وأوجه عنايتكم الى مشكلة الأمن الغذائي التي تفاقمت منذ أصاب القحط والمجاعة افريقيا . ولذلك فان دول العالم بدأت تدرس انتاج المواد الغذائية ولا سيما اللحوم والحبوب . إن هذه المعالجة لا تتم إلا في وطننا ولا سيما في المناطق التي تتوفر فيها المياه والعوامل الطبيعية . لذلك آمل أن ننفذ ما اتخذه اتحادنا من مقررات حول المشاريع الزراعية . ولذلك نأمل للشركات العربية المتخصصة ان تبدأ بقفزة جبارة تنقلنا مع مستوى انتاجنا الى تكنولوجيا تضعنا في صف الدول الأكثر تطوراً في العالم .

قبل أربعين عاماً كنت أراقب تحرك شيوخنا وجهودهم لخدمة الاقتصاد والالتحام العربي وأتساءل ما الذي سيحدث للاتحاد بعدهم ؟ وكيف يمكن لجيل شباب العصر المتهم

بالأنانية والفردية وقلة الاستعداد للتضحية ان ينهض بالأعباء التي تؤمن له الطمأنينة والاستقرار ؟ وبعد أربعين عاماً صار الشباب في الأمس شيوخ اليوم ودعموا المسيرة ورسخوها . فهل سيحمل شبابنا اليوم مشعل المستقبل ؟

انني لأرجو من شيوخنا ان يستمروا في عطائهم ونصحهم ومشاركتهم واذكر منهم بالاكبار الشيخ اسماعيل أبو داوود والشيخ عبد العزيز الصقر والحاج محمد علي بدير . وليسمح لي الدكتور برهان الدجاني وهو الشاب المتجدد أن أصنفه في عداد شيوخ هذا الاتحاد وهذه الفئة التي نقدم لها الشكر وأطيب التمنيات بالصحة والعمر الطويل .

ومن هذا المنظور أتطلع الى الأربعين عاماً القادمة ، راجياً لاتحادكم تقدماً تدعمه العقول الشابة النيرة والمثقفة والمؤهلة والمتمتعة بالنبوغ والرغبة في خدمة الوطن العربي العزيز المستهدف من أعداء الأمة بمؤامراتهم المستمرة التي هدفها إبقاء العرب في دنيا التخلف والجهل والكسل والتمزق.

. . . كما أتقدم بالشكر للأخ حمدي الطباع رئيس المؤتمر رئيس اتحاد الغرف الأردنية وللأستاذ عصام بدير ، وللدكتور الياس غنطوس الأمين العام المساعد ، والسيد سعد دمشقية الذي عايش الاتحاد بعطائه وجميع العاملين الآخرين .

ووفقنا الله لخدمة الاقتصاد العربي ورفعة العرب .

من كلمة ترحيب بأعضاء مجلس إدارة غرف التجارة في المهجر - ١٩٨٥/١٠/٣٠

. . وانا لنفخر بما نسمعه من أخباركم وتوفيقكم في بلاد الغربة التي هاجرتم إليها دون ان تعرفوا أحدا فيها ولا لغة الناس ولا تملكون الا الايمان والعزيمة والاعتماد على النفس . فسرتم في الطريق الصحيحة فبلغتم أعلى المراتب والمناصب والمراكز المالية والتجارية والصناعية ، وكنتم رسل العروبة الى العالم الجديد .

ولا أخفيكم انني أينما سافرت وبأية وسيلة سفر لا بد أن التقي بأخ سوري مهاجر تبدو عليه امارات السعادة والنجاح نتيجة جهده ، وقد صادفتهم من الشرق الأقصى الى الامريكيتين ، وهذا ما يملأ قلبي فخاراً بأبناء وطني .

اخواني لا يسعني إلا الترحيب بكم باسم الفعاليات الاقتصادية وباسمي . ولقد اطلعتم في زيارتكم هذه على أحوال وطنكم وبمنجزاته ومدى ازدهاره فأهلاً بكم ومرحباً .

خلاصة كلمة في لقاء أعضاء الوفد السوفياتي

١٩٨٦/١/١٤

. . . إن أسمى ما في العلاقات الدولية بين منطقتين أو اقليمين هو التفاهم الحقيقي حول الأمور المشتركة التي تواجهها الدول والتلاحم في تحقيقها رغم الصعوبات ، وكلاهما يقوم على الاحترام المتبادل .

ونحن سعداء للعلاقات الوثيقة بين الاتحاد السوفياتي وسورية فهي علاقة تصلح نموذجاً . ونحن كرجال أعمال ينحصر اهتمامنا الأول والمباشر في العلاقات الاقتصادية والمالية والتجارية ، وهي كلها أساسية وجوهرية ، فالعلاقات السياسية يجب ان تدعم بالعلاقات الاقتصادية وهذا أمر أساسي . ان اتفاقياتنا المتعددة للتعاون تراعي المصالح المشتركة وتتميز بالشمولية وخضوعها لمراجعة مستمرة من الطرفين .

ولقد نما التعاون بين بلدينا ، وغرفنا المشتركة قادرة على تقديم الدراسات والتوصيات اللازمة لدعم التعاون وتصحيح مساره ، ولذلك فالمطلوب منا تنفيذ الدراسات الضرورية غير مكتفين بفرص اللقاء .

وأهلاً بكم . . .

خلاصة كلمة ترحيب بأعضاء الغرف العربية الأوروبية المشتركة

دمشق ـ شيراتون ١٩٨٦/١/٨

. . . ولا شك بأنكم خلال زيارتكم القطر وتجوالكم ودراستكم سترون ما تحقق في السنوات الخمس عشرة من نهضة اجتماعية وصناعية وزراعية وعمرانية وصحية وسائر مجالات البنية الأساسية ، وكلها قد تحققت الى جانب قيامنا بواجبنا القومي .

ان زيارتكم تأتي في وقت يمر فيه العمل ضمن غرفنا المشتركة في مرحلة دقيقة جداً وبوجود إشارات ودلائل غير مشجعة تتطلب اليقظة وحسن التصرف .

إن أكثر ما نشكو منه انحسار فترة النمو والشباب التي شهدتها الغرف في المرحلة الأولى من تأسيسها . فالايرادات تتقلص والنفقات تزداد والحماسة تنخفض وتتراكم المسؤوليات مع وجود تساؤلات حول مدى تحقق الأهداف التي انشئت من أجلها .

لا أود إطالة الشرح والتفصيل .

كلمتي في مؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية
قطر- الدوحة آذار ١٩٨٦

اخواني الأعزاء ،

جميل حقاً أن تجتمع الأسرة الاقتصادية العربية ، التي تضم نخبة قيادية في الفكر والعمل وتتداول في مختلف أمورها وشؤونها في جو تسوده الألفة والمحبة والتآخي .

ولا عجب في ذلك ، فالغاية واحدة لعلاج المشكلات التي تعترض الوصول الى الأهداف المرجوة. ونحن قد توصلنا الى قناعات وتصورات نتجت عنها أبحاث وتوصيات عديدة ، ما زالت تعتبر مرجعا لكل عمل عربي يأخذ طريقه الى حيز التنفيذ . وما المنظمات الاقتصادية العربية والاتحادات إلا صورة واقعية على ما تمَّ بحثه ، واقترن بالموافقة . كما ان الاتفاقات المختلفة فيما بين الدول العربية ، تعطينا الدليل على أهمية هذه القرارات ، لأن المؤسسات التي قامت اثبتت فعاليتها .

بين الحين والآخر ، يساور بعضنا التساؤل حول جدوى ما قدمناه من خلال مؤتمرات اتحادكم الكريم . وقد يخشى البعض أن نكون قد استنفذنا موضوع التعاون والتعامل دراسة وتمحيصاً . هذا التخوف يكمن في احتمال السير في حلقة شبه مفرغة تلهينا عن مهامنا في معالجة امورنا اليومية التي تواجهنا في الحاضر والمستقبل .

لذلك وجب علينا العمل بدأب حتى نساهم عملياً في ايجاد سبل واضحة لترجمة التوصيات الى واقع ملموس ، لأن العمل العربي من المفروض أن يكون (ديناميكياً) حتى

لا يتعرض الى عراقيل مصطنعة أو يخضع لمصالح أجنبية مفروضة ، بينما الحالة الاقتصادية العامة ما برحت متخلفة ومجزأة وتابعة. والجهود التي بذلت، وخاصة الناجحة منها، قد اتسم أكثرها بالنظرة القطرية الضيقة ، لأنها لم تسهم في ترسيخ قاعدة اقتصادية قادرة على تحقيق التكامل الاقتصادي والتنمية المتوازنة .

ونحن لا ندعي ، لا كمجموعة ولا كأفراد ، السلطة لإنجاز وتحقيق ما قد توصلنا اليه أو نتوصل اليه من قرارات ، فهذا منوط إقراره بحكوماتنا . لكن ضمن الإطار الحالي تقع علينا مهمة الابتكار والتشويق لأفكارنا وقناعاتنا المطلقة حول هذه الأسس والخطوات .

هناك مجال آخر واسع وكبير ، هو العمل المركز والمبادرة الى تأسيس الوحدات الاقتصادية الواحدة تلو الاخرى في جميع أجزاء الوطن العربي ، لتلتقي في المستقبل مع العمل العربي الرسمي .

وتسرني هنا الإشارة إلى أحد الإنجازات الهامة التي حققها اتحادكم في إنشاء الشركة العربية للاستثمارات العامة ، التي تقوم بتجميع المدخرات وتنميتها وتوظيفها بالطرق المناسبة ، بقصد تنمية الاقتصاد العربي وتوفير الفرص للبحث عن إمكانيات توظيف رؤوس الأموال للاستثمار الصناعي والزراعي والتجاري والمالي وفي أي نشاط اقتصادي آخر شامل ، ويشترط أن تكون مفيدة في تنمية أي قطر عربي ، مع ضمان سلامة المشاريع ، والتحقق من الأرباح .

لقد تم تأسيس هذه الشركة ، وقد ضمت النخبة المختارة من رجال الأعمال والفكر العرب ، كما تم تجميع المساهمة المطلوبة لهذه الغاية ، غير أن الوجه الأخر من مهمة هذه الشركة لم يكتمل بعد ، وهو الشروع في تأسيس وحدة انتاجية كبداية لنشرها ، بحيث يشمل جميع أنحاء البلاد العربية في المستقبل القريب .

وإننا نعلم ، مدى حرص السادة أعضاء إدارة هذه الشركة على التأكد من سلامة ونجاح أي مشروع يقومون به ، والمعروف أنهم قد أقاموا عدة مشاريع خاصة داخل اقطارهم وخارجها وعلى مستوى اقليمي وعالمي ، لذلك فاننا واثقون من أنهم لن يترددوا في تنفيذ أي مشروع مضمون العاقبة ، وخاصة فان لهذه الشركة لجنة استشارية مؤلفة من

خبراء واخصائيين من المجلس نفسه وممن يرشحه مجلس اتحادكم ، مهمتها ابداء المشورة حول توظيف أموال الشركة ، كما نص النظام الأساسي .

اننا نتوقع ان تصبح هذه الشركة نموذجاً رائداً في التعاون والتعامل والتكامل العربي ، ونأمل أن يجد المشاركون العرب في هذه الشركة الضمانة والفرصة السانحة والرابحة في توظيف رؤوس أموالهم ، تمشياً مع متطلبات وطننا العربي الكبير .

هذا ، وان الآمال معقودة على أن تكون الشركة محور كل استثمار وتوظيف جديد في العالم العربي ، بحيث يكون لديها القدرة المالية والكفاءة الفنية والوضع المفضل لدى الدول العربية كافة ، مما يشجعها على تغطية أكثر احتياجات العرب من صناعة وزراعة وسياحة ومال وغير ذلك .

خلاصة كلمة في الندوة الاوروبية بدمشق

١٩٨٩/١٢/٧

باسمي وباسم أعضاء مجلس الإدارة أعضاء الغرفة ، أرحب بسيادة وزير الاقتصاد الدكتور محمد العمادي ، وبالسيد رئيس بعثة المجموعة الاقتصادية الاوروبية ، معبراً لهما عن تقديرنا وشكرنا لرعايتهما واسهامهما في أعمال هذه الندوة لبلورة العلاقات القائمة بين كل من القطر العربي السوري والمجموعة الاوروبية .

أخواني الأكارم ،

تتصف العلاقات الاوروبية السورية في الأصل ، بأنها علاقات مميزة ومتينة وعريقة ، حيث أنها تتعدى العلاقات الاقتصادية العابرة ، فسورية مرتبطة عبر القرون والأزمان مع بلدان المجموعة الاوروبية ارتباطاً حضارياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً . وكانت سورية تتطلع دائماً الى اوروبا على أنها الأفضل والأقرب والأيسر في كل ما تحتاجه وتسعى اليه .

وبقدر ما كانت العلاقات الاقتصادية عميقة وواسعة كانت كذلك مبسطة وودية وأخوية . كما أنها تتصف بالتكامل عوضاً عن أن تكون متنافسة أو متضاربة .

وبقدر ما كانت كبيرة كانت مرضية ، إذ لم يكن بين القطر العربي السوري ودول المجموعة الاوروبية أي اختلافات جوهرية في أي يوم من الأيام حول المبدأ أو الأسلوب أو التنفيذ في اي من علاقاتها الاقتصادية .

تأخذ العلاقات السورية الاوروبية منعطفاً هاماً لأسباب رئيسية ثلاثة :

١ ـ الأول ـ هو أنه كما ذكرت ، توجد روابط تقليدية عميقة وعريقة تربط المجموعة الاوروبية وسورية ، ولا بد من ضرورة توضيح النواحي الاقتصادية والمالية والتجارية بشكل عام .

٢ ـ تتجه الأنظار بهذه الأيام الى بلدان المجموعة الاوروبية وهذا الاتجاه ينبع من الأهمية المتزايدة التي تتبوؤها المجموعة الاوروبية خاصة بالنظر للدور الكبير الذي ستلعبه على الساحة الاقتصادية الدولية ، ابتداء من عام ١٩٩٣ .

لقد كان الحديث ينصب في الماضي على العمالقة الاقتصادية المتمثلة بأميركا وروسيا واليابان . أما الآن فان التكتل الجديد المعروف بالمجموعة الاوروبية سينضم الى نادي الكبار ، وسيتبوأ مركز الصدارة بين العمالقة المذكورين . والمجموعة الاوروبية لا تتميز فقط بحجمها وقوتها المؤثرة على التطور الاقتصادي والمالي في العالم بل بعلاقاتها العميقة والمتشعبة والقديمة جداً مع كل بلدان العالم ، خاصة من خلال علاقات وروابط الاستعمار التي كانت لدول اوروبا مع معظم بلدان العالم الثالث .

٣ ـ تزداد الفوارق في التطور والتكنولوجيا والنمو بين دول العالم الثالث أو النامي ، وبين الدول الصناعية .

لقد كنا في الماضي نتوقع أو بالأحرى نتمنى أن تتضاءل هذه الفروقات الى أن تذوب وتزول ، ونتحول بعد ذلك الى عالم تسوده توزيعات في الموارد تكون أكثر عدالة وتطورٌ متكامل متوازن يشمل كل أنحاء العالم .

من الناحية المبدئية تعارض دول العالم الصناعية هذه الفوارق وتعلن أنها تسعى الى تقليصها وتقويضها . كما أن دول العالم الثالث ترفضها وتطالب بمعالجتها جدياً وسريعاً . أما من الناحية العملية فالجميع يدرك أن الفوارق المتزايدة ستنعكس سلباً على نوع التعامل وحجمه . كما أن الأدمغة والأموال والتوظيفات التي تتدفق حالياً نحو العالم الصناعي ستنضب وستتوقف .

أما استمرار العجز في موازين مدفوعات العالم الثالث ، فسيصادف يوماً من الأيام عجزاً كاملاً وتوقفاً نهائياً عن السداد بالالتزام أو القدرة على الاستيراد أو التبضع .

لذلك نجد أن سلوك المجموعة الاوروبية ومنهاجها وأطر تعاملها مع بقية الدول تتأثر بناحيتين . الناحية الأولى في تعاملها هي بالذات مع تلك الدول ، والثانية بتأثيرها على منهاجية وسلوكية الكتل العملاقة الاقتصادية الاخرى في العالم .

اننا حريصون ومتلهفون لسماع السيد المحاضر وشرحه للضوابط والشروط المنظمة لتعاملنا وعلاقتنا في القطر العربي السوري مع المجموعة الاوروبية . ليس فقط لأنه يتحتم علينا الإلمام بكافة النواحي العملية لسبل التكامل معهم ، بل لأن هذه المعرفة من قبل كل من هو معني بتلك العلاقات هي مقدمة للبحث في بعض النقاط التي نقترح تصحيحها وتعديلها حتى نتمكن من أن نجعل من تعاملنا مع المجموعة الاوروبية علاقة جيدة تخدم مصلحة الطرفين وتعطينا الفرصة والقدرة والمساعدة على تحقيق أهدافنا في التنمية والتطوير والتقدم .

كلمة عن ضمان التصدير

القيت في مدينة مونترو في المؤتمر الدولي لضمانات التصدير

. . . يسعدني أن ألتقي بأبرز قادة الأعمال في العالم في مؤتمر فيه أفكار جديدة وأهداف جديدة وتغيير مستحب في علاقة البلاد العربية بأوروبا .

إن النظام الاقتصادي العالمي يمر حالياً بظاهرتين إذا تفهمناهما ووضعنا لهما خطاً واضحاً سريعاً أثر ذلك على مستقبل العالم .

فالأولى أن العالم مترابط متشابك وازداد ذلك نتيجة وسائل المواصلات التي جعلت رقعة العالم أصغر ، لذلك فردود الفعل تسري دوماً وفي كافة الأرجاء ، ولم يعد من الممكن لأي بلد أن ينتهج سياسة مستقلة دون النظر الى بقية العالم . لذلك فأفضل سياسة هي التي تحقق الفائدة للبلد مع أقل ضرر للآخرين ، ولم يعد بالإمكان اتخاذ سياسة وطنية قصيرة النظر لا تأخذ الآخرين بالاعتبار .

والمسألة الثانية هي الفجوة الكبيرة بين الدول المتقدمة والنامية ، وهي واضحة في كل المجالات كالانتاجية والدخل والثقافة والخدمات ومستويات المعيشة . ومع أننا متفقون على ضرورة تقليص الفجوة إلا أنها تزداد يوماً بعد يوم .

يشبه مفرق الطرق الآن ما كان سائداً أثناء وبعد الثورة الصناعية إذ كانت الفجوة بين الأغنياء والفقراء في كل قطر ، أما الآن فهي بين الدول الغنية والفقيرة . وقد أصبحت أوروبا تنعم الآن بعلاقات اجتماعية أفضل بعد أن تجنبت المخاطر والانزلاقات ، ولكن الأمر يتطلب معالجة الفارق بين الوضعين بشكل عاجل وملح واتخاذ التدابير اللازمة.

إن العالم العربي يعاني من مشاكل وصعوبات بعضها ليست من اختياره وإنما فرضت عليه ، وتخطيها يمكن أن يتم من قبل العرب وحدهم أو يتم بتعاونكم أو تعاون الأخرين . فتصرفكم الايجابي يعطيكم فرصة طيبة لأن تكونوا شركاء في ازدهار منطقة هامة غنية ومجزية .

قد لا نطلب منكم أن تفعلوا الكثير كرجال أعمال بالنسبة لسياسة الحكومات ، ولو أنكم تستطيعون ذلك لايجاد مناخ التعاون . ولكن يمكن لنا أن نطلب منكم تركيز جهودكم على مواضيع ومشاريع معينة تعتبر مدخلاً لتعامل سليم ومشاركة عملية وعادلة . فمن ذلك ائتمانات التصدير وضماناتها التي لا بد منها لترويج التجارة وبدونها سيبقى حجم تجارة الدول صغيراًويؤثر ذلك سلباً على الازدهار العالمي . ان ائتمانات التصدير وضماناتها جزء من نظام كامل في كل دولة ولها دور في خدمة التجارة والتصدير كما أنها لا تعاني من قصور مؤسسي أو مشاكل تنظيمية أو صعوبات مالية .

يشكل البنك الاميركي للتصدير والاستيراد نوعاً من المظلة لائتمانات التصدير والتسليفات الخاصة بها وضماناتها . وبالاشتراك مع جمعية ضمانات الاعتمادات الأجنبية يوفر البنك ضمانات ائتمانية للمصدرين الاميركيين ، كما أنه يمنح ضمانات للديون بين مصرف ومصرف . اي أنه يغطي أخطار التسليف الى البنوك الأجنبية عندما تسلف هذه الأخيرة لزبائنها الذين يشترون بضائع أميركية . إضافة الى ذلك فان لدى بنك التصدير والاستيراد برنامجاً لخصم التسليفات وبواسطته يوفر الأموال للمبيعات الاميركية من بضائع أو خدمات بمعدلات فوائد محدودة ومغرية في مجالات التمويلات المتوسطة الأجل . تقدر هذه

التسهيلات المشار إليها أعلاه ستبلغ ما يفوق الـ٦ بليارات دولار بنهاية عام ١٩٧٨ . علماً بأن بنك التصدير والاستيراد لا يشمل كل أنواع التسهيلات والضمانات المتوفرة في أميركا . فالشركات والمصارف توفر مبالغ طائلة إضافة الى ما يمنحه البنك .

لربما كان من الأفضل أن نأخذ اي بلد اوروبي كمثل بدلاً من اميركا حيث ان الصادرات الاميركية تمثل نسبة بسيطة من مجموع الدخل العام القومي اذا ما قورنت بالصادرات الاوروبية والدور الأهم الذي تلعبه بالنسبة لمجموع الدخل القومي الاوروبي . كما أن المؤسسات الاوروبية تتمتع بتاريخ أطول وتجارب أوسع وأعمق .

أما بالنسبة للدول النامية ، فإن عدم فعالية أو حتى وجود هذه المؤسسات هو مثال عملي للحلقة المفرغة السيئة التي تدور فيها هذه الدول . ان محدودية المصادر المالية هي سبب ونتيجة لعدم توفر النقد الأجنبي ، وكلاهما ناتج عن التجارة وتخلف التصدير . ومن أسباب تخلف التصدير عدم توفر مصادر التمويل الضروري لعمليات التصدير . والحل يبدو بعيداً بسبب ضعف البنية المؤسسية والأجهزة الإدارية وانعدام التنسيق والتنظيم .

إن الحلول لهذه الناحية عديدة ، وهذه الحلول يمكن أن يماشي بعضها بعضها الآخر في آن واحد . المشكلة ليست متمثلة بفقدان الحلول بل متمثلة بعدم تقديم الحلول إن وجدت وبعدم تطبيقها .

اني ألفت انتباهكم الى ثلاثة أمثلة أجدها مفيدة جداً :

١ ـ نظام ايكاف (ECAFE) :

أسست اللجنة الاقتصادية لآسيا والشرق الأقصى التابعة للأمم المتحدة نظاماً اقليمياً لتمويل الاعتمادات أجده مدروساً ومنهجاً وناجحاً . حيث أنه يشمل متطلبات مراحل تطورات هذه المنطقة الحالية والمستقبلية. لذلك أجد أن أهدافه ومهامه يمكن اقتباسها كنهج لأي نظام اقليمي ، وأجد انه من المفيد تسطير هذه المهام وهي :

أ ـ ضمان مباشر للتصدير في البلدان التي ليس لها نظامها الوطني الخاص .
ب ـ إعادة ضمان الصادرات التي تم ضمانها من الأنظمة الوطنية القائمة .
ج ـ توفير المعلومات عن المشترين الأجانب والمعلومات الاقتصادية عن الأسواق الخارجية .

د ـ المساعدة الفنية والإدارية للأنظمة الوطنية بناء على طلب حكومات هذه المنطقة التي تريد إقامة نظام وطني .

هـ ـ بالنهاية ، الاكتفاء بدور المستشار والكفيل للأنظمة الوطنية بعد تأسيسها وعملها .

٢ ـ اتحاد بيرن

يختلف اتحاد بيرن عن نظام ECAFE من حيث انه يخدم فقط الدول التي يوجد لديها أنظمة لضمان تسليفات التصدير ويهدف تطوير تأمين الصادرات بتوفير المعلومات وتوسيع تبادل الآراء وإيجاد منبر للتباحث حول التنظيم والوسائل والمشكلات ويمكن لنظام مماثل أن يلعب دوره الفعال إذا ما أضيف الى مهامه وظيفة إعطاء المساعدة المالية والفنية والإدارية لإقامة الأنظمة الوطنية .

٣ ـ بيع الفواتير FACTORING

المثالان المذكوران أعلاه يشكلان نوعاً من التركيب الإداري والشكل التنظيمي . أما بيع الفواتير فانه يمثل عملاً معيناً قد تقوم به أنواع متعددة من المؤسسات . ويمكن لهذا النوع من التدابير أن ينجح في الدول النامية حيث انه يتمتع بميزة فريدة . بالإضافة الى توفير الأموال للمصدرين وضمان هذه الأموال . ان هذا النوع يريح المصدر من مشكلات التنظيم ومسك الحسابات . فطالما ان هذا النوع من الضمان يعمل على طريقة شراء الفاتورة من المصدر فبإمكان المصدر ان يلتفت الى النواحي الفنية والتصنيعية دون الاهتمام بمشكلات إضافية كالتحصيل والديون الخ . . . .

٤ ـ المؤسسات الاوروبية

ولربما أمكن الاعتماد على المؤسسات الأوروبية القائمة كحل بديل ومؤقت. فبدلاً من تحديد مجال عملها في نطاق تمويل وضمان الصادرات يمكننا أن نوسع عملها لتشمل تمويل الاستيرادات وضمانها .

أترك التفاصيل والبحوث الموضحة للسادة أعضاء هذا النقاش ، ويسرني أن أقدمها لهم .

لمحة عن غرفة تجارة وصناعة جدة

١٩٩٠/٢/٢٥

موجّهة للسادة الزملاء أعضاء مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق المحترمين

منذ أكثر من عشرين عاماً ، تولى الشيخ اسماعيل أبو داوود ، رئاسة غرفة تجارة وصناعة جدة ، وكان مقرها في (سوق جدة) الرئيسي ، فاغتنم فرصة وجود المغفور له الملك فيصل آل سعود رحمه الله ، وحصل منه على معونة هامة لبناء مقر حديث للغرفة على طريق الميناء .

أنشأ الشيخ اسماعيل هذا المقر على أرض تزيد مساحتها عن ثلاثة آلاف متر مربع ، يحتل البناء المؤلف من ستة طوابق ستمائة متر من مجمل مساحة الأرض وأتاحت إقامة هذا البناء توسيع الجهاز الإداري للغرفة الذي بدأ بخمسة موظفين وارتفع عددهم الى مائة موظف الآن بمؤهلات عالية ، بينهم عدد من حملة الدكتوراه والماجستير والدبلوم ، ولا تقل مؤهلات الحجاب والآذنين عن الابتدائي والثانوية .

وفيما بعد اشترى الشيخ اسماعيل قطعة أرض تبلغ مساحتها أربعين ألف متر مربع لإقامة مركز تدريب مزود بأحدث الأجهزة ، ويقع هذا المركز على بعدأربعة عشر كيلومتراً من المركز التجاري القديم في جدة ، وقد أنشىء البناء في عام ١٩٨٨ ، على مساحة قدرها /٧٥٠/ متراً مربعاً ، ثم أقيم بناء على مساحة /١٢٥٠٠/ متر مربع خصص منها عشرة آلاف متر مربع لتكون قاعة معرض ، تقوم على أربعة أعمدة فقط ، وصالة بناء ملحق مساحته /٢٥٠٠/ متر مربع يستخدم مستودعاً للمعرض .

أصبح هذا المركز معرضاً لمدينة جدة ، وخلال زيارتنا كانت تشغله المنتجات المصرية لقاء أجور متفق عليها لبيع المعروضات لتجار جدة فقط ولا يحق لهم البيع لزوار المعرض ، وتتقاضى الجمارك السعودية رسم بنسبة (١٢ ٪) بالمئة على المبيعات والسلع المعروضة ، والتي لا تباع خلال مدة العرض وهي /١٥/ يوماً تعود الى مصر .

وحينما زرت المعرض كانت مربعات الصالة كلها ملأى بنماذج المنتجات من كل نوع ، تسعون بالمائة من انتاج القطاع الخاص ، ولا تقل جودة عن أرقى مثيلاتها في

أوروبا ، وسيفتح في هذه الصالة في السادس والعشرين من شعبان القادم معرض لجميع الصناعات السعودية .

وأخيراً اشترت غرفة تجارة جدة أرضاً مجاورة للمعرض ، مساحتها /٣٠/ ألف متر مربع لوقوف السيارات ، إضافة الى احتمالات التوسع في المستقبل ، وسينقل مركز التدريب الى بناء الغرفة القديم ، وتنتقل الغرفة الى بناء ضخم يتألف من ثلاثة عشر طابقاً ، على مقربة من الميناء . وعلمت أن الاحتفال بافتتاح هذا البناء سيكون بعد حوالي شهرين أو ثلاثة أشهر .

يضاف الى ذلك بناء مستودعات لتجارة جدة ، على أرض طولها ثلاثة كيلومترات وعرضها أربعة كيلومترات ، تبعد عشرين كيلومتراً عن المدينة (جدة) ، وتبلغ مساحة كل مستودع أربعمائة متر ، وأجرته رمزية هي خمسمائة ريال في السنة . مع تأمين الهاتف والكهرباء والحراسة والإدارة للمستودعات وطريق خاص اسفلت .

وجدت من المفيد أن أضع أمامكم شرحاً لهذا الإنجاز الهام ، كمثال على الأعمال الكبيرة التي تنفذها الغرف العربية ، وأذكر أننا في اجتماعات مكتب الاتحاد بدمشق ، كنا نحاسب على جباية عشر ليرات سورية كرسم لإقامة المعارض ونحن حتى الآن لم نقم بهذه المشاريع ، وأتساءل هل نلغي هذا الرسم أم نرفعه الى مائة ليرة سورية على الأقل ، ليكون بداية للإعداد لمشروع مستقبلي حينما يفرض التطور على الغرف إقامة المعارض وتحمل مسؤولياتها .

كما أتساءل عن الرسم المحدد بعشرين ليرة سورية لبناء مقر اتحاد الغرف السورية ، هل يلغي مكتب الاتحاد هذا الرسم بحجة أن الاتحاد لم يبدأ حتى الآن بشراء الأرض لهذا البناء ؟ . . أم أنه سيرفع الاشتراك الى مائة ليرة سورية لتكوين الرأسمال المطلوب لهذه الغاية .

هذه المبالغ الضئيلة (عشر ليرات أو عشرون ليرة) ما هو تأثيرها على أي تاجر مهما بلغت درجته .

أرجو تخصيص الجلسة لمجلس إدارة الغرفة، لدراسة هذه المواضيع ومنحها الأهمية المطلوبة . كما أرجو كذلك من مكتب اتحاد الغرف السورية حضور هذه الجلسة مع رجائي بتقبل هذه الملاحظات بسعة صدر ، ولا سيما وأنني ضيف عندكم ولا أدري الى متى أرافقكم في هذا الطريق ، وأمامكم فسحة العمر ورحابة المستقبل .

في الامارات العربية

١٩٩٠/١١

. . . في تذكري للماضي ومقارنتي إياه بالحاضر ، أذكر أنني في عام ١٩٧١ ، كانت أمنية لي أن أزور هذه الإمارة الغالية (أبو ظبي) ، وقد طلبت فعلاً التأشيرة من السفير البريطاني في بيروت ، ولم أحصل على الموافقة ، وبعد ذلك بعام واحد حصلت إمارة أبو ظبي على استقلالها ، واتحاد إماراتها تحت شعار (دولة الإمارات العربية المتحدة) ، وتحققت أمنيتي بزيارتها مع وفد سوري يتألف من أحد عشر تاجراً في يوم الجمعة المصادف ١٩٧٢/٤/٢١ ، وقد حصلنا على التأشيرة في مطار أبو ظبي ، وكان المرحوم أحمد محمود المسعود آنذاك رئيساً للغرفة التجارية ، رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه .

في ذلك الحين لم يكن في أبو ظبي سوى فندق عادي يشتمل على ست غرف فقط ، وبعد ذلك انعقدت الدورة الثامنة عشرة لمؤتمر غرف التجارة والزراعة والصناعة العربية في هذه الحاضرة الجميلة ما بين ٧ و ١٠ نيسان من عام ١٩٧٣ ، وقد ظهرت بدايات النهضة بصورة ملموسة وكان انعقاد الدورة المذكورة في فندق هيلتون .

وما أعظم سروري بلقاء جديد يجمع هذه الشريحة الواسعة من الأسرة الاقتصادية الكبيرة التي تضم ممثلين لكل قطر من وطننا العربي الكبير ، وأشعر بأن الزملاء الكرام الذين شهدوا ولادة هذا المؤتمر وواكبوا مسيرته الطويلة حوالي أربعين عاماً من اللقاء والمناقشات والجهود الهادفة الى إقامة قوة اقتصادية عربية توفر أساساً متيناً ودعماً فعالاً لمواقفنا السياسية أمام العالم ، وتحقق الرخاء والعيش الكريم للإنسان العربي ـ أشعر بأنهم يتساءلون عما حققناه فعلاً ، والى أين تتجه المسيرة في المستقبل القريب والبعيد .

أما الجيل الشاب الذي شارك ويشارك حديثاً في هذه المؤتمرات فلا بد انه يتساءل عن دور الاتحاد وانجازاته عبر هذه المسيرة الطويلة ، وعلى هذا أجيب بأننا نادينا منذ أربعين عاماً بالوحدة الاقتصادية العربية والسوق العربية المشتركة وطالبنا بتحقيقها ولم تكن ثمة صناعات كبيرة وأسس اقتصادية حقيقية ، ولم تكن السوق الاوروبية المشتركة قد برزت لا من حيث الفكرة ولا من حيث التطبيق .

بل اننا لم نقتصر على المطالبة المجددة ، بل وضعنا أوسع التصورات لشروط ومرتكزات الوحدة الاقتصادية العربية ، وحددنا أساليب العمل ومشاريع الانطلاق ، مرفقة بالدراسات العلمية الجادة ، وليس بيننا من يتردد في إتباع أي خطوة علمية وحقيقية على هذا الطريق ، وعلينا الآن أن نرفع الصوت عالياً للمضي قدماً على مسار التكامل الاقتصادي قبل أن تداهمنا المتغيرات الجارفة .

ولم يبق إلا القليل من الزمن لنواجه العملاق الاقتصادي الاوروبي وقد تحرر من حواجزه الداخلية ، وبرز كقوة عظمى في وجه العملاقين الامريكي والياباني وها هي المنظمة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي تنطلق بانفتاح واسع على الدول الصناعية المتقدمة ، وتتحدث عن البيت الاوروبي الواحدة وتعمل بعقلية السوق ومنطق الربعية والربح فوق كل اعتبار .

أما حان للدول العربية ان تهب لمواجهة هذه المتغيرات وإعادة النظر في حساباتها القطرية المحكومة بقيود التجزئة ، وأن تبدأ بحسابات جديدة أساسها أن الوطن العربي سوق كبير يشتمل على /١٨٠/ مليون مستهلك. وهذا شرط حاسم لفرض تكتل اقتصادي ضخم مؤهل لتحقيق القاعدة المالية للتقدم والمنعة ، بدلاً من أن نبقى احدى وعشرين دولة صناعاتها استهلاكية ، وكل منها يتحصن وراء حواجز الحماية وأنظمة التجزئة .

ان اتحاد الغرف العربية موقع أمل ومبادرة ، وقد اكتسب دوراً عربياً وعالمياً ، واتسعت علاقاته في كل اتجاه ، عن طريق الغرف العربية ـ الأجنبية ، وينظر اليه الآن في معظم الدول الرأسمالية والاشتراكية ، كمرجع ذي مكانة واعتبار ، وله وزنه الاقتصادي والاجتماعي . ومن هنا فان مسؤولياته واضحة وقائمة على جميع المستويات وتفرض عليه المزيد من الإلحاح والسعي لتحقيق قناعاته وتحويل مواقفه الى حقائق .

كلمتي في اجتماع مجلس اتحاد الغرف العربية في دمشق

١٩٩٠/٥/١٠

أخواني الاعزاء . .

منذ نيف وأربعين سنة قام اتحادكم يحمل الآمال العريضة ببناء صرح اقتصادي شامل يتخطى حواجز التجزئة ويقيم أواصر مشتركة يفرض من خلالها ركائز الوحدة الاقتصادية كقاعدة متينة للتنمية الشاملة وتوفير شروط المواجهة الذاتية للمخاطر، وكنا ندرك بوضوح أن أمتنا العربية مطوقة بالضغوط محاطة بالأطماع مهددة بالتمزق ، ولكننا كرجال اقتصاد نعرف دورنا في بناء أسس الاعتماد على النفس .

دعونا دائماً الى وضع استراتيجية عمل مشتركة في جميع المجالات الاقتصادية ، يعقبها تنفيذ جاد وصادق ومتواصل لخطط العمل تتكفل ثماره بوضع الدول العربية أمام روابط ظاهرة العطاءات والنتائج ، يصعب التراجع عنها ، وكنا ندرك منذ البداية أن العلاقات الرسمية بين هذه الدول عرضة لتقلبات حادة تفرضها الضغوط العديدة ومحاولات الهيمنة على أمتنا . إلا اننا كنا على ثقة من أن هذه الأزمات ليست وليدة خلافات مبدئية ، بل هي سحابة صيف لا تلبث أن تنقشع ليعود التفاهم والصفاء .

في عقد الستينات تحققت بدايات السوق العربية المشتركة ، وأقيمت مؤسسات التكامل الاقتصادي على المستوى الفني وفقاً لتوصيات اتحادنا ، وبرزت الاتحادات العربية في مجالات التصنيع ، **ولكن هذه البدايات توقفت في منتصف الطريق ومنيت بالتعثر والاقتصار على هدر الحبر والورق في توصيات ودراسات اصبحت دفينة الخزائن والارشيف** .

وبينما كنا نراوح في مواقع التردد كان العالم يتهيأ لمتغيرات كبرى لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، تبدلت من خلالها طبيعة الصراع العالمي وتبدلت أدواته ، وفرضت الثورة التكنولوجية أساليب عمل وحققت تجهيزات مذهلة غيرت أسس التعامل والاتصالات وفتحت العالم كله بعضه على بعض ، فأصبح أشبه بالبيت الواحد الذي زالت منه الحواجز وأصبحت الأمم وجهاً لوجه بلا أقنعة ولا جدران .

طالب اتحادنا باستباق المتغيرات وإقامة قواعد الوحدة الاقتصادية العربية لنواجه عالم العمالقة الاقتصاديين بوحدة الصف ووحدة القرار ووحدة المواجهة ، وبذلك نوفر شروط الاحترام والرعاية لمصالحنا ونتحرر من التبعية الاقتصادية للتكتل الغربي ، ولكن مطالبنا ما زالت حبراً على ورق ، واستمر تردي قدراتنا على التبادل المتوازن وازداد اعتمادنا على الدول المتقدمة حتى في مجال تأمين الغذاء .

ليس من المبالغة أن نجد أنفسنا في قاع سحيق من العوز والحاجة فأمتنا مثقلة بحجم هائل من الديون نخشى أن نلقي عبء تسديدها على عاتق الأجيال المقبلة ، ودولنا تقرع أبواب الدول المتقدمة لسد احتياجاتها ـ كل على حدة ـ في مرحلة احتدم فيها الصراع على الأسواق والموارد ، وبرزت فيها الشعوب المنتجة التي نجحت في تجنيد كامل طاقاتها لاحراز الكفاءة الاقتصادية .

ولسوء الحظ مرت طفرة الأموال النفطية بلا عودة ولم نحسن اغتنام فرصتها لبناء القاعدة المادية للانطلاق ، ولعلنا أعطينا العالم صورة مضخمة عن تراثنا الموهوم ، وفقدنا التعاطف الموضوعي مع أوضاعنا ، وما زلنا حتى الآن ننادي بالتكتل الاقتصادي الحقيقي لا الكلامي لمواجهة العالم الجديد .

لسنا هنا لتبادل المجاملات وبيع الاحلام ، بل لاستعراض الحقائق ولنعترف بانها قاسية ومريرة امام عالم يتحلل ويعاد تركيبه امام اعيننا ، عالم انقسم نهائياً الى شمال يفيض بالازدهار والرخاء والتفاؤل ، وجنوب يرزح تحت كابوس التخلف والديون والمتاعب . انه صراع غير متكافىء إذا تجاوزنا فيه التفسير التآمري انتهينا الى أنه صراع من أجل البقاء ينتصر فيه الأقوى والأفضل . ولا نذهب الى الظن بأن الشمال المتقدم سيمد يد المساعدة الصادقة الى الجنوب ويذلل ما يعوق مسيرته من الصعوبات . ففي أفضل الحالات لن يقدم العون إلا في حدود ما يجد نفسه مضطراً اليه ، وبمقدار ما يخدم ذلك مصلحته أو حاجته أو خططه لصياغة العالم الجديد .

سيقولون : لا نستطيع مساعدة بلد عاجز عن مساعدة نفسه ، وهذا قول حق أريد به باطل ، فهم يتناسون أعباء التبادل المختل ومساوىء العلاقات غير المتوازنة على اقتصادنا ، ويتجاهلون ثقل المديونية الطاحنة على مواردنا ، وليس من رد حاسم على هذه الذرائع غير تكاتفنا وتكامل قدراتنا وإقامة وحدتنا الاقتصادية بأي ثمن .

لم لا نتحد اقتصادياً ، نحن وطن واحد نشكل معاً السوق الكبير الذي يضمن تسويق كل انتاجنا ، وانتاج أكثر من حاجاتنا ، ومن موقع الوحدة نستطيع إحراز الاحترام والتكامل المتكافىء الذي يناسب ويعزز مسيرة التنمية العربية ، ويوفر لأجيالنا فرص العمل الجيدة ويحميها من الحاجة والاغتراب والتشرد .

ليس ثمة حواجز يستحيل تجاوزها ، ليس ثمة عقبات كأداء أمام الإرادة الصادقة والتصميم الشامل الأكيد ، ولقد تعلمنا أن الزمن لا يحل أي معضلة بل يزيدها تعقيداً ، وموعدنا مع عالم العمالقة يقترب بسرعة مع حركة العد التنازلي ، ولن يداهمنا ونحن متفرقون إذا تواصلت خطانا على طريق الوحدة الاقتصادية .

ربما يجد بعضنا أن التكتلات الجزئية تقدم حلولاً جزئية أمام واقعنا المزمن ، ولكننا نؤكد أن الهدف الحاسم هو الوحدة الاقتصادية الكاملة التي تفرض التنسيق الشامل والتخطيط المشترك ، فإذا كانت التكتلات الجزئية هي المدخل المتوخى للوحدة ، فأهلاً بها ، ولكن يجب ربطها بالتزام الوحدة الكاملة التي تبقى الهدف الملح في أقرب وقت ، تمليه مصلحة كل دولة وكل قطر وكل فرد على مستوى الإنسان .

ماذا نقول لأجيالنا إذا أورثناها تركة التخلف والتشرذم والديون وحملناها ذل الحاجة وقرع الأبواب على العالم المتقدم لمجرد أن تأكل الخبز وتجد فرصة العمل ، وأي ذكرى نتركها للتاريخ ونحن نحجم عن تحمل مسؤولياتنا المصيرية في إقامة الوحدة ؟

إن سورية مدت يد الوحدة في كل اتجاه ولم تشترط إلا تحقيقها فعلاً ، لقد كان تاريخها الطويل سلسلة متصلة الحلقات من التكامل الاقتصادي مع الوطن العربي والعالم الإسلامي من اقصاه الى اقصاه ، وان دمشق لا تملّ الدعوة الى وطن شاسع تلاشت فيه الحواجز والحدود ـ وهي تجدد نداء المستغيث ـ الموجه الى كل عقل وكل ضمير وكل إرادة ، فلا مخرج لنا من هاوية الفقر والحاجة والضيق ، إلا بالوحدة .

في هذا النداء الحار لا ننطلق من العاطفة ، اننا كرجال أعمال نواجه الواقع اليومي بعقولنا وأعصابنا ، ولدينا حصيلة كبيرة من التجربة والمعاناة ، وندرك أهمية المبادرة وابتكار الحلول ، كما أن انتماء جمعنا الى أكثر من بلد ، أكسبنا الاحساس والخبرة بأهمية العلاقات

والتعاون بين أقطارنا ، ولدينا ثروة من الصلات الشخصية نعتز بها ونعتبرها أساساً لحياتنا الاقتصادية ، نتمنى أن يقوم مثالها بين أقطارنا العربية لكي تتلاشى كل الحواجز وتتلاقى السواعد والعقول والإرادات ، نتكلم بلغة واحدة ، وننطلق من مصالح واحدة ، ونتحرك على صعيد واحد ، ونقف معاً في عالم العمالقة على قدم المساواة .

كلمتي في كراتشي

١٩٩١/٦/٣

تحت سماء هذه الحاضرة الاسلامية البارزة ، كراتشي عاصمة الباكستان ووسط هذه الوجوه النيرة المتقدة بالايمان أجدد شعوري بالانتماء الى الأمة الإسلامية العظمى ، وأقف معكم معتزاً بهذه الأواصر المشتركة التي تربط بيننا روحياً وأخلاقياً ومادياً ، واتطلع من خلالكم الى مسارنا العالمي كأمة تعتنق أسمى عقيدة وتؤمن بأقدس كتاب في التاريخ .

وبين قباب وجدران هذا المبنى الشامخ الذي أقيم مركزاً دائماً للغرفة الاسلامية في كراتشي عاصمة المائة وخمسين مليون مسلم، ونحن نحتفل بتدشينه أرجو أن نرقى جميعاً الى مستوى هذا اللقاء وأن ننطلق من مغزى إقامة هذا الصرح الذي يهيب بنا للشروع في مرحلة متقدمة عالية الفاعلية بادية الانجاز.

لقد تعاهدنا كمسلمين أبرار على التعامل مع العالم من موقع التقدم والرقي والعزة، وأقمنا مؤسسات العمل المشترك ولكن المسافة بين واقعنا وطموحنا ما زالت واسعة . لقد حملنا محمد ﷺ رسولنا الأعظم على التسلح بالعلم والمعرفة بلا حدود وأوصانا بأن نعمل مجتمعين مؤمنين بأن يد الله مع الجماعة .

إذا كانت هذه المناسبة تسمح بالحساب فدعونا نتصارح . فمنذ أربعين عاماً ونحن نعمل تحت شعارات التعاون الاقتصادي والبناء المشترك الهادف الى جعل امكاناتنا مصدراً متكاملاً لتنمية بلادنا وتوفير شروط العلم والكفاية والأهلية للانسان المسلم ، وكنا نصدر التوصيات والقرارات التي تعيننا على رسم الطريق وإقامة البناء وحشد الطاقات ثم نتقاعس في طريق التنفيذ .

خلال هذا الزمن الطويل الذي ضاع في متاهة التردد والروتين كان بعضنا يتوهم اننا نستطيع تقليص الفجوة الحضارية والمعرفية بيننا وبينُ الغرب خلال سنوات قليلة واننا بمجرد استيعاب المحصول العلمي والفني نقفز فوق الهاوية العميقة التي تفصل بيننا وبين الوحدة والقوة والمنعة . وكان بعضنا الآخر يتوهم ان الغرب المستعمر سوف يساعدنا على معالجة الضعف والتخلف في إطار بناء نظام عالمي متكامل يستهدف توطيد السلام وقطع دابر الحروب .

وجاءت الوقائع لتحصد هذه الأوهام وتعود بنا الى أرض الحقائق الباردة فليس ثمة شك اليوم في أن القوى الكبرى لا تريد لنا ولا لأي دولة من دولنا ان تحرز القوة أو أن تحقق الوحدة أو أن تملك حرية التصرف بعيداً عن رقابتها وسلطتها وقرارها ، وكل بلد إسلامي أو عربي استطاع بناء قوة لا يستهان بها تصدوا له أو قاموا بتحجيمه أو انزلوا به العقاب .

نحن اليوم أمام مسلمات حاسمة . فليس لدينا بديل عن الاعتماد على الذات والانطلاق بمواردنا أولاً ، ولا ريب في انها طاقات وموارد إذا جمعت بالأرقام تبدو كبيرة بكل المقاييس ، ولكن تفرقها وارتباط كل منها بالتبعية الخارجية يضعف مفعولها بل يحولها الى مورد كسب للآخرين .

وأمامنا استحقاق التعايش مع الكتل الاقتصادية العملاقة في العالم والتعامل معها من موقع الكرامة والاحترام المتبادل والمساواة ، وها هي اوروبا الموحدة تدق الأبواب ، فماذا ننتظر حتى نعمل على صعيد واحد ونسلك طريق التكامل الجاد معتمدين على إمكاناتنا ومواردنا ، نتبادل الخبرات والكوادر والتقنية ، ونضع أموالنا في خدمة التنمية الاسلامية لتعود على الانسان المسلم بالكفاية وفرص العمل والحق الاجتماعي ، ولتعود على أمتنا الاسلامية بالعزة والمنعة والحضور الدولي الفعال .

من دمشق وبالنيابة عنها كموقع فعال من مواقع الاسلام ، أناشدكم أن نسارع الخطى ونطوي المراحل لتنفيذ ما اتخذته المؤتمرات الاسلامية من قرارات وما وضعته من دراسات والله مع العبد ما دام العبد في عون أخيه والله ولي التوفيق .

وأخيراً فاننا ملتزمون كدول وغرف اسلامية في التعاون الصناعي وتنفيذ المشروعات المشتركة وتطوير التجارة ما بيننا ، وعلينا أن نوفر للغرفة الاسلامية ولجانها الاقليمية اقصى

الدعم والمساندة بأداء المهام التي نص عليها دستورها، لتسير في برنامج عملها دون تلكؤ.

نائب رئيس الغرفة التجارية الاسلامية
بدر الدين الشلاح

كلمتي في الاجتماع مع أعضاء الوفد السعودي في دمشق ١٩٩١/١٠/٢٦

السادة الأخوة الأعزاء الأكارم .....

... تهدف اجتماعاتنا الحالية الى تتويج وترجمة التعاون بين بلدينا وهذا التآزر في المجالات الاقتصادية والتجارية ، لأن الأوضاع الاقليمية والعالمية أرادته أمراً ضرورياً وملحاً . وعلى ما أظن أننا بصدد إعادة النظر في الاتفاقية السعودية السورية .

لن أستبق البحث ولن أدخل في تفاصيل وبنود هذه الاتفاقية بل سأكتفي بأن أتمنى على الطرفين أن يعيا أهمية الاتفاق الكامل ويعيا ايضاً ضآلة وهامشية ادراج مادة أو أكثر في هذه اللائحة أو تلك من حيث التأثر المادي الذي يتكلف به هذا الطرف أو الآخر ، فمهما تعاظمت كلفته فستبقى ثانوية تماماً لأن التعاون والتآزر لا يعد ولا يثمن ولا يسعر . ان الربح المشترك المادي والمعنوي الذي يجنيه الأخوان يفوق بكثير المرابح الفردية التي يحصل عليها أحد الطرفين.

ولا بد من الإشارة الى ضرورة صدور التوجيهات الصريحة والقوية الى جميع المؤسسات والدوائر الرسمية والأجهزة التنفيذية بضرورة التقيد بروح الاتفاقية والعمل الحثيث على حسن تنفيذها لتؤدي الطلب وتعطي ثمار التعاون وتنشيط التبادل وحسبي أن أشير الى موضوعين هامين يتطلبان هذا التوجيه بضرورة تنشيطهما وتسهيلهما وهما دخول البضائع وتنقل الرعايا بحرية وسهولة وترحاب.

اننا سعداء بكم وبلقائكم وبالتعاون والأخاء والتنسيق الذي نرجو أن يكون قاعدة دائمة ومستمرة .

البَابُ الرابــع :

مقالات وآراء في الاقتصاد السوري

الباب الرابع

مقالات وآراء في الاقتصاد السوري

مقال حول تصدير القمر الدين الى مصر (عام ١٩٥٥)

قيل منذ القديم أن غوطة دمشق جنة الله في أرضه ، وهي رياض المشرقين بأثمارها الحلوة ومياهها العذبة ومناخها المعتدل ، وأرضها الخصبة .

وكانت حاصلات غوطة دمشق ترسل هدايا يحملها رسل الخليفة في عهد الامبراطورية الأموية الى مختلف عواصم العالم .

وغوطة دمشق التي تبلغ نحواً من ثمانين ألف هكتار ، قد أصيبت بعين حاسد إذ تبين من الاحصاءات الدقيقة أن مجموع جميع حاصلاتها لا تعطي أكثر من خمسة وعشرين مليون ليرة سورية في العام ، وعندما نقارن المساحة الكبيرة مع الدخل الخسيس نجد الهكتار الواحد لا يعطي أكثر من ٣٠٠ ل.س .

لذلك فالفرد لا يستطيع العيش على الزراعة وحدها في الغوطة مهما كانت مساحة الأراضي التي يملكها ، بسبب فقدان عنصر التوجيه الزراعي الصحيح ، وإذا أردنا أن نعمل مقارنة مع البلاد الأخرى ، وأخذنا أقربها إلينا وهي لبنان اتضح لنا الفارق الكبير بين المزارع السوري والمزارع اللبناني في الحاصلات والفوائد .

فلبنان الذي كان يستهلك كل فاكهته من مشمش وتفاح وعنب وكمثرى من سوريا حتى عام ٩٣٦ ، أصبح اليوم يصدر انتاجه الزراعي إلينا من نفس الأصناف بأحسن

الأسعار . فقد بدأ يغرس التفاح والكمثرى والخوخ منذ عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٤٠ وأنتج أحسن الأنواع وأجودها وأغلاها سعراً . وفي عام ١٩٥٥ أصبح محصول الفاكهة اللبنانية ولا سيما من التفاح يتشابه بمحصول كاليفورنيا إذ بلغ محصول التفاح مليونا وخمسمائة ألف صندوق زنتها ٣٠ ألف طن وقيمتها بالليرات السورية /٢٤/ مليون ليرة في حين أن المساحة المزروعة في لبنان بالفاكهة لا تتجاوز ألف هكتار على أكبر تقدير .

فأين الفارق بين ما يعطيه الهكتار الواحد في أراضينا وفي نفس غوطة دمشق جنة الله في أرضه . . وبين الهكتار في أراضي لبنان الجبلية الوعرة التي لا تصلح لأكثر من حدائق زراعية صغيرة وحدائق أزهار للاصطياف والنزهات .

لا تضحك أيها القارىء إذا عرفت أن الهكتار الواحد في لبنان يعطي وارداً لا يقل عن /٢٤/ ألف ليرة والهكتار في أراضي غوطة دمشق الغناء لا يعطي أكثر من ثلاثمائة ليرة سورية فقط .

وإذا تأملنا فالسبب هو حسن التوجيه الزراعي العملي ، لأن إذاعات الراديو لا تكفي والكلام يذهب هباء مع الريح . . ففي لبنان رجال من أهل الاختصاص ينزلون الى المزارع والبساتين بثياب العمل بكل فخر ، وفي لبنان فلاح ذاق طعم الربح فتلذذ به واعتني بأرضه وشجرته وكافح الحشرات والوباء وقلم الأشجار بالطرق الفنية حسب توصيات الدوائر الزراعية له .

كما نقول بكل أسف أن المساحات المشجرة في غوطة دمشق لا تقل عن ستة آلاف هكتار ، وأن عموم هذه الأشجار لا تعطي وارداً أكثر من خمسة ملايين ليرة أي أن الهكتار الواحد المشجر يعطي في حده الأقصى ٨٠٠ ليرة بينما في لبنان يعطي /٢٤/ ألف ليرة .

وقد يقول بعضهم أن أراضي لبنان أكثر قابلية لزراعة التفاح والخوخ والدراق من أراضي دمشق والجواب على ذلك أن أصناف هذه الفاكهة التي ظهرت في الموسم الماضي في أراضي الغوطة القبلية ، وفي محافظة جبل العرب تفوق أجود أصناف الفاكهة اللبنانية طعماً ولوناً .

زراعة المشمش :

أما زراعة المشمش ، فإن هذا الصنف الفقير المعدم محروم من توجيه الحكومة وعنايتها لأن أكبر مساحة مزروعة من صنف المشمش هي من النوع المعروف بالكلابي في حين أن هنالك ثلاثين صنفاً للمشمش الكلابي .

والمشمش الكلابي لا يصلح إلا للعصير لأنه في ليلة واحدة يستكمل نضوجه ويتساقط على الأرض ، وثمر المشمش في الغالب يجمع من تحت الشجرة إذ لا يتمكن صاحب المزرعة من قطفه وهو بهذه السرعة من النضوج والتساقط .

لهذه الأسباب وحدها لجأ المزارع الدمشقي الى صناعة القمر الدين التي لا فائدة منها سوى تشغيل اليد العاملة التي تعمل في جمع المشمش وعصيره ومده وتجفيفه ونقله وغير ذلك من عناصر تحويله الى قمر الدين .

إن كل ستة كيلوات مشمش تعطي حوالي كيلو واحد قمر الدين ، وإن وسطي سعر كيلو القمر الدين وهو /٦٠/ قرشاً سورياً عدا نفقات النقل والعصير وأجرة الرفوف والتجفيف التي تقدر بـ /٢٤/ قرشاً للكيلو الواحد حتى يتحول الى القمر الدين ، وذلك بعد رفع قيمة البذر الذي يتبقى من المشمش وبذلك يصبح صافي سعر كيلو القمر الدين ٣٦ قرشاً أي بمعدل خمسة قروش فقط لكل كيلو مشمش .

ومع هذا الاسم العظيم الكبير المحسودة عليه غوطة دمشق فإن وارداتها الرئيسية التي تشكل رقماً لا تقل نسبته عن ٨٠ في المائة من كافة الأشجار المثمرة ، تقدر محصول القمر الدين بخمسة آلاف طن قيمتها ثلاثة ملايين ليرة سورية ، يصدر ٩٥ ٪ منها الى مصر والسودان والبلاد العربية الأخرى ويستهلك ٥ ٪ في البلاد السورية .

والآن ومنذ تسعة أشهر ابتدأت الحكومة المصرية التي تستهلك ٩٠ ٪ من محصول القمر الدين ، ترفض دخوله بحجة وجود حشرة ميتة لا قيمة لها ، وكانت في السنين السابقة تعلم بوجود هذه الحشرة فتقوم بتبخيره قبل السماح له بالدخول ولكن لأمر نجهله رأت حكومة مصر مؤخراً أن ترفض القمر الدين الدمشقي فإذا بقي هذا الرفض مستمراً فإن زراعة وتجارة هذا الصنف ستبور حتماً حيث أن جمعه لا يسدد نفقاته ، مادامت منافذ استهلاكه قد سدت .

وعلى هذا فإن المسؤولية تقع بالدرجة الأولى على عاتق وزارة الزراعة وحدها ، وعليها أن تتدارك الأمر باتباعها الطرق التالية :

اولاً ـ عدم السماح من الآن وصاعداً لأي مزارع بزرع صنف المشمش الكَلابي حتى لا يأتي يوم ونكون زرعنا القسم الأكبر من أراضينا من هذا الصنف ويزداد انتاجه عشرة أضعاف ما هو عليه الآن ولا يوجد له أسواق تستهلكه .

ثانياً ـ أن تزرع في مشاتلها أصنافاً جديدة من المشمش تكون قابلة للتجفيف بكميات كبيرة ، أي أنواع خاصة من المشمش يسهل اخراج بزرتها بسهولة وهذا يسهل تحويلها الى مشمش مجفف بدون بزر وتوجد له أسواق كثيرة في أوروبا (انكلترا وألمانيا) .

ثالثاً ـ أن تمنع أصحاب المشاتل المزروعة من المشمش القديم من بيعها قبل تطعيمها من الأصناف التي تختارها وزارة الزراعة .

أما الأرض الباقية من الغوطة وغير القابلة الى تشجير المشمش والتفاح وبقية أنواع الفاكهة فعلى وزارة الزراعة أن تشجع زراعة الحور الرومي والحموي الذي لا يقل إيراده عن إيراد التفاح أي أن الدونم الواحد سنوياً إذا خدم يعطي سبعماية ليرة سورية فالبلاد ما زالت تستورد ما قيمته ١٥ مليون ليرة سورية من الأخشاب لاستهلاكها في مواد التجارة وعمدان الهاتف والبناء والكبريت عدا عن محصولها فإذا اتبعت تشجيع الحور فإننا بمدة عشرين عاماً نستغني عن الاستيراد ويزيد عندنا للتصدير بما لا يقل عن ٢٠ مليون ليرة سورية .

وإنني قدمت هذه الاقتراحات شفوياً وبمناسبات عديدة الى المسؤولين بوزارة الزراعة منذ أكثر من عشر سنوات ولكن لم أجد أي اهتمام وأردت الآن إيضاحها في هذا المقال عسى أن يهتم المسؤولون باقتصاديات البلاد .

فإذا اتبعت طريقة التشجير هذه في أراضي الغوطة فإنه سيكون يوماً من الأيام واردات الغوطة لا تقل عن ٥٠٠ مليون ليرة سورية .

بـدر الـديـن الشـلاح

نشرت في جريدة الأيام بالعدد رقم /٥٤٧٦/
تاريخ ٣ آذار سنة ١٩٥٥ الموافق ٨ رجب ١٣٧٤

حول التبادل التجاري بين قطري سوريا والسودان

مذكرة مقدمة الى وزير الاقتصاد الدكتور العمادي قبل سفره الى السودان
نيسان ١٩٧٥

يتسم كل من القطرين السوري والسوداني بتماثلهما الكبير في التركيب الاقتصادي وأنواع الانتاج خاصة في الحقل الزراعي كالقطن والحبوب على أنواعها . رغم ذلك هناك مجالات مرموقة لتوسيع التبادل بينهما ، نشير إليها حسب مستوردات كل من البلدين .

١ ـ المستوردات السورية :

ويمكن حصرها بعدة أصناف رئيسية هي :

ا ـ السمسم : الى وقت قريب كانت سوريا تنتج معظم حاجاتها من السمسم . رغم ذلك نجد أن قيمة المستوردات السورية من السودان قد ارتفعت أضعافاً بسبب ازدياد الاستهلاك عليه في سوريا وتسهيل عملية الاستيراد وارتفاع أسعار السمسم الى أكثر من ثلاثة أضعاف ما كان عليه قبل عامين .

وبالنظر لزيادة الرقعة الزراعية للسمسم في سوريا مع التوقعات بتراجع الأسعار العالمية نجد أن حاجة سوريا وقيمة مستورداتها من السمسم ستتقلص عما هي عليه خلال هذين العامين .

ب ـ اللحوم : رغم أن استيراد اللحوم السودانية لم يظهر الى حيز الوجود إلا خلال العام الحالي وبشكل أقل مما كان مفترضاً أن يصل إليه ، نرى أن اللحوم يمكن أن تلعب دوراً هاماً في التبادل التجاري بين البلدين في الأعوام القادمة . ويتوقف هذا الازدياد على امكانية السودان الشقيق بتحسين نوعية اللحوم بوقايتها وتلقيحها مع إيجاد أجهزة وأوائل فنية تنظم عملية الذبح والتهيئة والتخزين المبرد . كما وأنه يتوقف على امكانية القطرين بربط بلديهما جوياً بخط مباشر ومنتظم .

ج ـ **الجلود** : للأسف يلاحظ التضاؤل والتقلص الحثيث في حجم استيراد الجلود رغم توفر هذه المادة في السودان وحاجة سوريا الكبيرة والمتزايدة .

ونرى أن التركيز على الجلود بأنواعها يمكن أن يؤتي ثماراً طيبة ويرفع حجم التبادل التجاري الى مستوى أعلى بكثير مما هو عليه حالياً .

د ـ **حب (بزر) البطيخ** : سيبقى هذا الصنف مادة استهلاكية ثانوية . ولذلك ستتوقف معدلات الاستيراد على أسعار البزر السوري البديل مع مقارنته مع أسعار البزر المستورد من بلدان أخرى . علماً بأن سوريا تعفي البزر السوداني من جميع الرسوم المفروضة على البزور الأجنبية .

هـ ـ **الفواكه** : يمكن للسودان أن يستفيد من تصدير انتاجه وامكانيته في بعض أنواع الفواكه الطازجة وخاصة الموز والمانكا والأناناس .

مرة ثانية يتوقف ذلك على تحسين النوعية والاعتماد على خط جوي مباشر .

٢ ـ الصادرات الزراعية السورية :

تنحصر أهم الصادرات الزراعية السورية بثلاثة أصناف رئيسية هي :

أ ـ **العدس** : وقد انكمشت أرقامه بالفترة الأخيرة بسبب الحاجة التموينية السورية وعدم زيادة الكمية المنتجة . وأغلب الظن هو أن العدس لا بد ويستعيد مركزه السابق خاصة أن العدس يعتبر مادة تموينية أساسية في السودان بينما نرى أن سوريا مقبلة على التوسع الملحوظ في زراعته .

ب ـ **المجففات** : وتشمل القمر الدين والتين والزبيب . ونشير هنا بكثير من السرور الى أن الحكومة السودانية الشقيقة تمنح رخص الاستيراد اللازمة لهذه المواد بالإضافة الى معاملتها معاملة خاصة بتخفيض الرسوم الجمركية عليها . ولا نرى امكانية أي توسع كبير في حجم أو قيمة هذه المواد .

ج ـ **الفواكه السورية** : يمكن للفاكهة السورية أن تصدر بشكل أوسع بكثير مما هي عليه . وأهم العقبات التي تحول دون حجم أكبر في التصدير هي الارتفاع النسبي الكبير في الأسعار مع التأخر بالتوضيب والتعبئة والتصنيف وانعدام النقل الجوي المباشر . ولهذا فإذا أردنا أن نوجد مجالاً للتوسع فالمجال يكمن بامكانية منافستنا للفواكه اللبنانية .

٣ ـ صادرات سوريا الصناعية :

يمكن التشديد على أن المجال والامكانية في توسيع حجم التبادل التجاري يكمن في هذا الحقل الواسع ، وخاصة في مجالات :

١ ـ الأقمشة والألبسة على أنواعها ، ٢ ـ الصناعات الزجاجية ، ٣ ـ صناعات الأدوات المنزلية ، ٤ ـ المعلبات .

ومع الأسف نجد أن صادرات سوريا الصناعية لا تكاد تذكر . وسبب هذا التأخير الكبير يعود الى ما يلي :

١ ـ ازدياد الاستهلاك المحلي السوري بشكل تجاوز به كل طاقة انتاجية فائضة . لكن الخطة الصناعية السورية الجديدة التي بدأت تؤتي ثمارها لا بد وأن تغير هذا الوضع تغييراً جذرياً بحيث سيصبح لديها طاقة انتاجية متنوعة وحديثة هائلة تمكنها من ـ بل وحتى تفرض عليها ـ البحث من جديد على نوافذ وأسواق خارجية جديدة .

٢ ـ عدم توفر النقد الأجنبي الكافي في السودان لتخصيصه في استيراد هذه السلع .

٣ ـ نسب الجمارك المرتفعة جداً المفروضة على جميع المستوردات من هذه الأصناف وعدم تخفيضها نسبياً على البضائع السورية .

توصيات :

بالنهاية نشير الى بعض التوصيات التي نراها جديرة بالاهتمام والتي نرى بتنفيذها نتائج مفيدة للقطرين وهي :

١ ـ العمل على فتح خط جوي منتظم يربط القطرين بشكل مباشر .

٢ ـ بالنظر لاتباع نظام المخصصات لاستيراد البضائع والسلع في السودان ـ وهذا يعكس السياسة السورية التي تمنح رخص الاستيراد للأصناف المسموحة دون تحديد أي سقوف لها ـ فإننا نرى ضرورة السعي لدى الحكومة السودانية على رفع المخصصات وقيمة الرخص بالنسبة للبضائع السورية .

٣ ـ السعي لدى السودان الشقيق لمعاملة البضائع والمنتجات الصناعية السورية معاملة أخوية خاصة وذلك بتخفيض الرسوم الجمركية على هذه البضائع وفرض نسب جمركية تفضيلية على البضائع السورية .

٤ ـ إن تجارب العديد من البلدان النامية أثبتت عدم جدوى اتفاقات المدفوعات وسلبياتها المتعددة بحيث أنها لم تحقق الأهداف التي وجدت من أجلها . لذلك ننصح بشدة بالابتعاد عن مثل هذه الاتفاقات .

٥ ـ بالنظر لعدم توفر النقد الأجنبي بالسودان وتحويله للتنمية فلا نرى أي مانع من أن تدخل سوريا باتفاقات وصفقات مقايضة مع السودان الشقيق ، سواء أكانت هذه الصفقات ثنائية أو ثلاثية . على أن تدرس بالتفصيل عند تحديد الأصناف المزمع الاتفاق عليها .

كلمتي
في ندوة ضمان الاستثمار
المعقودة في فندق الشام.دمشق

إن القطاع الخاص في القطر العربي السوري الذي دعي اليوم للاستماع للحلقة الأخيرة في الندوة حول الأسواق المالية وتمويل المشاريع ، يسعده ويشرفه أن يسجل شكره الجزيل لكل من هيئة تخطيط الدولة ، وجميع المسؤولين في هذا القطر والشركة العربية لضمان الاستثمار الذين هيأوا الندوة وأتحفوا دمشق بحضور العديد من قادة الفكر المالي والاقتصادي في البلدان العربية ، وبتقديمهم الدراسات والأرقام والآراء حول موضوع هام جداً من مواضيع الساعة في العالم العربي .

إن التمويل يشكل عنصراً من أهم عناصر الانتاج والتنمية والتقدم الذي تسعى إليه جميع دول العالم . لهذا وبالنظر للركود والكساد الاقتصادي الذي تشهده معظم بلدان العالم ، فلقد أتى توقيت هذه الندوة مناسباً جداً . وبالنظر لأهمية هذا الموضوع وأهمية الدراسات والأبحاث التي قدمت في هذه الندوة ، كنا نتمنى لو أن هذه الندوة ضمت عدداً أوفر ومجموعة أوسع من المهتمين بهذا الموضوع ، وعلى سبيل المثال ، نذكر كل من وزارة المالية والمصرف المركزي والمصرف التجاري والجامعات والقطاعات الاقتصادية الأخرى .
إنما هناك نقطتان أود أن أتطرق لهما في تعليقي على ما ورد من بحوث في هذه الندوة :
الأولى : رجائي وأملي بأن لا يكون موقع القطر العربي السوري الاستراتيجي والقومي والعقائدي ، وتصدره بتحمل أعباء الذود والدفاع عن حقوق الشعب العربي واضطراره لاتباع سياسة اقتصادية تبدو قاسية وتقشفية ، أن لا يكون ذلك سبباً لعدم تدفق الأموال الاستثمارية العربية إليه ، بل على العكس ، فإنه إذا كان بمقدور القطر العربي السوري أن يتحمل كل هذه الأعباء ، ويحقق في الوقت نفسه تنمية حقيقية وطموحة خلال الخمسة عشر عاماً الأخيرة ، فأنا أقول إن هذا القطر هو المكان الأفضل لاستقبال وتوطين مستوى أعلى من الأموال العربية ، والتي للأسف لم تكن على المستوى المطلوب ، بل كانت أقل منه بكثير .

النقطة الثانية : هي أن هناك تطوراً كبيراً أخذ طريقه في هذا القطر خلال السنين الخمس عشرة الماضية ، ألا وهو أن الحركة التصحيحية نجحت تماماً في تغيير مفهوم القطاع الخاص في هذا القطر . لقد كان الحديث في الماضي عن القطاع الخاص يعني طبقة معينة من رجال الأعمال البارزين في هذا القطر ، شكلوا على قلتهم محور النشاط الاقتصادي والصناعي والزراعي .

أما الحديث الآن ، فقد أصبح يعني بالواقع القطاع الأهلي الذي يتضمن قاعدة واسعة جداً من الشعب ، تشكل بمجموعها قوة كبيرة قادرة فعلاً على المساهمة في تمويل المشاريع المطروحة ضمن إطار خطة التنمية الخامسة في القطر ولذلك أتمنى على المسؤولين الاستفادة من هذه القوة الكبيرة والمصدر الهام المتوفر في هذا القطر . ونفتخر بأن التنمية التي تمت منذ الحركة التصحيحية وحتى الآن ، كانت بأموال وسواعد وطنية .

أما الآن فنحن بصدد البحث في موضوع ضمان التصدير في البلدان العربية والدور الذي تلعبه أو يمكن أن تلعبه الشركة العربية لضمان الاستثمار في هذا المجال .

لمحة موجزة..عن قضية تصدير الفواكه والخضار
مقدمة الى لجنة الترشيد- ١٩٨٦/٦/١

من المعروف أن سورية ، كانت في السابق من مصادر تموين لبنان وفلسطين والأردن بالخضار والفواكه بواسطة السكة الحديدية ، وكنا نصدر لمصر الفاكهة بما فيها العنب بواسطة البواخر تارة والسكة الحديدية عبر فلسطين تارة أخرى .

أقول هذا لأوضح أن قطرنا منذ قديم الزمان ، كان يمد البلاد المجاورة بفاكهته وخضاره ، ونحن الآن بصدد مشكلة تصدير الفواكه والخضار وما تلاقيه من صعوبات وعقبات ، تعرض معها المصدّر للخسائر وهي تتلخص بالآتي :

اولاً - إن المصدرين الأوائل للخضار والفواكه منهم من توفي ، ومنهم من ترك العمل نظراً لأن التصدير محصور من سنوات عديدة بالقطاع العام .

ثانياً ـ بعدما سمحت الحكومة بتصدير الفاكهة في العام الماضي وعدلت قيمة تسديد القطع بالسعر السياحي ، وأعفت البضائع المصدرة من رسوم الانتاج الزراعي (رسوم الاستهلاك) ، تقدمت فئة من الوسطاء بالعمولة للتصدير ، إلا أنهم ما لبثوا أن تراجعوا نظراً لما لاقوه من صعوبات ، وتعرض بعضهم للخسارة بدل الربح الذي كانوا يأملونه ، وبعضهم لم يحصل على رأس ماله إلا بالجهد والتعب ، لأن المهنة التي تتطلب من صاحبها السهر ليل نهار لمراقبة البضاعة المعدة للتصدير من مصدرها في البساتين حتى سلامة التعبئة من العطب ومدى تحملها في التحميل والتنزيل عدة مرات ، وخاصة عندما تفرغ كامل الحمولة عند الحدود السعودية .

إن المصدرين الحاليين الى عمان هم السادة : عمر الحوراني وعبد الرؤوف بقلة وعلي سلام وأسعد سلام وحسن زليخة وقد بدأوا التصدير منذ ابتداء هذا الموسم ، بواسطة سيارات عادية غير مبردة .
أن الجانرك انتهى موسمه ، ولما كانت وسائل النقل هي السيارات العادية التي تحمل البضاعة من المزارع مباشرة لتأخذ طريقها الى عمان ولكن لا تقبل معاملة الجمارك إلا في دمشق ، ودوامها من الساعة /٩٫٣٠/ الى الساعة /٢٫٠٠/ولا يسمح بساعات إضافية ، لإجراء معاملة التصدير ، لذلك يجب السماح بإجراء المعاملة خارج أوقات الدوام في جمارك دمشق والسماح لجمرك درعا بإجراء المعاملات هناك للسيارات السورية والأجنبية طالما حمولتها خضار وفواكه .

ومن المعلوم أن قطف الثمار (البضاعة) يبدأ صباحاً وفي الساعة الخامسة لتبدأ الحمولة لتأخذ طريقها الى السفر . فعندما يكون الجمرك انتهى العمل لديه تبقى البضاعة لليوم الثاني بعد الساعة /٩/ التاسعة ولو سمح لها بإجراء المعاملة لذهبت رأساً وأجرت المعاملة حال وصولها فلا تصل عمان إلا مساء ويكون مضى عليها يومان وتصل بحالة التلف وتباع بأبخس الأسعار . بينما لو سمح لها اجراء المعاملة في درعا فإنها تذهب رأساً وتجري المعاملة حال وصولها وتصل بلد الوصول وكأنها وصلت الى سوق الشام .

وبذلك يذهب تعب المصدر أدراج الرياح . إضافة الى الخسائر التي تلحق به . كما أن مكتب الدور لا يلبي طلب المصدر لأن دوام موظفيه محدود وفي ساعات محدودة إضافة

الى أن الأجور لا يقبل بها السائق . وبإيعاز من مكتب الدور يأخذ أعلى من التعرفة المحددة من قبل اللجنة . وإلا لا يسمح للسيارة بأن تذهب الى مكان الحمولة المطلوبة .

ولذلك يقتضي السماح للمصدر بإجراء المعاملة في جمرك درعا إن كانت سورية أم أجنبية بأوقات الدوام أم خارج أوقات الدوام على السواء ولقاء تعويض ساعات إضافية .

التصدير الى الخليج والسعودية :

والتصدير بالسيارات المبردة الى السعودية ودول الخليج ، لا يمكن أن يعود بأي فائدة على المصدر السوري ، طالما أنها عرضة للتوقف في الحدود السعودية وتفريغ حمولتها بالكامل . ثم تحمل ثانية . إضافة الى أن سيارات التبريد غير متوفرة في سورية وأكثر السيارات المبردة هي أجنبية ولا يسمح بدخولها إلا مع المرافقة حتى وصولها الى خارج المدينة ، وغير ممكن الاستفادة من السيارات المبردة الموجودة في مكتب الدور ، لأن مواصفاتها غير صالحة ومثلها مثل السيارات العادية .

غير أنهم هذا العام رغبوا الشحن بالطائرات للصعوبات المذكورة آنفاً ، لكن الأجور بالطائرة مرتفعة جداً وهي /٨٢٥/ قرشاً للكيلو الواحد الى جدة ، و/٨٣٠/ قرشاً الى الكويت ، و/٩٨٠/ قرشاً للشارقة ، والصعوبة هي عدم السماح بإجراء المعاملات إلا في أوقات الدوام ، والمعلوم أن يكون ميعاد الطائرة الساعة السابعة صباحاً أو الخامسة مساء ، وبذلك تبقى البضاعة الى اليوم الثاني ، على أرض المطار ، فتصل الى مكان التصدير متأخرة في حين كان المطلوب أن يسمح بالتعجيل في معاملات تصدير الخضار والفواكه كمواد سريعة العطب لا تتحمل الانتظار .

وهناك عقبة أخرى ، هي التسعيرة للتصدير ، فبعض الكشافين يضعون سعراً عالياً جداً ، متأثرين بأسعار أسواق المفرق ، دون أن يفرقوا بين سعر التصدير وبين سعر السوق المحلية بالمفرق . ويجب أن يحسب من أرض المزرعة والمعروف أن المشمش مثلاً يباع بسوق الهال بـ /٨/ ثمان ليرات سورية وبالمفرق بـ /١٥/ خمس عشرة ليرة سورية .

لذلك نرى أن يترك وضع السعر للتصدير الى غرفة التجارة وهي تراقب السعر المعقول وتصدق على الفاتورة .

وهناك قضية الصناديق الفارغة للتعبئة ، وقد سمح بإرجاعها ، أو استيراد غيرها ، وهذا يتطلب التسهيل حيث يسمح بالإعادة إما بالعدد إذا تمكن المصدر من إعادتها ، وإما بأن تمسح الفارغة بالمتر المكعب ، ويسمح باستيراد الخشب المفصل المقطع ، وفي دمشق يجري جمعه واخراجه صناديق جديدة تحفظ البضاعة وترضي المشتري بشكلها الجديد . سيما وأن هناك بلاد كثيرة متفوقة علينا بأنواع التعبئة كتركيا ولبنان ، عدا عن تونس والجزائر والمغرب واسبانيا وإيطاليا ، وزيادة على مزاحمتنا .

الخلاصة المطلوبة لتسيهل التصدير

اولاً ـ السماح لجمارك درعا وجمرك المطار ، وغيرها من الحدود باجراء المعاملات الجمركية في أوقات الدوام وفي الساعات الاضافية .

ثانياً ـ السماح لأمانة جمرك دمشق ، بإجراء المعاملات بالساعات الاضافية .

ثالثاً ـ ان يعدل سعر القطع ، لتصدير للفواكه والخضار ولكافة الأصناف الزراعية الى /١٥/ ليرة سورية للدولار الواحد ، أو ان تسدد نصف قيمة التعهد ، ونستورد بالنصف الثاني مواد ضرورية للزراعة مثل الأدوية والأواتل .

رابعاً ـ أن يطبق مكتب الدور أسعار النقل المقررة من اللجنة الحكومية وأن يلبى حاجة المصدر بالسيارة المطلوبة . وفي أي وقت خارج الدوام الرسمي .
وأن يسمح للمصدر انتقاء السيارة المبردة ، مع السماح لها بالوصول الى المزرعة لأخذ الحمولة منها .

خامساً ـ أن يسمح للمصدر باستيراد الأخشاب بطريقة مطبقة من بلد المنشأ بقدر ما يصدر بالمساحة المكعبة . بالاضافة الى السماح له باستيراد الصناديق الفارغة .

ملاحظات موجزة حول تسويق العدس السوري

١٩٨٨/٨/٢٠

١ ـ طبيعة تسويق العدس

أ ـ يتميز سوق العدس بكون الكميات المتوفرة مقررة ونهائية بناء على المحصول الأخير والكميات المخزنة في العالم . لذلك فان الطلب هو الذي يحدد ويقرر السعر .

ب ـ يتميز الطلب على العدس بتقلبه المستمر . ويصعب تنبؤ سلوكه أو اتجاهاته .

ج ـ تبعاً لتقلبات الطلب تخضع الأسعار لتقلبات حادة وسريعة لا يمكن لجمها أو التكهن بها .

د ـ لا يباع العدس بكميات كبيرة جداً . بل يباع تدريجياً حسب ورود الطلب خلال فترة العام ولا بد ان يباع بأسعار متفاوتة .

هـ ـ ان طبيعة المنافسة على بيع العدس تحتم مجاراة الأسواق وتلبية الطلبات بشكل فعال منظم ، مستمر ومبسط . وبدون هذه المرونة والاستعدادية لا يمكن تسويق كامل الكمية المتوفرة قبل بدء المحصول القادم . والبيع المستمر هو الذي يعطينا فرصة الاستفادة من ارتفاع الأسعار عند حدوثها وتحمل انخفاض الأسعار عند وقوعها .

٢ ـ بعض المآخذ على تسويق العدس حالياً

أ ـ مؤخراً درج مكتب الحبوب على طرح كميات من العدس للبيع واستدراج عروض شراء ، لا لانه ينوي فعلاً بيع أي كمية بل لمجرد استقراء واستفسار الأسعار .

لا يمكن لأي مشترٍ جدي أن يتقدم ويتكبد المصاريف عندما يعلم بذلك وحبذا لو ان المكتب يقلع عن هذا السلوك خاصة وانه يوجد وسائل اخرى عديدة للاستفسار عن الأسعار هي أرخص وأسرع وأفيد .

ب ـ يتم بيع العدس حالياً نتيجة اعلان يصدره مكتب الحبوب ما بين فترة طويلة واخرى . بينما يقتضي ان يتم البيع نتيجة رغبة وعند حاجة المشتري والمفروض ان

يكون هناك شخص أو لجنة مؤسسة دائمة الوجود والاستعداد لتلبية أي طلب وكل طلب . يجب أن تكون هذه الجهة عندها التوجيهات العامة والعريضة لسياسة تسويق العدس والكميات المراد بيعها وتواريخ تسليمها الخ . . . كما يجب ان تتحلى بالخبرة والقدرة والمعرفة لاتخاذ القرار اللائم وتتمتع بالثقة والصلاحية لاتخاذ هذه القرارات دون ان تتعرض لملامة أو تأنيب طالما انها تتماشى مع التعليمات وعلى حسب ما تمليه المصلحة العامة كما تراها .

بعد أن يتم التعاقد وتستكمل الاجراءات لفتح الاعتماد ويصبح العقد نهائياً لا يجوز أن يعمد مكتب الحبوب لالغاء هذا العقد أو حتى التلميح بالغائه - بغية رفع الأسعار . ان العقد المبرم ملزم للطرفين ولا نريد ان يقال أو يشيع بان مكتب الحبوب يتصرف بشكل مزاجي ولا يلتزم بعقوده .

يطلب حالياً الى المشتري ان يتقدم بكفالة عند تقديم عرضه للشراء . ان هذا الاجراء مكلف ويضني جداً من حيث العمولات والمصاريف التي يدفعها المشتري ومن حيث صعوبة ايصالها لمكتب الحبوب بالوقت المناسب ومن حيث صعوبة ومشاكل تحريرها واستعادتها من مكتب الحبوب . أكثر من ذلك فالظن والقناعة متوفرة لدى الجميع بأن طلب الكفالة هو مجرد روتين بالٍ وعديم الجدوى . فالمشترون جميعهم معروفون جيداً لدى مكتب الحبوب . وللمكتب الحق باستبعاد أي عرض من طرف يجد أنه لا يرضي أو أنه غير جدي .

ان عملية التسويق الحالية - ابتداء من اعلان مكتب الحبوب حتى تسليم البضاعة وشحنها وتسوية العقد وتصفية الكفالة - هي بالواقع طويلة بشكل لا يمكن ان يقبله أو يقبل به أحد .

ولا أقل مثلاً من طول الفترة المتطلبة لاستلام كتاب الاعتماد وتدقيقه والموافقة عليه من المصرف - الفرع والإدارة العامة - ومن ثم مكتب الحبوب.

لا بد إذاً من تقصير هذه الفترة بما تتطلبه من تبسيط وتسريع .

وكأحد الحلول نقترح أن يقبل مكتب الحبوب الدفع بموجب شيكات مصرفية بالعملة الأجنبية بدلاً من الاعتمادات .

و - ان تسويق العدس يجب ان يتم بدون أي تمييز ضد المواطن السوري . نحن لا نريد استبعاد المشتري الأجنبي كما اننا لا نريد ان نمنع المشتري السوري . فالمشتري السوري قد يكون في أكثر الحالات هو الأفضل وهو الأجدر وهو الأخلص في تنفيذ تسويق العدس .

والسؤال هو لماذا يعفى المشتري الأجنبي من ضريبة الدخل ويتحتم على المواطن السوري دفعها ؟

ز - الشكوى الرئيسية تنبع من كثرة شوائب العدس السوري ومن رداءة تعبئته .

يجب التأكد والتشدد على التعبئة بأن يكون ضم شوالات صغيرة نظيفة ، قوية ومخيطة خياطة محكمة حتى يصل العدس السوري كما يصل العدس الأجنبي بدون أي نقص أو هدر .

دمشق في ١٩٨٨/٨/٢٠

بدر الدين الشلاح

صورة الى /

سيادة رئيس مجلس الوزراء

سيادة نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية

سيادة وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية

سيادة وزير التموين والتجارة الداخلية

سيادة وزير الزراعة والاصلاح الزراعي

سيادة مدير عام مكتب الحبوب

حول تسويق العدس السوري للمحصول الجديد

١٩٨٩/٥/١٩

نسطر بشكر وتقدير للسادة المسؤولين سياسة تسعير شراء العدس في القطر السوري التي رفعت وحددت سعر شراء العدس من المزارع بـ٦ ليرات سورية للكيلو .

إننا ندرك هذا الاجراء لقناعتنا بانه يمثل نهجاً جديداً يتلاءم مع متطلبات المصلحة الوطنية للأسباب التالية :

١ ـ يمثل هذا السعر الواقعي والسائد في الدول المجاورة وفي العالم ، وأكثر من ذلك اننا نعتبره قد تجاوز حتى أسعار السوق هذه .

٢ ـ يمثل هذا السعر المرتفع نسبياً خطوة جديدة نحو السياسة المتبعة حالياً والقاضية بإعطاء المزارعين سعراً سخياً لموادهم والهادفة الى تشجيع الانتاج ودعمه .

٣ ـ ان السعر الجديد للعدس هو بالواقع حائل جديد ضد التهريب الذي تسرب الى تسويق العدس . فنتيجة انخفاض سعر الشراء المحدد من الدولة في الأعوام السابقة وبنتيجة ارتفاع أسعاره في الأسواق المجاورة تسربت عملية التهريب للعدس الى الأقطار المجاورة وذلك تهرباً من دفع رسوم التصدير وتفادياً للالتزام بوجوب إعادة القطع الأجنبي الناتج عن التصدير . وهناك تقديرات بأن كميات كبيرة من العدس المنتجة في القطر قد هربت الى الخارج خلال العامين المنصرمين .

والسؤال الذي يطرح نفسه بالحاح هو ما يلي :

لقد تم رفع سعر العدس وتم تشجيعه فما هي الخطوات التي يجب ان تلي ذلك ليستفيد القطر حصيلة ذلك عن طريق تصدير هذه المادة مثلاً والحصول على قطع أجنبي لقاءه ؟ يدعونا هذا السؤال للإشارة الى ان تسويق العدس في العالم له خصائص وميزات يجب أن تراعى وتسخر حتى نصبح قادرين على حسن تسويق هذا المحصول ، وأهم هذه الخصائص هي :

١ ـ ان أسعار العدس العالمية تخضع لتقلبات حادة وسريعة ويخطىء كثيراً كل من يظن ويعتبر أن الارتفاعات الحادة التي تطرأ على الأسعار هي دائمة ومستقرة . بل كثيراً ما يتلاشى هذا الارتفاع بنفس السرعة التي تم بها . لذلك فان ارتفاع الأسعار هذا هو عبارة عن طلب مؤقت لا يلبث ان يلبى من مصدر أو آخر ومن ثم ينخفض السعر ثانية . إذن ان ارتفاع السعر هو بالواقع فرصة ذهبية يجب استغلالها بدلاً من تركها تفوت وتصبح مجرد حدث عابر ونكون حياله مجرد متفرجين .

٢ ـ ان الطلب هو الذي يحدد السعر ويقرره . والعرض والبيع خاضع للمستهلك ولسوق الطلب عليه .

٣ ـ ان استهلاك العدس الأحمر محدود في العالم . والسعر يلعب دوراً صغيراً نسبياً في تحديد الكمية المطلوبة ، وعلى العكس فان الطلب هو الذي يحدد السعر .

٤ ـ في أكثر الأحيان نجد أن كميات العدس المنتجة تفوق الكميات المطلوبة لذلك فان نقص الطلب عن الكميات المعروضة هي القاعدة السائدة في تسويق العدس في العالم . بينما اشتداد الطلب وزيادته عن الكميات المعروضة يجب أن تنظر على انها حالة استثنائية تحصل مرة كل عدة أعوام نتيجة لنقص شديد أو غير طبيعي في انتاج العدس أو بعض المحاصيل الاخرى .

٥ ـ ان الدول التي تستهلك العدس محدودة . فاستهلاكه يكاد يكون شبه محصور ومخصص ببعض البلدان المعنية .

٦ ـ ان العدس محصول زراعي محدود الصلاحية . ولذلك لا يمكن ولا يجوز تخزينه لأكثر من عام . فهو إذن يتعرض لعوامل طبيعية تؤثر عليه وقد تؤدي لتلفه إذا بقي لمدة تفوق العام .

٧ ـ ان الطلب على العدس لا يتهيأ دائماً وبشكل مستمر . ولذلك يجب الاستفادة والحصول على كل طلب يرد من أي مصدر كان .

٨ ـ يلاحظ ان هذا العام هو أحد الأعوام التي نجد بها ان محاصيل العدس في العالم تفوق الطلب . ونؤيد ذلك بالدلائل التالية :

آ ـ هناك كميات كبيرة لا زالت متوفرة من المحصول القديم لعام ٨٦ ـ ٨٧ ولم يتم بيعها للآن .

ب ـ يبشر المحصول في تركيا (وهي الدولة الرئيسية المنافسة لنا بهذا الصنف) بكونه محصولاً كبيراً جداً .

ج ـ كما أن المحصول في القطر السوري يبشر بكونه محصولاً كبيراً . والتقديرات تشير الى ان القطر سيتوفر لديه أكثر من ستين ألف طن عدس فائض عن حاجته وقابلة للتصدير .

د ـ وللدلالة والتأكيد على هذه النقاط الثلاث نشير الى سعر العدس الذي تراوح خلال العام الماضي بين ٤٢٠ و ٥٥٠ دولاراً للطن الواحد وفي تركيا قد انخفض الآن لحوالي ٣٠٠ دولار للطن .

كل هذه العوامل التي أشرنا اليها بايجاز تظهر بوضوح ضرورة بذل جهود مكثفة وكبيرة لتسويق كامل المحصول المتوفر من العدس دون ابقاء أي فائض للعام القادم وهذا يعني بصراحة انتهاج خطة هجومية وأسلوب مندفع وسبل بيع مرنة جداً وسهلة جداً ومبسطة جداً في التسويق .

أي أن السياسة الجديدة المشار لها أعلاه يجب أن تتميز بحذف كافة الشكليات والروتينات والتعقيدات القائمة في الوصول الى عقود وصفقات بيع العدس أو بسبب الدفع وتحارير الاعتماد والتسليم وخلافه . ونأمل أن لا يكون لنا حاجة للإشارة لكل نقطة من التسهيلات والتبسيطات والتشريعات المطلوبة لمزاحمة الغير فهي معروفة .

إن هذه المذكرة تنحصر في التذكير والتأكيد على ضخامة حجم محصول العدس الذي يتطلب اجراءات جذرية تمكننا من الاستفادة منه وخاصة في مجال تسويقه الى البلاد التي تدفع قيمته بالقطع الأجنبي الحر .

دمشق في ١٩/٥/١٩٨٧ م

بـدر الـديـن الشـلاح

موضوع السوس

اشتهرت قرى المرج التابعة لقضاء دوما بانتشار شروش السوس في تربتها وهي شروش تنمو بكثرة دون زراعة ، لا سيما في الأراضي الجيدة ، وكان الفلاحون القدامى هناك يعرفون مواطنها ويقومون باقتلاعها في مواسم الشتاء ثم يبيعونها بقيمة زهيدة الى مراكز تجميع وشراء موجودة في كل قرية ، وبعد ذلك ينقلها محترفو جمعها الى مطاحن السوس حيث تتحول الى سوس مطحون يصدر أو يباع الى باعة عرق السوس الذين ينقعونه ويصنعون منه الشراب المعروف بهذا الاسم وهو من المرطبات المعروفة في فصل الصيف . والقسم الأكبر يصدر الى مصر مطحوناً والى باقي البلاد العربية ويصدر قسم كبير الى اوروبا بدون طحن .

وكان على رأس مستثمري هذه المادة ثلاثة من كبار التجار أولهم المرحوم انطون الياس مزنر وكان مركز عمله في طحن السوس بجوار الباب الشرقي ، والثاني هو المرحوم مصطفى البيرقدار ومحله على الطرف الثاني مقابل الباب الشرقي وعلى صف منطقة الأعاطلة وهي المنطقة التي كانت في القرون الماضية مأوى للمصابين بمرض الجذام قرب مقبرة الشيخ رسلان ، والثالث كان المرحوم عبد القادر القباني وقد شاركه في تجارة وصناعة السوس جدي المرحوم رشيد الشلاح وولده المرحوم سليم والدي وكانت مطحنتهما في محلة المزاز بحي الشاغور إلا أن سامي ومهدي ولدي عبد القادر عملا في صناعة وتصدير السوس وأقاما محلاً لهذه الغاية عند معمل الزجاج .

وكانت الحكومة التركية قد صادرت محركات مطحنة السوس العائدة لشركة عبد القادر القباني ورشيد الشلاح وبعد انتهاء الحرب تمكن ولدا الأول سامي ومهدي من استعادة المحركات المصادرة وباشرا طحن السوس وتصديره ، ثم اتفق الثلاثة مزنر والبيرقدار والقباني على توحيد أسعار شراء ومبيع السوس ، وفي الوقت نفسه كان والدي المرحوم سليم الشلاح من كبار مصدري السوس المطحون الى مصر والسوس غير المطحون الى اوروبا .

في ذلك الحين كانت أسعار القنطار (٢٥٦ كيلوغرام) من السوس المطحون انتاج مزنر ٢٠٠ غرش ذهب ، ومن انتاج البيرقدار ١٧٥ غرشاً ذهبياً ، ومن انتاج القباني ١٥٠ غرشاً ذهبيا .

ولما علم والدي المرحوم سليم الشلاح ان أبناء القباني استرجعوا الآلات المصادرة وشرعوا بطحن السوس طالبهم بتسليمه حصته من هذه الآلات فرفضوا ، ولم تكن هنا سندات رسمية يمكن الرجوع عليها، فعمد والدي الى منافستهم بشراء عرق السوس مباشرة من القرى ، وبلغهم ذلك فقام مزنر بدعوة والدي الى داره الكائنة على طريق الباب الشرقي قبل مبنى القشلة العزيزية (وبجوار القوس الروماني الذي ا كتشف على عمق عدة أمتار هناك ، وقامت مديرية الآثار برفعه وإعادة بنائه بكامله ، وتوجد بجواره مئذنة منفردة دون بناء مسجد) .

اذكر ان دار السيد انطون مزنر هناك من أجمل وأكبر دور دمشق القديمة . تتوسطها أرض ديار فسيحة وقاعات فخمة ، وقد عرض مزنر على والدي التوقف عن مسواق السوس فلم يقبل رغم أن مزنر كان يبيعه السوس من ماركته بسعر /١٨٧,٥/غرش أي بأقل من السعر المتفق عليه وهو /٢٠٠/ غرش ، وهنا عرض مزنر على والدي التوقف عن مسواق السوس مقابل مائة ليرة عثمانية ذهبية سنوياً . واستمر هذا الاتفاق نافذاً حتى عام ١٩٤٠ عندما توقف شحن السوس الى مصر اثر نشوب الحرب العالمية الثانية .

وكان والدي يصدر السوس المطحون الى مصر بعبوات تحمل اسم (سليم الشلاح وأولاده) وفي ذلك الحين استوردنا مطحنة تم تسجيلها في وزارة الاقتصاد وطورنا صناعة المادة ، وصدرنا السوس مقطعاً ثم صدرناه بشكل قضبان للمص وهي تستعمل في اوروبا كمسواك لتنظيف الأسنان ، وفي السنوات الأخيرة تمكن السيد رمزي البيرقدار من تطوير السوس فصدره مسحوقاً بعبوات حديثة ومعه أوعية بلاستيكية للتخمير والشرب .

أنطون مزنر

وأعود الى السيد أنطون مزنر لأسجل بعض مآثره كتاجر كبير من تجار دمشق فقد كان انتاجه من السوس ممتازاً بنعومته ونظافته من التراب ويباع بأسعار أغلى من أسعار زملائه ، وفي الوقت نفسه كان السيد مزنر يملك أول مصنع لقماش البروكار الدمشقي المشهور في أوروبا والعالم ، ولم يجاره أحد في هذه الصناعة الهامة .

في إحدى سنوات الثلاثينات سمعت من مزنر ، خلال زيارة والدي له في منزله ، حديثاً ينم عن خلقه وأصالته ، وفحواه أنه كان وكيل صرف عند تاجر غني وعند اطلاع هذا الأخير على نفقات الصرف لاحظ أنه يشتري بعض الحاجات بسعر يقل (٣٠) بالمائة عن السعر الذي كان يشتري به الوكيل السابق المتوفي فسأله من أين اشتريت هذه الحاجات فقال أنه اشتراها من ساحة المرجة بعيداً عن البناء المعروف باسم (المنزل) بسعر أرخص ، فما كان من التاجر إلا أن اعترض على ذلك وقال له إنك مخطىء بذلك ، ونحن نشتري من المحلات القريبة منا ولو كانت أسعارها أعلى ، فكل محل وله زبائن وعليك أن تشتري من جيراننا وإذا لم يربحوا علينا فسوف يفلسون .

في تلك الأيام ظهر شابان نشيطان هما عبدالله القباني وسعدالله الكسم . الأول كان والده قبانياً يدعى أبو عبدالله ، وعمله وزن البضائع بالقبان المسمى (أبو بيضة) ولم يعد لهذا القبان وجود ، وكان كل قباني يتعهد الوزن بمنطقة لقاء أجر تحت رقابة البلدية وينقش الوزن على الكيس أو الصندوق ، وبعد الحرب العالمية الأولى أحيل هذا العمل الى متعهد يدفع للبلدية مبلغاً سنوياً يتراوح بين ٣٠٠ و٤٠٠ ألف سنوياً .

أما سعدالله الكسم فهو النجل الأكبر لمفتي دمشق المرحوم الشيخ عطا الكسم الذي تولى الافتاء بعد وفاة المرحوم الشيخ أبي الخير عابدين والد العلامة المرحوم أبي اليسر عابدين . فقد ظل الشيخ عطا الكسم مفتياً عاماً حتى سنة وفاته في عام ١٩٣٨ وخلفه المرحوم الشيخ محمد شكري الاسطواني وبعد وفاته تولى الافتاء الدكتور أبو اليسر عابدين الى أن أصدر جمال عبد الناصر قراراً بإنهاء خدمته من الفتوى مع أن هذا مخالف للقانون لأن وظيفة الافتاء تبقى حتى وفاة المفتي ، وتولى الافتاء المرحوم الشيخ عبد الرزاق الحمصي الذي انتقل الى رحمة الله في عام ١٩٦٣ ، وخلفه الاستاذ الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام الحالي للجمهورية .

بدأ عبدالله القباني وسعدالله الكسم بانتاج البروكار على أنوال مماثلة لأنوال مزنر بعد اغراء العامل المشرف على معمل الأخير والاطلاع على ماركة النول الخاص به . وقد استفاد القباني والكسم من هذا الانتاج (وكان المرحوم التاجر صالح الشامي يعمل معهما) فاشتريا قطعة من الأرض يملكها والدي خلف موقع المجلس النيابي الحالي ، وكان الحاكم التركي جمال باشا قد أمر بفتح شارع من طريق الصالحية باتجاه الغرب ، وهو الطريق الحالي المار أمام دار السلام الى شارع الجلاء .

في بداية الأمر منح والدي قطعة الأرض الى الشريكين كسم وقباني لقاء اشراكهما إياه في المعمل والانتاج . وعندما اتسعت أعمالهما وكبرت أرباحهما طلبا فسخ الشراكة واستوفى والدي حقه من قيمة الأرض وقيمة المعمل ، وفيما بعد بنى الشريكان كسم وقباني البناء المعروف باسميهما خلف حديقة المجلس النيابي ، وبنى والدي على ما تبقى من أرضه مدرسة الاسعاف الخيري وتبرع بها للجمعية التي تؤوي اليوم وتطعم مئات الأيتام وتزودهم بالتعليم .

ولنعد الى العرقسوس والذي كان يعمل به السادة أنطون الياس مزنر ومحي الدين البيرقدار وسامي ومهدي القباني وسليم الشلاح وأولاده . ثم ظهر فيها بعد السيد حليمة من دوما ، واشترى معصرة الزيتون العائدة لعائلة الشيشكلي ومعظم الأراضي التي تمتلكها هذه العائلة ، وما لبث حليمة أن شرع بشراء السوس وطحنه وطرحت عبواته في السوق باسم ماركة النمر ، إلا أن أي ماركة جديدة لا يمكن ترويجها بسهولة ، ولا سيما في أكبر أسواقها ـ أي مصر ـ وظلت ماركات مزنر والبيرقدار والقباني والشلاح رائجة هناك ، رغم وجود فروق في الأسعار تتراوح بين (١٢ و٣٣) بالمائة ، أي أن كل ماركة لها زبائنها ولا تنافس الماركة الأخرى .

ولما ظهرت ماركة النمر لحليمة كان من الصعب ترويجها لولا المصادفة والحظ ، والذي حدث أن التاجر السوري المقيم في الاسكندرية المرحوم عبد المغيث السمان طلب من المرحوم مزنر حوالي مائة طن من السوس بالأجل (بالوعدة) فرفض مزنر طلبه . واشترط عليه تسديد قيمة الارسالية الأولى أولاً وقبل تسليم الثانية ، وتوسط والدي مع مزنر لتسهيل الاتفاق دون جدوى بذريعة أن السمان غير مليء وداره بالأجرة أي أنه لا يملك داراً للسكن .

والواقع أن المرحوم عبد المغيث السمان كان تاجراً نشيطاً ، ويعمل وحده أمام تجار الاسكندرية في تسويق السوس والياميش فلما رفض مزنر طلبه لجأ الى حليمة وطلب منه مائة كيس من مادة السوس فلباه فوراً ، وشرع السمان بالترويج لماركة النمر من انتاج حليمة ، ونجح نجاحاً مذهلاً في الدعاية لها فأعرض الناس عن ماركات مزنر والقباني والشلاح .

وفي النهاية لم يبق في السوق المحلي السوري سوى السيد رمزي البيرقدار الذي يطحن السوس ويبيعه محلياً كما يصدر الكميات المتاحة له ، وظهر عدد من أبناء محافظة الرقة أقاموا مطاحن جديدة للسوس الذي ينبت في أراضي محافظة الرشيد . ويصدر انتاجهم الى القطر المصري أمثال السيد محمد خليل الكويفي .

ترخيص معمل السوس

القرار رقم ٨٦٨

إن وزير الاقتصاد الوطني .
بناء على أحكام المرسوم التشريعي رقم (٤٧) بتاريخ ١٩٥٦/٨/٣
المتعلق بتنظيم الصناعات السورية وتعديلاته
يقرر ما يلي

المادة ١ ـ يرخص للسيد بدر الدين وشفيق الشلاح ، من الجنسية السورية ، بتأسيس معمل لطحن العرقسوس في دمشق ـ شاغور ، قوامه التجهيزات الآلية المدرجة في طلب الإجازة مع سماتها .

المادة ٢ ـ يباشر الموما إليهما باستثمار مؤسستهما خلال ستة أشهر من تاريخ صدور هذا القرار .

المادة ٣ ـ ينشر هذا القرار ويبلغ لمن يلزم لتنفيذ أحكامه .

دمشق في ١٩٥٤/٧/١٩

وزير الاقتصاد الوطني
التوقيع : أسعد الكوراني

حول تنمية الصادرات السورية

دراسة مقدمة من بدر الدين الشلاح
رئيس اتحاد غرف التجارة السورية
الى ندوة الصادرات
في ١٩٨٩/٢/٢٨

إن الدعوة والبحث في مجالات التصدير لدعمه وتشجيعه تمثل نظرة جديدة ومنطلقاً هاماً في السياسة الاقتصادية التي تنتهجها . كما أن الحديث عنه بوقتنا الحاضر أصبح يدلّل على فلسفة اقتصادية تسلط الأنوار وتركز الجهود على ناحية هامة من نواحي العمل الاقتصادي الذي كانت قد أهملته معظم الدول مؤخراً .

الواقع العالمي يشير الى أن الفترة المقبلة ، وهي الفترة التي تلي الحرب الباردة القائمة بين الكتلتين العملاقتين ، ستتركز على النواحي الاقتصادية والانتاجية والاجتماعية والبيئية . وعلى سبيل المثال نشير الى أن كلًا من اليابان وألمانيا ـ وهما اللتان جردتا من حق التسلح وانشاء آلية عسكرية قوية وهما اللتان تتمتعان بقدرة عسكرية جداً متواضعة ـ قد أصبحتا تلعبان دوراً هاماً على الساحة الدولية وتتمتعان بمركز الصدارة في المحافل الدولية . وأصبحت الدول العظمى نفسها تتكلم بصراحة وغيرة وتخوف من الدور الذي ابتدأت تلعبه كل من ألمانيا واليابان ، بل لربما ابتدأت الدول الأخرى تبحث عن وسائل تمكنها من كبح جماح هذين العملاقين الجديدين . ومصدر القوة هو مكانتهما الاقتصادية والانتاجية ولا أظن أحداً يتنبأ بتضاؤل في أهميتهما أو مكانتهما . بالعكس فالكل يتوقع تزايداً مطرداً في أهميتهما وتأثيرهما .

إن الاهتمام بالتصدير ينبع من الافرازات السلبية التي أوجدتها الطفرة النفطية خلال الحقبة الزمنية المنصرمة . في تلك الفترة انزلقت أكثر الدول النامية في شرك الاعتقاد

الخاطىء أن بمقدور أي دولة تحقيق تنمية اقتصادية صحيحة وبنفس الوقت أن تهيىء للشعب رفاهية وبحبوحة واستهلاكاً .

كل ذلك بسبب طفرة الأموال النفطية التي تنتقل من الدول الأخرى من تحويلات العاملين والقروض والمعونات والتوظيفات . وطفرة الأموال النفطية أدت أيضاً الى تراكم هائل في السيولة لدى الجهاز المصرفي العالمي مما أدى الى اندفاعه في تقديم قروض كبيرة بشروط ميسورة جداً وسهلة ورخيصة . والبلدان الغربية استغلت هذه الظاهرة فشجعت استيرادات بقية البلدان لصادراتها عن طريق التسهيلات .

استمرت هذه الطمأنينة الخاطئة مدة طويلة وكافية لانزلاقها في ديون كبيرة تصطدم بعدها بالواقع المرير وهو أن الازدهار يفرض ضريبة وثمناً يجب دفعهما كاملين . وتأكدت مرة جديدة حقائق اقتصادية كان الكثيرون قد تناسوها أو تجاهلوها .

أولها أن الأموال لن تبقى متيسرة الحصول عليها الى الأبد ، والنفط كسلعة لا يمكن أن يستمر في التمتع بطلب قوي وبأسعار ترتفع باستمرار . والبحبوحة لا يمكن أن تدوم وبأفضل الظروف يبقى النفط معرضاً لتذبذبات كبيرة في الطلب والأسعار بما ينعكس على كافة الموارد سلباً أو إيجاباً .

بل إن هناك حقيقة قاسية لم تواجهها الدول النفطية بعد ، فبالإضافة الى مخاطر تذبذب الطلب والأسعار هناك احتمال كبير جداً لاكتشاف أو اختراع مصادر بديلة وجديدة للطاقة قد تجعل النفط سلعة ثانوية وتحول الدول النفطية من مصدّر للأموال الى مستورد . ولا أظن أن ذلك الوقت بعيد جداً فالحديث عن استعمال الانصهار كمصدر جديد كبير وفعال للطاقة أصبح جدياً للغاية .

الحقيقة الأخرى أن البحبوحة المالية يجب أن تعتبر فرصة آنية عابرة وثمينة يتحتم حسن استغلالها كاملاً لتحقيق التنمية وترسيخ الاقتصاد لزيادة قدراتنا الانتاجية وترشيد الاستهلاك والهدر .

حقيقة ثالثة ومن التجربة السابقة هي أن الاعتماد على الذات يبقى الأصل والمؤكد والأنجح . ويبقى التصدير من أهم مصادر التمويل التي تحصل عليها الدولة لتمويل حاجاتها الكبيرة والمتعددة سواء كانت انمائية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دفاعية أو سواها .

وما الاعتماد المركز على الديون أو القروض إلا نهج خطير ، مكلف وغير مضمون . وما الديون والقروض إلا لسد عجز عابر أو لتصحيح ظروف مؤقتة . أي مسكنات مؤقتة ولا تلبث أن تصبح مستحقة السداد مع الكلفة العالية .

حديث التصدير هو بالحقيقة حديث النهج الاقتصادي الكامل للدول في مجال التجارة الخارجية (من تصدير واستيراد وقطع وتحويل خارجي . . .) . وفي كل العلاقات المالية والاقتصادية مع العالم الخارجي . وفي الشكل والواقع يشمل التصدير مع السلع والبضائع المتبادلة مع العالم الخدمات والخبرات والمهارات والتصدير السياحي . فكل عملية اقتصادية تجني ربحاً أو مورداً بالقطع الأجنبي للبلد هي نوع من التصدير . إذن فالحصيلة النهائية للقطع الأجنبي تعتمد على التصدير وهي التي ترسم الصورة الواقعية لما يمكن استيراده للاستثمار أو لمزيد من التصدير والاستهلاك .

إننا اليوم نبحث بجدية وعمق وشمولية كل المشاكل والصعوبات والمعوقات التي تعترض التصدير : المادية الملموسة والمباشرة أو الصعوبات الاجرائية التنفيذية ، أو غير المباشرة التي تتعلق بعدم توفر المتطلبات والمواد الأولية الضرورية لاتمام وحسن تنفيذ التصدير .

وليكون البحث شاملاً وكاملاً من المفروض البدء بالموضوع الرئيسي المتعلق بسياسة الانتاج والاستهلاك من مدخلها العريض . فالتصدير يتكون بالأصل من فائض الانتاج في القطر بعد أن يخصم منه الاستهلاك المحلي . والحصيلة الحقيقية من القطع تتكون من فائض قيمة التصدير والخدمات والتوظيفات بعد خصم قيمة الاستيرادات المختلفة .

إذن ولما كان لا يمكن معالجة الموضوع في يوم واحد ، ارتأينا أن نحصر اهتمامنا بأن نفترض وجود وتوفر الانتاج المهيأ للتصدير . وكلنا أمل بأن نجاح تجربتنا اليوم سيعطينا فرصة وامكانية عقد ندوات أخرى تطال العديد من المواضيع الهامة المتبقية .

ولذا سنحصر همنا بإيجاد السبل الأفضل للتصدير متوخين تقوية النواحي الإيجابية وحذف النواحي السلبية القائمة حالياً .

هناك قواعد مطلقة تحتاج الى توضيح وتأكيد وترجمة عملية ونعتمدها كمرشد لنا في سياسة التجارة الخارجية والتصدير . تتلخص هذه القواعد بضرورة اعتماد سياسات

اقتصادية واضحة ، مبسطة ، ميسرة ، عامة وشاملة ، تتصف بالاستمرارية البعيدة عن التغييرات المربكة وبالمرونة التي تسمح بالتعديل عند اللزوم . أرجو أن تكون هذه القواعد موضع بحث مستفيض في ندوتنا هذا اليوم .

عند الحديث عن تنشيط التصدير لا بد من معالجة النواحي العملية والتفصيلية لما هو ضروري اتباعه وما هو واجب اجتنابه على المستوى العملي والتنفيذي والتفصيلي من اجراءات وخلافها . إنني على يقين أن كفاءة وخبرة المشتركين الكرام ستعطينا الكثير وستغني بحثنا كثيراً وتوصلنا الى توصيات عملية هادفة وبناءة .

لا أريد استباق بحثكم ودراستكم فكلمتي مجرد مقدمة توضح منهج الندوة اليوم . ومع ذلك سأستسمح منكم الإشارة الى نقاط قد ترون معالجتها بجدية في تنشيط ودعم التصدير .

ألفت نظركم أولاً الى نظام إعادة القطع الناتج عن تصدير البضائع والمنتجات السورية الى البلدان الخارجية . هذا النظام يلزم المصدر بإعادة قيمة صادراته بالعملات الأجنبية وبيعها الى الجهاز المصرفي بالسعر الذي تحدده الدولة وبشروطها .

فيقوم المصدر بتوقيع تعهد تصدير عند كل عملية وبيان القيمة المتوجب إعادتها ويصادق عليه أحد المصارف المقبولة العاملة في سورية .

إن هذا النظام طبق في سورية منذ نيف وأربعين عاماً طرأت أثناءها تطورات كبيرة جداً ، ومعظم دول العالم قد غيرت نظرتها نحو هذا النظام لأنه لا يقوم بالخدمة المطلوبة منه ، ولكن هذا النظام لم يتعدل عندنا ولم يتغير . فأرجو أن تتدارسوا ذلك لتصلوا الى قرار حول الموضوع بشموليته الكاملة .

وإذا كان جوهر النظام يحتاج الى إعادة نظر فالنواحي التنفيذية والتطبيقية تعاني كذلك من تراكمات كثيرة وتعقيدات كبيرة بالتعليمات والأسلوب . نأمل أن تبحثوا هذه الشكليات المعيقة وتعطونا توصياتكم حولها .

وهناك نقطة هامة تتعلق بالإجراءات الأخيرة التي اعتمدتها الدولة ، ونصت أن يتم تسديد قيمة الصادرات بالقطع الأجنبي على أساس أن يشتري المصرف ٢٥٪ منه ويسجل قيمته بالليرات السورية بالسعر الرسمي أي ١١ر٢٠ ليرة للدولار ويترك للمصدر (٧٥٪)

منه بالقطع الأجنبي على أن يستورد له بضائع أجنبية حددتها الوزارة بموجب لائحة . لقد باركت هذه الاجراءات كخطوة هامة لدعم وتشجيع التصدير . ولأنها قربت سعر القطع الأجنبي المتروك للمصدر من سعره بالأسواق المجاورة . ولكن هذه الاجراءات تشكو من ثلاث سلبيات هامة : الأولى أنها تخلق مشاكل متعددة الجوانب في المستقبل ، والثانية أنها تخلط وتشبك بين عمليتين من المستحسن فصلهما وابقاؤهما مستقلّتين وثالثهما أن هذا الاجراء قدّم كإجراء مؤقت وليس كقاعدة دائمة .

فالمصدر بدون رغبة منه صار مستورداً لأصناف يجهلها وغالباً ما تكون قراراته حولها غير سليمة ولا صائبة ، كما أنه لم يواجه بعد كل المحاذير والمخاطر الحقيقية التي تنجم عن نشاطه الجديد في مجال الاستيراد .

أنا لا أنادي بأن لا يكون المصدر مستورداً بآن واحد ، بل بان يكون هذا الجمع باختياره وضمن دائرة اختصاصه وخبرته ولأصناف متناسبة . ونتيجة التهافت على الاستيراد دأب التجار على التصدير بشكل عشوائي واعتباطي دون الاكتراث بأي خسائر تتحقق عليهم من التصدير ايماناً منهم بأن هذا غير مهم أبداً لأن الأرباح الخيالية التي تنتظرهم من الاستيراد ستكون كافية لأن تغطي خسارة التصدير .

ولكن الناتج لم يكن أبداً بمستوى التوقعات . لقد تركز معظم المصدرين في استيراداتهم على صنفين أو ثلاثة كانت رائجة وفي الواجهة ، ولم يدركوا أن السوق مهما كان قوياً لا يتحمل أن يقبل جميع التجار على أصناف قليلة من اللائحة الطويلة . إن كميات الخشب الهائلة التي تهافت التجار على استيرادها يشكل مثلاً ملموساً لما نشير إليه . النتيجة الآن هي أن لدى سوريا كميات من الخشب المستورد تكفي استهلاك القطر السوري لعدة سنوات . وهي الآن تعاني من انخفاض كبير في أسعارها واضمحلال الطلب عليها .

هناك مشكلة اخرى تنتظر المصدر لم يواجهها كاملة بعد وستخلق له تلبكات كبيرة بالمستقبل .

سابقاً كان التاجر يصدر بضاعته ويقبض ثمنها اما نقداً أو ضمن فترة وجيزة بعد إتمام الشحن ، لا يلبث بعدها ان يبيع حصيلة صادراته الى الجهاز المصرفي . وهكذا كانت دورة رأسماله سريعة غير معقدة .

أما الآن فالمصدر يتحتم عليه انتظار أطول لتسويق صادراته في الأسواق الخارجية ولقبض ثمنها . وبعد الانتظار يسلم المصدر وارده من القطع الأجنبي ليسجل له بحسابه بالعملة الأجنبية . وهنا تبدأ معركة طويلة طويلة جداً لتقرير السلعة التي يستوردها والاتصال بالمصدرين الأجانب ليحصل على أسعار وعروض ، ثم فترة طويلة للتقدم والحصول على إجازة استيراد يتبعها فترة أطول لفتح الاعتماد وإيصاله للمصدر الأجنبي وبعد ذلك كله فترة طويلة لاجراء الشحن ووصول البضاعة الى المرافىء السورية وانتظار وصول المستندات وتخليص البضاعة من الجمارك الخ الخ . . . . هذه الفترة الطويلة تحمل المصدر بالواقع عبئاً زمنياً يرهق سيولته ويحد من حركته وقدرته على الإسراع في نشاطه .

كل ما ذكرناه ينحصر بالمشاكل الإدارية والتنظيمية والروتينية التي قد يتمكن المصدر من تحملها وهضمها وتجاوزها . وهناك مشكلتان اضافيتان نشك كثيراً بأن يكون بمقدور المصدر تحملها .

الأولى هي احتمال عدم توفر سوق للسلعة التي استوردها بعد طول انتظار وعدم تمكنه من بيعها وقبض قيمتها ـ بالإضافة الى نفقات ومخاطر تخزينها ـ مما يؤدي الى تجميد أكيد في حركته وشلل كامل لفعاليته المحصورة أصلاً بالتصدير .

والثانية تكمن في الضرائب التي ستترتب على المصدر نتيجة قيامه ـ بنظر الدولة على الأقل ـ بعمليتين ناجحتين ورابحتين حتما . بينما الواقع انه بأحسن وأفضل الظروف يكون قد قام بعملية واحدة لها جانبان : الأول على الأغلب خاسر والثاني هو الرابح بشكل يغطي خسارته من الجانب الأول .

ان الاستيراد بالقطع الأجنبي الناتج عن التصدير يتم ضمن لائحة صادرة عن الدولة تتضمن مئات الأصناف . رغم ذلك فالترجمة العملية لعملية الاستيراد عادة تنحصر باختيار عدد قليل جداً من مجموع الأصناف الورادة باللائحة ، والنتيجة تكون بأن تفقد الدولة حقها وقدرتها على شمول الاستيراد للأصناف الواردة بنسب معقولة ، بل انها تفقد أيضاً قدرتها على التنبوء أو المعرفة المسبقة لما سيتم استيراده فعلاً .

ان الدولة تجزم ان المصدر الآن يجني من استيراداته بما توفر له من قطع التصدير سعراً لهذا القطع يفوق بكثير سعر الأسواق المجاورة . والمصدر يترجى ان يعفى من عملية

الاستيراد . إذا كان الأمر كذلك لماذا لا تدفع الحكومة للمصدر سعراً يتناسب مع أسواق القطع المجاورة ؟

أخيراً هناك حقل مستقل وهام جداً يتعلق بالتصدير الى البلدان التي نرتبط معها باتفاقيات مدفوعات . هذا الحقل له خصائص متعلقة به بالإضافة الى انه قد أخذ العمل به أبعاداً كبيرة جداً وأصبح له تأثير كبير على الساحة الاقتصادية والاجتماعية والمالية . كما أن له ايجابياته وسلبياته . وأي قرار وتصرف في هذا المجال سيكون له أثره الكبير على مجمل النشاط الاقتصادي في القطر .

هذا غيض من فيض للمواضيع الكثيرة التي يجب دراستها وبحثها بعمق وجدية متناهية نظراً لما لها من أهمية كبرى في تقرير نهج التصدير وتطوراته ومساره وفعاليته .

وهناك نقاط أخرى هامة وعديدة اذكر منها على سبيل المثل : توفر النقل الداخلي والنقل الخارجي وتكاليفهما ، نظام الادخال المؤقت ، لوازم التعبئة ، والمواد الأولية .

لن أطيل عليكم أكثر وأكتفي بالأمل بأن تنجح هذه الندوة وتحقق الآمال وليكون نجاحها حافزاً لإقامة ندوات أخرى تعالج قضايا اخرى هامة وملحة .

أخيراً الشكر الجزيل والتقدير العظيم أهديه لسيادة الأخ الكريم الدكتور محمد العمادي الذي تفضل مشكوراً بقبول إسهامه وإسهام وزارته في هذه الندوة وعلى اعتباره ، هو والأخوة الكرام المسؤولين في وزارة الاقتصاد ، يرون المهمة مشتركة والمسؤولية مشتركة وبأن بمقدور القطاع الأهلي والخاص أن يساهم بإيجاد حلول واقعية عملية وناجحة لكل القضايا الاقتصادية ، وبأننا في هذا القطاع نتمتع بالمؤهلات وعندنا المقومات التي تعطينا القدرة على الإسهام بالعطاء النصوح والمخلص والمجرد .

ولكم جميعاً شكرنا الجزيل على بذلكم وعطائكم وللأخ السيد أبو سامر الأمين العام للاتحاد تقديرنا لما بذله في هذا السبيل .

دمشق في ١٩٨٩/٥/٢٨

بدر الدين الشلاح

محاضرة كتبها الدكتور راتب الشلاح
وألقاها في جمعية العلوم الاقتصادية في ندوتها الاقتصادية السادسة حول التنمية والتجارة الخارجية التي انعقدت في دمشق من ٨ ـ ١٠ تموز ١٩٩٠

الى القارىء العزيز :

أطلعت على المقال الذي كتبه ولدي الدكتور راتب الشلاح ، ولما كنت أتبنى كل ما ورد فيه وأجده مفيداً وضرورياً فانني ضممته الى هذا الكتاب للفائدة وقد تحققت تحذيراته بعد إغلاق الأسواق الطارئة .

الفائض المستمر السوري
حدث عابر أو تحسن مستمر

في هذه الدراسة للتجارة الخارجية السورية حري بنا ان نبدأ من تدقيق الميزان التجاري السوري في الماضي والحاضر ، وتحديد سماته الراهنة .

١ ـ يرزح الميزان التجاري السوري تحت عجز دائم ومستمر ومتزايد بدأ تاريخياً منذ قيام الاحتلال الافرنسي للمنطقة ، ومع الاستمرار وطول العهد أصبح العجز ظاهرة ثابتة في تركيب اقتصادنا نشأت عن انفلات زمام الاستيراد وتراجع الانتاج والتصدير ، واعتبر خلل ميزاننا التجاري شراً لا مفر منه وعلينا التعايش معه قدر الامكان والعمل لمعالجته بالسبل المتاحة ما أمكن .

٢ ـ رغم استمرار العجز التجاري وتزايده بدأنا منذ عام ١٩٨٥ نشهد تحسناً ملحوظاً ومطرداً في العجز النسبي أي بنسبة تغطية قيمة الصادرات لقيمة الواردات ، وفي عام ١٩٨٩ انقلب العجز الكبير الى وفر كبير دفعة واحدة . وبعد ان كان العجز في عام ١٩٨٨ يقارب عشرة مليارات ليرة سورية . وبعد أن كانت تغطية الصادرات للواردات لا تتعدى ٦٠ بالمائة تبدل ذلك الى وفر في الميزان لصالحنا تجاوز العشرة مليارات ليرة سورية . وارتفعت نسبة تغطية الصادرات للواردات من ٦٠ بالمائة الى حوالي ١٤٤ر٧ بالمائة .

أثبت هذا التحسن المذهل قدرتنا على تحقيق قفزة كبيرة في فترة صغيرة وبين لنا انها ممكنة وضرورية ، ومن الطبيعي بل من الواجب ان نستمر في هذا الاداء ونعمل لتطويره .

ولكي نضمن متابعة هذه المسيرة الاقتصادية الايجابية ونعزز هذا التحول يجب ان نتعمق في تقصي جوانبه وأسبابه .

يعكس الفائض التجاري الحصيلة الصافية لتعاملنا وتداولنا مع دول العالم ، وينتج عن مجمل فعاليات وتفاعلات الدولة في الداخل وفي علاقاتها مع الخارج . إن مسببات الفائض التجاري كثيرة جداً والعوامل المؤثرة فيه متشعبة كما أن محاولة تقييمه مهمة صعبة ومعقدة .

اخترت في حديثي اليوم بعض المجالات التي أجدها هامة أو لأنها تحتاج الى المزيد من الاهتمام والدراسة والمعالجة .

١ ـ النفط :

السبب الأهم والمباشر لتحقيق الفائض التجاري يعود الى ثروتنا النفطية ومن واجبنا ان نسجل للحكومة السورية فضل تحقيق الانطلاق في مجال استثمار هذه الثروة طوال عشر سنوات من الدأب والمتابعة . وكان ذلك ثمرة لرؤية سليمة بدأت منذ عام ١٩٧٤ وأسفرت عن استراتيجية واضحة تشتمل على اجراءات متكاملة لتنظيم عمليات التنقيب والاستخراج والنقل والتصفية والتصدير . بعد أن كانت سورية في أوائل الثمانينات تستورد

النفط ومشتقاته لسد الاستهلاك الداخلي بكميات تزيد قيمتها عن ثمانية مليارات ليرة سورية ، استطاعت في عام ١٩٨٩ ان تحقق دخلاً صافياً يقدر بحوالي ٥٨٠ مليون دولار اميركي وبقدر ما يشكل هذا الرقم بحد ذاته انجازاً عظيماً لصالح الاقتصاد القومي ودعماً لميزاننا التجاري ، فانه يشير الى الأهمية البالغة لتطور النشاط النفطي السوري الذي تفوق قيمته ذلك الرقم الجيد . وهنا يجب ان ننوه بأن كل النفقات وأثمان المستلزمات والمعدات المستوردة لصالح عمليات الاستثمار قد خصمت من قيمة الصادرات المذكورة ، وتبقى لنا ربح صاف بالقطع النادر يتبوأ مركز الصدارة في تجارتنا الخارجية وفي توفير القطع الأجنبي .

وهكذا قفز النفط الى مركز الصدارة من حيث دوره في إصلاح وتحسين الميزان التجاري ، إضافة الى ان هذا المصدر للدخل القومي يمتاز عن غيره بأنه أيضاً يؤمن متطلبات استهلاكنا الداخلي من النفط التي كانت تكبدنا حجماً كبيراً من النفقات بالعملات الحرة .

وتشير التوقعات والنتائج كلها الى التحسن المستمر في هذا المصدر للدخل استناداً الى حصيلة جهد المؤسسات والأجهزة المعنية بالنفط التي تتمتع بالأطر الادارية المستقلة المرنة القادرة على وضع السياسات الفعالة واتخاذ القرارات اللازمة لانجاح عمليات التنقيب والاستخراج والتسويق وزيادة ثمارها . الأمر الذي يجعلنا نتوقع مزيداً من إسهام هذا القطاع المتطور في تحسين ميزاننا التجاري ودعم مسيرتنا الاقتصادية .

٢ ـ التصدير الى بلدان اتفاقيات المدفوعات :

وننتقل الآن الى العامل المباشر الثاني في تحسن الميزان التجاري في عام ١٩٨٩ ، وهو علاقاتنا ومبادلاتنا مع الدول التي تربطنا معها اتفاقات مدفوعات ، ولا يتسع المجال للتعمق في محتوى وتأثير هذه الاتفاقات لهذا نكتفي بتقصي العمليات في حدود القدر الضروري لنصل الى الاستنتاج الصحيح للفوائد التي جنيناها من هذا التعامل .

تقوم هذه الاتفاقيات عادة نتيجة رغبة الجانبين في ايجاد تعاون وتبادل تجاري تعززه الصداقات والنوايا الحسنة ، وعلى أساس ان هذا النوع من الاتفاقات يشتمل على آلية

تكفل دعم التعاون وتنشيطه . إلا أن تجارب التطبيق برهنت على وجود صعوبات عملية متعددة تعيق التبادل ، وحملت هذه الصعوبات أكثر الدول على العدول عن اتفاقات المدفوعات والاكتفاء باتفاقيات التبادل التجاري .

والواقع أن هذا هو ما طبق فعلاً في القطر العربي السوري فقد ألغينا جميع اتفاقات المدفوعات باستثناء الاتفاق المبرم مع الاتحاد السوفييتي حيث تبين أن هذا الاتفاق لا زال يشكل قاعدة مقبولة للتعاون والتبادل بين البلدين .

وإذا عدنا الى الاحصائيات المتوفرة في هذا المجال نلاحظ فوراً التطور المطرد في حجم التبادل التجاري بيننا وبين الاتحاد السوفييتي . سجل هذا التطور منذ عام ١٩٨٤ زيادات متوالية بلغت الذروة في عام ١٩٨٩ حيث طرأت على هذا التبادل قفزة نوعية هامة جداً تتحدث عنها الأرقام التالية :

في عام ١٩٨٨ بلغ مجموع الصادرات السورية الى الاتحاد السوفييتي ٤٤٠٠ مليون ليرة سورية يقابله مجموع الوارادات وقدره ٢١٥٤ مليون ليرة سورية أي بفائض لصالح سورية قدره ٢٣٤٦ مليون ليرة سورية .

وفي عام ١٩٨٩ قفز مجموع الصادرات السورية الى الاتحاد السوفييتي الى ١٢٠٥٣ مليون ليرة سورية مقابل الواردات التي بلغت ١٠٤٤ مليون ليرة سورية أي بفائض لصالح سورية قدره ١١٠١٩ مليون ليرة سورية .

هذا الفائض الكبير الذي يزيد على أحد عشر مليار ليرة سورية في عام ١٩٨٩ كان وحده كافياً لتغطية كامل العجز التجاري المتحقق خلال عام ١٩٨٨ أي أن صادراتنا الى الاتحاد السوفييتي خلال عام ١٩٨٩ شكلت العامل الحاسم في التغيير الذي طرأ على كامل الميزان التجاري .

يحق لنا أن نقف أمام هذه الزيادة الاستثنائية في محاولة للبحث الموضوعي حول عواملها وآفاقها ، ونبدأ بفرز وتحليل هذه العوامل .

١ ـ من الناحية النظرية يبدو واضحاً أن الصادرات العالية التي تتم ضمن إطار اتفاق المدفوعات هي تسديد سلعي لديون مستحقة الدفع . وتسديد هذه الديون عن طريق التصدير يغني الدولة المدينة عن ايجاد مصدر آخر للتسديد ومعظم اتفاقات المدفوعات

تشتمل على آلية لتسديد الديون التي تتجاوز مبلغاً معيناً توجب الدفع النقدي . لذلك فإن الطرف الدائن في اتفاق المدفوعات عندما يقبل بزيادة وارداته من الطرف المدين فانه يساعد هذا الطرف الأخير على تقليص ديونه ويقدم له التسهيلات ، ولا تملك الدولة المدينة عادة تشكيلة واسعة من السلع والبضائع ، ولذلك فان الدولة الدائنة عندما تزيد وارداتها في ظل هذا الواقع تواجه خيارات منتظمة وأسعاراً وشروطاً متزايدة آخذة بعين الاعتبار ضعف السوق المحلي في البلد المدين وتأثره بأي زيادة في الطلب .

٢ ـ في ظروف العلاقات الخاصة بين سورية والاتحاد السوفييتي يكتسب اتفاق المدفوعات خلفية معينة تميزه عن العلاقات والمبادلات العادية بين الدول ، وتذهب الدراسات الى أن الديون التي تترتب في ظل اتفاق مدفوعات من هذا القبيل تخضع لأسلوب تسديد تمليه روح الصداقة والرغبة في المساعدة من قبل دولة صديقة تراعي جملة من الاعتبارات والظروف لدولة صديقة تتحمل أعباء دفاعية وقومية واجتماعية واقتصادية ينادي بها الاتحاد السوفييتي نفسه ويؤمن بها ويدعمها . وكثيراً ما تقارن هذه الديون وأساليب تسديدها بالمساعدات ومن هذه الزاوية فان الديون المتراكمة هي ديون واجبة السداد ولكنها تحمل طابعاً خاصاً وتخضع لاعتبارات تقود الى تسهيل معالجتها وتسديدها .

والاشكال الذي يلابس اتفاقات المدفوعات عادة هو كونها تمر بتباين وجهات النظر بين الفريقين الدائن والمدين ، وربما يزداد التباين والخلاف كلما تعاظم حجم الديون وانقضى الزمن على تراكمها ، نظراً لأن الجانب المدين تقل حماسته واستعداده مع طول الأمد وترتفع حرارة الجانب الدائن وتشتد مطالبته بالسداد . وهذه مشكلة تجارية قائمة يتعرض لها الجانبان في هذه الحالات .

على الصعيد العملي يجري تقييم الصادرات الناتجة عن اتفاق المدفوعات في ضوء فوائدها وسيئاتها على أساس ما يسمى (القيمة المضافة) ومن الواضح أن تصدير سلعة أو بضاعة تنتج وتصنع وتغلف محلياً يختلف اختلافاً كبيراً عن تصدير بضاعة مستوردة بكاملها أو ما يقارب ذلك بالقطع الحر ، وبين هذين النوعين من الصادرات يكمن الفرق بين التصدير المفيد والتصدير المرهق الضار ، فالأول ينشط القدرات الانتاجية الوطنية ويشجع تطورها التكنولوجي ويرفد حركة التنمية الاقتصادية والبناء الداخلي ويفتح آفاقاً جديدة

لخلق مجالات عمل وللتقدم وإحراز الكفاءة ، أما النوع الثاني من التصدير فمؤداه تصدير مواد مستوردة بالعملات الصعبة ، تمر بالبلد المصدر مرور الكرام بلا جدوى ، ولا تقدم شيئاً لتنمية الطاقات وتطوير الانتاج ، بل أن هذا التصدير يلقي عبئاً كبيراً على ميزان النقد الأجنبي للبلد المصدر ويحرمه من جزء هام من القطع اللازم لتنفيذ خطط التنمية ومشاريع الخدمات . كما أنه يشكل عامل ضغط على قيمة النقد الوطني ويرفع أسعار العملات الأجنبية ، ويخلق تضخماً إضافياً يربك المسيرة الاقتصادية .

هذه المحاذير لم تغب عن أذهان المعنيين بالأمر . وقد حرصوا على تفادي أكثر الافرازات السلبية للعمل باتفاق المدفوعات ، وتوجيه تطبيق بنودها على طريق خلق صناعات وطنية جديدة وزيادة طاقاتها وتعميق خبراتها ، وبما يؤدي الى إغناء الانتاج ورفع مستوى العمالة وتحقيق المزيد من التطور .

ويدرك المعنيون بالأمر منذ البداية أي منذ عام ١٩٧٢ أن التعامل عن طريق اتفاقات المدفوعات يستند الى قرار سياسي ربما يعدل أو يلغى بقرار سياسي مماثل وبناء على هذا الاحتمال نشأ تخوف أو حذر من إحداث صناعات أو مؤسسات برؤوس أموال عالية وتوظيفات مكلفة يمكن أن تتعرض للضرر والهدر إذا طرأ اي تعديل على أساس التعامل باتفاقات المدفوعات .

في مواجهة هذا الاحتمال ولكي نتجنب هذا النوع من المحاذير اتجه المعنيون والمسؤولون الى إقامة توازن معقول في فرص التصدير تتيح للمنتج والصانع والمصدر فرصة الدخول في أسواق موازية وبديلة لدى بلدان القطع الحر ، وفرضت عليه تصدير نسبة من انتاجه الى هذه الأسواق ، ولا ريب في أن دخول المنتج والمصدر السوري الى أسواق القطع الحر تعطيه خبرة ثمينة وعمقاً مهما في المنافسة على الأسواق العالمية . وتوسع أمامه مجال الخيارات بين الأسواق والبحث عن الأفضل ، كما تجنبه مخاطر الاعتماد على سوق وحيد يحتمل التحول عنه .

من هنا ووفقاً لهذا التصور صدر قرار بإلزام المصدر الى بلدان اتفاقات المدفوعات بتصدير ٢٠ بالمائة من قيمة صادراته نفسها الى بلدان القطع الحر . إلا أن مرور الوقت وحدوث بعض الضغوط الخارجية والداخلية أديا الى تعديل هذا القرار وفقدان غايته ، وارتؤي التساهل أولاً بأن يسمح للمصدرين بتصدير مواد أو سلع غير تلك التي تم

تصديرها الى بلد اتفاق المدفوعات ، ثم تم تجاوز هذه الناحية وأعفي المصدر من ذلك الشرط .

منذ صدور هذا القرار أسيء فهمه من قبل بعض أجهزة الدولة التنفيذية ومن قبل المصدرين أنفسهم رغم وضوح الغاية منه وهي اغناء خبرات وقدرات المنتج والمصدر ، وزيادة قدرته على الانتاج بشروط تنافسية ، وليس الهدف منه قطعاً معاقبة المصدر الى بلد اتفاق المدفوعات . بل أنه اجراء تفرضه ضرورة تطوير التجارة الخارجية والدخول في أسواق متنوعة وعديدة تحفزنا لإحراز المزيد من الكفاءة الاقتصادية في التعامل التجاري مع العالم .

منذ أوائل عام ١٩٨٧ بدأ التعامل مع الاتحاد السوفييتي يشكل أرقاماً عالية وتركز في التصدير من النوع الثاني الذي اشرنا اليه قبل قليل والذي نعتبره أقل فائدة على المسيرة الاقتصادية السورية وهذا دفع المسؤولين للتفكير في تفادي بعض سلبيات تضخيم التصدير وخاصة التصدير غير المفيد للبلد . وللمرة الثانية تقرر فرض شرط التصدير النسبي الى بلدان القطع الحر على كل من يصدر الى بلد اتفاق المدفوعات ، وبعد ذلك رافق التطبيق نوع من التشدد في نصوص الإجراء وفي طريقة تطبيق هذه النصوص نفسها ، مع انه اجراء تنظيمي هدفه تمتين البناء الاقتصادي الوطني وتشجيع المصدر نفسه .

كمثال لهذا التشدد نلاحظ هنا ان نسبة الـ ٢٠ بالمائة التي توجب تصديرها الى بلدان القطع الحر تمثل في الواقع ٨٠ بالمائة من قيمة الصادرات الى بلد اتفاق المدفوعات ، وذلك ناشيء عن الفارق الكبير الحاصل بين السعر المعتمد للدولار و(الجنيه الحسابي) وبين السعر السائد للدولار الحر .

لذلك نجد ان هذا الاجراء حمل المصدرين أعباء مالية ومهام تسويق كبيرة كانوا غير مستعدين لها ، ولا سيما ان الأرقام كانت كبيرة ، وادى التشدد في التطبيق الى بعض التباطؤ من قبل المصدرين بتسديد التزاماتهم وتعهداتهم كما أدى في بعض الأحيان الى وقوع بعض المخالفات والتجاوزات .

وأخيراً تم تطبيق اجراءين ، الأول صدر عن السيد وزير المالية بإجبار المصدرين الى بلد اتفاق المدفوعات على دفع الضرائب المستحقة عن أعمالهم في كل عام استناداً الى

تقديرات وزارة المالية بنسبة أرباح على الأصناف المصدرة ، والثاني صدر عن وزارة الاقتصاد ويتضمن إجبار المصدرين على الحصول على إجازات تصدير مسبقة لا بد منها لاتمام عمليات التصدير ، وأعلن أن هذا القرار لا يستهدف ايقاف التصدير الى الاتحاد السوفييتي ، والحد منه وكل ما يراد منه تنظيم عملية التصدير من حيث الحجم والقيمة .

لسنا نشك في ان الجهات المسؤولة ستجد الحل الأمثل لتنظيم عملية التصدير الى الاتحاد السوفييتي بشكل يعود بالفائدة على الاقتصاد السوري ولا يضر بصالح المؤسسات والشركات العديدة التي اتجهت بقوة وسرعة في هذا الطريق . وأصبح جانب منها يهيء فرص عمل لأعداد كبيرة من المواطنين في هذا القطر ، ويتحمل التزامات مالية مرهقة . وبعض هذه المؤسسات يعتمد في تكوينه وانتاجه وتوجهه على أسواق الاتحاد السوفييتي ، وليس من المعقول تجاهل هذه الحقيقة .

ولعل ما نلاحظه من الارتباك في هذا المجال يعود الى ضعف قدرة الجهات الرسمية في السيطرة والتحكم في نوع وحجم التبادل أو التعامل . وهذا ناشيء عن ثغرة في البروتوكول التجاري لعام ١٩٨٥ سمحت بالمبالغة في الكميات الممكن تصديرها الى الاتحاد السوفييتي . كما أن هذا البروتوكول لم يركز على الأصناف التي تمثل فيها القيمة المضافة نسبة مرضية ومفيدة للجانب السوري .

المرجو أن يأخذ البروتوكول الجديد هذه النقاط بعين الاعتبار ، ويتضمن لائحة مدروسة بأرقام تتيح المجال لتعميق خبرات المنتج السوري ودعم اقتصادنا الوطني .

والمرجو أيضاً أن تتمكن الحكومة من اعتماد تعليمات وتوجيهات وأسس واضحة ودائمة ومبسطة تنظم عملية التصدير الى الاتحاد السوفييتي . ان القرارات والتعليمات التي صدرت وتصدر عن الحكومة بشأن تنظيم عملية التصدير الى الاتحاد السوفييتي تميزت بعددها الوافر وبغموضها وتناقص بعضها مع بعض مما يشير الى عدم تكوين فكرة واضحة عن شروط وآلية ونمط التبادل مع الاتحاد السوفييتي .

٣ ـ الاجراءات والقرارات الحكومية :

اتخذت اجراءات الدولة لتنشيط التصدير المسارات التالية :

(١) رفع أسعار القطع الأجنبي المحدد لحصيلة التصدير الى درجة تعكس بشكل أقرب الى الواقع القيمة الحقيقية للقطع والكلفة الفعلية للسلع المصدرة . وتم ذلك على مراحل بدأت بتجاوز السعر القديم الذي كان في حدود (٣٩٠) قرشاً سورياًالى (٢٥ر١١) ل.س وارتفع في بعض الحالات الى (٢٢) ليرة سورية تمشياً مع سعر الدولار في الأسواق المجاورة ، ثم تابع ارتفاعه الى ما يقارب الـ (٤٢) ليرة سورية بالنسبة لقيمة الصادرات من الخضار والفواكه .

كان التشبث بالسعر القديم للقطع الناجم عن التصدير قد أوجد فارقاً كبيراً بين الكلفة والمردود ، أي بين كلفة السلعة المصدرة التي يتحملها المصدر فعلاً وبين حصيلة القطع الناتج عن تصديرها والمحسوب بالسعر الرسمي ، وأدى ذلك الى جمود ظاهر في التصدير الرسمي بينما سلك جزء من السلع القابلة للتصدير أقنية اخرى بديلة بعيداً عن رقابة الدولة وسيطرتها .

وليس سراً ان سورية لها حدود واسعة مفتوحة مع بلدان عديدة تسودها أنظمة اقتصادية مختلفة ، وعندما يتعذر التصدير المشروع للسلع تصبح الفرصة متاحة للطرق البديلة غير المشروعة ، وفي هذه الحالة يحصل المهرب على السلعة بالكلفة المحلية مضافاً اليها كلفة النقل وبيبيعها بالسعر الواقعي للقطع في البلدان المجاورة فيحقق ربحاً عالياً يصعب على القطاع العام أو المصدر المقيد بالأقنية الرسمية مجاراته ومنافسته .

يضاف الى ذلك محذور آخر هو أن القادم من الأقطار المجاورة يستطيع ادخال كميات كبيرة من الليرات السورية اشتراها من الخارج ، وشراء السلع السورية بالأسعار المحلية التي تقل كثيراً عن أسعار السلع نفسها حينما تصدر بالطريق الرسمي . وهذا الفارق ينشأ عن انخفاض السعر الرسمي للقطع ، إضافة الى ان المشتري الذي حصل على السلعة محلياً وفر على نفسه رسوم التصدير المفروضة على بعض المنتجات المحلية ورسوم الاستيراد المفروضة في القطر المستورد ، كما نجا من الإضافة التي تنجم عن ضريبة الدخل المترتبة على المصدر السوري . ويلجأ المصدر السوري مضطراً الى التصريح بقيمة أقل لصادراته ليستطيع بيع ما يوفره من القطع الأجنبي بالسعر الفعلي وتعويض الفارق الناجم عن انخفاض السعر الرسمي للقطع .

كل هذا حمل الجهات المسؤولة على اتباع سياسة تسعير للنقد الأجنبي قريبة من الواقع ولا تبتعد عن السعر السائد في الأسواق المجاورة . وسرعان ما أعطت هذه السياسة ثمارها ، وأعادت جانباً كبيراً من حجم التصدير الى الأقنية الطبيعية ويسرت لمؤسسات القطاع العام مجاراة القطاع الخاص في تفادي العوائق القانونية خلال عمليات التصدير .

ويتساءل العديدون عن مبررات تعدد هذه الأسعار وتشابكها من جهة بالإضافة لبعدها جميعاً عن السعر الواقعي والحقيقي من جهة اخرى .

لا زال هناك أكثر من سعر لكل سلعة تصدر بل وحتى لكل سلعة تستورد . وهناك سعر مختلف لنفس البضاعة أو السلعة يتوقف على الجهة التي تتداولها ـ اي القطاع الخاص أو العام أو القطاع المشترك ـ ويتوقف على القرار الذي يحكم هذا التداول .

غالبية المهتمين تنصح بأن تتجه الحكومة نحو توحيد أسعار القطع وتحديده بمستوى قريب من أسواق السوق المجاورة . ويعدد هؤلاء المزايا والفوائد العديدة التي سيجنيها قطرنا من هذا النهج وهذا الأسلوب . سأترك لغيري الإسهاب في تعداد هذه المزايا واكتفي بذكر العنصر السلبي الأهم الذي يتخوف منه المسؤولون . هذا العنصر بالحقيقة يشكل المحور الرئيسي والركن الأهم لسياسة التجارة الخارجية والاقتصادية في هذا القطر .

كما هو معلوم : ان سياسة تحديد سعر القطع الأجنبي بالاضافة الى سياسة تحديد الأسعار الداخلية مبنيتان على استراتيجية توازنية توفق بين مداخيل المواطنين وكلفة معيشتهم التي تتوقف على سياسة الأسعار المتبعة داخلياً وخارجياً ، وان أي اهتزاز كبير في معدلات ومستويات هذه الأسعار سيسبب خللاً ضاراً بالتركيبة الاقتصادية المتوازنة التي يعمل بها حالياً . ورفع أسعار القطع ـ وما يصاحبه عادة من ارتفاع بأسعار السلع المحلية ـ سيشكل عبئاً مرهقاً جديداً على مستوى معيشة أصحاب الدخل المحدود الذين عانوا من ارتفاع الأسعار بشكل يفرض علينا إعادة النظر بمستوى رواتبهم ورفعها لتتماشى مع التضخم الذي حصل فعلاً حتى الآن وبدون جولة جديدة من الارتفاع .

هناك مدرسة من الاقتصاديين مؤمنة بضرورة انصاف أصحاب الدخول المحدودة ولكنها تختلف فيما بينها حول الوسيلة الأفضل لتحقيق ذلك . فهي تقول بأن سياسة تثبيت الأسعار ـ على مستوى أسعار القطع وأسعار السلع ـ ومعها أيضاً سياسة دعم بعضها تهدف

الى تأمين هذه السلع لتصل بشكل خاص الى الفئة المعنية صاحبة الدخل المحدود . ولكي تحقق الدولة ذلك فهي تتبع الأسلوب الأطول ذا الكلفة العالية جداً وتفيد من هذه السياسة من هو أهل وغير أهل لهذا الدعم .

فتثبيت الأسعار ودعمها يتطلب وجود مؤسسات عديدة ذات كلفة عالية . بالإضافة الى أجهزة مراقبة وبالإضافة الى مبالغ هائلة تدفعها الخزينة مباشرة . فبدلاً عن تخصيص فئة الدخل المحدود بكل هذه المبالغ نجد أنها تصيب بخيراتها :

١ ـ أصحاب المهن والحرف والفئات الأخرى الميسورة .

٢ ـ السواح والوافدين الى القطر والذين يصرفون عملاتهم الأجنبية بأسعار السوق الحقيقية المرتفعة .

٣ ـ الطبقة الطفيلية التي تسرب هذه البضائع من المؤسسات الرسمية لتبيعها إما في داخل أو حتى الى خارج القطر لتستورد مرة ثانية بأسعار باهظة جداً .

الاستنتاج الذي يصل اليه هؤلاء يتلخص بأن ما يصل الى جيوب الفئة التي نريد حمايتها ودعمها هو جزء بسيط جداً من الكلفة والمبالغ التي ندفعها فلماذا لا نوفر على أنفسنا هذا العناء وهذه الكلفة ونعطي الفئة التي نريد دعمها حقها مباشرة ؟

(٢) ربط الاستيراد بالتصدير: أصدرت الحكومة أكثر من اجراء للربط بين الاستيراد والتصدير مستهدفة توفير القطع اللازم لاستيراد المواد الأولية ومستلزمات التصنيع والانتاج عن طريق التصدير حصراً ، ودون ان تتحمل الموارد الرسمية أعباء تأمين القطع لهذه الغاية ، ومن هذه الاجراءات :

آ ـ السماح لأصحاب المنشآت الصناعية والحرفية بالاحتفاظ بنسبة ٥٠ بالمائة من العملات الأجنبية الناجمة عن صادراتهم ، واستخدامها في تسديد قيمة مستورداتهم من الآلات والمواد الأولية وقطع التبديل .

ب ـ أعقب ذلك قرار وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية رقم (٢٧٩) لعام ١٩٧٨ وينص على السماح لمصدري المنتجات الصناعية والزراعية من القطاع الخاص بالاحتفاظ بنسبة لا تتجاوز ٧٥ بالمائة من القطع الناجم عن هذه الصادرات التي حددها القرار لاستيراد منتجات جديدة نص عليها القرار نفسه .

جـ ـ إضافة الى مزايا القرار رقم (٢٧٩) المذكور ، منح القرار ذو الرقم ١٠٦٨ عام ١٩٨٩ مصدري الخضار والفواكه الحق إما بالاحتفاظ بنسبة ٧٥ بالمائة من القطع الأجنبي الناجم عن عمليات التصدير لاستعمالها في استيراد المواد المحددة في القرار (٢٧٩) أو بيع كامل حصيلة القطع الناجم عن التصدير بسعر القطع في الأسواق المجاورة كما يحدده مكتب القطع في مصرف سورية المركزي ، مع العلم بأن القرار رقم (١٠٦٨) نفسه أعفى الخضار والفواكه المصدرة من رسوم الانتاج الزراعي .

د ـ تكليف مصدري المنتجات الصناعية من القطاع الخاص بتصدير ما قيمته ٢٠ بالمائة من قيمة صادراتهم الى بلدان القطع الحر على أن يسجل القطع الحر الناجم عن هذه العمليات في حساب خاص لاستخدامه في تمويل شراء المستوردات من المواد الأولية وقطع التبديل اللازمة للمنتجات المصدرة .

وهكذا أصبح التصدير والاستيراد عملين متلازمين يخدم كل منهما الآخر وأسفر الربط بينهما عن توفير مستلزمات التصنيع والانتاج وساعد في تنشيط التصدير ، إلا أن بعض المتابعين لمعطيات هذا الربط يلمسون سلبياته ومحاذيره . ويرون أنه ليس ثمة ما هو أفضل من العمليات المبسطة المستقلة . أهم هذه السلبيات هي أننا أجبرنا المصدر ان يصبح مستورداً بدون أن يكون له الخيار بذلك . كما اننا بهذه الوسيلة نبعده عن عمله واختصاصه الذي يتقنه وأقحمناه بعمل يحتاج لخبرة ورأسمال غير متوفرين لديه .

ويمكن القول بأن اجراءات ربط الاستيراد بالتصدير رفعت ضمناً سعر القطع الأجنبي المحدد لحصيلة التصدير وهذه من أهم مزاياها .

(٣) يجب التنويه ايضاً بقرار السماح للقطاع الخاص باستيراد وتصدير بعض الأصناف التي كانت محصورة بالقطاع العام ، ومن الواضح ان هذه الخطوة تتيح للقطاعين العام والخاص ممارسة نشاطات مماثلة على قدم المساواة الأمر الذي يحتم عليهما نوعاً من التنافس وتطوير العمل يؤول في النتيجة لخدمة البناء الاقتصادي .

على هذا الصعيد تقودنا نظرة اجمالية للوقوف عند بعض الظواهر المثيرة للنقاش وتكفي جولة عاجلة على سلسلة الاجراءات المتلاحقة من حيث مضمونها وتواريخها لنرى أن هذه القرارات كانت معالجات آنية لحالات جزئية متفرقة كانت ردود فعل لأحداث يومية ولا تشكل نسيجاً متناسقاً يعمل ضمن إطار مدروس .

فضلاً عن خضوع العديد من السلع المصدرة أو المستوردة لأكثر من قرار متناقض أو حكم مختلف ، ان بعضها يقع في آن واحد ضمن مجموعتين من الشروط المتباينة من حيث أسس وحسابات الكلفة الى حد كبير .

وآل الأمر الى اخضاع عمليات التصدير والاستيراد الى مجموعة كبيرة من الاجراءات تحتاج الى متتبع محترف لتحديد القرار الناظم للسلعة المصدرة .

ورزحت الأجهزة التنفيذية تحت سيل من التعليمات والقرارات المتلاحقة التي أصبح معظمها بحاجة الى تفسير . ولا يُخفى ما يسببه هذا التشابك لدى أجهزةٍ وكوادر تخشى الإنزلاق والخطأ في فهم التعليمات وبالتالي فإنها تعاني كثيراً في تفسيرها وتطبيقها وتمتد هذه الحالة الى المصرف المركزي والجمارك والمصرف التجاري والنقل وسائر الأجهزة التي تعنى بالاستيراد والتصدير .

٤ ـ الهيكلية الاقتصادية :

تشتمل البنية الاقتصادية للقطر العربي السوري على قطاعات وهياكل متعددة يقودها القطاع العام وهو القطاع الرئيسي والرائد . وهناك القطاع الخاص الذي يشمل مجموعة واسعة ومتشعبة من الفعاليات الزراعية والصناعية والتجارية والحرفية والخدمات ، ويجمع القطاع المشترك في تركيبه وأهدافه بين امكانات وطاقات القطاعين العام والخاص .

قطعت تجربة التعايش بين هذه القطاعات شوطاً معقولاً في اعطاء المسيرة الاقتصادية غطاء نظرياً ممتازاً ، من أهم صفاته المرونة في الأدوار المنوطة بكل منها ، وليس من الصعب تكييف هذه الأدوار والمسؤوليات بما يتلاءم مع الواقع ويواكب التطورات ، إلا أن واقع المرحلة في الوقت الحاضر لا يسهل المقارنة بين معطياتها ، نظراً الى أن كل قطاع منها لم يأخذ كامل أبعاده بعد ولم ينفذ المهام الملقاة على عاتقه بمفهومها الحقيقي .

تولى القطاع العام زمناً طويلاً قيادة معركة البناء الاقتصادية ، وباشر فعلاً بتهيئة البنية التحتية الأساسية للبناء . ورغم البدايات المشجعة انخفضت مساهمة هذا القطاع في عملية التنمية . وانهمك في التعامل اليومي مع المشاكل الجزئية بعيداً عن المهام الاستراتيجية في التنمية والتطوير والتصنيع . وهناك آراء بضرورة اصلاح هذا القطاع عن طريق اخضاعه للحساب الاقتصادي ودفعه للعمل بمعايير الريعية والربح .

أنا شخصياً أؤمن بأنه قبل أن نلوم هذا القطاع ونخضعه للمزيد من القيود والمحاسبة علينا أن نتساءل : هل أعطي هذا القطاع الفرصة والمجال والامكانيات الكافية لتحقيق أهدافه والقيام بواجبه ؟ كل الدول التي يوجد بها مؤسسات وشركات عامة يكون لها تشاريع وقوانين خاصة بعيدة كل البعد ومستقلة كل الاستقلال عن نظم ومناهج وأساليب الدوائر الحكومية .

يتمتع القطاع العام في تلك البلدان باطلاق يده في اتخاذ القرارات في الوقت المناسب والقدرة على التصرف المجدي عند الحاجة والمجال في منافسة القطاع الخاص سواء كان ذلك عن طريق المرونة المتوفرة لها أو الحوافز أو الرواتب أو شروط العمل أو مجالات الترفيع بالاضافة الى الحوافز الأخرى غير المباشرة . فالاجتهاد المعقول مقبول والجهود والمحاولات تقدر والتفكير بمشاريع المستقبل ضروري . كل شيء عدا عن الاهمال والتسيب الضارين وكل شيء عدا عن الأذى والضرر المقصود مسموح . إن مسيرة القطاع العام جديرة وبحاجة لدعم وتنشيط وتحرير . فالمسؤولية وحسن الأداء لا يمكن أن يتما بعيداً عن الصلاحية والقدرة على اتخاذ القرارات وتحقيق الانجازات .

أما القطاع الخاص فابتدأ من قطاع محدود العدد والأهمية والنشاطات الى قطاع يضم شرائح كبيرة من المواطنين أبعدت وابتعدت في البداية عن مهمة التنمية والزراعة والتصنيع وتحولت الى قطاع طفيلي يمارس النشاطات الاستهلاكية والترفيه ليصبح أيضاً زبوناً لها .

يعود جانب هام من تلكؤ القطاع الخاص عن عملية التنمية الى سببين رئيسيين :

السبب الأول يكمن في عدم تكافؤ قوة جاذبية مجالات العمل الانتاجية والاستهلاكية ، فالأولى بدت متعبة شاقة طويلة هزيلة مقيدة ومحدودة . أما الثانية فبدت أكثر بريقاً وسحراً وتعطي المفتاح المضمون الى نجاح أسرع . لهذا نجد تدفق الأعداد الكبيرة من أبناء الشعب نحو المدن الكبرى وخاصة العاصمة سعياً وراء الفرص السريعة غير المتوفرة بميدان الزراعة أو الانتاج . بينما وجدت أعداد كبيرة من أبناء الشعب الوظيفة المكتبية في دوائر الدولة الحل الوسط بين ضمان العيش الكريم وسهولته .

أما السبب الثاني في ابتعاد المواطنين عن ساحة التنمية فيكمن في وجود كتلة مالية هائلة في أيدي الأفراد نجم بعضها عن حصيلة العمل في دول النفط ونجم بعضها عن

الارتفاع المذهل في قيم الأراضي والعقارات بحيث تجمعت لدى شريحة كبيرة من المواطنين وفورات نقدية عالية لا تجد سبيلاً للاستثمار في المجالات الانتاجية . ويبحث أصحاب هذه الأرصدة عن مجالات توظيف مضمونة ومجزية وقابلة للتحويل نظراً لحاجتهم الى دخل جيد يغطي عجز مواردهم ويتكافأ مع تكاليف المعيشة المتصاعدة يوماً بعد يوم .

هنا يحق لنا أن نسجل تباطؤنا بتوفير الوسائل والآليات اللازمة لاجتذاب هذه الأموال الى مجالات الانتاج والتنمية ، بعيداً عن التوظيفات الاستهلاكية ، وليس من مخرج من هذا الاختناق الاقتصادي غير إقامة سوق مالي منظم ومدروس لاجتذاب واستيعاب هذه الأموال وتوجيهها نحو الانتاج . وما لم نوجد هذه القناة بشروط مضمونة ومريحة تتلاءم مع الهدف الوطني وخطة الدولة سوف تستمر هذه الأموال في الانسياب في البناء والعقارات وامتلاك السيارات وتجميل المكاتب وشراء المجوهرات والعملات الأجنبية وسائر وجوه التوظيف الاستهلاكي والعارض الذي لا يخرج عن كونه صيغة أخرى لتجميد الأموال .

وأظنكم على اتفاق معي في جسامة وأهمية هذه النقطة ولا مناص لنا من تصور جديد يضع أفضل الأسس والشروط لإقامة المؤسسات المؤهلة لإعادة توجيه الأموال الى المشاركة في التنمية قبل أن تنساب كلية الى المتاهات والضياع .

القطاع المشترك وهو القطاع الذي يجمع القطاعين الخاص والعام ملكية وإدارة وتسييراً . التجربة الأولى للقطاع المشترك تمت في مجال السياحة والفنادق السياحية بالإضافة الى النقل السياحي والتسويق السياحي . هذه التجربة كما يبدو للآن أسفرت عن ثمار جيدة وناجحة . انطلاقاً من هذه التجربة وحرصاً من المسؤولين على دعم التنمية الزراعية وروافدها ومشتقاتها صدر المرسوم رقم (١٠) لعام ١٩٨٦ الذي نظم أسس وشروط انشاء مؤسسات من القطاع المشترك التي تهدف الى الاسهام في التنمية الزراعية زراعة وصناعة وتعبئة ومكننة وتسويقاً . وقد أعطى المرسوم المذكور هذه الشركات التي تؤسس بموجبه مزايا واعفاءات وتسهيلات واستثناءات كبيرة وعديدة .

الى الآن لم يمض الوقت الكافي للحكم على مدى نجاح هذه الشركات في هدفها ومسيرتها . غير أن هناك شعوراً بأن العمل الزراعي لا يتلاءم كثيراً مع فكرة الشركات المدارة بمجالس إدارة ومن المكاتب . فالزراعة تعني العمل الميداني المستمر الشاق . كما أن

فكرة اعطاء كل شركة حق ومسؤولية التوسع الأفقي والعامودي في كل المجالات قد يجعل من نجاحها مهمة صعبة . وحبذا لو انه يتم تقليص مجالات العمل والاختصاص الذي يناط لكل شركة وبذلك تبسط المهمة لكل شركة وتصبح أسهل منالاً وتحقيقاً وربحية .

في الوقت نفسه نلاحظ قيام تحول محلي كبير نحو الزراعة له جانبان . الأول ـ يكمن في نشاط الجهات المسؤولة في مجال التشجير والتحريج وجهود وزارة الزراعة المشكورة في تنفيذ العمليات الزراعية وتوفير مستلزماتها من غراس وبذار واسمدة ومبيدات . الجانب الثاني انبثق عن ردة جميلة وحثيثة من قبل القطاع الأهلي نحو الزراعة . والحقيقة ان سياسة التسعير المجزي لبعض المحاصيل من جهة وتحرير تسويق البعض الآخر من محاصيل وفواكه أعادت الكثير من المواطنين الى العمل الزراعي فنشطت المشاريع الفردية والعائلية (وهي الأقرب والأنجح بالنظر لطبيعة وفردية المواطن السوري) بأحجام تتناسب مع مقدرة كل صاحب مشروع .

من النتائج التي نلمسها حالياً أن الفواكه والخضار أصبحت متوفرة بكثرة وفي كل مكان بعد ان كان يفتش عليها كالدواء من الصيدليات وبعد أن كان المصدر الدائم لها من لبنان . وفي هذا العام تقدر كميات الحمضيات الفائضة بحوالي ١٠٠ ألف طن تبحث عن أسواق خارجية لتصريفها .

هنا نتوقف عند نقطة هامة لا بد من إثارتها ، هي الفارق الكبير بين الأسعار المعتدلة التي يقبضها المزارع والمنتج والأسعار الباهظة التي يتكبدها المواطن المستهلك . يعود هذا الفارق حصراً الى الحلقة الأخيرة في سلسلة التوزيع . لقد تكونت شريحة كبيرة من الناس تعمل بالبيع بالمفرق على مستوى الأكشاك والأرصفة والعربات وتفرض أسعاراً باهظة على المستهلك وتسبب بذلك ضيقاً قاسياً للقاعدة الواسعة من ذوي الدخل المحدود . انها بالفعل خطيرة ليس فقط لانها مكلفة جداً ، ولا لأنها غير ضرورية ولا مبرر لها بل أيضاً لان هذه الفئة الطفيلية يقدر عددها في مدينة دمشق وحدها بعشرات الآلوف . والحل الأفضل لهذه الظاهرة يكمن ليس فقط بتنظيم هذه الحلقة وتنسيقها بل أيضاً بخلق فرص عمل بديلة لهؤلاء يجدونها أفضل وأجدى وأربح .

لا يمكن أن نختتم هذه الحلقة من البحث قبل الإشارة الى مشكلة المياه هذه المشكلة التي بدأت أبعادها تظهر بقوة وعنف . وإذا كانت معدلات الأمطار رهناً بغوث من السماء

يعوضنا به الله عز وجل عما استهلكناه من المخزون الجوفي خلال السنوات الماضية مما يحتم علينا أن نطلب الى الأتقياء والمقربين أن يدعوا لنا بالغيث وبموسم قادم مليء بالثلوج والأمطار ، هناك شق آخر للمشكلة حيث أن الدعاء وحده لا يعفينا من وضع وتطبيق خطة واقعية للتنقيب عن المياه واستخراجها . والمهمة الكبرى والعظة تكمن في تطبيق سياسة محكمة لترشيد الاستهلاك وفق سلم متشدد يحول دون الافراط والهدر .

٥ ـ التجارة مع الدول العربية :

لا يتسع المجال لاجراء بحث مستفيض حول التجارة العربية البينية وبيان حجمها الهزيل وأسباب انخفاضها بصورة عامة ، ولكننا ملتزمون بأن نؤكد الضرورة القصوى لتطوير التبادل التجاري العربي للوصول الى التكامل الاقتصادي والتنسيق الصناعي باتجاه الوحدة الاقتصادية الكاملة بوصفها السبيل الوحيد للصمود أمام الكتل الاقتصادية العملاقة في العالم . وتبين المتغيرات الجارفة انه لا بديل للاعتماد على الذات واحراز شروط الكفاءة الاقتصادية والعمل المشترك ، ولا مكان محترم في العالم لكل ضعيف أو متسكع أو مشرذم ومشتت .

تضاءلت الأهمية النسبية لصادرات القطر الى الأسواق العربية رغم ارتباطه مع أكثر الدول العربية باتفاقات ثنائية تمنحه مزايا المعاملة المفضلة . ورغم عضويته في اتفاقية تسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة الترانزيت بين الدول العربية ، ويعود هذا التضاؤل الى عدة أسباب ، نلخص أهمها فيما يلي :

١ ـ الانخفاض النسبي في حجم الصادرات الحرفية والتقليدية السورية بسبب ارتفاع كلفتها المحلية .

٢ ـ انخفاض سعر صرف النقد الأجنبي الناجم عن تصدير السلع السورية الى البلدان العربية .

٣ ـ حدت اجراءات الادخال المؤقت والمناطق الحرة الى حد كبير من تصدير المنتجات السورية التي تعتمد على تصنيع المواد المستوردة أو خياطتها أو اجراء أي تحوير لها أو تعديل .

٤ ـ ازدياد القيود على أذونات دخول السوريين الى البلدان العربية ، وحرمانهم من فرص الاطلاع على أسواقها واستقصاء متطلباتها للتجاوب معها وتجنب الأضرار والخلافات .

٥ ـ التدفق الهائل للبضائع الأجنبية من كل أنحاء العالم على الأسواق العربية بأسعار اغراقية سعياً وراء اثبات الوجود وتوطيد الأقدام في هذه الأسواق الهامة ، بتضحيات توضع في حساب المستقبل .

٦ ـ تتعرض الصادرات السورية في مراكز الحدود العربية للتفتيش الدقيق بعد افراغها من الشاحنات وتخضع للتحليل المخبري بحجة التأكد من مطابقتها للمواصفات والمقاييس وتبقى أياماً عديدة قبل السماح بادخالها . وبذلك تفقد مزية قرب الأسواق العربية التي كانت تمنحها مركزاً منافساً أمام البضائع الأجنبية .

بل أن الاجراءات السورية نفسها لا تعطي الصادرات السورية الدعم المطلوب من حيث كلفة النقل وشروط التصدير وروتين الاجراءات .

٧ ـ تنضم الى هذه العوامل المثبطة حرب (غسل الدماغ) الموجهة الى المستهلك العربي الذي وضع كل ثقته ويقينه بأفضلية وجودة أي سلعة مصنوعة في الغرب مهما كان سعرها خيالياً، واستبد به الشك بجودة المنتجات العربية.

ويبدو لي أن عملية وضع المقاييس والمواصفات كانت جزءاً من هذه الحرب أريد منها الاستئثار بالأسواق العربية وحجب المنتجات العربية عنها .

هذا جانب من العراقيل التي تضعف التجارة العربية البينية ، والقطر العربي السوري مدعو الى مواجهتها عن طريق تحسين الانتاج وتطوير أشكاله وتخفيض كلفته ، ونحن على ثقة من قدرتنا على المنافسة ، وما نرجوه ان تعمل الجهات السورية المسؤولة لتذليل العقبات التي ما زالت تعوق التصدير سواء في الداخل . أو في البلدان المستوردة .

تلك مهمة يزداد الحاحها بعد أن توفر لدينا فائض من الانتاج الزراعي كما ان فرض تصدير نسب معينة من صادراتنا المتزايدة الى بلدان اتفاقات المدفوعات وبيعها في بلدان القطع الحر سيشكل فائضاً كبيراً يجب أن يجد الأسواق في بلدان القطع الحر .

٦ ـ التجارة مع الدول الغربية :

تلعب تجارة القطر مع الدول الغربية ـ وخاصة التصدير ـ دوراً هاماً وواعداً فيجب علينا الاهتمام بها والتركيز عليها لأسباب عديدة نوجز أهمها :

١ ـ تربطنا مع الدول الاوروبية علاقات طويلة حضارية وفكرية وثقافية وتجارية قربتنا من بعض في كثير من العادات والنمط الاستهلاكي والأذواق .
ونحن لا زلنا نتأثر بالعادات الاوروبية أكثر من تأثرنا بعادات آسيا الشرقية أو حتى أميركا . لذلك نجد ان قدرتنا على انتاج وتصميم سلع وبضائع بأشكال ونوعيات تتناسب مع الطلب الأوروبي وأسواقه لا تشكل صعوبات أو اشكالات لنا .

٢ ـ نتيجة اتحاد الدول الاوروبية عن طريق تأسيس السوق الاوروبية المشتركة تشكل المنظومة الاوربية أكبر كتلة اقتصادية وأهم سوق اقتصادي في العالم . هذا السوق سيكون له شأنه وتأثيره الكبير في تحديد ومعاملة السلع والبضائع المستوردة من مختلف أنحاء العالم .

٣ ـ بموجب نظام المخصصات المعمول به حالياً لدى دول السوق الاوربية بالنسبة للبضائع المستوردة فان لسورية حصة مرموقة لم تستنفذها بعد ، هذه المخصصات لبعض البضائع السورية يجب استنفاذها ، وسيكون بمقدورنا التفاوض معهم لزيادتها في حال حاجتنا لذلك .

٤ ـ بعد غياب وإهمال ابتدأت الصادرات السورية ـ من فواكه وخضار وبضائع وسلع مصنعة ـ تشق طريقها الى تلك الأسواق بشكل ملحوظ . والمفاجأة السارة التي تواجه أكثر المصدرين الى هذه السوق هي انها سوق قوية وواعدة . فإذا وجدت أصنافنا القبول من حيث المواصفات والأذواق والنوعية والتعبئة فان الطلب الذي يلاقونه هو كبير جداً وفوق ذلك فان الأسعار التي يحصلون عليها مغرية جداً .

٥ ـ انني واثق بان المنتج والمصنع السوري قادر على رفع مستوى وأشكال ومواصفات بضائعه ومنتجاته لتصل الى المستوى الأوروبي المطلوب وسيحقق نجاحات كبيرة ونتائج مشرفة .

٦ ـ ان توفر المنتجات الزراعية ، والبضائع الصناعية التي أفرزتها صادراتنا الى بلدان اتفاقات المدفوعات ، ورفع أسعار صرف القطع الأجنبي بالاضافة الى جاذبية السوق الاوروبية وحماس المصدرين السوريين سيؤثر تأثيراً ايجابياً على صادراتنا الى تلك السوق . وستساهم زيادة التعامل مع هذا السوق مساهمة فعالة نحو الاستمرار في الحصول على فائض تجاري متين ومطرد .

ان اقتصادنا الوطني رغم أعبائنا القومية والدفاعية ، ورغم محدودية ثرواتنا الطبيعية ورغم تضاؤل المساعدات والاسهامات التي نتلقاها من شركائنا في المسؤولية ورغم تعرضنا لهزات وضغوطات كبيرة بسبب مواقفنا ، رغم كل ذلك يمكننا ان نجزم بان اقتصادنا قوي ومتين ومزدهر .

وبنظرة سريعة نجد ان أهم ما يتمتع به قطرنا يكمن في النقاط التالية :

١ ـ نعمة الاستقرار والأمن حيث أنها تعتبر الرئيسية في الوضع والتطور الاقتصادي لأي دولة .

٢ ـ امتلاك بنية تحتية أساسية ممتازة قادرة على استيعاب ودفع الخطط الانمائية المستقبلية .

٣ ـ توفر الهيكلية المؤسسية والنظم والتشريعات الضرورية لتحقيق ودعم المزيد من التقدم والازدهار .

٤ ـ توفر جميع المقومات والعناصر المطلوبة لتنفيذ الخطط الانمائية مهما بلغ طموحها . شعب واع متفتح مندفع ومتحمس وقادر ولديه الأدمغة والسواعد ورأس المال . جميعها تتمتع بالجاهزية والتحفز والطموح . والمطلوب هو ايجاد ووضع صيغة واقعية فعالة مضمونة ومجدية لاجتذاب كل هذه العناصر وجمعها في بوتقة واحدة ومن ثم صهرها وتحريضها لتنطلق وتندفع نحو العمل المنتج المفيد .

لقد فضلت ان لا أتعبكم بتوصيات جزئية وافرادية مهما تعددت فلن تعطي برنامجاً شاملاً ومهما كثرت لن تعطي الجواب لكل تساؤل . بل سأكتفي بأن أترككم مع الأفكار الرئيسية التالية :

إن عملية التصدير ودعمه هي بالواقع مفهوم كامل شامل مطلق يؤدي الى قناعات عامة تنتهي باجراء كل التسهيلات والتنشيط لعملية التصدير .

أفضل الوسائل لتنشيط التصدير ودعمه تكمن في سياسة واجراءات ثابتة ، واضحة ، صريحة ، ميسرة ، وأهم ما يجب تفاديه أمران : الاستثناءات والتخصيص ، فهذان يؤديان الى المزيد من المتاهات ويشكلان مجالاً ضاراً وثغرات سيئة قد تنقلب الى فجوات كبيرة .

حتى الدواء النافع له محاذيره وآثاره الجانبية السلبية ، وكذلك التصدير . فالفائض التجاري كهدف يجب أن لا ينسينا ولا يدعنا نهمل هذه المحاذير بل يجب علينا معالجتها وتلافي أضرارها المباشرة والهامشية والخفية .

موضوعنا متشعب ومعقد وحديثه طويل . أرجو أن أكون وفقت باختياري النقاط التي مررت بها وبالآراء التي أبديتها حولها .

شكراً لكم إصغاءكم والسلام عليكم .

الدكتور راتب بدر الدين الشلاح

حديث صحفي مع مراسل كويتي.صيف ١٩٩١

تشتمل سورية على امكانيات زراعية وصناعية وسياحية متنوعة وهامة ما زال جانب كبير منها ينتظر الاستثمار ويبشر بمضاعفة محاصيل البلاد ومواردها عدة مرات فلديها مئات الألوف من الهكتارات القابلة للاستصلاح والاستثمار بزراعة شتى المحاصيل كالحبوب والبقوليات والخضار والفواكه ، وهي ماضية في هذا النوع من المشاريع رغم تكاليفه المرتفعة ، وتنتج سورية أكثر من حاجتها من الحبوب والبقوليات والخضار والفواكه .

وتصدر كميات منها الى الخليج وتستعد أيضاً لتصدير الفائض المتاح من الحمضيات والفستق .

وفي مجال الصناعة برهنت السنوات الأخيرة على وفرة المنتجات الصناعية الصالحة للتصدير كالملابس الجاهزة والمنسوجات والتريكو والمنظفات والبرادات والغسالات والأثاث والقمر الدين والنقوع ، وقد استطعنا تجاوز العجز في الميزان التجاري الى فائض لم يسبق له مثيل ويزيد عن عدة مليارات من الليرات السورية ، ومعظم هذه الصادرات من انتاج القطاع الخاص . ذلك إضافة الى صادرات النفط والفوسفات والقطن والرخام والاسمنت والزجاج والخزف والغزل وهي من انتاج القطاع العام .

ومما يدل على حجم النمو الاقتصادي في سورية أن كلًا من الدخل القومي والموازنة العامة تضاعف عدة مرات خلال العقدين الأخيرين واقتربت الموازنة من رقم ستين مليار ليرة سورية خلال فترة وجيزة من الزمن واستكملت سوريا وسائل متقدمة للمواصلات ، وتتمتع الآن بشبكة متكاملة من الطرق العصرية الجيدة والخطوط الحديدية والمرافىء البحرية والمطارات رفعت مستوى النقل والانتقال على نطاق شامل وإن موقعها الفريد الذي يتصدر شرقي البحر الأبيض المتوسط ويجعلها على مفترق الطرق بين أوروبا وآسيا يؤهلها للاستفادة الاقتصادية والسياحية من حركة النقل العالمية ولكنها تطمح الى قيام جبهة اقتصادية عربية مؤهلة للتعامل مع الكتل الاقتصادية في العالم بكفاءة .

إن القانون رقم ١٠ لتشجيع الاستثمار خطوة نوعية واستثنائية في مسيرة الانفتاح الاقتصادي برعاية السيد الرئيس حافظ الأسد الذي وجه منذ البداية لاتباع التعددية

الاقتصادية وجنب سورية متاهات التشنج والانغلاق ، وأتاح لكل القطاعات أن تأخذ أبعادها في إطار خطط التنمية المتلاحقة .

لقد أفسح هذا القانون أوسع المجالات وأفضل الحوافز لاستثمار الأموال المحلية والعربية والأجنبية معفاة من الرسوم والضرائب لعدة سنوات ، وسمح للمستثمر المحلي والعربي والأجنبي باستيراد الآلات والتجهيزات ومستلزمات الانتاج دون قيد أو شرط على أن تكون المشاريع المطروحة للاستثمار مشاريع انتاجية ويفضل أن تستخدم المواد الأولية المتوفرة محلياً .

وقد أزال هذا القانون صعوبات الرسوم الجمركية على الآلات والتجهيزات المستوردة لأعمال الاستثمار ، وسهل فتح الحساب في المصارف التجارية المحلية بالنقد الأجنبي وسمح باخراج الأموال بالنقد الأجنبي أيضاً ، أما تحديد حد أدنى للرأسمال المستثمر فالغاية منه تحقيق الشروط الخاصة بالكفاءة الانتاجية واستخدام الآلات الحديثة .

مجالات المستقبل

ولدينا مجالات واسعة ومتنوعة للاستثمار الرابح والآمن ، منها على سبيل المثال لا الحصر استصلاح الأراضي الزراعية وانشاء المداجن والمباقر ومصايد الأسماك وإقامة المجمعات السياحية وانشاء الأساطيل البحرية التجارية وإقامة صناعات وسائط النقل والصناعات الغذائية ونرى ضرورة تشريعات جديدة للإيجار وضرائب الدخل وإيجاد سوق للأوراق المالية وشركات توظيف ذات وضع قانوني لاجتذاب المدخرات والتوسع في الشركات المساهمة التي تستقطب أموال صغار المدخرين وتشجيعهم على مزيد من الادخار بدلاً من تجميد الأموال في تخزين الذهب والمجوهرات أو تخبئتها أو المغامرة بها في أيدي أدعياء التشغيل الموهوم دون ضمانات قانونية .

زياراتي لدولة الامارات العربية المتحدة

أتيحت لي زيارة دولة الإمارات العربية المتحدة عدة مرات وكانت الأخيرة قبل أسابيع وفي كل مرة كنت ألمس المزيد من التجدد والتطور ، وأرى مظاهر نهضة عمرانية واقتصادية واجتماعية فريدة من نوعها ، وتكاد تكون نوعاً من الاعجاز يجسد همم الرجال

ولا ريب في أن هذه الدولة الشقيقة التي أصبحت من أبدع لآلىء الخليج حققت قفزة نوعية واكبت فيها الثورة التكنولوجية ومنحت أبناءها أفضل فرص الرخاء والأمان والمعرفة .

وراء هذه النهضة المتألقة إرادة وتصميم سمو الشيخ زايد بن سلطان رئيس الدولة وشيم وأخلاق المغفور له راشد بن سعيد المكتوم ، فقد جعلا من هذه البلاد الأصيلة أمثولة تتجه إليها الأبصار بالاعجاب والتقدير .

أجد لزاماً علي أن أتحدث عن نهضة دبي وما زالت صور مجتمعها المتطور النشيط ومنشآتها الرائعة تتألق في ذاكرتي حتى الآن إلا أن كل حديث عنها يجب أن يبدأ من جهود ومآثر المغفور له الشيخ راشد بن سعيد المكتوم نائب رئيس دولة الإمارات رئيس مجلس الوزراء وحاكم دبي الذي انتقل الى رحمته تعالى في ١٩٩٠/١٠/٧ ، بعد أن أدار هذه الإمارة «٣٢» سنة حاكماً ، وشارك في إدارة الدولة «٢٠» عاماً كولي للعهد ولذلك فإن بصماته واضحة في كل مرفأ وكل صرح وكل مركز وكل طريق .

تعاون سورية مع دول الخليج

إن تطلع سورية الى التعاون الاقتصادي مع دول الخليج وبخاصة دولة الإمارات العربية المتحدة ليس بجديد ، لقد كانت دمشق عبر تاريخها الطويل على صلة وثيقة روحياً واجتماعياً واقتصادياً مع أفكار شبه الجزيرة العربية والخليج قبل قيام حدود التجزئة التي فرضها الاستعمار الغربي بقوة السلاح ، وكان لها هناك أسواق طبيعية لمنتجاتها من النسيج والألبسة و المجففات والخضار والفواكه ورغم أن هذه الصلة تعرضت للقيود والمضايقات والتحجيم فإنها لم تتوقف ، ويهتم المنتجون والتجار السوريون بالتعرف على حاجات اخوانهم أبناء الخليج والعمل على تلبيتها وإيجاد تبادل مفيد للجانبين .

وإنني شخصياً أعتز بعلاقاتي الخاصة مع نخبة كريمة من شيوخ وتجار دبي وأشعر بامتنان عميق لما أجد فيهم من أصالة ومروءة وخلق ، وأتمنى لهم المزيد من التوفيق والنجاح . ولقد نوهت في مذكراتي بما عرفته ولمسته لدى هذه النخبة من شهامة ومآثر ، وتحدثت عن بعض مشاريعهم ، وأرجو أن أكون وفيت بحقهم .

والمشاريع التي أنجزت في دبي قد فاقت تطلعات الآخرين أهمها انشاء ميناء راشد بـ «٣٧ مرسى» ويستقبل «٧٤ سفينة» في وقت واحد ، وبتعميق وتسهيل حركة الملاحة فيه ، وانشاء جسر المكتوم للربط بين شقي المدينة بطريق بري وانشاء جسر الفرهود ونفق الشردغة الذي يمر تحت الخور .

وعلى الرغم من أن عدد سكان دبي قفز من خمسين ألف نسمة في الخمسينات الى أكثر من ستمائة ألف الآن فإن خدمات الكهرباء والمياه والهاتف والبريد والتلكس والفاكس متوفرة بيسر وسهولة إذ أن التخطيط كان يسبق التوسع .

وتعرض مطار دبي منذ إقامته في عام ١٩٥٩ للتطور المتواصل لاستقبال الطائرات العملاقة التي وصل عددها الى ما يقارب ٦٠ ـ ٧٠ طائرة بالنهار والليل.

ولا يتسع المجال لتعداد المشاريع العملاقة الأخرى كالحوض الجاف ومصنع الكابلات ومصنع تسييل الغاز ومشروع تحلية مياه البحر ومشافي راشد ودبي والوصل ومنشآت الصرف الصحي .

وما تحدثنا عنه بالنسبة لدبي وأبو ظبي ينطبق بشكل أو بآخر على باقي الإمارات والتي تبرهن جميعها على النية الطيبة التي تتكلل بفكر نير وتستند الى تفكير واعٍ وتخطيط وتنظيم يدعمهما عمل مستمر دؤوب لا بد أن يأتي بالثمار المرجوة ويحقق الازدهار وينشر البحبوحة ليتنعم بها جميع أفراد المجتمع .

الوضع بعد احداث الخليج

كانت محنة الخليج التي بدأت باحتلال الكويت كابوساً على صدورنا ، واستبد بنا القلق على العلاقات العربية من أن تتمزق وتنهار وتذكرون اجتماع مجلس اتحاد الغرف العربية في القاهرة الذي أجمع على استنكار هذا العمل وطالب العراق بالخروج من الكويت وما زالت رواسب الكارثة تثير المرارة والحزن في النفس العربية .

شارك اتحاد الغرف السورية في هذا الاجتماع وعبر في خطابه عن مشاعر الألم والاستنكار لاجتياح الكويت .

وقد جاء اعلان دمشق الذي وقعه في السادس من آذار الماضي السادة وزراء خارجية كل من سورية ـ مصر ـ المملكة العربية السعودية ـ قطر ـ الإمارات العربية المتحدة ـ وسلطنة عُمان والبحرين ، جاء تأكيداً لإرادة هذه الدول بإقامة نظام عربي جديد مفتوح أمام سائر الدول العربية يضمن لها الاستقرار والأمن ودعا البيان لإقامة تجمع اقتصادي عربي لمواكبة التجمعات الاقتصادية الكبرى في العالم ، وأكد على تشجيع القطاع الخاص في الدول العربية للمشاركة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وأعقب ذلك قيام مجلس مشترك لرجال الأعمال السوريين والسعوديين ، نعلق عليه أفضل الآمال ونأمل أن نوفق الى خطوات اخرى مع هذا النوع مع إخواننا في دول الخليج .

التكامل الاقتصادي العربي :

ثم انني بكل تواضع وأمانة أؤكد اننا في سورية وفي غرفة تجارة دمشق بخاصة نعمل منذ أكثر من أربعين عاماً بالقول والفعل للحث على طريق الوحدة الاقتصادية العربية ، وقد أسس الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة العربية في عام ١٩٥١ ، وكانت سورية أولى الدول التي بادرت بالانتساب اليه في العام نفسه ، ودارت جهود الاتحاد كلها حول مبدأ واحد هو إقامة سوق عربية موحدة أو مشتركة وأكدت القرارات والتوصيات في كل مؤتمر أن هذه السوق شرط ضروري لأي تنمية حقيقية رشيدة وثابتة بالنسبة لأي قطر على حدة وبالنسبة للأقطار العربية كمجموع ، كما أن التصور الثابت لدينا هو أن السوق العربية المشتركة هي الخطوة الأولى للوحدة العربية ، فهي سوق للسلع والموارد والعمل والخبرات والاستثمارات من شأنه تحقيق المنعة والقوة والرخاء للوطن العربي كله .

هذا هو تطلعنا الدائم الذي تقف دون تحقيقه أحداث العدوان المتكرر والخلافات والحروب وتجمده الأزمات التي يعقبها الانغلاق وإقامة أسوار الحماية والقيود المصطنعة ولا يعلم إلا الله متى نخرج من هذه الحلقة المفرغة التي نبتهل الى الله عز وجل أن يلهم الدول العربية لتتجاوز تحفظاتها وقيودها وتقيم جسور التعاون الاقتصادي الجاد والثابت والمستمر .

إن اتحاد الغرف السورية لا يوفر جهداً في السعي لتعزيز مناخ الثقة وتشجيع المبادرة الفردية وتذليل العقبات التي تعرقل نشاط القطاع الخاص أو تعوق اندفاعه . وأشهد بصدق ويقين على رغبة الدولة في تحريك وتنشيط كل مواطن يأنس في نفسه القدرة على العمل الانتاجي ويسلك طريق التنفيذ وانني بصفتي ممثل اتحاد الغرف السورية في لجنة ترشيد الاستهلاك والاستيراد والتصدير ، برئاسة السيد رئيس مجلس الوزراء كنت ألمس حرص الدولة على الاستجابة لكل اقتراح ايجابي بناء .

ولا يتسع المجال لتعداد القرارات الصادرة عن رئاسة مجلس الوزراء ووزارة الاقتصاد لتشجيع التصدير وإزالة القيود التي تعيق المصدرين. وهذه القرارات توضع في لجنة الترشيد المذكورة التي نشارك في عضويتها وكلمتنا فيها مسموعة تماماً ، ونحن ننقل كل معاناة في العمل التجاري الى الجهات المسؤولة ونلاقي دائماً أذاناً صاغية وقلوباً مفتوحة .

وأخيراً أقول لأخواني وأبنائي أصحاب رؤوس الأموال والاقتصاديين العرب لا تنسوا وطنكم العربي الكبير فهو بأشد الحاجة الى امكاناتكم وأموالكم ومواهبكم ولا ريب في أن وطنكم هو الموقع الآمن للاستثمار والربح .

وأعود بكم الى توصيات الغرف العربية في الاسكندرية عام ١٩٧٦ الذي أكد ان كل ثروة تبنى في الوطن العربي إنما تمثل ثروة عربية أفلتت من افتراس التضخم والانتقاص وان الثروات العربية المقامة والمختزنة في الوطن العربي ستبقى مدى الأجيال ملكاً لكل عربي أياً كانت جنسيته ويجب تحويل الأرصدة المالية في أسرع وقت الى ثروات يمكن السيطرة عليها كالأساطيل التجارية البحرية ومخزونات السلع القابلة للتخزين ومشاريع التشجير المثمر .

أناشدكم تجاوز كل الحساسيات القديمة والعمل جميعاً على تضميد الجراح والتطلع الواعي الفاحص الى المستقبل ، والارتفاع فوق حواجز التجزئة لنستطيع الوصول الى موقع كريم في عالم التجمعات الاقتصادية العملاقة .

ندعو للعودة الى أرضيتنا المشتركة من الأخلاق الاسلامية السمحة والعروبة الأصيلة النقية واحياء مشاعر الثقة والإخاء والتضامن فنحن أبناء أمة واحدة تشدنا لغة فصحى تضج بالتناغم والإيقاع وتوجه روحي واحد من المشرق الى المغرب علينا ان نعتصم بجذورنا وأصولنا في عالم جارف متوحش لا يعرف الرحمة يريدنا أن نبقى مختلفين متنابذين مهدوري المال والكرامة . إن وحدتنا هي الملجأ والحصن والسلاح .

أجوبة على مراسل صحفي لجريدة الثورة الدمشقية
خريف ۱۹۹۱

ج/۱ ـ قامت الحركة التصحيحية المجيدة بقيادة السيد الرئيس حافظ الأسد في حقبة استثنائية زاخرة بالأحداث الجسام تتوالى فيها الصدمات والهزات العالمية والعربية ، وتتقاطع التيارات العاصفة فوق المشرق العربي بصورة لم يسبق لها مثيل ، ومنذ تسلم سفينة الوطن قائد التصحيح استعادت سورية موقعها الطليعي على الساحة العربية والدولية ، مستندة الى متانة البناء الداخلي وحلول الاستقرار المطلوب للتعامل مع الأحداث من موقع الرؤية الصحيحة والثقة بالنفس .

كانت الأحداث الدولية والسياسية والقومية تفرض نفسها على الساحة بزخم وقوة وتتطلب مواجهة عقلانية متبصرة وحكيمة تتمسك بالثوابت ولا تهمل المتغيرات ، وبالتالي كانت الالتزامات متعددة الوجوه ، تبدأ من خيار تشرين العسكري لدرء خطر العدوان والتوسع واسترداد الحق العربي ، وتمر برفع وتائر التنمية والبناء لتوفير الموارد الكافية لدعم الصمود وتغطية مستلزمات الضمان الاجتماعي .

وفي هذا الإطار بقي الهم الاقتصادي قيد العناية والتدبير ، ولو كان هذا الهم هو الوحيد لكانت معركة التصحيح معه سهلة وأهون بكثير مما نتصور وما تعاني منه دول العالم الثالث والدول العربية المجاورة ، ومع ذلك أعطى السيد الرئيس القائد هذا الهم الكثير من اهتمامه ووقته ، وعالجه بما اشتهر به من حكمة وبعد نظر ودراية ، فتحركت البلاد على المسار الصحيح ونجت من انعكاسات الهزات الاقتصادية العالمية .

ج/۲ ـ من الواضح أن الانجازات الاقتصادية خلال العقدين الماضيين شكلت رصيداً ضخماً لا يمكن شرحه في سطور ، ولكنه كان من الشمولية والتعمق وسعة الأفق، بحيث برزت معطياته على امتداد سورية من أقصاها الى أقصاها ، ومما

يؤكد صحة المنطلق ، أن التصحيح الاقتصادي بدأ من القاعدة وأنجز عملية التكوين للبنى التحتية الأساسية بادئاً بانشاء سد الفرات لتحقيق النهضة الزراعية الشاملة ، وتمديد شبكة متكاملة من القوة الكهربائية للقطر ومن الخطوط الحديدية والطرق ، تربط بين مناطق الانتاج ومناطق الاستهلاك والتصدير ، وتم تطوير المواصلات السلكية واللاسلكية ، وانشاء صوامع الحبوب ومعامل البذار ، ومشاتل انتاج الغراس ومحطات الأبقار ، ومصانع الغزل والنسيج والسكر ، وغيرها من الصناعات التي تحول المواد الأولية المحلية الى منتجات مصنعة تحقق القيمة المضافة .

أما الروافد بعيدة المدى لهذه القاعدة الواسعة ، فهي الجامعات والمعاهد ومراكز التدريب الفني والمهني والمشافي العامة والمراكز الصحية ، وعلى هذا الصعيد تتكامل الخدمات التربوية والثقافية والاجتماعية لتكفل للانسان وضعاً آمناً يحرره من المرض والجهل والعوز ، ولهذا يمكن القول بثقة وطمأنينة أن ما أنجز كان أكبر من الطموح وفاق كل تصور .

ج/٣ ـ بهذه الروح المنفتحة على الواقع والصواب ، عولجت المسألة الاقتصادية دون تردد ، انطلاقاً من مبدأ تعدد المسارات وضرورة زج كل طاقة مؤهلة لتأخذ أبعادها في النشاط الاقتصادي وإعطاء كامل الدور لكل مواطن منتج وعامل ، وبقي هذا المفهوم هو رائد السياسة الاقتصادية ، بحيث توالت التشريعات التي يقتضيها نهج التعددية بخطى حثيثة ، وكانت كل منها تعطي ثمارها المتوقعة ، وبعد حصر الصناعات الأساسية والاستراتيجية في نطاق القطاع العام ، أطلقت العنان للقطاعين الخاص والمشترك لتحمل مسؤوليات متزايدة في عمليات التنمية .

كما أن الحكومة اعتمدت سياسات نقدية ومالية تتماشى مع الواقع وتواكب المتغيرات ، وفي الوقت نفسه تدعم النهضة الشاملة التي يعيشها القطر ويجني ثمارها .

ولا بد لي من أن أخص بالذكر القانون رقم /١٠/ بتشجيع الاستثمار فهو خطوة نوعية كان لها صدى بعيد في الأوساط السورية والعربية نظراً لأهمية ما وفره من

ميزات واعفاءات للمستثمرين المحليين والمغتربين والعرب والأجانب ، تشجعهم على وضع إمكاناتهم بحجم كبير أمام الحوافز المغرية ، وها هي الثمار تبدو بسرعة حيث تم الترخيص لإقامة عشرات الشركات الانتاجية الجديدة برساميل ضخمة تصل الى مليارات الليرات السورية .

ج/٤ ـ يبدو لي من تتبع البناء الداخلي ، أن القيادة السياسية والدولة ركزتا الاهتمام الاقتصادي المباشر على أربعة قطاعات هي : **النفط والصناعة والزراعة والسياحة** ، وفيما يتعلق بالأول ، تم اتباع سياسة نفطية متحررة ومرنة أتاحت تحقيق قفزة نوعية عملاقة في فترة وجيزة ، فقد وفرت لنا مورداً رئيسياً للقطع الأجنبي ، ورفعت عن عاتقنا عبء فاتورة استهلاكنا للنفط ومشتقاته التي كانت تشكل عبئاً كبيراً على ميزانية القطع الأجنبي للقطر . وسنجني قريباً نتائج استخراج الغاز الذي سيوفر الطاقة التي نحتاجها ونصدر الفائض ونأخذ قيمته بالقطع الأجنبي .

وفي مجالات الزراعة والصناعة ، لعبت الدولة دور المشجع والداعم إضافة الى المساهمة بنصيب هام في التمويل والمرافق والخدمات وهنا أجد لزاماً علي أن أوكد شخصياً أنني من المؤمنين بأننا الآن ابتدأنا فعلاً بعملية التنمية الاقتصادية الكبيرة الشاملة والتي ستهيء لسورية مستقبلاً باهراً ومشرقاً .

تشهد على ذلك الأرقام الأخيرة في مجالات انتاج النفط والمحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية والنشاطات السياحية وقفزات التجارة الخارجية ، ولكنها تؤكد تفجر الطاقات والقدرات الأهلية على مسار متزايد يقودنا الى قيام مجتمع الانتاج والكفاية والرخاء والتقدم .

ج/٥ ـ من واقع تجربتي ، ومن موقعي كرئيس لاتحاد غرف التجارة السورية وغرفة تجارة دمشق ، أتابع بيقظة ودقة كل حدث أو تطور في مجرى الحياة الاقتصادية ، وأشارك في كل المؤتمرات والندوات التي تعقد في هذا المجال . لا بد لي أولاً من أن أشيد بروح المتابعة والرعاية التي يوليها الرئيس القائد لشؤون البناء الاقتصادي ، وأثني بصدق وحرارة على جهود حكومة السيد محمود الزعبي لدعم وتعزيز كل خطوة ايجابية ، ولا سيما انني أشارك في اجتماعات وقرارات

لجنة ترشيد الاستيراد والتصدير والاستهلاك ، وهي الآن أعلى مرجع لوضع القرار الاقتصادي ومتابعة الاجراءات .

من هذا الموقع لي كلمة مستقبلية أتوجه بها الى الجهات المسؤولة تتركز حول النقاط التالية :

١ ـ إغناء ودعم الجهاز الإداري والتنفيذي من حيث النوع والخبرة والصلاحية ، وتطويره فنياً وتحديث أجهزته وطرق عمله . ذلك لأن مهام مواكبة التطور الاقتصادي المتوقع تتوقف على قدرات وخبرات هذا الجهاز ، فإما أن يكون قادراً وراغباً فيدفع التطور ويرفده بالتسهيلات وطرق العمل وإما أن يصبح ـ لا سمح الله ـ عقبة في طريقه .

أما كيفية وآلية هذا الإغناء والدعم ، فمتروكتان للجهات صاحبة القرار .

٢ ـ العمل على تطوير الخدمات والبنى التحتية لتبقى متقدمة وسابقة لعملية الإغناء ، تدعمه وتدفعه الى الأمام .

٣ ـ هناك موضوع تدرسه الجهة المسؤولة حالياً بهدف تكوين حلقة جديدة وضرورية وهامة لاستكمال عملية دعم الاستثمار وترشيد الاستهلاك وتنشيط الادخار ، وهذا الموضوع هو إعادة تكوين سوق الأوراق المالية الذي نعتبره بالغ الأهمية ، لأنه سيوفر لنا مصادر التمويل الضرورية لعملية الانتاج والاستثمار ، ويغنينا عن الحاجة الى مصادر التمويل الخارجية بدرجة كبيرة ، كما انه سيتيح الفرصة والمجال لشرائح كبيرة من المواطنين لتوظيف مدخراتهم أملاً في الحصول على دخل ومردود يمكنهم من مواجهة نفقات المعيشة المتزايدة بيسر وراحة ، ويغنيهم عن اكتناز عملات أجنبية أو حلي أو معادن ثمينة .

٤ ـ العمل على تبسيط القوانين والقرارات والإقلال من الاستثناءات والتخصيص والتحديد ، فلتكن قوانيننا أبسط ما يمكن وأوضح ما يمكن وأقل ما يمكن . .

ملاحظات حول التعاون الاقتصادي العربي

بتاريخ الخميس ٢١ شباط ١٩٧٧

لقد أوردنا لمحة تاريخية خاطفة لنشير الى ما تحلى به أسلافنا من ايمان قوي بمستقبل أمتنا الباهر المبني على التلاحم والترابط والتنسيق ، وبالجهود التي بذلوها لابراز مؤتمراتنا هذه الى حيز الوجود وكيف تنبؤوا ان هذه المؤتمرات هي خير منبر مستمر يعالج النواحي الاقتصادية والمالية والتجارية من منطلق علمي مجرد وبهدف قومي سام ونبيل .

تسنى لنا أن نعيد قراءة ودراسة التوصيات والتطلعات والدراسات التي قدمت في هذه المؤتمرات منذ أول انعقادها فوجدناها مثالاً في القومية الصحيحة المبنية على الواقعية والخبرة وبعد النظر وحسن التقدير .

وأنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن نجد بعض أو أكثر هذه التوصيات قد أصبحت النواة الرئيسية للعديد من التشريعات والاتفاقيات العربية في مجالات الاقتصاد والتجارة والحقول القريبة منها .

لقد قطع التعاون الاقتصادي بين الدول العربية شوطاً بعيداً تبلور في اتجاهين ملموسين أولهما الاتفاقات الثنائية القائمة في كل قطر عربي وأكثر باقي الأقطار ، وثانيهما الاتفاقات والتشريعات العربية المشتركة ضمن إطار الجامعة العربية والسوق العربية المشتركة . ولا أظن أن شخصاً ما ينكر النتائج الحميدة والمفيدة التي جناها كل بلد عربي كجزء والبلاد العربية كاملة وككل . لهذا فاننا نرحب بأي تعاون وتقارب جزئي أو عام مهما كان نوعه أو جهته طالما انه يقربنا من الهدف الرئيسي بالوحدة الاقتصادية الكاملة التي بها ومن خلالها سيصبح للعرب تلك القوة الاقتصادية التي تلعب دورها كاملاً في تحقيق المزيد من الرفاهية والتقدم والازدهار للعرب وتعطيهم وزنهم الحقيقي في الحقل العالمي .

وفي هذا المجال لا بد من إلقاء الضوء على بعض النقاط التي نعتبرها هامة وبحاجة للمزيد من العناية والاهتمام . أولها أن الانجازات التي تمت في مضمار التعاون والتضامن الاقتصادي رغم كونها عديدة وحثيثة ، لا زالت أقل بكثير من التطلعات والآمال وأقل بكثير مما تتطلبه المصلحة القومية المشتركة وأقل بكثير من أن تمكننا من استغلال الطاقات

والامكانات والمجالات الهائلة المفتوحة أمامنا . فالعلم والمنطق والأمثلة والقضية كلها تجمع على هذه الضرورة الملحة ولهذا لا يعقل أبداً أن يكتفي العرب بالفتات وأمامهم مائدة مليئة وحافلة بكل ما لذّ وطاب . ثانيها اننا نحذر من بعض الاجراءات والعراقيل المتبعة في بعض الأقطار التي ترى الاتفاقات عديمة الجدوى وفارغة من الهدف الأساسي التي أبرمت لأجلها . ثالثها أننا نخشى على التضامن والتعاون العربي من الجمود ، ولا بد من الدفع المستمر وعلى كافة الجبهات الى أن نصل الى الغاية المنشودة ونجني الثمار الكاملة . رابعها اننا نحذر من واقع واضح وهو أن العديد من الدول العالمية لها مصلحة مصيرية وواضحة في إبقاء التفكك العربي وفي إعاقة المسيرة العربية نحو الوحدة الاقتصادية العربية الشاملة ، وتبعاً لذلك فانها تعمل ما بوسعها لعرقلة هذه المسيرة رغم كل ما تدعيه من صداقة ومباركة وتأييد .

وهناك أيضاً بعض المؤشرات الاقتصادية التي هي من الأهمية بشكل تحتم علينا الاهتمام وحسن معالجتها كي نصبح بعدها ناجحين ومستفيدين عوضاً أن نكون خاسرين ونادمين .

إن العالم بشكل عام يتميز حالياً بازدياد هائل في عدد سكانه ، فمنذ أسابيع قليلة بلغ عدد سكان العالم الأربعة بلايين نسمة ويتوقع أن لا تمضي أكثر من أربعين سنة أخرى قبل أن يتضاعف هذا الرقم الى ثمانية بلايين نسمة . وهذا المؤشر وحده سيعني الكثير من التغيير بالمقاييس والمعادلات وموازين القوى في العالم والعلاقات الدولية . وهذا التغيير هو أعمق وأشمل وأبعد من أن نعالجه هنا ، غير اننا نظهر ان احدى نتائج هذا المؤشر الأكيد هو أن المستقبل سيصبح حتماً وبشكل مضطرد لصالح المنتج والانتاج والانتاجية . ومع الأسف نلاحظ أن البلاد العربية بمجموعها تميل نسبياً نحو المزيد من الاستهلاك . فرغم كل الخطط الانمائية وبرامج التصنيع العربية التي نفذت للآن لم تمكن الدول العربية بمجموعها ان تنتقل من كونها كتلة مستهلكة الى كتلة منتجة بل على العكس نجد أن المجموعة العربية أصبحت مستهلكة أكثر مما هي منتجة وخلال السنوات الأخيرة طغى الاستهلاك على الانتاج وسبقه بأشواط بشكل واضح جلي وخطير.

اننا نحذر ان لا مستقبل ولا ازدهار ولا رفاهية ولا منعة بدون حملة جديدة وخطة علمية واقعية مشتركة تهدف الى رفع الكتلة العربية الى مقام الدول المنتجة المصنعة .

ونقول خطة مشتركة لأن الدول العربية بمجموعها يتوفر لديها جميع العوامل والعناصر والمقومات الضرورية لتسهيل الوصول الى هذا الهدف بسرعة وبنتائج باهرة دون ان تتوفر لأي كتلة اخرى في العالم ودون أن تتوفر لأي قطر عربي منفرد .

ونادي بخطة مشتركة ، خطة مشتركة قولاً وعملاً ، لأن التنسيق بين خطط التنمية والتصنيع في الأقطار العربية لم يبرهن عن فعالية كافية رغم الخطوات الثنائية وعلى مستوى الجامعة العربية التي أدت الى بعض النتائج الايجابية . وكم من مثل حي نعيشه يومياً عن صناعات تحدث في قطرنا لا تتعدى أن تكون تكراراً لا مبرر له لصناعات مثيلة في قطر عربي آخر أو أكثر . وبذلك نجد أن التنسيق الفعلي في مجالات التصنيع والانماء لا يزال خاوي المضمون الحقيقي .

البَابُ الخَامس:

- آراء حول ضريبَة الدخل
- حَول تطوّر الموازنة
- مُدراء مُديريّة دمشق

الباب الخامس

اراء حول ضريبة الدخل . حول تطور الموازنة
مدراء مديرية دمشق

رأي في ضريبة الدخل

لا بد في كتابة مسيرة التاريخ والذكرى من وقفة مع الشؤون الضريبية ، وهي التي كانت بمواضيعها المتشعبة شغلي الشاغل ، بل اليومي ، لعشرات من سنين عمري ، وخاصة بالمشاركة في اللجان الضريبية على اختلاف أنواعها ، وفي إبداء الرأي حول ما يطرح من قضايا ومشاكل ضريبية .

وتحضرني بهذه المناسبة فكرتان أساسيتان يجب إعطاؤهما الأولية هما : فكرة العدالة الضريبية وضرورة السعي لتحقيقها ، وفكرة العبء الضريبي والسعي أيضاً لتكريسه في التشريع وفي التطبيق . تضاف إليها أهمية تطبيق سيادة القانون واحترامه لأن فيها حماية أخلاقية للمكلف وللموظف .

وأود هنا أن أتحدث عن بداية ضريبة الدخل ، متى فرضت وكيف كان صداها وما هي حصيلتها وكيف صعدت فيما بعد الى أرقام خيالية لم يكن واضعو الضريبة يتصورونها من قبل .

لم تعرف سورية ضريبة الدخل قبل عام ١٩٤١ رغم أنها كانت مطبقة في العراق ومصر وعندما صدر قانون ضريبة الدخل في العام المذكور بادر التجار الى الاعتراض عليها

وعقد اجتماع في غرفة تجارة دمشق لتنظيم احتجاج ومراجعة المسؤولين ، أسفر عن تشكيل وفد لمقابلة الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الجمهورية ونقل اعتراض التجار على الضريبة إلا أن الرئيس الحسني أقنع الوفد بأنه لا بد من تطبيق ضريبة الدخل أسوة بما هو متبع في جميع البلدان ، ولكي تحصل الخزانة العامة على نصيبها من الربح التجاري ، وكذلك لأن ضريبة التمتع القديمة لم تعد صالحة مع تطور الزمن وتزايد أعباء الدولة .

ولكي يتحاشى الشيخ تاج الدين حدوث اضطراب وتصعيد الاحتجاج اقترح ان تقتصر ضريبة الدخل في عامها الأول على جباية مبلغ جماعي من التجار في حدود مليون ونصف مليون ليرة سورية على أن تبدأ في العالم التالي جباية الضريبة كما نص عليها القانون ، وقد جمع المبلغ المذكور من التجار البارزين فعلاً بموجب قوائم أسمية وضعها أعضاء غرفة التجارة ، وكانت مديرية المالية قد دعمت جهازها بعدد من موظفي المصارف بناء على خبرتهم بالوضع التجاري ، وبدأت بوضع تكاليف مدروسة من قبل المراقبين . ومن حق المكلف أن يعترض عليها لدى لجنة الفرض المؤلفة برئاسة مدير المالية وعضوية رئيس الواردات وموظف من وزارة الاقتصاد وعضو من غرفة التجارة وعضو من غرفة الصناعة ، وإذا لم يقبل المكلف قرار هذه اللجنة يحق له الاعتراض لدى لجنة إعادة النظر المشكلة من الأمين العام للمالية ومدير دائرة الدخل وعضو عن كل من وزارة الاقتصاد وغرفتي التجارة والصناعة وعضو من جهاز القضاء في وزارة العدل وهذه اللجنة قرارها نهائي .

ولا ريب أن تكاليف ضريبة الدخل أصبحت باهظة يومذاك في نظر المكلفين وإن كانت لا تستحق الذكر بمقاييس اليوم . إذ كانت ضريبة التمتع زهيدة للغاية ولا يتجاوز أعلى تكليف ثلاثين ليرة سورية سنوياً . أما بعد تطبيق ضريبة الدخل فقد ارتفع التكليف الى خمسة أو ستة آلاف ليرة ، وتبلغ ضريبة التمتع التي كانت على صاحب المهنة ما بين ١٠ و ٢٠ ليرة سورية وتحت طائلة الحجز الذي يقوم به الجابي والشرطي مباشرة .

واليوم أصبحنا أمام تكاليف تفوق الخيال ففي عام ١٩٩٠ بلغت ضريبة المالية على أحد تجار الأبنية بصدد نصف عمارة واحدة أكثر من خمسين مليون ليرة مع العلم أنه باع احدى عشرة شقة في العمارة المذكورة وبقي لديه احدى عشرة شقة ، وعند بيعها سيكلف عليها .

وهكذا تطورت الضريبة الى تكاليف مذهلة لا مثيل لها في العالم وذلك نتيجة للشرائح المالية والاضافات حتى بلغت نسبتها بحدود ٩٣٪ ولهذا ظهر الاتجاه لتعديلها .

وأذكر انني قد تقدمت عام ١٩٥٦ باسمي وبصياغة مدير غرفة التجارة الدكتور عبد الغني حمور بمذكرة الى مجلس النواب جاء فيها: كلمة أخيرة أسوقها الى النواب ورجال السياسة في بلدنا قبل أن أنهي كلمتي هذه ، التجارة والصناعة في سورية فيهما ينبوع صغير يفيض على نهر الدخل بما يستطيع فلا تردموه بغية زيادة انتاجه كما يفعل القرويون الجاهلون حين ينبشون ينبوع القرية بل مدوا أيديكم لتزيدوا في بنيانه قوة ومن نمائه سرعة ونشاطاً . واعلموا ان في تقدم تجارتنا وصناعتنا رسوخاً لاقتصادنا ورفاهاً لعمالنا ورفعاً لمستوى معيشتنا ، وما أظن أن أحداً يبغي غير ذلك .

وهذا ما دعا المجلس النيابي آنذاك لتأخير تعديل قانون ضريبة الدخل وقد نشرت مذكرتي في العدد رقم /٢٦٧٧/ من جريدة العلم بتاريخ ١٩٥٦/٤/٢٠ ولدي صورة عن هذا العدد كما نشرت آنذاك في أكثر الصحف .

أذكر ان مذكرتي هذه كانت رداً على كلمة ألقاها أحد النواب في المجلس النيابي في عام ١٩٥٦ بمناسبة النقاش حول قانون ضريبة الدخل وقال ما معناه أن حصيلة ضريبة الدخل ضعيفة جداً ، فبينما يقدر الدخل القومي بـ ١٤٠٠ مليون ليرة سورية لا تزيد موارد ضريبة الدخل عن /١٢/ مليون ليرة سورية أي واحد بالمئة فقط من مجموع الدخل .

وهذا ما أهاب بغرفة تجارة دمشق لمعالجة الموضوع وقمت على أثرها بوضع المذكرة التي قدمت الفقرة الأخيرة منها .

وما زلت أعتقد أن عقلية الجباية في وزارة المالية قادتها الى وضع شرائح ومعدلات عالية أثبتت التجربة أنها تهبط همم العاملين في التجارة والصناعة وتزهدهم في توسيع أعمالهم وتؤول الى تقليص الانتاج ، وها هي دول العالم تتجه الى تخفيض معدلات ضريبة الدخل وترك هامش جيد للتاجر والصناعي لكي يندفع في إقامة المشاريع وتطوير الأعمال ويدفع أجوراً عالية للعمال المهرة والفنيين .

وقد شهدنا ثمار هذا الاتجاه في تايوان وهونغ كونغ وسنغافورة وكوريا الجنوبية التي قفزت الى درجة عالية من الثروة ، بل أصبحت دولاً دائنة للولايات المتحدة الامريكية .

وها هي قبرص على مقربة من أرضنا وسواحلنا وقد قفز اقتصادها الى الازدهار وارتفع دخلها بفضل التشجيع وحوافز الربح ونبذ عملية الجباية العمياء.

والجدير بالتذكر دائماً ان أهداف الضريبة ليست قاصرة على التحصيل والجباية بل أن لها أهدافاً أسمى وأبعد نظراً بكثير من الجباية الآنية ، هي الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والخيرية الانسانية .

انني اتمنى على العقول التي تدير وزارة المالية وعلى المسؤولين عن الشؤون الضريبية في الدولة العمل بمنطلق تحريك الانتاج وتشجيعه ، لتحريك الابداع والابتكار لزيادة الربح وزيادة عدد المكلفين ، وهناك حاجة ماسة لتحسين مناخ الثقة بين المواطن والخزينة .

وقد ذكرني هذا الوضع برسالة الإمام علي كرم الله وجهه ، خليفة المسلمين الى الأشتر النخعي عندما ولاه على مصر . أجتزىء منها الآتي :

فاعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى لبعضها عن بعض ، وتفقد امر الخراج (وهو ما يفرض من الضرائب على الأرض الزراعية او محصولاتها) بما يصلح اهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولاصلاح لمن سواهم الا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج واهله ، وليكن نظرك في عمارة الأرض ، ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج من غير عمارة ، أخرب البلاد واهلك العباد وان يؤتى خراب الأرض من اعواز اهلها لأشراف انفس الولاة على الجمع ، لتطلع انفسهم الى جمع المال إدخاراً لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات واوص بهم خيراً ، المقيم منهم ، والمغترب بماله (المتنقل بامواله بين البلدان) ، والمترفق ببدله (المتكسب بعمله) ، فإنهم مواد المنافع واسباب المرافق ، وجلابها من المباعد والمطارح ، في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضيعها (اي ويجلبونها من امكنة لا يذهب إليها الناس) ولا يجترؤون عليها (لا يخاطر الناس بالوصول إليها) فإنهم سلم لا تخاف بائقته ، وصلح لا تخشى غائلته (اي ان التجار والصناع يسالمون لا تخشى منهم داهية العصيان) .

وتبرز هذه الرسالة توجه الإمام علي كرم الله وجهه الاقتصادي ورؤيته في الأنشطة الاقتصادية ودور الضريبة المشجع ، الدافع للتنمية وهو الهدف (عمارة الأرض) أكثر من التمسك بهدف الجباية .

ويلاحظ من تطور ضريبة الدخل أن الهدف كان الجباية ، بعيداً عن الأهداف الاقتصادية الاجتماعية ، وهي بعيدة عن العدالة وقد أغفلت مراعاة العبء الضريبي مثال ذلك :

١ ـ إلغاء الأعفاء الذي كان ممنوحاً في الشركات المساهمة ، ففي ذلك عقوبة للمساهمين صغار المدخرين ، نظراً لفرض الضريبة على مجمل كتلة الربح الصافي الذي تحققه الشركة في حين يعفى دخل شهادات الاستثمار والادخار في صناديق البريد من أي ضريبة .

٢ ـ كان الاعفاء العائلي للمكلف بضريبة الدخل في عام ١٩٤٢ : /١٥٠٠/ ليرة سورية وفي تعديل عام ١٩٤٩ عدل الى /٣٠٠٠/ ليرة سورية ، عدل في عام ١٩٥١ الى /٤٨٠/ ل.س عن الزوجة و /٤٨٠/ ل.س عن الولد الأول يضاف اليه عن كل ولد لاحق /٢٠/ ل.س علاوة عن المبلغ الذي يصيب الولد السابق ، وفي غالب الأحيان تفتش الإدارة المالية عن سبب لإلغاء الاعفاء على ضآلته .

٣ ـ تكليف الأرباح الرأسمالية الناجمة عن الفروغ في آخر تعديل للقانون ١٩٩١/٧/٦ ، بشكل مستقل ، بغض النظر عن وضع المكلف ودون معالجة الأرباح الرأسمالية مع النتائج التجارية أو الخسائر المدورة من سنوات سابقة .

كذلك تكليف ارتفاع الأسعار الناتج عن التضخم النقدي وهو بالتأكيد ليس ربحاً بل تطور رقمي في القيمة ناتج عن تدني القدرة الشرائية للعملة الوطنية ، مع تجاهل عامل الزمن ، وان هذا التطور الرقمي ناجم عن تراجع فرق القيمة التضخمي لعشرات السنين .

٤ ـ تكليف شركات الأشخاص جماعياً بدلاً من تشخيص الضريبة في الشخص الطبيعي كمكلف وهو ما أخذت به الدول المتطورة ، وبخاصة فرنسا التي أخذت سورية عنها تشريع الضريبة على الدخل .

٥ ـ تجاهل الأحوال الاجتماعية من حيث الحد الأدنى المعفى من الضريبة والذي كان في عام ١٩٤٩ ـ /٣٠٠/ ل.س لكل مكلف ، وكذلك عدم تشجيع التبرعات للأعمال الاجتماعية والخيرية ، بقبول ما يدفع لدور العجزة والمساجد والمعابد والجمعيات الخيرية التي تشرف على آلاف العائلات المستورة .

٦ ـ عدم مراعاة تنشيط الأنشطة الاقتصادية القائمة ، بل عدم تشجيع التصدير وخلق تباين في المعاملة الضريبية ضمن ذات القطاع ، بما يشكل خرقاً لمبادىء العدالة الضريبية وللقانون والدستور .

فمجرد التفكير بتكليف منشآت اقتصادية تتمتع باعفاء قانوني لم يستنفذ أغراضه ومدته المقررة بالقانون يعتبر طعناً في مصداقية التشريع ، ويشكل نيلاً من سيادة القانون .

٧ ـ تجنب الازدواج في التكليف والتجاوز على النصوص القانونية ، ومما لا شك فيه أن احترام سيادة القانون على مستوى التنفيذ ، وتكريس هذا الاحترام سلوكاً تلتزم به الإدارة الضريبية ، يؤدي الى استقرار الضريبة ، وتنمية الأنشطة الاقتصادية ، وتحسين المردود الضريبي على النحو الذي أدركه وعبر عنه الإمام علي كرم الله وجهه .

ولا بد من إشراك الفعاليات الاقتصادية المختلفة في مناقشة أي تشريع بشكل عملي ومنفتح يؤدي الى أن ينبع التشريع من داخل المجتمع ، بعيداً عن انحرافات التطبيق التي تعطي صفة الشرعية في التعديلات الآتية من الإدارة التنفيذية ، سيما وأن هذه الفعاليات طرف أساسي في أداء الضريبة .

وأذكر تشبيهاً سمعته في موضوع الضريبة ، وعلاقة المكلف بالخزينة العامة والمكلف أشبه بالبقرة الحلوب بالنسبة لموارد الخزينة التي هي من عطائه . إذا ما أوليت العناية والرعاية المطلوبين كان من نتاجها خير كثير ، ويجب أن تولى من الرعاية شأناً أكبر من التفكير بما تدره من مورد ، ففي نمائها نماء رأس المال ، الذي ينتج الدخل الدائم والمستمر . أما التفكير بنتاجها والاقدام على سلخ جلدها أو ذبحها ، فلن يفضي الا الى دخل آني يقضي على الدخل الدائم .

وعلينا أن نذكر للتاريخ أن من حق الأجيال القادمة مناقشة الأحوال الحالية ، والوقوف على الأثار التي نجمت عن التضحية بالمبادىء العلمية للضريبة وتضخم العبء الضريبي ، وإهمال مبدأ العدالة والتمادي على سيادة القانون .

ولنذكر باستمرار قول الله تعالى في سورة الإسراء :

«وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا» (الآية ١٣) .

مثال عن إحدى التكاليف ، مراقب كلف أحدهم أرباح بيع عقارات بمبلغ ٥٥ مليون ليرة سورية .

وبعد الاعتراض الى لجنة الفرض صدر قرار بتعديل التكليف الى مبلغ ٤٢ مليون ليرة سورية واعترض المكلف الى لجنة إعادة النظر وصدر قرار بتعديل التكليف الى مبلغ ٢٥ مليون ليرة سورية وإضافة لكل ذلك فقد جرى حكم قضائي بعدم تنفيذ هذا التكليف وإعادة المبلغ المستوفى من المكلف. أليس هذا مثالاً ناطقاً لحاجتنا الماسة لأسسٍ وأطرٍ أكثر واقعية وأكثر انتظاماً؟

تطور ميزانية الدولة

تعتبر ميزانية الدولة مرآة لسياستها الاقتصادية ومبادئها الاجتماعية وأوضاعها الإدارية ، وأي عرض موضوعي لتطور الميزانية السورية للدولة لا بد أن يوضح التحولات البارزة في هذه النواحي باعتبارها دليلاً على اتجاهات المسؤولين في استخدام الموارد العامة .

بين سنوات ١٩٤٤ و ١٩٥٠ ظهرت في ميزانية الدولة مظاهر الاستقلال ، وأهمها بروز نفقات الدفاع الوطني والتسليح ووضع الاعتمادات اللازمة للانفاق على التمثيل الخارجي ومضاعفة الأموال المخصصة للتعليم والإعمار .

في عام ١٩٢٠ كانت ميزانية الدولة ٤٫٥ ملايين ليرة سورية . وفي عام ١٩٢٥ ارتفعت الى ٩٫٥ مليون ليرة . وفي عام ١٩٣٥ أصبحت ١٢٫٥ مليون ليرة . وفي عام ١٩٤٠ بلغت ١٨ مليون ليرة ثم قفزت في عام ١٩٤٥ الى ١٠٧ ملايين ليرة لتجسد مسؤوليات الدولة بوصفها تقود بلداً موحداً ذا كيان دولي يتمتع بالاستقلال ، وفي عام ١٩٥٠ بلغت الميزانية ١٤٢ مليون ليرة .

في عصر الحركة التصحيحية تجاوزت ميزانية الدولة ٦٠ مليار ليرة سورية ، ولكن مشتملاتها توضح الاتساع العظيم في مسؤوليات الدولة التي أنشأت العديد من الجامعات والمرافىء والخطوط الحديدية وصوامع الحبوب وشبكات الطرق ومصانع الغزل والنسيج والسكر ومحطات الأبقار والمداجن والمسامك ، وبنت السدود ونفذت مشاريع كبيرة لاستصلاح الأراضي وتعميم التشجير.

السنة	الواردات ل.س	النفقات ل.س
١٩٧٠		
١٩٧١		
١٩٧٢	٣١٨٨٠٠٠٠٠٠	٣١٨٨٠٠٠٠٠٠
١٩٧٣	٣٤١٣٠٠٠٠٠٠	٣٤١٣٠٠٠٠٠٠
١٩٧٤	٦٤٨٠٥٠٠٠٠٠	٦٤٨٠٥٠٠٠٠٠
١٩٧٥	١٠٤٤٥٥٧٨٠٠٠	١٠٤٤٥٥٧٨٠٠٠
١٩٧٦	١٦٥٦٤٠٠٠٠٠٠	١٦٥٦٤٠٠٠٠٠٠
١٩٧٧	١٧٠٤٨٤١٢٠٠٠	١٧٠٤٨٤١٢٠٠٠
١٩٧٨	١٨٢٠٢٠٨٩٠٠٠	١٨٢٠٢٠٨٩٠٠٠
١٩٧٩	٢٢٦٤١٠٠٠٠٠٠	٢٢٦٤١٠٠٠٠٠٠
١٩٨٠	٢٨٩٠٣٠٠٠٠٠٠	٢٨٩٠٣٠٠٠٠٠٠
١٩٨١	٣٠٤٨٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٤٨٠٠٠٠٠٠٠
١٩٨٢	٣٣٣٤٥٠٠٠٠٠٠	٣٣٣٤٥٠٠٠٠٠٠
١٩٨٣	٣٧٢٨٣٠٠٠٠٠٠	٣٧٢٨٣٠٠٠٠٠٠
١٩٨٤	٤١٢٨٩٠٠٠٠٠٠	٤١٢٨٩٠٠٠٠٠٠
١٩٨٥	٤٢٩٨٤٢٠٨٠٠٠	٤٢٩٨٤٢٠٨٠٠٠
١٩٨٦	٤٣٨٤١٠٠٠٠٠٠	٤٣٨٤١٠٠٠٠٠٠
١٩٨٧	٤١٧٠٣٠٠٠٠٠٠	٤١٧٠٣٠٠٠٠٠٠
١٩٨٨	٥١٥٤٥٠٠٠٠٠٠	٥١٥٤٥٠٠٠٠٠٠
١٩٨٩	٥٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٥٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠
١٩٩٠	٦١٨٧٥٠٠٠٠٠٠	٦١٨٧٥٠٠٠٠٠٠
١٩٩١	٨٤٦٩٠٥٠٧٠٠٠	٨٤٦٩٠٥٠٧٠٠٠

ميزانية الحكومة السورية في السنين ١٩٢٦-١٩٤٦

عام	الواردات بليرات سورية ورق	النفقات بليرات سورية ورق
١٩٢٦	٠٨٤٩٤٠٠٠	٠٦٦٧٠٠٠٠
١٩٢٧	١١٠٥٠٠٧٥	٠٧٥٧٨٢٨٥
١٩٢٨	١١٩٥٠٠٠٠	٠٩٩٥٠٠٠٠
١٩٢٩	١٢٧٤٨٢١٠	١٠٥٦٧١٩٠
١٩٣٠	١٠٥٤٥٩٥٢	٠٨٩٥٧٦٣٢
١٩٣١	٠٩٧٦٢٣٦٨	٠٨٦٠٧٧٥٢
١٩٣٢	٠٧٠٤٣٥٦٩	٠٦٩٢٤٤٣٧
١٩٣٣	٠٥٣٦١٤٠١	٠٥٧٧٧٦٧١
١٩٣٤	٦١١٢١٤٤	٦٢٤٥٧٦٥
١٩٣٥	٦٠١٦٩٧٥	٦٠٨٢٨٢٠
١٩٣٦	٥٤٤٢٠٢٥	٥٦٤٨٣٨٢
١٩٣٧	٦٧٣٦٤٤٩	٦٨٦٠٦٢٢
١٩٣٨	٩٨٦٣٧٤٥	٩٢٩٩٧٠٢
١٩٤٥	١٣٠٦٢٤٠٠٠	٤٣٨٤٢٠٠٠
١٩٤٦	١٢٩٧٠٤٠٠٠	١٢٩٧٠٤٠٠٠

مدراء مالية دمشق خلال خمسين عاماً

أفردت هذا الفصل من مذكراتي لمدراء مالية دمشق الذين تعاقبوا على هذا المنصب خلال خمسين عاماً نظراً لأهمية دورهم في تطور التعامل الضريبي بين الدولة والمواطنين ، ولأن معظمهم يحمل صفات وميزات متنوعة من الكفاءة وحسن التصرف وأسلوب تطبيق القانون . ثم لأن هذه المرحلة شهدت تغيرات هامة في نوع الضرائب وطرق جبايتها تبعاً لتطور الدولة السورية نفسها من الانتداب الى الاستقلال والوحدة وما أعقبها ، والحركة التصحيحية التي قام بها السيد الرئيس حافظ الأسد وشملت هذه التغيرات حجم الأموال والموارد وازدياد الضرائب والتكاليف جنباً الى جنب مع التطور الاقتصادي للجمهورية العربية السورية وهو تطور عظيم بفضل القاعدة النشيطة من أصحاب المشاريع ورجال الأعمال والمهنيين الفنيين .

حسني البيطار

في عام ١٩٣٩ كان المرحوم حسني البيطار مديراً للمالية العامة في حكومة مجلس المديرين التي كان على رأسها المرحوم بهيج الخطيب ، وسأفرد له مقالاً خاصاً .

جميل النحاس

وكان المرحوم جميل النحاس نقل مديراً لمالية مدينة دمشق بعد السيد حسني البيطار. وأذكر أنه ملأ مركزه بكفاءة ومارس نشاطاً اجتماعياً من عناصره المشاركة في جمعية الاسعاف الخيري التي كان عضواً فيها ، كما أنه انتظم في السلك الماسوني وكان عضواً في محفل ابراهيم الخليل في زمن رئيسه الأستاذ داوود المارديني .

وفي عام ١٩٤٢ صدر قانون الانتاج الزراعي الذي فرض الضريبة على المحصول بدلاً من ضريبة الأعشار الموروثة عن العهد العثماني ولم يكن الوضع الداخلي في سورية

مستقراً بسبب الحرب العالمية الثانية وسخط الشعب على السلطة الفرنسية التي انتقلت الى الديغوليين ، فجاءني السيد جميل النحاس مدير المالية وقال لي : نود تطبيق القانون والبدء بالجباية فاقترحت عليه أن يطلب من تجار سوق الهال تنزيل الرسم وقدره ٧٥ بالمائة من قيمة الفاتورة المباعة وفرزه لحساب المالية ، على أن يحضر الموظف المختص بعد الظهر لقبض الحصيلة من التجار في السوق ، وهذا شجع تجار سوق الهال لأنه يمكنهم من الاحتفاظ بما استوفوه دون ان يعلموا ، وقد بقيت جباية رسم الانتاج الزراعي بهذه الطريقة أكثر من شهر ، ثم أقامت المالية الحواجز على مداخل دمشق والمدن السورية لجباية هذا الرسم وتم تطبيق القانون دون ضجة ، فهل يمكن في زماننا قبول مثل هذه الحلول ؟ وأقول /يمكن ذلك إذا كان العمل خالصاً لوجه الله .

محمد كوجان

وفيها بعد تولى السيد محمد كوجان مديرية مالية دمشق وكان رئيساً للواردات العامة ، وكان شديداً على الموظفين والمراجعين خلافاً لسلفه الذي كان يستقبل المراجعين ويبحث اعتراضاتهم . ولكن كوجان لم يمكث أكثر من عام ونصف مديراً للمالية .

عادل القلطقجي

ثم تولى الأستاذ عادل القلطقجي هذا المنصب وهو أول مدير مالية يحمل شهادة جامعية هي شهادة الحقوق . ومنذ ذلك الحين انتهى التدرج الوظيفي المالي كأساس للتعيين ولم يعين بالمناصب العالية إلا حملة الشهادات .

وفي سبيل حل هذه المشكلة قابلت غرفة التجارة الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الدولة بحضور رئيس الوزراء السيد جميل الألشي ووزير المالية الأمير مصطفى الشهابي ، وتم الاتفاق على أن تقوم غرفة تجارة دمشق بجمع مبلغ مقطوع مقداره مليون ونصف مليون ليرة سورية من التجار مقابل استحقاق الخزانة العامة من ضريبة الدخل عن عام

١٩٤٢ على ان يطبق القانون كاملاً في عام ١٩٤٣ وعلى الأثر عقدت غرفة تجارة دمشق اجتماعاً وزعت فيه أعباء دفع المبلغ المقطوع على عدد من التجار وتمت جبايته ودفعه الى المالية بدلاً عن ضريبة الدخل لعام ١٩٤٢ .

ومنذ بداية العام التالي طاف موظفو المالية على التجار للاطلاع على أعمالهم وكان معظمهم لا يمسك دفاتر منظمة ، فكان الموظف يضع تكاليف تقديرية تجري دراستها في لجنة شاركت بها . وكانت اللجنة تعادل التكليف بين أهل المهنة الواحدة وتضع أرقاماً معقولة ومقبولة ثم ابتدأ التدرج وازداد جهاز موظفي المالية الضريبي وازداد التكليف وفقاً لتوسع الأعمال ، ولا سيما بعد صدور المرسوم ١٥١ الذي أتاح للتاجر السوري التعاون المباشر مع الشركات العالمية بعد أن كان تابعاً للوكيل اللبناني ، وتم تدعيم جهاز التكليف الضريبي بموظفين كان معظمهم من العاملين في المصارف نظراً لخبرتهم واطلاعهم على الأعمال التجارية .

ينص القانون على وجود لجنة لدراسة اعتراض المكلف على الضريبة المقدرة من المراقب يرأسها مدير المالية وتضم عضواً عن وزارة الاقتصاد وعضواً عن كل من غرفتي التجارة والصناعة إضافة الى رئيس الواردات ، وإذا لم يقبل المكلف قرار اللجنة فله حق الاعتراض لدى لجنة أخرى لإعادة النظر تضم قاضياً تسميه وزارة العدل إضافة الى مدير المالية وممثلي وزارة الاقتصاد وغرفتي التجارة والصناعة .

وقد در قانون ضريبة الدخل موارد كبيرة على الخزانة العامة وبينما كانت التكاليف في الماضي لا تزيد في الغالب عن ٥٠ ألف ليرة على تكليف التاجر ـ قفزت في سنتي ١٩٨٨ و ١٩٨٩ على بعض المكلفين الى أربعين وخمسين مليون ليرة سورية ، وبخاصة المصدرين الى دول اتفاق المدفوعات ، وبعض تجار الأبنية . ونتساءل كيف نقارن بين ضريبة التمتع السابقة التي كانت في حدود ٢٥ ليرة سورية وبين ضرائب اليوم ؟

شفيق المهايني

توصل السيد شفيق المهايني الى مديرية مالية دمشق بالتدرج ، وكان حريصاً على إرضاء المراجعين من كل فئات المكلفين ومعالجة كل شكوى ، وقد تولى هذا المنصب بعد زوال حكومة المديرين ، وفي منتصف عام ١٩٤٢ صدر قانون ضريبة الدخل ـ وكان

الأستاذ شفيق المهايني مديراً للمالية ـ فاعترضت غرفة تجارة دمشق على محاولة تطبيقه على العام منذ بدايته ، وأكدت أن هذا غير ممكن بعد مضي نصف العام وتعذر مسك الدفاتر وعدم إمكان مراقبتها من قبل دوائر المالية .

الدكتور عبد السلام كنعان

ثم تولى الدكتور عبد السلام كنعان مديرية مالية دمشق وتدل سيرة حياته على أنه بدأ من أول السلم في حلب . وعمل جابياً في ضريبة الانتاج الزراعي منذ كان طالباً في المرحلة الابتدائية ، وعمل بعد ذلك في تشغيل المضخات التي كانت تسحب المياه من نهر الفرات خلال اجتيازه مرحلة الدراسة الثانوية ، وبعد تخرجه من دار المعلمين تابع تحصيله بنشاط حتى أرسل في بعثة الى فرنسا حيث نال شهادة الدكتوراه وتولى مديرية ضريبة الدخل ورئاسة المراقبين الماليين بدمشق، ثم انتقل الى رئاسة الواردات في مديرية مالية دمشق وما لبث أن أصبح مديراً لهذه المالية ، وفيما بعد رشح نفسه للنيابة عن مدينة حلب وفاز بها ، وأذكر أنه طلب وساطتي لمنصب معاون وزير في وزارة المالية . فقلت له : يأتي هذا المنصب اليك بطبيعة الحال ، ولم يطل الوقت حتى حل محل الأستاذ رفيق السيوفي في وزارة المالية . وأذكر أنه كان حريصاً على الاستئناس برأيي والعمل به في جميع المراكز التي تسلمها ، ويضرب الأمثلة بأعماله التجارية والخيرية ومواقفه الحيادية . وقد توفي منذ عامين في حادث سيارة رحمه الله .

موفق الشربجي

وكان السيد موفق الشربجي سادس مدير لمالية دمشق ، وقيل أنه يميل الى الآراء اليسارية ، إلا أنني لمست خلال مناقشته تكاليف ضريبة الدخل أنه معتدل وواقعي وقريب من رأيي ، وقد تولى السيد الشربجي مديرية مالية دمشق في عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ وكان والده تاجراً في سوق النسوان الواقع خلف سوق مدحة باشا ويمتد من باب الجابية الى حي الخضيرية .

وكنت خلال انعقاد لجنة التكليف الضريبي أجلس الى جانب السيد الشربجي مدير المالية ، وقد اتفقنا على اشعاره من تحت الطاولة إذا بحث تكليف يحتاج الى ايضاح واستقصاء. وأذكر أن اللجنة ناقشت تكاليف المرحوم سهيل الخياط تاجر البناء، وكان في البداية نجار أبواب ونوافذ في شارع الملك فيصل ثم انتقل الى بناء العمارات السكنية واشتهر بذلك فأصبح مظنة الثراء الواسع ، وجاء تقرير المراقب المالي مؤكداً لهذا الظن ، إلا أنني أبديت حركة للتريث ، وفيما بعد استدعاني السيد الشربجي وسألني كيف عرفت أن أوضاع الخياط متأخرة قبل عامين من ظهور حقيقة وضعه فقلت له أنني كنت أبحث عن دار لشرائها لموظف عندي هو السيد حسني الصفدي ، وشاهدت بناء للمرحوم الخياط ولم أجده ثم شاهدت أبنية أخرى يشيدها هو بنفسه ، ولاحظت أنه يحاسب العمال ويدفع الأجور دون قيود فاستغربت هذا الوضع ، ثم بحثت معه شراء الدار المطلوبة وأتممت الصفقة ولكني اكتشفت ما يلابس أعماله من فوضى ، وفيما بعد جرت ملاحقته قضائياً لوفاء الديون المتراكمة عليه .

أعود الى السيد موفق الشربجي الذي تعرض لوشاية تفيد أنه لم يكن مؤيداً للوحدة السورية ـ المصرية إلا أن الأستاذ فوزي عيون السود الأستاذ الموثوق في الحزب أنقذه من هذه الوشاية ، ونقل مديراً لمالية حلب ، ثم أصبح معاوناً لوزير المالية فوزيراً للمالية في أعوام ١٩٦٦ و١٩٦٧ و١٩٦٨ .

الدكتور بهيج الزمار

نأتي الآن الى ذكر الدكتور بهيج الزمار من أبناء حمص ، وحينما تولى مديرية مالية دمشق كان واضحاً في آرائه اليسارية ، إلا أنه بعد عدة اجتماعات في لجنة ضريبة الدخل توافقت أفكاري مع أفكاره واقتنع بآرائي المحايدة ، ولم يحدث أي تعارض بيني وبينه في تقدير التكاليف . وكان دقيقاً في المواعيد ، وعندما اشترى سيارة صغيرة حضر أكثر من مرة متأخراً واضطر للمخالفة بالمرور عبر حاجز موضوع في شارع سعد الله الجابري ليمر خلف مقر قيادة الشرطة الى بناء سابق لمديرية المالية يملكه السيد حنين صحناوي ، وبذلك كان السيد الزمار يصل الى غرفة الاجتماع قبل الموعد المحدد وينجو من دفع الغرامة المتفق عليها

وهي ليرة سورية ، وهي عادة اتبعها في كل اللجان من أجل فرض الانتظام ودقة المواعيد وتقديراً لقيمة الوقت . أما زميله الدكتور أنور الصباغ الذي كان مديراً للدخل فكان يصل متأخراً نصف ساعة عن الموعد رغم أن داره قرب نادي الشرق ليست بعيدة وكثيراً ما كان يدخل الاجتماع دون سترة ودون ربطة عنق ويدفع جزاء التأخير . أذكر أن الدكتور الزمار كلف بوضع قانون بدلاً من رسم الانتاج الزراعي ، وطلب مني المشاركة في الجلسة المخصصة لهذا الغرض وكان مسروراً لإناطة استيفاء هذا الرسم من قبل أجهزة الجمارك التي التي لديها قسم كامل للجباية يقوم بعمله عند الشحن في ضوء البيان الجمركي ، وتعتمد الأسعار المصدرة من قبل لجنة تضم ممثلين للمالية وغرفتي التجارة والزراعية والمحافظ ، وما زلت بموجب عضويتي في هذه اللجنة أوقع على الأسعار المعدلة حسب الأسواق والمواسم .

أما الدكتور الزمار فقد نقل الى مديرية مالية حلب . وقد علمت فيما بعد أنه تزوج مواطنة مسلمة بعد وفاة زوجته الأولى ، وأنه اعتنق الديانة الاسلامية وبعد تقاعده عمل محامياً لشؤون الضرائب ومارس التجارة بنجاح ، وعندما انتقل الى رحمه الله أعلن نعيه بالصيغة الاسلامية .

وكنت قد تلقيت من الدكتور بهيج الزمار رسالة أحب أن أثبتها لما فيها من دماثة ولطف وتقدير .

أخي وعزيزي الحاج أبو راتب حفظه الله .

تلقيت رسالتك المؤرخة في ١٠/٥/١٩٦٠ بمزيد السرور لأنها طمأنتني أولاً عن صحتك الغالية وصحة الأسرة الكريمة وثانياً أتأكد من جديد بأن الأخ أبا راتب ما يزال يكن لي في قلبه الطيب عاطفة صادقة ، أنا جدُّ فخور بها ، إذ أن أسمى ما في هذه الدنيا هي القيم الروحية التي من دونها يصبح الناس ذئاباً . فهذه القيم هي التي تضفي على الانسان الصفات التي تقربه من ربه .

لقد ضحكت كثيراً لوضعك نفسك بين الأميين الذين لا يعرفون حسن التصرف بالكلم ، إذ أن معرفتك وحسن فهمك قلما تتوفر في شخص كما توفرت بك . وعلى ما أظن

انك ما زال تذكر اجتماعاتنا في لجنة فرض الضريبة وكيف كنت أتوجه اليك لأتنور برأيك قبل أن أتوجه الى الدكاترة والمثقفين واني من جهتي أذكر انني كنت أتبع دوماً الخط الذي ترسمه كما واني لم أعارضك في رأي البتة ولي الفخر بذلك ، فهل هذا لأنك أمي . إن الثقافة أيها الأخ الكريم هي نور من الله يمتد الى قلب المرء فيجعل حكمه سديداً وأدبه جماً وسلوكه قويماً وان من أنبياء الله من هو أمي وفي ذلك حكمة .

أخي أبو راتب أني أعتز بصداقتك المخلصة الخالية الغرض وانه لمن دواعي سروري أنك لا تزال تذكرني راجياً من الله أن يمد في عمرك ويجعلك تحظى بأمنياتك لا سيما فيما يتعلق بالمحروس راتب - فرخ البط عوام - كن مطمئناً لأنه سيعود مكللاً بالظفر.

تحياتي للأخ أبو موفق المرجو منه أن يهيىء أكلة الفول وأسلم لأخيك .

حلب في ٢٢ - ٥ - ١٩٦٠

المخلص

ابراهيم الأزهري

شغل الأستاذ ابراهيم الأزهري منصب مدير مالية دمشق منذ عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٦٤ ، وهو سليل أسرة كريمة في اللاذقية ويحمل شهادة الحقوق وكان جدياً وقاسياً مع موظفيه ، وخلال لقاءاتنا في لجنة ضريبة الدخل اطمأن الى موقفي المحايد ، وتم الاتفاق على إشارة من تحت الطاولة ، ولم نختلف حول أي تكليف .

أذكر ان اللجنة ناقشت حينها تكليف المرحوم صياح البغدادي من تجار دمشق البارزين في النصف الأول من هذا القرن ، ولأعماله فرع في الأردن، ويملك بناء في جادة نوري باشا ، وبناء آخر في شارع الحجاز على ضفة نهر تورا يشارك فيه المرحوم الدكتور شوكة الشطي الطبيب اللامع والانسان المعروف بالتقوى والاستقامة وصاحب الخدمات الجليلة في منظمة الهلال الأحمر السوري ، وأرجو أن أخصه في مكان آخر بما يفي القليل من حقه .

ولهذا كان تقرير المراقب المالي بتقدير تكاليف أحد المكلفين من آل البغدادي عالياً جداً آنذاك وأذكر أنه بلغ ١١٧ ألف ليرة سورية بينما كان معلوماتي تختلف كثيراً عن هذا التقدير وأعرف أن مظاهره أكبر من واقعه. وكان في عمان مستورداً لبضائع الشركة الخماسية ولم تمهله لاستيفاء القيمة وبعد انتهاء جلسة ضريبة الدخل أوضحت للأستاذ ابراهيم الأزهري ملاحظاتي حول وضع البغدادي فوافقني ونتيجة اقتناعه أعيد النظر في التكليف وخفض المبلغ الى ٢٢ ألف ليرة سورية .

وبعد مدة اضطر المرحوم البغدادي الى بيع عمارته في جادة نوري باشا واستبقى داراً له فيها ، ثم تقلصت أعماله حتى اضطر الى المشاركة في معمل أنشىء على أرض تسمى دير خليل عند بداية أراضي جرمانا اشتراها من امين الحفار وبنى معمل بشراكة الفرا ، وكان المعمل موفقاً إلا ان التأميم شمله في عام ١٩٦٤ فاضطر المرحوم البغدادي الى العودة الى عمان حيث ساعده السيد محمد علي بدير رئيس غرفة التجارة وصاحب العديد من الشركات التجارية والصناعية .

أما الأستاذ ابراهيم الأزهري فقد انتقل الى حلب مديراً لماليتها ، ثم تقاعد وأنشأ فندقاً جيداً . وما زال يذكرني بالخير عندما يزوره زميل أو أخ من دمشق ، أكثر الله من أمثاله .

أعود الى المرحوم صباح البغدادي وكان زميلي في مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق ، وقد اشتهر بالوجاهة والكرم ، وكان موجوداً في لندن عندما زارها الملك عبد الله عاهل المملكة الأردنية الهاشمية فأقام له ولحاشيته مأدبة فخمة دعي إليها رجال الأعمال السوريون الموجودون في لندن ومانشستر وذاع أمرها .

تكليف الشركة الخماسية وحوادث أخرى
في لجنة الفرض

مرت حادثة بتكليف الشركة الخماسية في احدى السنين وجاء في تقرير المراقب أن الشركة تدفع الى أعضاء الشركة خمسة بالمائة عمولة عن البضائع المباعة مقابل كفالتهم للشركة عندما استدانت من المصرف أموال لتوسعة أعمال الشركة غير أن المراقب رفض المبلغ وبالمناقشة قررت اللجنة بإجماع الآراء قبول ٢٪ ونقل القرار من أحد أعضاء اللجنة الى أعضاء الشركة وطلبوا المناقشة ووجدوا أن لا مناص من البحث في هذا الموضوع وان قبول اللجنة اعتبار ٢٪ كافٍ لأن يشكل رقماً كبيراً لكن الشركة اعترضت الى إعادة النظر وتعدلت النسبة الى ٣٪ والسنة التالية بقيت اللجنة على قرارها ٢٪ واعترضت الشركة لإعادة النظر غير أن لجنة إعادة النظر وافقت على اعتبار ٢٪ كافية ثم جاء تكليف سنة ثالثة وبقيت لجنة الفرض على تنزيل ٢٪ كقراريها السابقين غير أن لجنة إعادة النظر رفضت تنزيل أي نسبة .

وبهذه المناسبة أود شرح تكليف ضريبة شركات عن المرحوم نوري الابش حيث صدر تكليف الورثة بمبلغ معين ولكن الورثة اعترضوا الى لجنة الفرض واعتذرت اللجنة عن التنفيذ . وكان رئيس اللجنة أكثر الله من أمثاله محمد الخطيب كلفني بحضور اللجنة فحضرت ومن دراسة التكاليف تبين أن هناك أحد الورثة البعيد في القرابة قد قدم خبراً بأن المرحوم ترك ثروة نقدية كبيرة ، وإن الورثة بالقربى استولوا عليها قبل القيام بمراسم الدفن ومن هنا درس المراقب حياة المتوفى وإيراداته ووظيفته وطلع بهذا التكليف . وأنا عندي معرفة بالشخص المتوفى كان أستاذاً في مدرسة البحصة وبعد مرور عشر سنين ترفع الى مدير مدرسة ولو كان إيراده من الزراعة يكفيه لكان ترك الوظيفة أو أقام بعيداً عن المدينة ويأخذ نسبة من الايرادات . والمراقب ذهب للقرية ليسأل المزارعين فأعطوه أرقاماً وهمية نظراً لقساوة معاملته لهم في حياته ومن هنا بدأ المراقب الطرح والجمع وتوصل الى أنه يتوفر معه نقدية كبيرة أخفاها عن المراقب حيث وصل التكليف الى هذا المبلغ . طلبت من اللجنة استدعاء المرحوم أحمد أجليقين وهو جار المتوفي بالقرية وعلى الرغم من وجود عداء بينه وبين المتوفي ، فأدلى بمعلوماته بعدم صحة هذا الايراد الوهمي وبعد جدال باللجنة

وكان المراقب المرحوم عطا دحدل رحمه الله قد كلفه تكليفاً مؤقتاً بمبلغ ١ر٥٦٩ر٩٦٠ وبعد إضافة ١٠٪ ضريبة إضافية أصبح التكليف ١ر٦٥٤ر٦٨١ فتم الرأي أن يكون التكليف بمبلغ قدره ٨٧٩ر٠٠٠ غير انني خالفت وصدر قرار اللجنة بالأكثرية وبمخالفتي .

واعترض الورثة الى لجنة إعادة النظر التي يرأسها الأستاذ النحلاوي وبعد عدة جلسات عقدتها اللجنة والأخذ برأي الخبير عدل المبلغ المضاف وقال التقرير أنه تم التعديل حسب رأي الخبير الحاج بدر الدين الشلاح وقد تم نشر هذا القرار بالعدد الثاني من مجلة المعرفة لعام ١٩٨٤ .

هذه قصة رويتها للتنويه على أهمية الدقة من المراقب وإنصافاً لأعضاء لجان الغرف وإعادة النظر ولكي يكون الخبير واقعياً وغير متحيز وهذا الموضوع أذكره إنصافاً لأعضاء اللجنة في المرحلتين الذين يتحرون الحقيقة ويأخذون بها .

وهناك أمثال كثيرة لهذا الموضوع سأذكر واحدة منها . فقد كان المراقب محمد علي جواد درس مكلفاً وأضاف عليه مبلغ بحدود ٤٠٠ ألف ليرة سورية درسنا هذا التكليف باللجنة وحجته والمستندات بالاضافة على التكليف بفاتورتين وهميتين فتقبلنا الأولى واكتفينا برفض الثانية . وبعد اعتراض المكلف الى لجنة إعادة النظر الذي يرأسها كذلك الأستاذ عبد الهادي النحلاوي رفضت الدفاتر وأخذت نسبة وبذلك ارتفع التكليف الى أكثر من تكليف لجنة الفرض وحاول المكلف التخلص فلم يجد طريقاً . توصل المكلف الى شكوى لأعلى مقام وسعوا لاكتشاف الظلامة وحضر ثلاثة موظفين الى وزارة المالية ووجدوا عدم وجود أي ظلامة . هذه حادثة لعدالة التكاليف ولو تمكن المكلف من إرضاء الموظف لدفع له مئة ألف ليرة سورية ولكن لم يتمكن ولا زال هذا الموظف مستقيماً على ما هو عليه لم يتغير ولم يتبدل وظل قانعاً بمعاشه وذلك عندما كان الدولار بأربع ليرات سورية .

رفيق الاختيار

في عام ١٩٦٤ تولى السيد رفيق الاختيار منصب مدير مالية دمشق . وكان هادئاً ومهذباً ذا ميول اشتراكية ، ولم يقع بيننا في لجنة ضريبة الدخل أي خلاف أو تحفظ . وعندما يكون هناك فارق في التكليف يطلب مني أن أزيد وأطلب منه أن يخفض ثم نصل

الى رقم لا يدع مجالاً لإعادة النظر ، وكانت لجنة إعادة النظر وخاصة القاضي النزيه والمنصف الأستاذ منير سلطان إذا وجد مخالفتي في أحد التكاليف يقول رأساً أنا مع رأي أبي راتب .

بعد أن ترك الأستاذ الاختيار مديرية المالية بعض الوقت باع داره التي اشتراها في غرب المالكي وسافر الى بلجيكا حيث يقضي بقية حياته مع زوجته البلجيكية ، ومن الواضح أنه لو عاد لما استطاع اطلاقاً جمع قيمة داره التي باعها في دمشق . أرجو الله أن يديم لنا حب الوطن والتعلق به ونتمنى لو يعود أخونا الأستاذ رفيق الى أهله وربعه وأصدقائه .

فوزي عيون السود

وانتقل الآن الى الأستاذ فوزري عيون السود ، وكانت بداية التعارف به في عام ١٩٥١ عندما كان رئيساً للواردات في القامشلي وتقدمت باعتراض على تخمين لقيمة أرض هناك وضعت لها اللجنة المالية رقماً عالياً بالقياس على قيم الأراضي في منطقة القامشلي حيث كانت الدولة تمنح الأرض دون مقابل لمجرد زراعتها ودفع ضريبة حاصل ، وبعد سنوات يمنح شاغله سند التمليك . حاولت اقناعه بأن القيمة المقدرة مرتفعة جداً ولكنه اعتذر وأكد أن ذلك ليس بإمكانه ، فأبقيت الموضوع دون مراجعة حتى حضر موظفو الكداسترو وقدرت قيمة الأرض بعد صدور قرار إثبات الملكية ، وبعد ذلك انتقل الأستاذ فوزي عيون السود الى دمشق مديراً للواردات في مالية دمشق ، واشترك مع مدير المالية بلجنة ضريبة الدخل وفي عام ١٩٦٧ تسلم مديرية مالية محافظة دمشق وكان بعثياً واشتراكياً ذا مركز متين ، ولكنه في لجنة الضريبة كان واقعياً ومنطقياً يستقبل كل مراجع ويسمع شكواه ثم يطلب الموظف المختص ويدعوه لإعادة النظر في الطلب دون أن يعلمه بالشكوى ، وحينما نقف أمام نقطة خلاف يخفض رقمه التقديري ويدعوني لرفع الرقم المقترح من قبلي .

أذكر أننا اختلفنا مرة واحدة حول تقدير أعمال تاجر ومتعهد كبير اسمه م.م كان موظفاً ، وكنت اقترح نسبة ٦ بالمائة كضريبة عن السنين السابقة على رقم أعماله ولكن الأستاذ عيون السود أصر على رفع النسبة الى ١٠ بالمائة وحاولت اقناعه فلم يتراجع وكانت

ترفض قيوده لأنه لم يقدم أرباحاً بجميع قيوده بالأعوام السابقة واضطررت الى تسجيل مخالفتي في تقرير أعمال م.م وبعد مضي أكثر من عام سألته عما تم بتكليف المذكور فأجاب : لم يبت بها . وبعد عامين سألت لجنة إعادة النظر فقيل لي أن النسبة خفضت الى ٧ر٥ بالمائة . وللتاريخ وللحقيقة كان الأستاذ فوزي عيون السود في مقام وزير وفي عام ١٩٧٧ شيع أن اسمه قد اعتمد وزيراً للمالية ولكنه اعتذر ورغم أنهم حاولوا إقناعه وأكدوا له أن اسمه سيعلن وزيراً فقد بقي مستنكفاً. مما أخر صدور الأسماء من يوم الخميس الى يوم السبت وسمي محمد الشريف وزيراً للمالية بدلاً منه. والأستاذ فوزي أضاف لمنصبه المكانة المحترمة المرموقة وهو بجدارة ودأب واخلاص رفع كثيراً من فعالية مديريته وقدرتها ونجاحها.

ومن الأمور التي يجدر ذكرها أن لجنة برئاسة السيد موفق الشربجي وزير المالية وعضوية الأستاذين فوزي عيون السود ورفيق الاختيار درست تعديل ضريبة ريع العقارات بناء على إلحاح الدكتور يوسف زعين رئيس الوزراء وحكومته وقامت برفع نسبة الضريبة الى أربعين بالمائة على أساس الشريحة الأخيرة ، وهي نسبة عالية ولا تعطي مورداً كبيراً ، بل تدفع الغني الى توزيع أملاكه لتخفيض شريحته ، كما أن أي مواطن لن يزيد أملاكه لئلا يتعرض لهذا التكليف ، وسألت وزير المالية فأكد إصرار الحكومة على تقاضي هذه النسبة .

سافرت بعد ذلك لأداء فريضة الحج ، وخلال زيارتي للسفير السوري في جدة المرحوم الدكتور مدحة البيطار فوجئت بالعناوين العريضة في صحفنا تعلن أن قانون ضريبة العقارات صدر والنسبة العليا للضريبة ٦٠ بالمائة فاستغربت هذه النسبة اللا معقولة وسألت السيد موفق الشربجي وزير المالية فقال لي أن الدكتور يوسف زعين رئيس مجلس الوزراء أصر على أن تكون النسبة ٦٠ بالمائة.

وهناك اجراءات اخرى كانت تطبق قبل قيام الحركة التصحيحية بقيادة السيد الرئيس حافظ الأسد ، كالقرار رقم ٩٢٨ الذي ألغى مدة تقادم الزمن التي كانت خمس سنوات وجعلها خمس عشرة سنة ، وأين الانصاف في جعل صاحب العلاقة ينتظر طوال هذه المدة اعتباراً من اكتشاف المعاملة ، ولم يكن أحد ليجرؤ على الاعتراض .

حسن العادلي

وفي عام ١٩٧١ عين السيد حسن العادلي مديراً ومضى ١١ عاماً ولا زال مستمراً مديراً للمالية وقبلها في الرقابة على ضريبة الدخل . وتلاه في عام ١٩٧٢ الأستاذ عماد العش في منصب مدير مالية دمشق وهو من كبار موظفي المالية الموثوق باستقامتهم ودرايتهم ورصانتهم . وكان والده المرحوم محمد العش تاجراً نشيطاً مستقيماً له محل كبير في خان سليمان باشا (خان الحماصنة) في شارع مدحت باشا وقد أنجب ثلاثة أولاد الأول السيد أنور العش المشهور بحماسته الوطنية وقيادته للمظاهرات ضد السلطة الفرنسية ، وقد قضى في السجن شهوراً عديدة لمشاركته المشهورة في الكفاح الشعبي . والابن الثاني بهاء عمل في التجارة ولازم محل والده ولا يزال من النشيطين في هذا القطاع . أما الابن الثالث فهو الاستاذ عماد العش من أركان وزارة المالية وقد مددت خدمته رغم بلوغه سن التقاعد نظراً للحاجة إليه أكثر الله من أمثاله.

مروان قدسي

وفي عام ١٩٧٤ تولى الأستاذ مروان قدسي مديرية مالية دمشق واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٨٠ حيث انتقل الى وزارة المالية أميناً عاماً واشتهر بالخبرة العالية في الشؤون المالية ، إلا أنه اختلف مع الوزير الذي سحب صلاحياته ثم نقل مستشاراً الى رئاسة مجلس الوزراء . قبل أن يصبح مديراً لمالية دمشق كان عضواً في احدى لجان ضريبة الدخل ، وأذكر اننا قلما كنا نختلف حول تقديرات المكلفين وكان واقعياً ومنطقياً . ومما يجدر ذكره أن والده المرحوم الأستاذ بهجة القدسي كان مستشاراً في وزارة العدل .

عبد الرزاق الصوفي

وفي ١٩٨٠/٩/٢٠ سمي الأستاذ عبد الرزاق الصوفي مديراً لمالية محافظة دمشق وما زال حتى تاريخه (أكتب هذا الفصل من المذكرات في ١٩٩١/٤/١٤) أي منذ أكثر من

أحد عشر عاماً وهي أطول مدة قضاها مدير مالية لدمشق ، ووفقاً لذاكرتي فهو مدير المالية الرابع عشر وقد عرف بحسن التصرف والاقناع مع الموظفين والمراجعين الذين يخرجون راضين من الغرفة .

واذكر انني كلفت من قبل رجل عمل سعودي في عام ١٩٦٢ بترشيح ثلاثة موظفين أكفاء للعمل في الشؤون المالية كمدراء هناك ، ورشحت ثلاثة أحدهم الأستاذ الصوفي الذي كان مراقباً للدخل ، وأحضرت له بطاقة الطائرة وموافقة السفر ، ولكنه اعتذر في اللحظة الأخيرة لأن والده لم يأذن له وأصر على بقائه فامتثل لمشيئة والده وبقي في دمشق ، وكانت خبرته واللجان التي عمل فيها أثبتت كفاءته وعاد إليه رضى والده بالتوفيق .

وأذكر أيضاً انني رشحت الأستاذ الصوفي للسيد اللواء عبد الرحمن خليفاوي رئيس مجلس الوزراء لمنصب مدير مالية دمشق بناء على معرفتي بخبرته ، وأجاب السيد اللواء بأنه يلزمه بعض الوقت ثم أنيط هذا المنصب بالسادة حسن العادلي وعماد العش ومروان القدسي على التعاقب وعاد بعدهم الأستاذ عبد الرزاق الصوفي ولا زال مديراً رغم مرور ١١ عاماً .

البَاب السّادس :

- تجـارب وَذكريَات
- رجـال مَرموقون
- جمعيّـات ناشطـة

الباب السادس

تجارب وذكريات ـ رجال مرموقون
جمعيات ناشطة

دروس العمر

الآن ، والزمن يمضي بنا نحو المجهول ، تستبدّ بي الرغبة في وضع خلاصة تجاربي أمام الأجيال ، وعليّ أن أقول الحقيقة عن صراعنا اليومي مع الجهل والخشونة والسطحية والتعسف . فالحياة ليست نزهة بل هي مجاهل نقتحمها كل يوم ونتعلم منها كل يوم درساً جديداً . إن مهمة الانسان أن يعيش حياة فعالة منتجة ، ولكن منهج التعامل مع المتاعب ليس جاهزاً ، وعلينا أن نتعلمه فقرة فقرة ، وأن لا ننسى ما فعلته بنا المكامن والمنعطفات . . .

حين أستعيد البدايات ، أرى كيف وصلت الى النضج المبكر بالتعب والعناء ، لم يكن سني يزيد عن الخمسة عشر كثيراً عندما حملني القطار مع شحنة من البطيخ الى بلاد لا أعرفها هي حيفا والقدس وطولكرم . كانت رحلة ضياع بالخطأ ، ولكني لم أستسلم للفزع والشلل ، بل تعاملت مع الواقع وقمت بالبيع على الرصيف ، ونمت في العراء ، وخبأت المال في الجوارب ، بحثت عن الأشخاص الذين يعرفون والدي وأخبرتهم بأمري ، ثم هدتني الحيلة الى طريق العودة ، فكانت رحلتي المبكرة وغير المنتظرة فرصة للسباحة البعيدة في البحر الانساني .

ليس ثمة طرق سهلة

تلقيت الدرس الأول من أبي مقروناً بالتقريع الشديد : «اكتب لنا مكتوباً في هذه الحالة حتى نعلم ما حدث لك» ! وتوالت الدروس . تعلمت أنه ليس هناك طرق سهلة للنجاح ، ولا بد من أن تعطي وأن تعطي الكثير قبل أن تأخذ ، أما الطرق السهلة فهي طرق خادعة وربما تكون فخاً لا يخلو من الشر ونهايتها وخيمة .

أحمد الله على أنني لم آخذ شيئاً قبل أن أعطي الكثير ، ولا يهمني الاثراء بقدر ما يهمني العطاء والسمعة الحسنة والمعروف ، وأسعد ما أكون حين أرى أبنائي على هذا النهج . لقد أورثتهم العلم ، وأورثتهم المعرفة ، وعلمتهم أن يكدحوا ويخلقوا الفرص بأنفسهم . أن يتحملوا المسؤولية بكاملها دون تردد . فعلى الانسان أن يساعد نفسه قبل أن يساعده الآخرون ، وإذا لم يساعد نفسه لا تجدي به مساعدة الآخرين . علينا أن نعرف الطريق ونسلكه شبراً شبراً ، ولن ننتظر أن يحملنا الغير على ظهورهم .

وتعلمت أن عليّ أن أعمل لكي أحصل على الطعام ، وعرفت منذ البداية أن العمل لا يخلو من المشقة ، وأن المال لا يتوفر بسهولة ، وكما أن البناء يبدأ من حفر الأساس وتسوية الأرض وتحديد المواضع ثم يركب الحديد ويصب الاسمنت ، فعلينا أن نضع كل حجر في مكانه وأن نتأكد من تحمل التربة وقوة الاستناد ، وما أكثر التفاصيل التي ترفع الضغط وتصعد بالدم الى الرأس قبل أن يكتمل البناء .

أشعر أنني لا أضيع يوماً دون أن أعمل شيئاً أو أنجز مهمة أو أحل مشكلة ولذلك يضيق صدري عندما أرى انساناً يراوح في مكانه ويتردد ولا يفعل شيئاً ، ولا أفهم كيف يطيق موظف المكوث وراء مكتب عدة ساعات ليقضيها بالكلام والمغيبة دون أن يستفيد أو يفيد أو يتقدم ، أليس هذا انتحاراً أدبياً ونفسياً ؟ إن أعمارنا محدودة فلماذا نهدرها باللاشيء ؟

بدأت الحياة الحقيقية وأنا صغير وتعلمت أن الخوف من المجهول غباء . وليس ثمة خطر من البحث والتعامل والتجربة ، بل الخطر كل الخطر من التقوقع والانطواء على النفس وانتظار ما لا يحدث . الحياة اكتشاف يومي لا يتوقف ، وأنا ما زلت أتعلم حتى

يومي هذا ، وأحمد الله على أن حواسي ما زالت تساعدني على التقاط الجوهر والاحساس بالمعنى والهدف .

ثم إنني قارىء مثابر ، وربما يستغرب الناس ذلك من تاجر ومزارع وصناعي يعمل معظم الوقت ، ولكن لا غرابة فأنا أقرأ دائماً ولدي مكتبة كبيرة قرأت كل كتاب فيها (من الغلاف الى الغلاف) كما يقولون ، ولم أجمعها للزينة ، وقد اطلعت ـ في جملة ما اطلعت عليه ـ على مذكرات الرجال الذين أمسكوا بمقدرات العالم وعرفت معاناتهم وكيف أنهم لم يصلوا بقفزة واحدة الى قمة السلطة .

ما تحملته أنا أوردته بتفاصيله مع كل مشاعر المعاناة في الكتاب الأول من مذكراتي (للتاريخ والذكرى) وما تحمله غيري ممن عاركوا الحياة من أبناء شعبنا وانطلقوا من الصفر ومن تحت الصفر أحياناً حتى بلغوا أعلى المراتب جاء أثناء الحديث عن سيرتهم . ولقد أردت من هذا أن يعرف الآخرون والشباب خاصة أن ليس من أحد ولد وفي فمه ملعقة من ذهب .

ولسنا وحدنا . بل كبار رجال السياسة والعلم والمال والأدب في العالم مرّوا بهذه المتاعب .

أجداد جون كندي

ألخص للقارىء ولا سيما من الأجيال التي ربيناها ـ نحن الذين تعبنا في صعود السلم درجة فدرجة ـ بعض ما حصل مع رجال مشاهير . ففي مذكرات كندي أن جده الأعلى واسمه باتريك كان إرلندياً فقيراً هرب من المجاعة والبؤس ، وأن جده التالي فيتزجيرالد لم يكن أكثر من موظف بسيط في الجمرك . وفي الصفحة ١٠ من مذكراته تحدث كندي عن الشقاء الذي سيطر على قرية جده وأكواخها والأطفال الذين يموتون في الحفر والأخاديد ثم عصف بها وباء التيفوس . كان أمل الجميع معلقاً على الفرار والهجرة ، فاكتظت بهم الطرقات وهم يدفعون عجلاتهم المرتجلة ويسيرون على الأقدام ، ورهنت الأسر ما أمكنها من متاعها ، وفي الموانىء المكتظة تكدسوا وقد هدمت من ورائهم أكواخهم البائسة .

وانضم باتريك الى باخرة عبرت به الأطلسي الى بوسطن وأنزلته في جزيرة شرقيها ، وبالتعب عثر على عمل في معمل للبراميل ، وينام في قبو يضم بين خمسة أشخاص وخمسة عشر واحدها فيه ٣٩ شخصاً . وكثيرون ناموا في مجارير المياه وانتشر بينهم السل والكوليرا والجدري . وكان العمل شاقاً ولا يقل عن خمس عشرة ساعة بلا أي يوم عطلة . . .

جونسون ينقل الحجارة

أما ليندون جونسون فقد اشتغل في شبابه بنقل الحجارة والبحص الى الجرافات وكانت يداه تدميان من العمل . ولكنه كان كبير الشوق الى التعلم رغم سعيه وراء لقمة العيش حتى أن تدبير وجبة الطعام كان الشاغل الدائم المرهق . ولما سعت أمه بأن يدخل إحدى الكليات بمعونة صديق موظف في مدرسة للمعلمين ، عام ١٩٢٧ ، انتسب إليها وسعى فوراً لأخذ وظيفة فرّاش فيها ليضمن مصروفه . وحاول بالتركيز على الدراسة أن يختصر المدة للتخرج ، وأكثر من القراءة بصوت عال وتمرن على الخطابة وفي حفلات المناظرة بدأ نجمه يلمع حتى تخرج منها وعمل في التدريس ، وبدأ انطلاقه حتى بلغ منصب رئيس الولايات المتحدة .

ورجالاتنا الكبار كانوا هم أيضاً من هذه النوعية التي خشن عودها بالعمل والجهد والمثابرة . فيا قارئي إذا كنت شاباً فتمعن في سيرة من أحدثك عنهم ، وإن كنت كبيراً فأخبر عنهم أولادك .

الألقاب والتفاخر بالأصول والأنساب

كان المرحوم الشيخ سعيد الشلاح صاحب مدرسة في حي مسجد الأقصاب وكان وجيهاً من وجهائها وزعيماً من زعمائها ، وعنده معرفة بأن هناك حجة بحسب ونسب لعائلة الخوصي والتي لها أوقاف كثيرة ، منها في دمشق وفي مصر وفي الحجاز ، وهذه حجة الأصالة عند المرحوم الشيخ عبد القادر القضماني والد المرحوم فؤاد القضماني ، وجد الأستاذ حيدر

القضماني الذي يعمل في وزارة الخارجية السورية . وعندما توفي جدي المرحوم الحاج رشيد الشلاح ، أحضروا له من المسجد الأموي اللفة الموجودة على القبر (أي العمامة) ووضعوها على النعش ، وبعد الصلاة عليه قرؤوا حسبه ونسبه المتصل بسيدنا علي كرم الله وجهه ، ثم تم دفنه في مقبرة الدحداح . وأما نسب الشلاح فقد أتى من صنعته حيث كان أصل جد العائلة وقبل خمسمائة عام أتى من المدينة المنورة وعمل في شلاحة الصوف من الجلود ، ولقب بالشلاح ، ثم بشيخ الشلاحين ، بعد أن حصل على المشيخة ، حيث كان لكل مهنة (شيخ) وهكذا كانت الألقاب (شيخ الشلاحين ـ وشيخ الصاغة ـ وشيخ الحدادين) وجميع المهن لها مشيخة ، والبعض من هذه العائلة بقي على لقبه (الخوصي) وآخرون تحرفت لاسم (الخوص) وآخرون بقوا على شيخ الشلاحين وآخرون بقوا على (الشلاح) .

وأما الخوص . منهم العائلة الكبيرة الموجودة في قرية الزبداني وسبق أن قابل والدي بالزبداني كبير عائلة الخوص ، وعمره أكثر من مئة وعشرة أعوام ، وشرح له انتماءه الى هذه العائلة ، حيث نزح أحد هذه العائلة الى الزبداني وبقي هناك ، وكنت أسمع هذه الرواية وهو يرويها لوالدي .

وأما الشيخ سعيد الشلاح رحمه الله فقد لاحقني عدة مرات وهو يطلب مني أن أرجو والدي ليتكلم مع الشيخ القضماني ليعطيه الحسب والنسب ويسامحه بالتولي عن جميع واردات الأوقاف التي يتولاها . فنقلت الخبر الى والدي أكثر من مرة هذا الطلب ، ولكني لم أسمع منه جواباً لهذا الطلب الى أن صدر قانون حل الأوقاف الذرية وحلت التولية عليها .

وأنا عشت مع كبار العائلة الذين كانوا يقبضون حصتهم الوقفية من المتولي الشيخ /عبد القادر القضماني/ ولكن والدي رحمه الله وكان صديقاً للمتولي لم يقبض شيئاً ولم يفاتحه بموضوع الحسب والنسب .

وهنا لا بد لي من ذكر جدتي لوالدي (خديجة بنت سليم العطار) حيث وجدت بصندوقها الحسب والنسب العائد لأجدادها ، وهو موجود عندي الى الآن . ثم أن والدتي وهي من عائلة الأخرس الموجودة في حمص ودمشق وهي والدتها كانت تحكي لي عن أصلها ونسبها ، وهناك زوجتي اسعاف بنت المصري ووالدتها زكية النابلسي ، فكانت لها حسب ونسب ، وموجود لدى أحد أشقائها المرحوم حسن النابلسي الذي كان تاجراً للسجاد بسوق الأروام أول سوق الحميدية ، والمعروف باسم أبو عبده ، وهكذا والحمد لله انتسابنا كان من جميع الأصول والفروع .

والآن جاء دور والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وجزاه عنا خير الجزاء ، لما علمنا من التواضع وآتي على أمثلة من توجيهاته :

١ ـ قال لي إذا رأيت كلباً يمشي على الرصيف فانزل للطريق وامش به .

٢ ـ إذا دفعت الى شخص ، إياك أن تذكر اسمه بالدفتر دون أن تذكر قبل الاسم (السيد) فلان ، لئلا ينظرك كتبت الاسم دون ذكر مقامه .

٣ ـ إذا حضر عتال ليقبض أتعابه ، فاستقبله بالوقوف كما تستقبل غيره .

٤ ـ إياك أن تسمع مغيبة عني من شخص وتنقلها اليّ ، فإنني مسامحه سلفاً .

وهناك نصائح كثيرة كانت تأتي بموقعها وأوقاتها.

وعندما كان والدي مريضاً ، وقبل يومين من وفاته ، طلب إليّ أن آتي له بكتاب المستطرف من كل فن مستظرف ، وعدد صفحاته /٢٥٠/ صفحة ، تأليف شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي المحلي عام ٧٩٠ .

وفتش عن قصة زين العابدين وهو يطوف على البيت الحرام بمكة ، تصفحت جميع الصفحات فلم أجدها ، قال لي راجع الصفحات اليسارية ، وبالصفحات التي تأتي بالرقم ١٢٠ وما بعد . عدت الى الكتاب فوجدت مطلوبه بالصفحة رقم ١٢٩ ، والموضوع الآتي :

«في الباب الثامن والعشرين في الفخر والتفاخر والتفاضل والتفاوت» :

تقى الله تعالى مضاف على الأنساب بقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وقال رسول الله ﷺ (إن نبيكم واحد وإن أباكم واحد وإنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟) .

قال الأصمعي : بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة ، إذ رأيت شاباً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول :

يا من يجيب دعاء الغر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقمِ
قد نام وفدك حول البين وانتبهوا ... وأنت يا حيُّ يا قيوم لم تنمِ

ادعوك ربي حزيناً هائماً قلقاً ... فارحم بكائي بحق البيت والحرمِ
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفه ... فمن يجود على العاصين بالكرمِ

ثم بكى بكاء شديداً وأنشد يقول :

ألا أيها المقصود في كل حاجتي ... شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي ... فهب لي ذنوبي كلها واقضِ حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة ... وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي ثم أين مخافتي

ثم سقط على الأرض مغشياً عليه ، فدنوت منه فإذا هو زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، فرفعت رأسه في حجري وبكيت ، فقطرت دمعة من دموعي على خده ، ففتح عينيه وقال من هذا الذي يهجم علينا ؟ قلت عبيدك الأصمعي سيدي ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ؟ أليس الله تعالى يقول : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . فقال : هيهات هيهات يا أصمعي ، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ، ولو كان حبشياً ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حراً قرشياً ، أليس الله تعالى يقول (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم) .

وعندما وصلت الى أول كلمة من قوله ، يا من يجيب . . تذكرت هذه الأبيات كلها، وقال لي: لا تقل أصلي وفصلي أبداً، إنما أصل الفتى ما قد حصل، وهذا ما دعاني الى أن لا أعود الى ذكر الحجج والأصول والأنساب والانتساب إن كان لوالدي أم لوالدتي أم الى جدتي ، وأعود الى الله تعالى ، وأشكره على عطائه لي القناعة والمنطق السليم ومحبة الناس غنيهم وفقيرهم ، أميرهم وعاملهم ، وأكرمني بأولاد وبنات أنجبوا عدداً من الأبناء والبنات ما يقارب واحداً وثمانين وكنت في كتابي الأول قد ذكرت أنهم خمسة وسبعون والآن ازدادوا بحمد الله ، وأرجو الله أن يرزق كل من يقرأ كتابي من هذا الانجاب ، وهو الهادي الى السبيل والسلام وبعد أن تأخر طبع الكتاب فقد وصل العدد الى ٩٠ .

شجرة آل الشلاح

ان التحرّي عن القرابات الجامعة ضرورة شرعية وانسانية . ولذلك فقد رجعت بمعونة من يعرفون الأصول الى جدي الأعلى محمد عثمان الشلاح الذي جاء منه ولده (حامد) وهو رأس فرعنا ، وحامد جاءه أولاد من بينهم (سليم) ، ثم من سليم جاء ولدان أحدهما جدي (رشيد) ، ومن رشيد جاء أولاد بينهم والدي سليم .

إن العدد الذي جاء من الأولاد والبنات والأسباط (أبناء البنات) عدد ضخم في خمسة أجيال ، ولسوف أنشر كتاب العائلة على طريقة علماء الأنساب في الترقيم ليكون بين يدي أفرادها دليلاً ودافعاً للقيام بالاتصالات مع الجميع في المناسبات والتكاتف في الأفراح والتضامن عند المتاعب . غير أنني في هذا الكتاب أكتفي بأن أورد أسماء فرعنا ابتداء من والدي واخوتي وأولادي والأحفاد ، وذلك خشية من بعث الملل في نفس قارىء غير مهتم .

إن أبناء سليم أي اخوتي وأنا هم حسب ترتيب الولادة والعمر الأكبر فالصغير : الشيخ محمد ، بدر الدين (كاتب هذه السطور) ، وأنور ، وشفيق ، ورشاد ، وزكية .

أولاد محمد هم : عبد الماجد ، وماجدة ، وهناء ، وأمل ، وليلى ، ولمياء ، ونور الهدى ، ورويدة .

أبنائي هم : الدكتور راتب ، والدكتور سليم ، ومحمد (أبو زكي) ، وغسان ، ونجاح ، ودلال ، ورجاء ، ورمزية .

وأبناء أخي شفيق هم : الدكتور موفق ، وفاروق ، وطارق ، ورفيق ، ونعمت ، وأميرة ، وغادة .

وأبناء أخي أنور هم : نبيل ، وسلمى ، ووفاء ، وسناء ، ولميس ، ورنا ، ورغداء .

وأبناء أخي رشاد هم : فايز ، وغياث ، وفادية ، وفيحاء ، وناديا .

قصتي مع الماسونية

بعد صدور الجزء الأول من مذكراتي بعنوان (للتاريخ والذكرى ـ قصة جهد وعمر) وفيه صورة تمثلني بلباس رئيس محفل ماسوني ، سمعت أن الناس لغطوا في الموضوع .

إنني أرى أن التساؤل من حقوق المواطنين والأصدقاء بالنسبة لرجل عام ولهم أن يناقشوه في الأمور التي تتصل بحياته وسلوكه ، ولذلك وجب عليّ الإيضاح ، فأقول :

اولاً ـ إن انتسابي للماسونية في فترة قصيرة جداً من حياتي حقيقة ، ولما كنت لم أخف في حياتي أية حقيقة تتعلق بهذه الحياة ، فقد رأيت أن التكتم حولها ليس من شيمة الصدق التي انتهجتها دائماً بفضل الله تعالى .

ثانياً ـ إن ما تردد في عشرات السنين الأخيرة من الوعي السياسي حول اتجاهات الصهيونية وارتباطاتها مع الجهات الاستعمارية والصهيونية العليا ، قد يكون صحيحاً وانفتحت عليه العيون في هذه المرحلة ، ولكنه لم يكن واضحاً ولا مشكوكاً فيه في البدايات وفي الزمان الذي صاحب انتسابي لمحفل ابراهيم الخليل . وعلى العكس فكان من انتسبوا للماسونية ولم يخفوا أمرهم بينهم الكثيرون من رجالنا السياسيين المرموقين ومن العلماء أي من الذين لا ترقى الشبهات الى وطنيتهم وإخلاصهم . وكان بين هؤلاء المنتسبين والدي وعدد من أصدقائه المعروفين بالتقى والصلاح والخلق العربي والاسلامي الصارم . وكان والدي قد انتسب إليها في عام ١٩٢٧ وعمره جاوز الستين فتردد في البداية ثم انتسب ولكنه لم يتحمس للموضوع ورأى أن مبادئه الاسلامية تغنيه وتكفيه .

ثالثاً ـ بعد وفاة والدي عام ١٩٤٧ جاءني أصدقاؤه وألحوا عليّ بالانتساب الى محفل ابراهيم الخليل . وصادف أنني كنت قد قرأت مقالة للمرحوم وجيه بيضون صاحب مطبعة ابن زيدون وهو كاتب معروف وعضو في العشيرة الماسونية قال فيها ـ ونشرت في عدد خاص من مجلة «كل جديد» عام ١٩٤٨ ـ إن كثيرين من رجال الوطنية في سوريا هم من الماسونيين ، عدد المقال منهم الأساتذة فارس الخوري وفايز الخوري والدكتور عبد الرحمن الكيالي وحسني البرازي وعبد الحميد الحراكي والحاج داود صدقي المارديني ومنير المهايني ورشيد

الطرابيشي وعبد القادر زهرة وخليل الهبل وجميل مردم بك وتوفيق شامية ويوسف الحكيم والأمير عادل أرسلان وعبد الغني القضماني والدكتور كامل نصري وعشرات غيرهم . فما كان وجود كل هؤلاء يدعو الى الشك في نوايا الماسونية التي ظهرت لنا .

وعدد آخر من الوجهاء والمهندسين والأطباء والمحامين وجميع هؤلاء كانت تجمعهم الرغبة في عمل الخير والقيام بالواجب نحو المجتمع الذي يقيمون فيه ، ولم يكن أي منهم مهتماً أو آبهاً بأي كيان أو وجود أو علاقة بالذي كان خارج الحدود السورية .

ثم أعرف أن الماسونية ضمت في مصر كلاً من سعد زغلول باشا وجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . وفي العالم ذكر المؤلف حنا أبي راشد أن الماسونية ضمت عدداً من الرؤساء الأمريكيين بينهم فرنكلين روزفلت كما ضمت امبراطور ألمانيا غليوم الأول والرئيس كمال أتاتورك . وفي لبنان كان من كبار الماسونيين الجنرال فؤاد شهاب رئيس الجمهورية وسامي الصلح ورشيد بيضون والرئيس سلام وغيرهم . لقد دخل هذا الجمع الكبير من رجالات سورية ودمشق في الماسونية لأنها إحدى القنوات القليلة التي كانت متوفرة في ذلك الوقت لعمل الخير الجماعي والذي كانت البلاد بحاجة ماسة إليه .

وللتأكيد فإن هذه الجمعيات كانت فعلاً تعمل تحت هذا الاسم ولكن من المؤكد أنه لم يكن لها أي ارتباط أو علاقة أو تفاعل فعلية مع المحافل في الخارج سوى الشكل والمظهر .

وربما كان البرهان الأخير على ذلك أن الحكومة السورية عندما منعت الماسونية في سورية فإنها لم تتعرض لا لمكاتب هذه الجمعيات ولا لأي من أفرادها . وهذا يؤكد أن الحكومة كانت ستدقق أو تراقب أو تقاصص لو كان عندها أدنى شك أو ريب في نشاط أو عمل أو ارتباط الماسونية بأي شيء يمس سلامة الوطن أو كرامته .

ولذلك لما انتسبت بعد الحاح أصدقائي الى محفل ابراهيم الخليل رقّاني إخواني أعضاء المحفل الى درجة محافظ كما تقضي التقاليد الشكلية وفي السنة الثالثة انتخبني أخواني

رئيساً للمحفل . وفي الجلسة التي أعقبت الانتخاب قدم لي أحد الأصدقاء نص كلمة بالفصحى مشكّلة ـ ولكنني تركتها وتحدثت بلغة التخاطب مرتجلاً كلمة مناسبة تعبر عما جال في خاطري .

ولكنني ما لبثت أن شعرت أن أعمالي ونشاطاتي في الجمعيات الخيرية لا تسمح لي بأن أكون رئيساً للمحفل فاعتذرت خطياً ولم أحضر ومع ذلك انتخبني إخواني غيابياً . لذلك لما وضعت صورتي وأنا بلباس الماسونية كرئيس للمحفل توقعت أن يتساءل إخواني الذين لا يعرفون هذا التفصيل عن سر الحكاية ، وأنا سجلت حياتي بمصداقية .

هذا كان ظاهر الماسونية الذي عرفناه جميعاً فيه الخير والصلاح والتعاون وإطاعة الشرائع واحترام السلطات وخدمة الوطن . ولم أطلع على شيء آخر مخالف ولو اطلعت لتصرفت منذ الاطلاع بشجاعة بما يقتضيه الحق والواجب الوطني لا أكتفي بالانسحاب بل أتحدث بصراحة فديننا ووطننا أغلى من كل شيء .

ولا يفوتني أن أقول أن الماسونية إذا كانت منعت عندنا فهناك أندية أخرى مقاربة في صفتها العالمية وترابطها مثل الروتاري والليونز .

هذه قصتي مع الماسونية أوضحتها حتى لا تبقى في حياتي أية نقطة خافية .

المغفور له شكري القوتلي
بعض الملامح عن حياته وأسرته وأملاكه وتصرفاته

كنت في كتابي السابق (للتاريخ والذكرى) قد أوردت طرفاً من أخبار المغفور له شكري بك القوتلي رئيس الجمهورية السورية الأسبق ، والآن أستكمل بعض ملامح الصورة . ذلك أنني عاصرت المغفور له طول فترة جهاده الوطني ووجوده على سطح الأحداث التاريخية التي تعاقبت على سورية حتى أواسط العقد السادس من هذا القرن ، واطلعت عن قرب على أسرته وأعماله وأوضاعه المالية وكانت بيني وبينه علاقة تعامل واستشارة ، كما عرفت أسرته وذويه الأقربين معرفة تسمح لي بأن أسجل بعض الذكريات عن تلك الشخصية التي ما يزال وطننا يوليها الاحترام والتقدير .

ولد السيد شكري القوتلي في دمشق عام ١٨٩٢ وأبوه السيد محمود وجده عبد الغني وعمه توفيق ، والجميع ملاكون زراعيون في غوطة دمشق . وقد ورث مع شقيقه عادل وثلاث بنات هن أخواته من أبيه ربع قرية بالا التي تبلغ مساحة ما ورثوه ١٨٧ فداناً والنصف الآخر ملك للسيدين أحمد وعلي الدالاتي . كما ورث نصف قرية المعضادية المجاورة لقرية زبدين والتي يعود نصفها الآخر للسيد مراد القوتلي وأورثها من بعده لإحسان القوتلي الذي ورث ربع قرية بالا مع شقيقته زوجة العمري .

أسرته

أنجب الرئيس القوتلي ولدين هما حسان ومحمود وثلاث بنات . وقد أتم حسان دراسته في استانفورد في أمريكا في ظروف من التقشف ذكرتها في كتابي السابق ، وبعد وفاة والده وبيع أراضي بالا بنى بناية في بيروت لكنها لم تربح ما يكفيه للعيش ، ثم سافر الى

المملكة العربية السعودية ثم الى باريس . وقد رافقته في رحلة استطلاعية في أميركا وزرنا معاً بحيرة يوساماتي وكان معنا ابنائي راتب وسليم وذلك في عام ١٩٦١ ، وهو يتمتع بأخلاق عالية .

أما شقيقه محمود فقد تخرج مهندساً وعمل بالسعودية منذ زمن والده وما يزال وهو من ذات الدوحة في أخلاقه .

أما بناته الثلاث فأولاهن لم تتزوج ، والثانية اقترنت بالسيد فايز العجل وهي الآن تعيش مع أولادها في فرنسا ، والثالثة اقترنت بمحام ناجح من أسرة هارون المعروفة في اللاذقية وهي مثقفة تجيد التصوير وأزورهما كلما ذهبت الى دولة الإمارات العربية حيث يعيشان .

وأرملة الرئيس القوتلي وهي حفيدة السيد علي الدالاتي وافاها الأجل في باريس عام ١٩٨٩ وقد عانت من حرمانها من إرث جدها لأن والدها توفي في حياة أبيه ، وقد حلت هذه العقدة فيما بعد حين قرر القانون مبدأ الوصية الواجبة ليأخذ ابن الولد المتوفى في حياة أبيه وصية لا تزيد على الثلث أو على حصة أبيه أيهما أقل .

معاناة القوتلي

إن قربي من الرئيس القوتلي بعض الشيء وما رأيته من كثرة أعبائه الاضافية يدفعان قلمي الى تسجيل بعض الخواطر الإضافية عنه ، فقد كان رجلاً من الجيل الأول الذي أحب وطنه وشعبه والناس الذين حوله وحاول جهده أن يخدم هؤلاء الناس ، ولكن الصعوبات والعقبات كانت أقوى منه . غير أنه كان رجلاً حقيقياً تملأه الشجاعة والأمانة والرجولة في مرحلة تنوء تحت أعبائها ظهور الرجال .

ففي الفترة الفرنسية كانت المعاناة أشد وأقسى وأكثر هولاً من المرحلة العثمانية وكيف ننسى أيام الثورة الوطنية حين كانت قيادة الاحتلال تقصف الأحياء السكنية بالمدافع والطائرات وتهدم المنازل على رؤوس الرجال والنساء والأطفال وترتكب المجازر ضد الناس العزل الذين تصادفهم في الطريق . من المعروف أن المدفعية الفرنسية التي نصبت

في قلعة دمشق افتتحت فظائعها أثناء الثورة السورية ـ بصب الحمم على المنازل في سيدي عامود التي تعرف الآن بالحريقة ودمرتها بكاملها وأحالتها الى أنقاض محروقة وهكذا تحمل آل القوتلي نصيبهم من التضحيات والخسائر في وقت مبكر من الثورة واحترقت منازلهم في دمشق القديمة وكانت من أجمل وأوسع منازل دمشق .

القوتلي في ٢٩ أيار

وحينما أتيح للبلاد أن توصل القوتلي الى مقام الرئاسة الأولى مرتين تم ذلك في ظروف بالغة الصعوبة والاضطراب ففي الأولى تعرضت البلدان للعدوان العسكري الفرنسي في ٢٩ أيار وانصبت عليها الحمم والنيران لكي تركع ولكن الرئيس القوتلي بلغ قمة صلابته ورجولته وهو في فراش المرض ورفض التفاوض والتعاون مع الاحتلال وسرعان ما تكلل هذا الموقف الشجاع بالنصر وتم الجلاء دون قيد أوشرط .

كيف نجوا من المصادرة

ومما تبقى من أراضي شكري القوتلي بعد تطبيق الاصلاح الزراعي عليها باع أولاده قطعة اسمها جوز الباشا على الطريق العام بسعر /١٣٠٠/ ليرة سورية للدونم وفي هذه الأيام يزيد سعره على ٣٠٠ ثلاثمائة ألف ليرة وهنا أذكر أن هذه الأراضي كانت مهددة بالمصادرة لان قانون الاصلاح الزراعي ينص على مصادرة أراضي أي مالك يقدم بياناً ناقصاً عن أراضيه وكان القوتلي بعد وفاة والده واقتسام الأراضي الموروثة مع شقيقاته أبقى أرض البيدر لأن العادة جرت على أشغالها من قبل جميع المالكين ولم توضع في البيان المقدم فاعتبره موظفو الاصلاح الزراعي ناقصاً وعلى الاثر بادرت لتدارك الموقف وفاء للصداقة والمودة والمعروف وكان محافظ ريف دمشق آنذاك السيد عبد الحليم خدام الذي أعطانا مهلة حتى الظهر لاثبات التصريح وسعيت لدى وزارة العدل لاخراج الحكم الصادر في أراضي البيدر ووفقت لاخراجه ضمن المهلة المحددة وتقديمه للأستاذ عبد الحليم خدام الذي أوقف المصادرة وهذه مأثرة له لا أنساها مدى الحياة .

بعض ملامح الرئيس شكري القوتلي

قصة إخلافي موعداً مع التاجر صالح الحفار

وبالمناسبة فإنني كنت طوال حياتي ـ وما أزال ـ شديد الحرص على الوفاء بالمواعيد في أوقاتها بمنتهى الدقة ، وأدرك أهمية هذه العادة في التعامل مع الناس لما تجسده من صدق وأمانة وصراحة تضع الأمور في نصابها وتريح جميع الأطراف وأحمد الله تعالى على ذلك .

ولكن اضطررت مرة واحدة للغياب عن موعد مع المرحوم الحاج صالح الحفار التاجر الكبير الذي كان مقيماً في مانشستر ، وقد اتفقت معه على الاجتماع في الساعة الرابعة بعد الظهر في محلنا التجاري بشارع الملك فيصل ، ولم أكن مرتبطاً بموعد آخر آنذاك ، إلا أنني فوجئت بأن المرحوم الرئيس شكري القوتلي يود أن أرافقه بصورة عاجلة للبت في ضمان ومحصول المشمش في أراضيه في بالا وكان المزاد قائماً ولا بد لي من حضوره لابداء الرأي نظراً لخبرتي الطويلة في ضمان الثمار ، وإليكم القصة:

أود أولاً هنا أن أوضح هذا التقليد التجاري المتبع في مجال الضمان وتعني كلمة الضمان تعهد شراء المحصول جملة واحدة سلفاً ، وهي مهنة كبيرة واسعة لها قواعد وأصول معروفة ويتعاقد الضامن أي شارى المحصول مع صاحب الأرض لمدة تبدأ من أول نيسان وتمتد حتى السادس من أيار يوم عيد الخضر حيث ينتهي موسم الصقيع ، وحيث يصبح الضمان نهائياً ، ويصبح المحصول من حق الضامن مقابل المبلغ المتفق عليه .

وكان هناك ثلاثة أشخاص يحتكرون مهنة الدلالة في هذا المجال ، أتذكر اثنين منهم الواحد واسمه منير خليفة والثاني ديب خليفة ، ولا ينافسهم أحد عليها ، ويتقاضون لقاء وساطتهم نسبة (٢٫٥٪) وكانوا يبدأون في أول نيسان بتعيين مواعيد الأسواق عند كل أفندي أي مالك أرض ، أما محترفو الضمانة فهم عديدون من قرى عربين وزملكا وحرستا ودوما والتل والقابون وبعض القرى النائية ، ويبدأ الضمان بزيارة كل بستان على حدة عدة مرات والتأكد من حجم محصوله تمهيداً للاختيار النهائي للبستان المفضل .

لقد مارست هذه المهنة سنوات عديدة وكنت أشتري محصول هذا البستان أو ذاك ، بطريقة الضمان في ضوء الحاجة ولتأمين المواد لمعمل شركة الكونسروة ، وذلك في أعوام ١٩٣٥ ـ ١٩٤٤ حيث كنا نصدر المشمش البولب الى انكلترة من صنف المشمش الكلابي فنقوم بنزع بذرته ونضعه في البراميل مغموراً بمادة حافظة حتى لا يفسد .

تقاليد الضمان

وأعود الى تقاليد الضمان ، حيث يبدأ السوق بعرض باقي البستان من الثمار بأسماء أصنافها للعيان ، ويكون الضمان قد عاينها مرات وقدر محصولها ، ويشترط لصاحب الأرض ، استلام كمية محددة من المحصول عند نضوجه وقطافه لحاجة الأسرة والأقارب بشكل هدايا يسمى عيان وتحدد أوزان منها قبل بدء المزاودة ثم يدفع الحلوان وهو مبلغ من المال يوزع على عمال المزرعة بحدود (٢٠٠ ـ ٣٠٠) ليرة ، أما كمية العيان فهي تتراوح في العادة بين قنطار وقنطارين أي (٥٠٠) كيلوغرام .

وكان (الضمّانة) ينتشرون في أطراف الأرض المحددة للاجتماع بعيدين عن بعضهم حتى لا يعرفوا من هم المزاودون ومن هو الخصم الأقوى ، ولو أتيح لهذا أو ذاك أن يعرف المزاود الأقوى والأكثر معرفة بحجم المحصول فإنه يعمد الى زيادة السعر وحرقه ، وهكذا يجري المزاد حتى يرسي البيع على المزاود الأخير فيدفع العربون ثم يعمد بالتدريج الى دفع باقي نصف القيمة وفيما بعد يصفي الحساب وكثيراً ما يتعرض الضمان الى خسارة كبيرة لأسباب شتى وفي هذه الحالة يمكن أن يتسامح مالك الأرض متحملاً بعض الخسارة وهناك ملاكون لا يتسامحون أبداً ، فيتحمل الضمان ما وقع من خسارة بكامله وربما ضاعت ثروات لهذا السبب وبما أن الشيء بالشيء يذكر فإني أود أن أنوه بواقعة من التعامل مع المغفور له الرئيس شكري القوتلي تدل على كرم خلقه وسماحة نفسه وحرصه على انصاف الناس ففي سنة ١٩٣٦ رسى علينا ضمان محصول الثمار في أرض (بالا) العائدة للرئيس شكري القوتلي ونظراً لثقته بنا لم يأخذ عربوناً ولم يأخذ شيئاً من القيمة حتى انتهاء الموسم ولسوء الحظ أصابت الثمار الحشرة التي شرحت أضرارها في الجزء الأول من مذكراتي ، وهبط المحصول الى كمية ضئيلة لا يفي ثمنها بجزء من مبلغ الضمان ، وعلى الاثر قمت بزيارة الرئيس القوتلي في طابق مؤجر له من قبل المرحوم السيد مسلم دياب ـ منطقة

الرئيس ـ وشرحت له واقع المحصول وما لحق به من أضرار بسبب الحشرة فأجابني على الفور ادفع ما تريد ودفعت له المبلغ المقرر بموجب المزاد بعد حسم ألف ليرة سورية منه ذلك الوقت وقال لي : الله يعوض عليك وإذا كان الضرر أكبر خذ ما تريد وهكذا كان المرحوم القوتلي دائماً في حرصه على الانصاف والتسامح ورفع الضرر مع جميع الضمانة .

لمحة حول أنواع الشجر

وهناك واقعة ثانية جرت في عام ١٩٣٧ ، وكنا آنذاك نملك حاصلاً لتجارة الأخشاب يستأجره منا المرحوم أبو مصطفى ملص الذي توفي في العام نفسه ولم يخلف سوى ابن واحد مدلل هو مصطفى ملص ، لهذا قمنا باستعادة الحاصل واستخدامه مستودعاً للخشب ولم يكن هناك (فروغات) في ذلك الوقت وباشرنا تجارة الأخشاب وهي مهنة كبيرة لها حواصل كثيرة معظمها بين الحدادين والعمارة حتى مسجد الأقصاب ، ويوجد منها في السويقة والشاغور وبوابة الميدان وباب توما ، وتتعامل هذه المهنة بالخشب البلدي المنتج في سورية وبالأخشاب المستوردة من تركيا ورومانيا والسويد والتي تأتي منشورة بشكل رفوف ولاطات وفطاطي أما الخشب البلدي فهو أنواع منها الرومي والحموي والبلدي والطلياني وكان الحور الرومي أفضلها ويستخدم قبل ظهور الاسمنت كمادة أساسية للجدران والسقوف وتؤخذ منه شرائح تملأ الفراغات بينها باللبن المصنوع من الطين ، وبعد اكتمال الحائط يكسى بالطين الممزوج بالتبن حتى يتماسك ثم يطلي بالكلس الأبيض الممزوج مع قشر القنب أما السقوف فتتألف من أعمدة مصفوفة بانتظام يحملها عمود غليظ معترض يسمى جسر وفوق سطحها سقف من الشرائح الخشبية المسمرة المكسوة بطبقة من الطين مغلقة بالزريقة المصقولة .

ويمكن القول أن الخشب الرومي الذي يرصفونه في الحواصل حتى ينشف لمدة (٣ أو ٤) سنوات أفضل وأمتن من أي نوع آخر ولا يضاهيه إلا الخشب السويدي وكنا ـ ولا نزال ـ نقطع الخشب الرومي الى رفوف نستعملها في تجفيف القمر الدين المعروف وتحويله الى لفائف . والقمر الدين هو مشمش معصور ومجفف بفعل الطاقة الشمسية ولهذا يحتفظ بجميع عناصره الغذائية الثمينة ولا يفقد منها شيئاً كما أن صناعته

التي تنفرد بها غوطة دمشق تراعى فيها شروط النظافة والصحة ولهذا يمكن تخزين القمرالدين لمدة طويلة .

وهناك الخشب الحموي وهو يزرع في محافظة حماه بالأصل وهو أسرع نمواً من الرومي ولكنه ضعيف وأسعاره أقل . وهكذا تجر القصة قصة أخرى ، كما سبق الذكر .

عودة الى قصة أشجار القوتلي

وكان الرئيس القوتلي يملك غيضة حور رومي في قطعة أرض اسمها التفاح، ففتح في منزله بجادة الرئيس مزاداً لبيع أشجارها النامية حضره أصحاب حواصل الخشب، واستمر المزاد حتى وصل الى أربعمائة وخمسين ليرة ذهبية عثمانية ولكن الرئيس القوتلي لم يقبل البيع بهذه القيمة وذهب المشترون فسألني: بكم طنبر تقدر الغيضة، (زنة الطنبر طن واحد) فأجبته بتقديري أنها ٤٥٠ طنبراً، قال: بل أكثر، وغداً نذهب معاً يرافقنا خبير اسمه أبو شاكر لنعيد تقديرها.

علم والدي المرحوم سليم الشلاح بالأمر فاتصل بالرئيس القوتلي واتفق معه على أن يشترك بالتخمين في اليوم التالي ، وهكذا أعدنا التخمين معاً ، ولم يقدر محصول الغيضة بأكثر من ٤٥٠ طنبر ، وقال له والدي هذه الكمية قيمتها أربعمائة ليرة ذهبية ووافق القوتلي: كرامة الى أبو راتب فلتكن بأربعمائة بدلاً من أربعمائة وخمسين ليرة ذهبية وهذا كان من محبته للوالد المرحوم سليم الشلاح وتقديره له.

اتهام قريبه بالتهريب في مصر

بعد ذلك استأذنت الرئيس القوتلي بالذهاب إلا أنه أخذ بيدي وذهب بي جانباً للاستيضاح عن حادث توقيف أشخاص سوريين في مصر اتهموا بتهريب العملة وحكم عليهم بغرامات كبيرة تجاوزت مئات الألوف من الجنيهات وبالسجن لأكثر من عشر سنوات وبينهم أقرباء بالمصاهرة للرئيس القوتلي فصارحته بمعلوماتي التي تفيد أنها خطة مبيتة

لاحراج القوتلي وحمله على الذهاب الى القاهرة والتوسط مع الرئيس عبد الناصر لاصدار عفو عنهم . وبذلك يوضع تحت حرج الخضوع أمام الأمر الواقع ، ولكن الرئيس القوتلي ترك الأمور تأخذ مجراها الطبيعي ولم يذهب الى القاهرة للتوسط في هذه القضية ومع ذلك صدر عفو عن المحكومين المشار إليهم بعد قيام الوحدة بوقت قليل .

كان ذلك في تلك الأيام التي اشتد فيها مخاض الوحدة ، وذهب وفد حزبي ووفد عسكري الى القاهرة دون علم الرئيس القوتلي ـ كما هو معروف ـ لبحث الدخول في الوحدة ، ثم حضر وفد مصري برئاسة أنور السادات وألقى خطاباً في المجلس النيابي الذي أعلن موافقته على الاتحاد ، ولما وصل الأمر الى القوتلي بوصفه رئيساً للجمهورية وافق على الفور دون أي اعتراض .

أما رجل المخابرات المصري الذي لفق التهمة فقد كان هو الذي اتصل بالأشخاص الذين حكم عليهم في مصر ، وطلب منهم بالرجاء والإلحاح حوالة بألف جنيه يقبضها من بيروت فأعطاه أحدهم ورقة الى محل صرافة هناك له شركاء في دمشق ، فما كان من رجل المخابرات المذكور إلا أن سلم الأشخاص الذين ورطهم بالرجاء وأوقعهم بالشرك ـ وقدمهم الى المحكمة المصرية وكان شاهداً عليهم ، وعلمت أن هذا الرجل ترك وظيفته وانصرف الى التجارة وكان اسم رجل المخابرات حسين عرفة الذي كان يزورني عندما يحضر الرئيس لدمشق ويزورني عندما أحضر لمصر.

بعد هذا الاستطراد أعود الى بداية الفصل ومدخله ، وهو اضطراري للتغيب عن الموعد المحدد مع التاجر الكبير المرحوم صالح الحفار ، فلما عدت من عند الرئيس القوتلي الى مكتبي وجدت ورقة من المرحوم الحفار هي التي صدرت بها الفصل ، ونصها :

حضرة الأخ السيد بدر الدين الشلاح المحترم

سلام عليكم . وبعد حضر أحدنا السيد بشير رمضان وكاتبه صالح الحفار بقصد محادثتكم بشأن وصية المرحوم الوالد بمناسبة تسليم المستشفى لمؤسسة المواساة بعد اتمام ما يمكن القيام لجمعيتنا به من اكمال وإتمام بحسب ما لديها من نقد .

وبما أنكم لم تحضروا لما بعد ثلاثة أرباع الساعة من الموعد معكم فإنا نأسف أنه لم نتمكن من محادثتكم بهذا الشأن دفعاً لأي سوء تفاهم ولكم منا أزكى التحية والشوق لرؤياكم .

دمشق في ١٦/٥/١٩٥٧

وبالفعل سافر صالح الحفار الى انكلترا حيث انتقل الى رحمة الله، ولم يعد الى دمشق وما زلت آسفاً على عدم وفائي بالوعد لأن الموضوع يتعلق بدعم مستشفى المواساة .

نبذة عن حياة معلم الشام
الشيخ محمد عيد السفرجلاني

مع قائمة بأسماء عدد من تلاميذه من العلماء الأجلاء والشخصيات المعروفة

هو محمد عيد بن محمد أنيس بن محمد علي السفرجلاني ، دمشقي المنبت ، حسيني النسب ، ولد في عام ١٨٣٨ م (١٢٥٤ هـ) بدمشق الشام في حي العمارة زقاق النقيب في منزل مجاور لدار الأمير عبد القادر الجزائري الكبير ، ونشأ في رعاية وتوجيه والده (الذي كان يعمل في القضاء الشرعي حتى وفاته في عام ١٨٦٥) ، كما درس على كبار علماء عصره وفي مقدمتهم العلامة الحافظ المسمى شيخ النحاة عبد الرحمن بن مصطفى بيازيد المتوفى عام ١٨٧٣ م والذي اشتهرت كريمته الحاجة صديقة بيازيد (زوجة الشيخ محمد عيد) بالحصافة والحكمة وسداد الرأي وكان يُلجأ إليها للمشورة والتحكيم .

باشر التدريس بافتتاحه مدرسة السليمانية بدمشق عام ١٨٧٠ (١٢٨٧ هـ) ، ثم انتقل بعدها الى إنشاء مدرسة في سوق المناخلية عام ١٨٧٧ (١٢٩٥ هـ) ، ثم أقام التدريس في المدرسة الجقمقية الأثرية المجاورة للمسجد الأموي في عام ١٨٩٩ (١٣١٧ هـ) والتي بناها نائب السلطنة المملوكي بدمشق سيف الدين جقمق في عام ١٤٢١ م (٨٢٤ هـ) . (ومما يُذكر في هذه المناسبة أن هذه المدرسة قد أصيبت بقنبلة في عام ١٩٤١ خلال الحرب العالمية الثانية ، وقد أوعز رئيس الوزراء الأسبق المرحوم سعيد الغزي الى المديرية العامة للآثار في حينه العناية بترميمها إذ سبق له أن درس هو في هذه المدرسة السفرجلانية وتخرج منها كما صرح بذلك ، ثم اتُّخِذ هذا البناء فيما بعد بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٧٤ متحفاً للخط العربي القديم ولا يزال حتى الآن) .

وأخيراً في عام ١٩١٩ (١٣٣٨ هـ) قام الشيخ عيد رحمه الله بتوسيع بناء مدرسة جده (المدرسة الجوهرية) وطورها الى مدرسة عصرية حديثة وسماها (المدرسة الجوهرية السفرجلانية) وكانت في جادة المحكمة الشرعية سابقاً أحد منافذ الحريقة حالياً . وقد

سميت ساحة الحريقة المشرفة على سوق الصاغة والمصرف التجاري اليوم قرب مكان هذه المدرسة المسماة باسم محمد عيد السفرجلاني كما تشير الى ذلك اللوحتان الرسميتان المقامتان حالياً على شارعين في هذه الساحة .

كان له قصب السبق بأنه أول وأقدم من أسس في دمشق مدرسة خاصة نظامية ذات مناهج علمية حديثة ، كما أقام فيها مكتبة ومخبراً أولياً ، وقد جعل الى جانب العلوم الدينية والأخلاقية والاجتماعية وآداب اللغة العربية وقواعدها من صرف ونحو وبلاغة ، العلومَ الرياضية والطبيعية بفروعها ، والزراعية ، والرياضة والأناشيد الموسيقية ، كما أدخل اللغة الأجنبية بغية التوسع في الاطلاع الثقافي والاعداد لمواكبة التطور العلمي العالمي منذ ذلك الحين .

وقد عهد الى نخبة من علماء عصره التدريس في هذه المدرسة نذكر أسماء بعضهم من السادة المدرسين الأساتذة : عبد القادر الاسكندراني ـ حسين الشاش ـ محمد هاشم الخطيب ـ عبد الرحمن السفرجلاني ـ محمود العقاد ـ عبد الحميد كريّم ـ عبد الهادي هاشم ـ عزت النص (رئيس وزراء أسبق) ـ عزت الشاش ـ أمين الذهبي ـ مدحت البيطار ـ زكي البواب . . . . . وانفرد هو بتدريس علم الأخلاق والعلوم الشرعية وشرح أصولها متعمقاً في فقهها واستنباط أحكامها ، كما كان ضليعاً بتدريس علوم الخط ، وكان يولي المجال التربوي عناية خاصة فاتسم أسلوبه بالجدية المركزة وقوة البأس عند توجيهه طلابه خلقياً وما كان يبذله من جهود لرفع مستواهم السلوكي ليرقى بهم الى المجال السوي المتميز داخل المدرسة وخارجها ، وهذا ما جعله موضع التقدير والثناء والمثل المحتذى لدى المربين في المجتمع الدمشقي .

مارس التدريس مدة /٦٣/ سنة متواصلة دون انقطاع حتى وفاته في مطلع عام /١٩٣٢/ ، فسمي حقاً (معلم الشام) .

عرف ، رحمه الله ، بتقواه وورعه وتواضعه وزهده ، وقد صام العمر كله في أشهر ثلاثة متتابعة في رجب وشعبان ورمضان سنوياً ، وكان خلال هذه الأشهر معتكفاً ليلاً على جلد دون فراش ، ليتفرغ في ضوء كتبه ومراجعه للمطالعة والعبادة .

كما تميز بنشاطه الفكري الغزير وقدرته الجسدية الفذة وقد تجاوز السادسة والتسعين من العمر .

وفي صباح الاثنين في ٢٥ شعبان عام ١٣٥٠ الموافق ٤ كانون الثاني عام ١٩٣٢ انتقل الى رحاب الله راضياً مرضياً فبكته دمشق كلها وشاركت في تشييع جثمانه الطاهر الآلاف من سكانها اكتظت بهم الشوارع من المسجد الأموي الكبير وحتى مقبرة الدحداح كما تظهرها الصور الشمسية المحفوظة .

تخرجت على يديه أعداد كبيرة من علماء الشام ومثقفيها ورجالات الفكر والقضاء والسياسة والطب والاقتصاد والتجارة ، كما **هو موضح في الكتاب المطبوع في عام ١٩٢٩** والمحفوظ حالياً لدى أحفاده .

نذكر من الأسماء المطبوعة في هذا الكتاب بعض تلاميذه من الوجوه الكريمة ، على سبيل المثال فقط وهم السادة :

الشيخ أبو الخير الميداني (رئيس رابطة العلماء) ، والشيخ محمد شكري الأسطواني (أمين الفتوى) ، والشيخ توفيق الغزي (مفتي الشافعية) ، والشيخ عمر الشطي (مفتي الحنابلة) ، والشيخ رضا الحلبي (مفتي دمشق) ، والشيخ سعيد الباني (مفتي الجيش العربي) ، والشيخ محمد التاجي (مفتي الجيش) .

والقضاة الشرعيون السادة : الشيخ بشير الباني (قاض شرعي) ، والشيخ يحيى أسطواني (قاض شرعي) ، والشيخ أحمد العمري (قاض شرعي) ، والشيخ مصطفى الأسطواني (قاض شرعي) ، والشيخ محمد خير المحاسني (قاضي دمشق) .

والمشايخ المدرسون السادة : الشيخ ياسين الجويجاتي (حافظ ومدرس) ، الشيخ مسلم الطباع (حافظ ومدرس) ، والشيخ خالد النقشبندي (خطيب ومدرس) ، والشيخ حسن الأسطواني (خطيب المسجد الأموي) ، والشيخ أديب تقي الدين (إمام الأحناف في المسجد الأموي) ، والشيخ عبد الحميد العطار (إمام الشافعية في المسجد الأموي) .

ثم المدرسون العامون المشايخ السادة : علي الدقر وأمين سويد وصالح العقاد ومحمد ياسين الفرا وابراهم الغلاييني وحمدي السفرجلاني الأسطواني ومحمد راشد القوتلي (رئيس المدرسة العلمية الوطنية) ، والشيخ سعيد الشلاح (مدير المدرسة السعيدية) ، ومحمد كامل القصاب مدير المدرسة الكاملية وأحمد فهمي العطار مفتش المعاهد الدينية .

ومن رجالات البلاد ومفكريها السادة : شكري القوتلي (رئيس الجمهورية السورية) ، وسعيد الغزي (رئيس مجلس الوزراء) ، وجميل مردم بك (وزير الخارجية) ، وفوزي الغزي (واضع الدستور للمجلس التأسيسي) ، وفوزي البكري (عضو المجلس التأسيسي) ، ومحمد العجلاني (عضو المجلس التأسيسي) ، وخليل مردم بك (عضو المجمع العلمي العربي) ، وعبد الرحمن السفرجلاني (من كبار مدرسي الرياضيات وأصحاب المناصب) ، والدكتور موفق شوكة الشطي (الطبيب والأستاذ في كلية الطب) ، والدكتور أديب الجعفري (الطبيب والأستاذ في كلية الطب) ، والدكتور رشدي العطار (الطبيب والمفتش في وزارة الصحة) ، والدكتور عبد النبي القوتلي (الطبيب ومدير صحة دمشق) ، والمحامي الأستاذ خير الدين القضماني ، والأمير عبد القادر الجزائري ، والشهيد السيد عبد الوهاب الانكليزي ، والشهيد السيد كمال أحمد الخطيب ، واللواء رشدي الصفدي ، واللواء شريف رمو ، والضابط البحري صبحي قدسي .

السادة التجار :

محمد أبو الفرج الموقع - شفيق دياب - أمين الكحالة - عبد الله كوكش - حسني الفرا - صالح الصفدي - شكيب الكحالة - محمود كوكش - شكري الطباع - أبو الفرج الشاش - أبو الخير الكزبري - أبو الخير الذهبي - توفيق الفرا - توفيق الصفدي - توفيق بدير - حمد الصفدي - عثمان بدير - حمزة بدير - عبد الله الكزبري - رشيد بركات - زكي الطباع - سليم الأعمى - سعيد السلطجي (مدرس وتاجر) - محمد الحلاق (مدرس وتاجر) - موسى الطويل (مدرس وتاجر) - شريف السمان - محمد الكزبري - عبد الله العباوي - عبد الله الكحالة - عبد اللطيف الكحالة - عارف الفرا - عبد الخالق الجلاد - مصطفى الدقر - محي الدين الصفدي - مصباح الذهبي - يوسف الدالاتي - والحاج بدر الدين الشلاح وأخوه أنور الشلاح .

الشيخ عبد القادر الخطيب

تولى المرحوم الشيخ عبد القادر الخطيب المديرية العامة للأوقاف في عهد رئاسة الشيخ تاج الدين الحسني الذي تربطه به صداقة شخصية ، وكانت الأوقاف في تلك المرحلة القاسية تعاني من وطأة المستشارين الفرنسيين الذين فرضتهم المفوضية الفرنسية على جميع الوزارات والدوائر.

في ذلك الحين أصدر الجنرال غورو المفوض الفرنسي الأول قراراً يسمح للانتداب بالاشراف على أوقاف المسلمين دون سواهم ، وفصل شؤون الأوقاف عن الحكومة ليحول دون تدخلها ، وفرض عليها مستشاراً فرنسياً يتصرف بشؤونها المالية والإدارية مع أن التدخل الأجنبي في شؤون الأوقاف الاسلامية يشبه التدخل في شؤون دينية محضة كالصلاة أو الصيام والحج .

ولم يتردد المستشارون الفرنسيون في سلب موارد الأوقاف وارهاقها بالتعويضات والرواتب الكبيرة لعملائهم وأذنابهم ، وأذكر أن المرحوم الشيخ أحمد دهمان روى في أحد مقالاته أن مستشاراً فرنسياً باع قطعة أرض في بيروت كانت وقفاً للمدرسة العمرية المعروفة في دمشق وقبض خمسة آلاف ليرة عثمانية وضعها في جيبه ولم يردها الى الأوقاف .

وكان المستشارون الفرنسيون يخترعون التعويضات والنفقات لسلب موارد الأوقاف وقد تألم الشيخ عبد القادر الخطيب أمام هذه اللصوصية وكان يقاومها بطريقة لبقة ، فكلما تجمع مال في خزانة الأوقاف بادر لانفاقه في بناء عمارة أو منشأة تدر المال للأوقاف كما فعل الشيخ تاج الحسني حين أقام الأبنية في جميع المحافظات حتى لا يتركه للتصرف به من قبل الأفرنسيين .

عرفت الشيخ عبد القادر الخطيب وكان صديقاً لوالدي المرحوم سليم الشلاح ، وكنت أراه على رأس المدعوين لتناول الأفطار في مآدب رمضان التي كان والدي يقيمها كتقليد ورثه عن جدي المرحوم رشيد الشلاح .

وعرفت من أبنائه الأكارم الدكتور عدنان الخطيب الذي حاز على شهادة الدكتوراه بالحقوق في باريس وعمل بالمحاماة وتقلد مناصب قضائية عالية من أهمها رئاسة مجلس الدولة وهو الآن الأمين العام لمجمع اللغة العربية وله مؤلفات في اللغة والآدب والعقوبات .

وأذكر شقيقه المرحوم الشيخ أبو الفرج الخطيب ، كان طيب الله ثراه من أفصح وألمع من تولوا منبر الخطابة في جامع دمشق الأموي الكبير ، وأنجب شباباً مؤمناً متضلعاً في الدين والفقه والخطابة وقد قصدت احياء ذكرى المرحوم أبي الفرج الخطيب بإدراج صورته في اللائحة المصورة لشيوخ وعلماء دمشق الراحلين منذ بداية القرن العشرين حتى أمد

قريب التي طبعتها ووزعتها في دمشق على نطاق واسع حتى لا ينسى الناس هذه الوجوه التي تشع بالصلاح والتقوى .

ولا أدري كيف سهوت عن ذكر والده المرحوم الشيخ عبد القادر الخطيب في اللائحة الأولى التي نشرتها قبل خمس وعشرين عاماً مع أنه كان دون شك من تلك النخبة المؤمنة الجليلة التي نعمت بها المدينة واكتسبت منها الكثير .

منذ سنوات قمت بمراجعة الدكتور عدنان الخطيب حينما كان رئيساً لمجلس الدولة وخلال الحديث ترحمت على والده وذكرت صداقته مع والدي فأجابني : ولذلك لم تذكر اسمه في اللائحة المصورة للعلماء التي طبعتها ووزعتها في دمشق وشعرت كأن جبل قاسيون هبط على رأسي فكيف نسيت ذلك العالم الكريم الجدير بكل تقدير .

اعتذرت آنذاك عن هذا النسيان وبقيت نادماً عليه حتى أعدت في عام ١٩٨٩ طباعة اللائحة المصورة وأدرجت فيها صورة المرحوم الشيخ عبد القادر الخطيب .

ويبدو أنني وقعت في نسيان جديد حينما غفلت عن ذكر العلامة المرحوم ملا رمضان البوطي وهو من أخلص وأتقى علماء دمشق كما أنه والد الصديق العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي الحجة في الدراسات القرآنية .

وقد أصبحت إذا أردت ذكر حفيد من أحفادي حتى أتذكر اسمه لا اذكره في بعض الأحيان .

أعود الى الدكتور عدنان الخطيب وسأروي قصة عن ثاقب نظره وحسن تصرفه . . .
كان ذلك في عام ١٩٥٠ حنيما اعتدى أحد رجال الشرطة على أخي شفيق المعروف بلباقته وسعه صدره ولم يكتف المعتدي بذلك بل قدم شكوى بحق شفيق وطلب من رئيس مصلحة السير مؤازرته بأربعة من رجال الشرطة اقتادوا أخي الى المخفر وأعدوا ضبطاً بزعم الاعتداء على الشرطة لتوقيفه وكان ذلك يوم الخميس مساء وتواري المفوض عن الأنظار ليحول دون مراجعتنا له وليجبره على البقاء موقوفاً يوم الجمعة حتى السبت وهنا اضطررت الى الاتصال بالمدير العام للشرطة الذي أصدر أمره باطلاق سراح شفيق بالكفالة وفي صباح السبت جئنا الى مقر الشرطة فجن جنون رئيس مصلحة السير الذي خاب أمله بتوقيف شفيق ليلتين متواليتين قبل أن يحال الى النيابة العامة وقام على الفور بسوقه موجوداً لعله يتمكن من توقيفه ثانية .

وكان الدكتور عدنان الخطيب هو النائب العام آنذاك ، فقرأ الضبط وشعر فيه بالتحامل من قبل الشرطة فاحتفظ بالضبط وأخلى سبيل شفيق ولم أنس له هذا الجميل فقد كان عادلاً ، ومنصفاً وظل رفيع المكانة نقي السمعة محفوفاً بالاحترام حتى وقتنا هذا . . .

السيد سعيد حيدر

من مواليد بعلبك انخرط في العمل القومي العربي في سن مبكرة ، وكان عضوا في المؤتمر السوري الذي أعلن ـ في ٨ آذار ١٩٢٠ ـ وحدة بلاد الشام ، من الحجاز الى الأناضول بعد أن فاحت روائح تآمر الدول الاوروبية لاقتسام الوطن العربي .

أثر نشوب الثورة السورية في عام ١٩٢٥ أوقفت سلطات الاحتلال السيد سعيد حيدر وزجته في السجن ، وعند الافراج عنه هاجر الى مصر ، ولما عاد الى الوطن تقلد مناصب هامة في القضاء ، ثم عين عضواً في مجلس الشورى ، وفيما بعد انتخب عضواً في المجلس النيابي ، ورشح لبعض الوزارات .

أما ابن شقيقه **الدكتور ناظم حيدر** ، فهو من زملاء ولدي الدكتور راتب حيث أنه عاد من الدراسة في أوائل عام ١٩٦١ بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه في الاحصاء ونالها بدرجة متفوقة . عاد الى دمشق وانخرط في سلك التدريس الجامعي وما برح ان كلف بمهمة عمادة كلية التجارة حيث استلم هذا المنصب لفترات متعددة منذ ذلك التاريخ . وخلال تاريخه الطويل في التدريس والتعليم برع كأستاذ ونجح في ترك آثار محبة وتقدير واحترام في نفوس الطلبة العديدين الذين تخرجوا من عنده .

ولأكثر من فترة عين في الأمم المتحدة كموفد لها في الدول العربية وخلافها ، وإضافة لنجاحه في عالم العلم والتدريس والتأليف فانه نجح أيضاً في عالم الزراعة والانتاج ، فلقد أنشأ مزرعة فواكه جميلة وناجحة ومربحة في بلدته قرب مدينة بعلبك اللبنانية .

ولقد أنجب أبناء وأصبح رب عائلة متحابة متآلفة ، وهو مثال الأخلاق والكفاءة والعلم . أتذكره دائماً لزياراتنا المتوالية ويطمئن عنا وعن أبنائنا ونحن نحترمه لأخلاقه العالية ومحبته القلبية لي ولأولادي وجميع أفراد عائلتنا ونطلب من الله أن يزيده توفيقاً ورفعة ورحم الله عمه المرحوم سعيد حيدر .

علي العنزي «أبو أحمد»

من وجهاء وزعماء رجال غوطة دمشق

خلال تعاملي مع الناس ، صادقت أنواعاً من الرجال تستحق الاحترام لما يبدو في مواقفها من الرجولة والكرم والوفاء وتحمل المسؤوليات الاجتماعية في المجتمع المحلي .

من هؤلاء المرحوم علي العنزي «أبو أحمد» من وجهاء غوطة دمشق وكبير الوجوه في منطقة «عربين» ، ولا تزال هذه الأسرة وبخاصة أولاد «أبو أحمد» ذات نشاط زراعي وتجاري مرموق . فالمرحوم علي العنزي «أبو أحمد» الذي كان وجيهاً مرموقاً له دار كبيرة في وسط عربين يستقبل فيها الضيوف ويبقى منزل الدار مفتوح الأبواب ليلاً ونهاراً ، وفيه وكيل مختص عمله الوحيد استقبال الزوار وتأمين ضيافتهم . وكان «أبو أحمد» يستقبل كل صاحب مشكلة ويهتم بحلها سواء كان الخلاف بين أبناء عربين نفسها أو مع أناس من قرى زملكا وحرستا وجوبر أو القابون . وحينما يتطلب الأمر الاتصال بأشخاص آخرين لهم علاقة يقوم «أبو أحمد» باستدعائهم وبذل الجهد للمصالحة بين المختلفين . وكانت كلمته مسموعة حتى في الخلافات على البيع وحدود الأراضي وكانت تنتهي دون اللجوء للمحاكم .

ربطتني مع «أبو أحمد» العنزي صداقة وطيدة ورثتها من والدي وانتقلت بعد وفاته الى أبنائه ، ولا سيما ولده الأكبر «أحمد العنزي أبو علي» . وعندما اشتريت مزرعة العدمل في عام ١٩٤٢ وبدأت بالتشجير تسلم الإدارة أحمد العنزي وقام بالاشراف على تأمين العمال والاشراف عليهم يومياً وأكثرهم من عربين ويبيتون في المزرعة ، وكنت في كثير من الأيام أتوجه للمزرعة ليلاً بعد انتهاء أعمالي وأسهر مع العمال وأتحدث إليهم وعن أعمالهم وعما تم عمله في ذلك اليوم وأرسم عملاً لليوم التالي بعد المشاورة مع «أبو علي» .

في تلك الأيام لم تكن هناك طرق مزفتة في عربين وكان الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الحكومة قد اتفق مع الشركة البلجيكية التي تملك امتياز كهرباء دمشق على شق خط الترام الكهربائي عبر قرى جوبر وزملكا وعربين وحرستا ودوما ، وقد تم ذلك في عام ١٩٣٢ وتم توقيع العقد بين الحكومة السورية والشركة الفرنسية من قبل سعيد بك محاسن

الذي كان وزيراً للداخلية وعمل الترام الكهربائي على هذا الخط ، إلا أن الإنارة الكهربائية لم تصل الى هذه القرى قبل عام ١٩٤٣ .

وعندما عاد الشيخ تاج الدين الحسني من باريس في تلك الفترة جرى له استقبال حافل من بيروت الى دمشق ، وبعد أيام أقام علي العنزي حفلة استقبال وغداء في منزله بعربين احتفاء بالشيخ تاج الدين ، حضرها أكثر من ثلاثمائة مدعو .

رغم ذلك لم يكن العنزي يمالىء السلطة الفرنسية المحتلة ولم يقرع أبواب المسؤولين الفرنسيين ، وبلغ من إبائه هذا أن المستشار الفرنسي في دوما واسمه «بل» صمم على ايقاعه في الفخ وإذلاله فكلف أحد العمال الفقراء واسمه ديب صفصف بدس أسلحة مختلفة في بستانه وأرسل دورية لمداهمة الحوش العائد له ووجدوا الأسلحة بدار ولده فاعتقلوا «أحمد العنزي» وزجوه في السجن ، فتوسط السيد حسين الابش مع المستشار الفرنسي لاطلاق سراحه ووافق المستشار على شرط أن يأتي والده علي العنزي بنفسه لاستلام ولده ، ولما عرضوا ذلك على «أبو أحمد العنزي» رفض بصورة قاطعة وقال «والله لو وضعوا حبل المشنقة في رقبة ولدي لن أذهب الى المستشار» واضطر أخيراً لاطلاق سراح أحمد العنزي .

هذا ما كان من كرامة علي العنزي حيث فرط بأغلى أولاده ولم يفرط بكرامته كرجل سوري وعربي ودمشقي . هذه هي كرامة سورية . وبعدها مرض مرضاً ثقيلاً ولم يكن في ذلك الزمان أطباء بالقرى بل حتى في المناطق ، فأحضرته لداري وخصصت له غرفة خاصة ومعه حفيدته ابنة ولده الأكبر أحمد العنزي وكان يقول لي «يا أبو راتب لا أرغب بالشفاء بل أرغب بالموت وأولادي أمامي لئلا أفتقد واحداً منهم وأبقى حزيناً طيلة حياتي» .

أخذناه لعند الطبيب الأرمني المشهور واسمه (ملكيان) محله في البحصة البرانية ، وضع له إبرة أطول من الشبر في النخاع الشوكي بظهره ، ولكنه لم يتبرم ولم يقل كلمة «أخ» . توفي رحمه الله تعالى في ٢٧ رمضان عام ١٩٦٣ .

تعلمت منه الكثير ، وكان في المنزول عنده قطعة كتب عليها «من لانت كلمته وجبت محبته» ولا زالت موجودة حتى الآن . لقد عاش ٧٥ عاماً وقد ترك من الأبناء :

ولده الأول أبو علي تولد ١٨٩٤ وله ابنتان .

ولده الثاني محمد سعيد تولد ١٩١٣ رجل عمل وله ٧ ذكور و ٦ بنات .

ولده الثالث ياسين تولد ١٩١٦ عمل مختاراً طيلة ٢٠ عاماً وله ٩ ذكور و ٤ بنات .
ولده الرابع بشير تولد ١٩٢٣ رجل عمل وله ٧ ذكور و ٤ بنات .
ولده الخامس طه تولد ١٩٢٧ تاجر كبير وصاحب أراضي وجميع أولاده يحملون شهادات اختصاص ، وله ٥ ذكور و ٦ بنات .
ولده السادس عبد الوهاب تولد ١٩٢٩ رجل عمل وله ٥ ذكور و ٤ بنات .

شخصيات صديقة

الدكتور محمد العمادي

كان السيد الدكتور العمادي ، أبو عمر كما هو اسمه المحبب قد سمي مديراً عاماً لصندوق النقد الدولي في الكويت وقبلت استقالته من وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية . وبهذه المناسبة وبصفتي رئيساً للاتحاد العام لغرف التجارة السورية ولمجلس إدارة غرفة تجارة دمشق ، أقمت على شرفه حفلة تكريم وداعية حضرها عدد من السادة الوزراء والمدراء العامين وعدد من أعضاء مجلس الإدارة في الغرفة والأصدقاء .

في هذه الحفلة ألقيت كلمة شكرت فيها أبا عمر على تلبيته دعوتنا وقلت فيها أنني تعرفت على المحتفى به عندما كان وولدي الدكتور راتب زملاء التدريس في الجامعة السورية ثم في وزارة التخطيط ثم عندما اجتمعنا في ندوة عقدت عام ١٩٧١ إثر قيام الحركة التصحيحية وضمت الأساتذة مصطفى الحلاج وفخر الدين خليل والدكتور العمادي والدكتور داود حيدو وكانت مهمتها بحث الحلول التي تكفل النهوض بالاقتصاد السوري .

ثم إني عرفته مديراً للتخطيط فوزيراً للاقتصاد في أكثر من أربع وزارات ، ورافقته أكثر من مرة في سفرات عامة الى المملكة العربية السعودية لتوقيع اتفاق تجاري بين حكومتي البلدين وكانت اتفاقية نموذجية لاتفاقات تلتها .

وفي كل تلك المدة التي توطدت فيها أواصر الصداقة والأخوة مع الأخ الدكتور العمادي لم يكن لنا عنده مطلب أو غاية أو مغنم بل لا علاقة لنا بوزارة الاقتصاد لأن عملياتنا قائمة على التصدير وعملياته لها تسهيلاتها المعروفة .

كلما تقاربت العلاقات بين الدولة ورعاياها ازدادت الثقة والتعاون لمصلحة المجموع، وها هي الأبواب مفتوحة أمام المواطنين المراجعين وهو أمر أثار انتباه واعجاب الوفود التي كانت تؤم دمشق لأمور اقتصادية حين ترى عملية التعاون والتآزر سائدة بين الحكومة والشعب . وإن أخانا الدكتور العمادي كان دائماً من أعضاء الفريق الذي يسعى دائماً الى التنفيذ الجيد والواعي والمرن في القوانين وهو ما يعطيها مغزاها ويحقق أهدافها . وكان دائماً يسعى لإيجاد الحلول وتخطي العقبات في سبيل الأفضل والأكمل .

وإني ليسعدني أن يكون هذا الحفل قد ضم نخبة من رجال الاقتصاد السوري ، أعلاماً في الفكر والسياسة والممارسة التوجيه ، وفي مثل هذا اللقاء يكون الحوار البناء وتتمخض الأفكار عن أفضل النتائج والثمرات .

إن ما يجمعنا اليوم ، هو انتقال الأخ الدكتور العمادي من وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية في القطر العربي السوري ليتحمل مهام إدارة الصندوق النقدي العربي في الكويت ، لذلك فإننا نكرم فيه العلم والخبرة والاخلاص والدأب في خدمة الاقتصاد .

إنني أقول بكل بساطة للأخ عمادي شكراً على قيامك بالواجب خير قيام ، وشكراً لما قدمت من خدمات لوطنك ووزارتك لتحقيق الأهداف والخطة التي رسمها رئيسنا .
كما أننا نهنىء صندوق النقد العربي ولو أخذك منا وأبعدك عنا ، مؤمنين بأن القضايا القومية تتساوى مع القضايا القطرية رغم خسارتنا ببعدك عنا . وإنه لفخر لنا أن يقوم رجالاتنا بأعباء خدمة القضية العربية في جميع الأقطار ، وإننا لا نقول وداعاً بل نقول الى اللقاء ، زادك الله توفيقاً ونجاحاً والسلام عليكم .
كان هذا نص الكلمة . وأضيف عليها الآن :

وفي هذا اليوم الذي ندفع بهذه الذكريات الى المطبعة ليطلع عليها القراء الأكارم ، نقول ها هو الأخ العزيز والحبيب ليس لي فقط بل لكل من عرفه وتعرف عليه ، قد عاد الى البلاد محققاً ما رجوته في نهاية كلمتي في احتفالنا بوداعه .

لقد عدت ولقيناك وأنت مزود بالتوفيق والنجاح ، ونقول لك يا دكتور أبو عمر أنك خسرت من المادة ما يفوق أضعافاً مضاعفة ما ربحه زملاؤك ولكنك ربحت وظيفتك ووظيفة عائلة العمادي هذه العائلة الشامية الأصيلة التي سميت باسمها منطقة كبيرة بجوار الشام قرب قرية عين ترما وهي منطقة العمادية وهي لا تزال تحمل هذا الاسم . لقد عدت يا دكتور وتركت المادة التي كنت تحصل عليها وهي لا تقل عن عشرين ضعفاً بين دخلك بالكويت وبين دخلك وزيراً بسوريا . ولكن أنت الرابح ، لقد عدت ووجدت التوجيه الاقتصادي الذي يفتح النور والحقيقة للعالم بأن نظراتك وآراءك السابقة قد طبق أكثرها وظهرت نتائجها في الميزان التجاري ، وبدأت تعالجها مع زملاء بالحكم ومع الأفكار التي حملها المسؤولون الجدد . نعم خسرت مادة وربحت سمعة سيذكرها التاريخ . . هنيئاً لك صديقاً وفياً لوطنه وأصدقائه ورئيسه.

الدكتور عزيز شكري

أحب أن أسجل كلمات عن الدكتور عبد عزيز شكري ، الذي اختاره السيد الرئيس حافظ الأسد من بين الجامعيين السوريين كافة ليمثل مع وزير الدولة للشؤون الخارجية الأستاذ فاروق الشرع القطر العربي السوري في ندوة الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر الأولى عام ١٩٨٣ والثانية عام ١٩٨٧ ، ومن خلالها تعرف على معظم صناع القرار السياسي الأميركي وحاورهم بقوة الحجة حول أحقية موقفنا وعدالة قضيتنا .

وعزيز شكري هو ابن خالتي والده المرحوم صبحي شكري الذي كان مديراً لمنطقة من مناطق دمشق المالية ، وكان نشيطاً استلم الوظيفة وهو صغير السن وكانت وظيفته تحصيل رسوم التسجيل على الطنابر التي تجرها الخيول قبل أن تكون السيارات ، وكان محبوباً من رؤسائه لا سيما معاون مدير الواردات السيد صبحي العادلي الذي كان آية في الهمة والحركة الدائبة بوزارة المالية ويقضي ويحل دون حاجة صاحب المعاملة لمراجعة الوزير .

حصل عزيز شكري على البكالوريا وعمره ١٧ عاماً وكان الأول على محافظة دمشق والثاني على طلاب الجمهورية العربية السورية ، ودخل كلية الحقوق بالجامعة السورية وهو موظف في دائرة الدخل ثم في مكتب تفتيش الدولة الذي عينه فيه المرحوم الأستاذ نهاد القاسم بعد أن أعطاه المائة في امتحان الحقوق الإدارية (وما أذكره عن نهاد القاسم وأنا الذي عرفته كاتب ضبط بالمحكمة ، هو أنه حصل على شهادةالحقوق وأصبح قاضياًثم أصبح وزيراً للعدل وإذا أردت ذكر منافعه احتاج الى كتاب لأنني كنت على صلة تامة بجميع المناصب التي تولاها) . وحافظ عزيز شكري على تفوقه وظل الأول في الجامعة حتى تخرج عام (١٩٥٩) بامتياز ومنحه المرحوم جمال عبد الناصر قلادة أوائل خريجي الجامعات ، وأوفدته الحكومة الى الولايات المتحدة الاميركية حيث حصل بتفوق وفي فترة قصيرة على درجتي الماجستير والدكتوراه في العلوم القانونية من جامعة كولومبيا . وفي الولايات المتحدة الأميركية. تزوج من فتاة دمشقية المنبت ومن عائلة كريمة أصيلة والدها المرحوم الأستاذ مختار العاني ، وعاد الى دمشق ليحاضر في الجامعة ويمارس عمله الخاص في المحاماة والاستشارات القانونية ثم طلبته حكومة الكويت ليحاضر في جامعتها وأعير

لجامعتها سنة بعد سنة منذ عام ١٩٧٠ . وقد رغب بالعودة الى سورية لكن حكومة الكويت طلبت منه أن يستمر لدى جامعتها فلم توافق جامعة دمشق وكلفني بعض معارفي بالكويت لتمديد إعارته فرجوت السيد رئيس مجلس الوزراء اللواء عبد الرحمن الخليفاوي فوافق على مد إعارته عاماً سابعاً لا سيما بعد ما سمع أنه رفع اسم سورية سواء في التدريس أو الوسط الاعلامي وخاصة بعد ما قابل الصحفي المصري المشهور الأستاذ محمد حسنين هيكل فكانت مقابلة ناجحة جداً ، على خلاف مناظرة أخرى جرت بين الأستاذ هيكل ومسؤول إعلامي آخر .

بعد انتهاء إعارته ، عاد الدكتور عزيز شكري الى جامعته الأصلية جامعة دمشق يحاضر ويؤلف ويمثل بلدنا في المؤتمرات العربية والدولية وقد بلغ ما ألفه حتى الآن نيفاً وعشرين كتاباً وستين بحثاً حتى أصبح رئيساً لقسم القانون الدولي منذ عام ١٩٨٠ ، وعميداً لكلية الحقوق مرتين أولاهما عام ١٩٨٤ ، والثانية منذ عام ١٩٨٧ وحتى الآن .

وآخر مؤلف له هو عن الإرهاب الدولي والقانوني وقد نشر باللغة الانكليزية في الولايات المتحدة الاميركية وباللغة العربية في بيروت عام ١٩٩٠ .

وكان بيني وبين الدكتور عزيز شكري مراسلات كثيرة خلال غيابه في البعثة أولاً ثم في الكويت ثانياً ولذلك فان له عندي مكانة عالية لا أنساها وهو بمثابة ولد من أولادي وفقه الله وزاده علماً ومكانة .

ومما يذكر في صدد الدكتور عزيز شكري حكاية من العجائب فإن جامعة «هارفرد» لم تقبل به طالباً عندما تقدم بطلب للدراسة فيها ولكنها وبعد مضي ما يقارب من ٢٥ عاماً استدعته ليكون أستاذاً فيها فلبى الدعوة وعلّم وتألق وكل هذا من التوفيق ورضاء الوالدين .

الدكتور جمال الفرا

ولد في دمشق عام ١٩١١ في حي القنوات ـ والده الشيخ توفيق الفرا عرف بالتقوى والصلاح وحسن السيرة ، وكان يجمع بين عمله في التجارة ومتابعته تحصيل العلوم الدينية

وتدريسها ، أخذ هذا المنحى عن جده /لوالدته/ الشيخ علاء الدين عابدين . وكان الشيخ علاء الدين عابدين من العلماء المبرزين في عصره ، كما كان عضواً في اللجنة التي وضعت مجلة الأحكام الشرعية التي لا تزال تعتبر من أدق وأشمل النصوص التشريعية. وكان الشيخ علاء الدين الى جانب عمله في الفتوى والتشريع يقوم بتدريس الفقه على الطريقة التي كانت متبعة آنذاك في حلقات تعقد دورياً في الجوامع . وقد درّس في جامع الطالوية في جادة التعديل في حي القنوات ، وعمد الى تجديد هذا الجامع وأنشأ فيه غرفاً لإقامة طلاب العلم المحتاجين أو الغرباء ، ولا تزال هذه الغرف قائمة ومشغولة حتى اليوم .

للتاريخ نذكر أن ممن أقاموا فيها خلال دراستهم ، من نوابغ هذا العصر الشيخ معروف الدواليبي والشيخ مصطفى الزرقاء .

نعود الى الشيخ علاء الدين عابدين ، فنقول : بأنه لما لم يكن له أولاد ذكور ، فقد أكب على تنشئة سبطيه (أي ولدي ابنته) الشيخ سعيد الفرا وأخيه الشيخ توفيق ، فسارا على نهجه وأخذا عنه . فلما توفي الشيخ علاء الدين خلفه في إمامة جامع التعديل والتدريس فيه الشيخ سعيد الفرا ، والى جانبه أخوه الشيخ توفيق يساعده في التدريس وينوب عنه في حال غيابه .

ومع ذلك كان لكل منهما عمله الخاص ، فكان الشيخ توفيق يعمل في تجارة الأقمشة في دكان له في سوق الذراع رغم نشاطه العلمي والديني ، وذلك على طريقة أكثر أهل العلم في السابق من فقهاء وأئمة ، فقد كانت لهم مهنهم الخاصة يكتسبون منها رزقهم ، وكانوا يترفعون عن الاكتساب من صفتهم الدينية أو العلمية ، بل على العكس كانوا ينفقون عليها من كدهم ويسدون العون للمحتاجين من تلاميذهم .

هذه هي البيئة التي نشأ فيها جمال وورثها عن أبيه . أما جده (لأمه) فهو السيد مسلم الحصني من وجهاء دمشق في ذلك الزمن ، وعميد أسرة آل الحصني المعروفين من سلالة الشيخ محي الدين الحصني ، من كبار أهل التصوف ، وصاحب الزاوية المعروفة في حي الشاغور، وللشيخ الحصني في ضاحية القدم في دمشق مدفن ومقام لا يزال قائماً حتى اليوم.

وكان من مراسم الحج، عند عودة الحجاج وتوقف موكبهم عند القدم، أن توزع عليهم قطع الحلاوة ويشرف على توزيعها ، وكان من المألوف أن ترسل قطع منها الى كبار الموظفين وأعيان المدينة تبركاً واحتفالاً بهذه المناسبة ، وكانت الحلاوة تحضر في حلة كبيرة خاصة ، ومن هنا جاء المثل المعروف : حلة بيت الحصني .

نشأ جمال إذن في بيئة علمية وأخلاقية ، وتابع تحصيله الابتدائي ثم الثانوي في مكتب عنبر بنجاح وتوفيق وأختير في بعثة لإكمال تحصيله العالي في فرنسا عام ١٩٢٩ ، فحصل على إجازة العلوم الطبيعية ، بالإضافة الى شهادة معهد الكيمياء العالي في باريس ، وعاد الى دمشق عام ١٩٣٥ ، فعين مدرساً للعلوم في تجهيز دمشق ، ثم في تجهيز حلب ، وبعدها مديراً للتجهيز الثانية في دمشق ، وألف خلال هذه الفترة عدداً من الكتب المدرسية في الكيمياء والفيزياء ، ولا يزال طلابه الذين تتلمذوا على يديه يذكرون له أطيب الأثر .

تدرج بعد ذلك في مناصب إدارية في وزارة المعارف حتى أصبح أميناً عاماً للوزارة عام ١٩٤٨ ، وفي عام ١٩٤٩ انتقل الى السلك الدبلوماسي ، فعين وزيراً مفوضاً في بروكسل ، ومنها استدعي عام ١٩٥١ الى دمشق لتسلم مهام الأمانة العامة لوزارة الخارجية ، وخلال ذلك رافق ا لدكتور ناظم القدسي رئيس الوزراء في جولته التاريخية على عدد من الدول العربية ، وساهم معه في اعداد مذكرته الشهيرة حول الأخطار التي تحدق بالأمة العربية وحتمية توطيد أركان الوحدة العربية كسبيل وحيد لدرء هذه الأخطار . من الأمانة العامة لوزارة الخارجية انتقل عام ١٩٥٣ الى استوكهولم حيث عين سفيراً للجمهورية العربية السورية في السويد ، انتقل بعدها عام ١٩٥٤ الى بون ليتسلم منصب السفير في المانيا الغربية ، وفي عام ١٩٥٦ عين سفيراً للجمهورية العربية السورية في موسكو ، فشغل هذا المنصب حتى أوائل عام ١٩٥٨ ، وكانت هذه الفترة حافلة بالأحداث الهامة التي كان لها في تطور العلاقات بين الاتحاد السوفييتي وسورية أثر هام ، ومنها أحداث العدوان الثلاثي على مصر ، وزيارة الرئيس شكري القوتلي الى موسكو ، والاتفاقات الثنائية التي مهدت للتعاون الواسع بين الدولتين .

في أوائل عام ١٩٥٨ ، والأمور تسير نحو اعلان الوحدة بين مصر وسورية نقل من موسكو الى ريودي جانيرو ، وبذلك أصبح لدى تسلمه منصبه الجديد أول سفير

للجمهورية العربية المتحدة في البرازيل ، فقام بمهمته الجديدة خير قيام ، وكلف أثناء ذلك بمهمات مختلفة في بلدان أمريكا اللاتينية وكان دائم الاتصال بالمغتربين العرب فيها ، يعمل على تمتين روابطهم بوطنهم ورص صفوفهم وإزالة التفرقة بينهم ، ولا سيما بين الجالية السورية والجالية اللبنانية في وقت كان التوتر على أشده في لبنان أثناء أحداث عام ١٩٥٨ . وفي منتصف عام ١٩٦١ عاد الى القاهرة ليشغل منصب مدير إدارة المغتربين في وزارة الخارجية ، ولكن لم تلبث أن وقعت الأحداث التي أدت الى الانفصال ، فعاد الى دمشق مع بقية الدبلوماسيين السوريين المتواجدين في القاهرة ، فكلف بالعودة إليها من جديد لتمثيل الجمهورية العربية السورية في الجلسة التاريخية لجامعة الدول العربية التي تم فيها استعادة سورية مقعدها في المجلس ، وفي نفس العام عين سفيراً في بون الى أن استدعي في العام التالي لتولي وزارة الخارجية في حكومة الدكتور بشير العظمة ، وبعد استقالة الوزارة عين سفيراً في روما وبقي فيها الى عام ١٩٦٤ ، حين آثر ترك العمل الرسمي والانصراف الى هوايته المفضلة في الكتابة والتأليف .

منذ ذلك الحين ، كتب كثيراً من المقالات والأبحاث في مجلات عربية وغربية ، ونشر حتى الآن الكتب التالية في سلسلة سماها (أسفار وسفارات) :

١ ـ دنيا المغتربين /قصص قصيرة من حياة المغتربين/ .
٢ ـ صدى السنين الحاكي /ذكريات من الأسفار والسفارات/ .
٣ ـ لؤلؤة مايوركا /طرائف من أنحاء العالم/ .
٤ ـ أربع سنين في البرازيل وأخواتها العشرين : /ذكريات وطرائف عن جمهوريات أمريكا اللاتينية/ .
٥ ـ ثلاث سنين في بلد لينين /ذكريات وطرائف عن الاتحاد السوفييتي وشعوبه/ .
٦ ـ الله يعمرك يا حي الوردات.

المهندس خليل الفرا

وهو شقيق الأستاذ جمال الفرا ولد في دمشق عام ١٩١٤ ، توفي والده ولمّا يبلغ الرابعة من عمره وكان والده الشيخ توفيق الفرا من الأفاضل (أهل زمان) معروفاً بالتقوى

والصلاح وحسن السيرة ، فنشأ ابنه على غراره (يستلهم المثل العليا من سيرة والده التي كانت تصله أصداؤها من الأقارب والمعارف ، فتأنس بها نفسه وتثير فيه الهمة والحماس) .

أكمل دراسته الثانوية في مكتب عنبر في دمشق عام ١٩٣١ ، وانتسب بعدها الى مدرسة الهندسة الأفرنسية في بيروت ، ونال شهادة الهندسة عام ١٩٣٦ بتفوق ، وبدأ عمله الهندسي في بيروت وظل يعمل فيها حتى عام ١٩٣٨ ، إذ آثر العودة الى دمشق ، فعين مهندساً للأشغال في محافظة مدينة دمشق ، فأشرف على تنفيذ مشاريع هامة في المدينة التي كانت قد بدأت في التوسع وبرزت فيها الشوارع والأحياء الجديدة .

وفي عام ١٩٤٦ استقال من عمله الرسمي للانصراف للعمل الحر ، فأسس مكتباً هندسياً خاصاً مع ابن عمه الأستاذ محمد الفرا ، لا يزال يعمل فيه حتى الآن .

أثناء سنوات عمله في هذا المكتب قام بتصميم عدد كبير من المباني والمشاريع الهامة (العامة والخاصة) في مدينة دمشق وبعض المدن السورية ، وأشرف على تنفيذها ، منها الأبنية العامة التالية :

(بناء البريد ـ المصرف المركزي ـ وزارة المالية ـ المصرف الزراعي الذي أصبح مقراً لرئاسة الوزراء ـ بناء الإدارة العامة للمصرف التجاري السوري ـ وبعض فروعه في القطر ، وغيرها من الأبنية العامة التي تتميز بحسن التصميم والاتقان في التنفيذ) .

وفي عام ١٩٥٧ ، حين كان بشير القضماني محافظاً لمدينة دمشق ، وبعد انتهاء تنظيم منطقة ركن الدين ، فرز من هذه المنطقة قطعة الى مسجد ومستوصف . وكان السيد عبد الله العثمان قد بلغه وجود الأرض المخصصة لجامع ومستوصف ، وكان لي صلة كبيرة معه ، فطلب مني أن أبلغ الأوقاف والمحافظة بأنه مستعد لبنائها على نفقته الخاصة وطلب من المرحوم عبد الرحمن الطباع تكليف المهندس خليل الفرا الذهاب الى الكويت للاطلاع على مسجده الذي بناه ، فاعتذر خليل الفرا لعدم وجود فراغ عنده ، فطلبوا مني التوسط معه فقابلته ورجوته فقبل توسطي ، وسافر يومين الى الكويت وعاد وعمل المخططات للمسجد والمستوصف ، وبعدها أرسل المحافظ رسالة الى السيد عبد الله العثمان ، يطلب منه تحويل مبلغ للمباشرة ، زعل العثمان من هذا الطلب وكتب لي رسالة بالموضوع فقابلت المحافظ وأعلمته ، فقال لي أنا طلبت التحويل خوفاً من عدم اتمام المشروع وقلت فليبدأ

ويبني الى أن يوقف البناء . عند ذلك قام واعتذر عن الرسالة وعملنا له حفلة بدار خليل الفرا . . . وهكذا بوشر بالبناء بإشراف هذا المهندس البارع ، ثم اشترى بجانب الجامع أرضاً لبنائها تجارياً ووقفها وريعها للمسجد والمستوصف والمدرسة ، وتوفي العثمان رحمه الله قبل إتمام البناء ولكن بعد أن عمل وصية بثلث ماله على أن يصرف منها أولاً لاتمام هذا المشروع الجامع والمستوصف والمدرسة . ولكن وزير الأوقاف آنذاك وكّل محامي الأوقاف ودفع له /١٠/ آلاف ليرة سورية لإقامة دعوى على الورثة . فراجعت الوزير وقلت له أن البناء مستمر وهناك وزير الأوقاف بالكويت الوصي على تنفيذ الوصية . فلا حاجة للدعوى .

وتابع المشروع طريقه باشراف الأستاذ الفرا ، وهو اتمام بناء جامع العثمان والمستوصف الخيري التابع له والبناء الاستثماري المجاور وهذه كلها تبرع بانشائها الوجيه الكويتي المرحوم عبد الله العثمان ، وجعل البناء الاستثماري المؤلف من عشرة طوابق مع مخازن تجارية وقفاً على الجامع والمستوصف يخصص ريعه الذي يقدر بعدة ملايين للانفاق على المستوصف والجامع دون غيرهما حرصاً منه رحمه الله على توفير الأسباب التي تؤمن استمرار هذين البنائين بوظيفتهما على الوجه الأكمل ، ولكن وزارة الأوقاف وضعت يدها على هذا المشروع الخير بعد أن تم إنجازه على الوجه الأكمل فأشغلت قسماً من البناء الاستثماري وتصرفت بريع القسم الآخر .

ومنذ عام ١٩٥٠ تولى المهندس الفرا أيضاً الاشراف على أبنية جامعة دمشق ، وكان مما صممه وأشرف على تنفيذه من مشاريع الجامعة :

- مدرسة التمريض والقبالة والمكتبة المركزية ومباني كليات الهندسة المدنية والعلوم الزراعية والآداب والمدينة الجامعية .
- وفي مجال المشافي التابعة للجامعة ، بناء العيادات والاسعاف في المواساة .
- ومركز الطب النووي .
- ودار التوليد وأمراض النساء .

أما الأبنية الخاصة فكثيرة ، منها التجارية والسكنية والصناعية في دمشق وضواحيها ، وفي مجال المشافي الخاصة مشفى دار الشفاء ومستشفى الهلال الأحمر .

انتخب في عام ١٩٥١ عضواً في مجلس أوقاف دمشق ، فتعاون مع بقية أعضاء المجلس السادة : بدر الدين الشلاح - الشيخ أحمد الدقر - زكي قطنا - أحمد العظم - المتحمسين لخدمة هذه المؤسسة الهامة . وقد ساهم في إعطاء دفعة قوية لمشاريع الأوقاف العمرانية في مدينة دمشق ، فساهم خلال عضويته مع المجلس التي امتدت حتى عام ١٩٦٠ ، في إنشاء كثير من الأبنية الحديثة الاستثمارية العائدة للأوقاف .

ومن الانجازات الهامة التي باشرها مجلس الأوقاف في تلك الفترة اتخاذ الخطوات الأولى لمشروع جامع يلبغا في ساحة المرجة .

وما بين عام ١٩٥١ وحتى عام ١٩٦٢ اختير عضواً ثم نائباً لرئيس المجلس البلدي وعضواً في مجلس إدارة مشروع سد الفرات حيث ساهم مع المرحوم نور الدين كحاله بتقديم الاستشارات الفنية اللازمة .

إن مساهمة المهندس خليل الفرا لا تنحصر في أعماله الهندسية ، وقد عرف اخلاصه واندفاعه وتفانيه ودقته وحسن تنظيمه ، ولقد أغنى الحياة الدمشقية بأوجهها الاجتماعية والثقافية والتقليدية بعطاءاته المتجددة وقدوته الحسنة من خلال ترؤسه العديد من هذه النشاطات على مدى سنين طويلة ، وكان من مؤسسي جمعية أصدقاء دمشق ورئيسها لعدة سنوات .

المحامي نجاة قصاب حسن

خلال مراحل العمر تتنوع حاجات الانسان وتختلف بين مرحلة وأخرى ولكن الحاجة الى الصداقة تنشأ من الصغر وتلازم الانسان حتى نهاية الحياة فهي حاجة نفسية واجتماعية لتبادل المعرفة وتفريغ الهموم ونشدان النصيحة والترويح عن النفس عبر الحركة اليومية للعمل والكدح والمواجهة والمتابعة ، وهذا هو دأب الأصدقاء الذين صمدوا للتجربة وطول التعامل وكانوا مثال الصداقة الأمينة الناصحة .

أود أن أخص صديقي الأستاذ نجاة قصاب حسن بكلمة تقدير شخصي أشعر أنني مدين بها له ، وأنا أسجل هذه الخواطر عن مسيرتي في المجتمع الدمشقي وبين الناس الذين تعاملت معهم زمناً طويلاً ، وتركوا في نفسي الأثر الحميد .

عرفت الصديق الأديب المحامي نجاة قصاب حسن منذ أكثر من خمسة وأربعين عاماً ولمست فيه منذ البداية ذلك الشاب المثقف المتأجج بالذكاء والفطنة ، الضليع بالقانون ، المنفتح على هموم الناس ومشاكلهم ، يجمع بين العمل في السياسة والمحاماة ويكتب في الصحافة ، حتى أنه ينظم الشعر ويهتم بالموسيقى ، وفي كل هذه المجالات كان بارعاً ومجيداً .

في مجال السياسة كان موقفه واضحاً ومنحازاً للعامل والفلاح والفئات الفقيرة ، متحمساً لتأكيد حقوقهم ورفع الغبن والاجحاف عنهم واعلاء صوتهم في المجتمع .

في ميدان المحاماة كان حريصاً على تفهم خلفية أي قضية أو دعوى يتسلمها ليتأكد من وجه الحق ، ويضع النص القانوني في خدمة العدل ورفع الظلم وإضاءة الحقيقة ولم يقتصر على هذه الخدمة النبيلة بل شعر بالحاجة إلى تعريف الناس بامكانيات التقاضي ووجوه الاستعانة بالقضاء للوصول الى الحقوق المهضومة ، ولعله من المحامين الشبان الأوائل الذين حرصوا على تثقيف المواطن بأحكام القانون والإجابة على أسئلته حول الحلول الحقوقية لمشاكل الناس وما يتعرضون له من خلافات ومنازعات في علاقاتهم ومعاملاتهم، لم يبخل بالمشورة الصحيحة على السائل، دون أن يفرض الثمن المسبق أو يربط بين الاستشارة والتكليف ولا يزال الكثيرون منا يذكرون إجاباته في الإذاعة على أسئلة

المستمعين حول الحالات العديدة ، وكانت دائماً إجابات تتسم بالوضوح والأمانة والنصيحة .

أما عمله في الصحافة فهو نوع خاص من التعليق الساخر اللاذع الذي يجمع بين الرصانة والنكتة في نفس نقدي له سماته وخصوصيته ، ولا زلت أذكر زواياه التي كانت تنشر في أماكن بارزة من أهم الصحف الدمشقية وتلقى الاستحسان والاعجاب ، وما زال الصديق نجاة قصاب حسن يتحف القراء بين الحين والآخر بهذا الخيز المرموق من الأدب الصحفي حيث يطرح الامثولة والرأي مقترناً بمخزون جيد من الخبرة والذكريات .

كما أنه موفق للغاية في لمحاته الناقدة وأقواله الناصحة في البرنامج التلفزيوني الذي تقدمه وزارة الداخلية ، فهو من الوجوه الدمشقية التي ترتاح إليها النفس وتتلقى ثمار أفكارها بالكثير من التقدير والتقبل ، إذ أنها نتاج خبرة طويلة بالحياة والمجتمع .

لن يفوتني في صدد خاطرتي عن الصديق نجاة قصاب حسن أن أذكر ما أعرفه عن والده المرحوم سعد الدين قصاب حسن ، وأن أفيه بعض حقه في بلده دمشق التي كان من بناتها الأوائل ، كان واحداً من معلمي البناء المهرة ذوي الخبرة الممتازة في تصميم وتنفيذ المنازل الدمشقية الأصيلة بمواد البناء المحلية كالأخشاب والآجر ، وهو فن معماري ممتاز يحتاج الى عقل هندسي يتقن توظيف هذه المواد وفقاً للحاجة والامكانات ، وقد مضى زمن هذا الفن أمام الخرسانة المسلحة ، ولكن نماذجه الدمشقية ما زالت موضع الدراسة والاعجاب حتى الآن ، بل هي جزء هام من تراث دمشق الحضاري ، كان البناء في الدور الشامية متنوعاً يحتاج الى غرف قبلية التي تدخلها الشمس لأجل الصحة ولا تحتاج لدخول الطبيب لها والى غرف نوم وغرف استقبال والى غرفة جلوس والى غرفة طعام والى صالونات كبيرة لاجتماعات أهل الحي والى حفلات الأفراح وكل منها تحتاج الى حجم معين من الخشب بطوله وقطره وعلو الأدراج الموصلة للغرف العلوية وعلو كل درجة منها لتكون مريحة وهذه لها أهميتها لأنها تستعمل من قبل الساكنين عدة مرات وللدرج أهمية كبرى في حياة الانسان وكان لها مثل قديم يقول أن الدرج منشار العمر يأكل على الطالع والنازل .

وكان معلم النجار عليه أن يشرف من الصباح الى المساء وليس كالمهندس يصنع المخططات للتنفيذ ويشرف عليها بعض الأحيان غير أن معلم النجارة عليه أن يشرف طول النهار وكان والده من ضمن أشهر المعلمين بدمشق وكان وجيهاً من وجهائها بالاجتماعات العامة والخاصة وفي حل الخلافات التي تنتهي بدون محاكم .

البَابُ السّابع :

أطبّاء دمشق

الباب السابع

أطباء دمشق

المشافي الانسانية . الجمعيات الناشطة للخير
يوم هاجم الثوار قصر العظم

من حق أطباء دمشق أن نخصهم بفصل خاص من هذه المذكرات يتحدث عن البدايات حيث كان عددهم لا يزيد عن أصابع اليد ، ويورد ما علق بالذاكرة من حسناتهم لأنهم جزء من تاريخ دمشق ، وقد كانوا من الصفوة حقاً ، وكانوا أيضاً ورثة لأخلاق الأجداد الذين استقرت الأمانة والاستقامة والدين في طباعهم ، ولم تصرفهم المهنة عن العمل الوطني والنقابي .

قلت أن عددهم في العقود الأولى من هذا القرن لم يكن يزيد عن أصابع اليد ، أما الآن فقد تجاوزوا الألف بكل الاختصاصات الحديثة وما زال عددهم يزداد ولكني آخذ عليهم التكدس في دمشق بالدرجة الأولى . . ففي بناء واحد في شارع الحمراء عدد من الأطباء يزيد على مجموع زملائهم في الحسكة أو القامشلي مع أن الجزيرة بحاجة إليهم وكذلك أبناء المحافظات النائية الذين حصلوا على تسهيلات في المجموع ودخلوا كلية الطب شريطة أن يعملوا في محافظاتهم غير أنهم استفادوا من الاستثناء وتجاهلوا الشرط وظلت محافظاتهم تفتقر الى خبراتهم .

من الأطباء الأوائل في دمشق الدكتور **حسني سبح** طبيب المرحوم الرئيس شكري القوتلي ورئيس مجمع اللغة العربية ، والدكتور **يوسف عرقتنجي** الذي كان مديراً عاماً للصحة ، والدكتور **مرشد خاطر** ، والدكتور **أحمد راتب** وهو جراح جيد ، والدكتور **شوكت موفق الشطي** رئيس جمعية الهلال الأحمر السوري ووالد الدكتور **إياد الشطي** وزير الصحة والدكتور **منيف العائدي** منشيء الكلية العلمية التي كان مقرها داراً قديمة واسعة شيدها عبد الله باشا العظم على الطريق المؤدي الى سوق البزورية ثم آلت بالشراء الى آل العائدي . ثم الدكتور الجراثيمي **أحمد حمدي الخياط** ، والدكتور **مصطفى شوقي** والدكتور **عبد القادر الزهراء** .

وكان الدكتور **عبد الرحمن الشهبندر** من أبرز أطباء دمشق في أوائل القرن إلا أن اشتراكه في قيادة الثورة السورية علم ١٩٢٥ عرضه للملاحقة فلجأ الى مصر وبقي هناك حتى عام ١٩٤٠ حيث عاد الى دمشق وتعرض للاغتيال على أيدي حفنة من الجهلاء المتعصبين لم يتأكد من كان وراءهم وقد امتنع قاتله عن ذكر الجهة المحرضة حتى وهو على حبل المشنقة .

هذه النخبة الممتازة كانت على كثير من الخلق والخبرة في ذلك الحين رغم أن الطب آنذاك لم يكن قد توصل الى المستوى الراهن من التقنية والتجهيزات ووسائل التشخيص والمعالجة ، ومع ذلك كانت الأمراض قليلة ولا أثر للتلوث : فالمياه نقية والهواء نظيف عليل ، وكل انسان حكيم نفسه ، إلا أنه بين الحين والآخر كانت تحدث الأوبئة كالجدري والكوليرا فتفتك بالناس بالجملة ، وكانت الأدوية المستوردة نادرة . ومعظمها كان يوصف بمقادير ليجري تركيبه في الصيدلية ، أما الآن فلم يعد الصيادلة ـ في الغالب ـ يتعبون أنفسهم بتركيب الدواء بل صاروا يقدمون الدواء الجاهز المركب من الخارج دون عناء .

ومن تجاربي مع الأطباء ، أنه حدث لي أنني أصبت في عام ١٩٤٠ بمرض الصدف وظهرت القشور بكثافة على رأسي ، ويدي حتى الكوع وعلى رجلي ، ونصحني الأطباء بمراجعة الدكتور فرعون الذي كانت في حوزته تجهيزات كهربائية ، فراجعته وبعد ثلاث جلسات اختفت القشور بضعة أيام فقط ثم عادت الى الظهور بكثافة أكثر بخمسة أضعاف مما قبل وراجعت أحد الأطباء فوصف لي دواء ونصحني بالاغتسال الطويل في مياه الحمة فداومت على ذلك عدة سنوات دون فائدة وأصبحت القشور على يدي من الكثافة بحيث

تشكل طبقة بيضاء أزيلها بالسكين قطعة واحدة ، وأصبحت أخجل من مقابلة الأشخاص ويدي في هذه الحالة فإذا ارتديت كفوفاً جلدية توهم الناس أنني آنف من لمساتهم ، وإذا أبقيتها ظاهرة تضايق الناس وقالوا كيف يسلم علينا وأيديه مريضة ملتهبة ؟ وإذا لم أمد يدي يقال كبر علينا وأصبح يأنف من رد السلام ، وبقيت على هذه المعاناة زمناً طويلاً .

راجعت الطبيب المختص بالأمراض الجلدية الأستاذ حنين سياج والأستاذ محمد محرم وغيرهما دون جدوى ، ثم ذهبت الى بيروت وقابلت الطبيب الاختصاصي جورج خبصة في عيادته بشارع المعرض فأعطاني حبوباً أذكر أن اسمها (سيفنيون) لمدة سبعة أيام فزال كل أثر للمرض ولما عدت إليه شاكراً رفض قبول أي مبلغ فرجوته استخدام المبلغ في معالجة المرضى الفقراء . وكان هذا الطبيب انسانياً للغاية ، ثم أخبرني بأنه لا يستطيع دعوتي لإعادة الدواء لأنه يؤثر على الدم وعلى الكبد ، ونصحني بسحب الدم من وريد الرجل الى وريد اليد ولكني لم أستفد من ذلك .

وسافرت الى انكلترا وفرنسا لمراجعة الأطباء وأخيراً أرشدوني الى طبيب عالمي فراجعته بواسطة الدكتور القيم نجل الطبيب شاكر القيم الذي كان من أشهر أطباء دمشق وقام الطبيب الفرنسي بفحصي عارياً ، ثم قال هذا المرض ليس له دواء ، فقلت له : إن أحد أطباء بيروت وصف لي دواء اسمه سيفنيون وزالت الأعراض بالمرة . ولكن دوام استعماله يضر بالكبد ، واطلع الطبيب الفرنسي على وصفة الدكتور وأخفاها لديه وقال أنه لم يسمع بهذا الدواء . واقترح ادخالي المستشفى لتجربة العلاج بالمراهم الجلدية فطلبت التأجيل وغادرته بعد أن استعدت وصفة الدكتور خبصة وسافرت الى جنيف حيث راجعت اختصاصياً بالأمراض الجلدية وكان جوابه كالطبيب الفرنسي وذكر أن الحكومة السويسرية خصصت جائزة مالية لأي عالم يجد علاجاً لهذا المرض .

وذهبت الى ألمانيا لمراجعة اختصاصي شهير يبلغ عمره تسعين عاماً فقيل لي أنه سافر الى الهند بمهمة طبية ، ووصف لي معاونه علاجاً يتألف من الحبوب والمراهم فرويت له قصة وصفة الدكتور خبصة فأكد أنه لم يسمع باسم ذلك الدواء وسافرت الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث راجعت اختصاصياً مشهوراً متقدماً في العمر فوصف لي بعض الحبوب والمراهم وأطلعته على وصفة الدكتور خبصة فسجل اسم الدواء ليسأل عنه في أمريكا وأكد أنه لم يسمع به .

وهكذا طفت أهم عواصم العالم لعلاج مرض الصدف ولم أصل الى نتيجة ، وبينما كنت مصطافاً في الزبداني أكثرت من تناول الفول الأخضر الطري المقلي بالزيت والفتوش بالباذنجان والخبز اليابس والزيت المقلي وبعد أربعة أيام اشتدت ظاهرة الصدف فشعرت أن تجدد المرض يعود الى الزيت المقلي مباشرة وصح ظني حينما توقفت عن تناول هذا الزيت الذي يتعب الكبد فاختفت القشور ولم يمض عام على الامتناع عن الزيت المقلي حتى برىء رأسي ويداي من قشور الصدف وأصبحتا ناعمتين كالعادة ونجوت نهائياً من تلك الآفة المربكة .

ولم أعد أتناول زيت الزيتون المقلي اطلاقاً ، وأتجنب كل طعام يتعب الكبد وقد رويت ذلك للصديق الاستاذ موفق الشربجي وزير المالية السابق خلال زيارتي له عندما سألني كيف عالجت مرض الصدف فكان عجبه كبيرا .

نبذة عن بعض الأطباء القدامى

أعود الى أطباء دمشق ولنا بينهم معارف وصداقات وعلاقات تعاون اجتماعي ولكني أبدأ بطبيب قديم إيطالي الأصل اسمه ورديشان كانت عيادته في عام ١٩١٢ صيدلية عند مدخل سوق الحميدية وكانت له شعبية كبيرة عند الناس ويقصد من يطالبونه بالفحص في منازلهم راكباً على بغلة كانت عنده لعدم وجود وسائل أخرى للنقل .

وأذكر المرحوم الدكتور **عبد القادر زهراء** في (السفربرلك) أي الحرب العالمية الأولى من عام ١٩١٤ الى عام ١٩١٨ ، وكان في الوقت ذاته ضابطاً ذا رتبة عالية في الجيش وكانت عيادته في جانب من دكان والده النجار الكائنة أمام دار محمد فوزي باشا العظم والد السيد خالد العظم رئيس الوزراء الأسبق (هذه الدار التي أصبحت الآن متحف المنزل الشامي ومركز الوثائق التاريخية) . وبلغ من احترامه لوالده أنه كان يأتي الى دكانه وهو بكامل زيه العسكري وأوسمته ورتبته وينحني أمام والده ويقبل يديه وحتى رجليه ، ثم يدخل الى عيادته حيث يجد المرضى بانتظاره ، ولم يكن يتناول من أحدهم إلا أجراً زهيداً ، وأكثرهم لا يدفع ما يسمى (دس المفصل) أي جس المفصل وهو أول ما يفعله الطبيب عند

عده نبض المريض في الكشف العادي لأنه في ذلك الحين لم يكن هناك تصوير ولا تحليل بل يكتفي الطبيب بفحص اللسان والاستماع الى نبض القلب بالأذن أو بجس المفصل كما قلت حيث عروق الرسغ تنبض بوضوح .

وفي عصرنا كثرت التحاليل كتحليل البول والدم والغائط وكثر التصوير ، تصوير القلب والدماغ والعظام والخلايا ، وكل من التحاليل والتصاوير يتطلب كثيراً من المال ومن أين يأتي الفقير بهذه التكاليف التي يضيق بها حتى القادر الميسور ؟

كان الدكتور عبد القادر زهراء صديقاً حميماً لوالدي ، وحدث أن أصيب والدي المرحوم سليم الشلاح بأوجاع في قدميه فنصحه بعض الأطباء بوضع قدميه في الماء الساخن وازداد الوجع ، وعندما فحصه الدكتور زهراء وصف له الماء البارد فارتاح واختفى الألم وهكذا كان العلاج تجريبياً ويتراوح من البارد الى السخن وأذكر نكتة قالها طبيب دعوه صباحاً فوصف ثلجاً على رأس المريض فلما ساءت حاله دعوه ظهراً فوصف ماء ساخناً فلما تساءل أهل المريض قال لهم ألم يتقدم الطب من الصباح الى الآن ؟ وأذكر أيضاً أن ولدي الدكتور راتب كان في المدرسة الابتدائية ورغم صغر سنه آنذاك كان يعمل في عطلته على آلة تلصق الغطاء بالكاوتشوك ، وحدث أن يده علقت تحت المكبس الحار الذي تزيد حرارته عن المائة ولما حضر من يرفع المكبس كانت يده كالعجينة من شدة الحرارة وبقي عدة أيام يراجع الطبيب نظمي القباني والطبيب الفرنسي لوسركل في المشفى الوطني لمعالجة يده . ولا يستطيع النوم من الألم . وبعد أسبوع أخبرني الدكتور نظمي القباني أن قراره هو ولوسركل وجوب بتر الكف والأصابع ، وبلغ ذلك الدكتور عبد القادر زهراء فرفض هذا القرار واستمر في معالجة يد راتب حتى شفيت تماماً . وكان ولدي راتب يتردد أيضاً على الشيخ عبد الكريم الأوي ويعتقد بصلاحه وامكاناته ، وهذا نوع من الطب النفسي بالإيحاء الى جانب الطب الجسدي وكان الناس يعتقدون به ويبالغون في ذلك أيضاً . وهكذا والحمد لله سلمت يده.

وكان الدكتور **اسماعيل عزت** والده عزت بك ضابطاً في الدرك السوري ولا زال له زميل طبيب بالدرك من الأطباء المعروفين آنذاك وقد أصبح طبيب العائلة وأذكر عيادته التي كانت في سوق غازي في باب البريد وبين حين وآخر كان يزور العائلة ويقوم بفحص الجميع والأولاد ، ولم تزد تعرفة الكشف عنده عن ثلاث ليرات سورية بينما كان الآخرون

يتقاضون ثلاثة أضعاف هذا المبلغ . ولكن الثلاث ليرات كانت تشتري أكثر من مئة ليرة في هذه الأيام .

والطبيب **أديب الجعفري** خريج جامعة استنبول كانت عيادته في داره في حي ما بين الصورين ، وقد تزوج جدي المرحوم رشيد الشلاح شقيقته وساعده في السفر الى استانبول لاتمام تحصيله ، فلما عاد مارس الطب في دمشق ومن بعده برز ولده الدكتور أحمد أديب الجعفري الذي تابع المهنة في عيادة والده ، وكان ناجحاً وموفقاً .

من الجيل التالي برز الدكتور **منير شورى** وأحرز سمعة ممتازة ومركزاً اجتماعياً مرموقاً ، وكان والده صيدلياً مشهوراً في حي المهاجرين وقد أطلق اسم شورى على المنطقة التي كانت فيها صيدليته في بداية ذلك الحي ، وكان عضواً في بلدية دمشق عدة أعوام ، كما أن عمه كان من قدامى الأطباء وله عيادة في سوق مدحت باشا وخلفه ولده أنور شورى الذي توفي في شبابه .

وكان الدكتور **الغبرة** من الأطباء الأوائل وعيادته في أول زقاق المحكمة داخل أسواق دمشق القديمة وأذكر أنني أصبت بحزقة بعد الطعام وراجعت عدة أطباء ولم أستفد إلا لديه .

وما زال الدكتور **موفق المالكي** من أشهر أطباء الجهاز الهضمي ، وأحرز سمعة طبية ممتازة وثقة كبيرة وما زلت ألجأ إليه حتى الآن ولا يزال يزاول المهنة ، وتخرج ولده الدكتور **معن المالكي** بتفوق من فرنسا ، ويعمل الآن شريكاً في مستشفى دار الشفاء مع مجموعة محترمة من زملائه الأطباء أذكر منهم السادة **محمد القلعي** ، **سعيد درويش** ، **نادر توكل** ، **فرزت نشاوي** ، **عبد الستار عدي** ، وهو من أرقى المستشفيات الخاصة في دمشق ، وعلمت أن إدارته تخفض فاتورة المريض الفقير أكثر من /٢٥/ بالمائة .

والمرحوم الدكتور **حسني سبح** أشهر من أن يعرف ، وكان طبيباً خاصاً للرئيس شكري القوتلي والشيخ تاج الدين الحسني ، كما كان عضواً بارزاً في مجمع اللغة العربية ثم رئيساً للمجمع حتى نهاية حياته حيث تجاوز التسعين ولم يفتر نشاطه ولم تقعد به السن العالية ، وقد أنجب المهندس الأستاذ نصير سبح المدرس في جامعة بيروت الأميريكية والطبيب المعروف أنس سبح الذي يتمتع بسمعة وثقة جيدة في المجتمع .

ويوصف الدكتور **عزة مريدن** بانه طبيب قرن كامل ، اشتهر بتضلعه الطبي وعلمه ومكانته ، إضافة الى أستاذيته في كلية الطب وثقافته ولغته واتسعت علاقاته الاجتماعية بحيث كان الطبيب الخاص لجميع الأسر الدمشقية ، وكان والدي المرحوم سليم الشلاح يثق به ويركن اليه ، أما شقيقه الدكتور **موفق مريدن** الاختصاصي في الأمراض العظمية فكان بدوره مثالاً للعلم والأدب والمهارة الطبية ، وما زال الشقيقان الكريمان يعملان في عيادة واحدة .

وكانت عيادة الدكتور **جميل الكواكبي** في جادة نوري باشا ، وقد اشتهر بالمعاملة الرقيقة ومؤانسة المريض وزيارته في داره . وكان قنوعاً وتوفي في سن مبكرة وكانت دراسته في كلية دمشق ولم يتخصص في اوربا وهو من حلب من عائلية أصيلة وعريقة وكان يهوى الآثار واستمرت هوايته في العائلة .

ويعد الدكتور **شوكت الشطي** من أذكى الأطباء وأوسعهم علماً ، وقد أهداني كتابه (الطب في الاسلام) ويتألف من جزئين زاخرين بالمعلومات الطبية والتاريخية وكان من مؤسسي جمعية الهلال الأحمر السوري التي ما زالت أياديها البيضاء حتى الآن، ومن انجازاتها مشفى الهلال الأحمر في دمشق.

ويتقلد ولده الدكتور **اياد الشطي** وزارة الصحة الآن وقد اشتهر بتضلعه في طب الأورام الخبيثة والتحليل المخبري وله مكانة رفيعة في بلاده ، وقد تخرج شقيقه أيضاً الدكتور راكان الشطي طبيباً بتفوق .

وأنا لا أنسى الدكتور **صبري القباني** الذي كان رفيقي في الدراسة الابتدائية وهو من مشاهير الأطباء المعروفين بصواب الفطرة فكان يفهم حال المريض منذ يراه ولا يخطىء في تشخيصه وقد عمل طويلاً في العراق ثم عاد وفتح عيادة في السنجقدار وتولى في أول الخمسينات برنامج (طبيبك وراء المذياع) وأصدر مجلة (طبيبك) التي تصدر حتى الآن وعدداً كبيراً من كتب الطب والصحة المعدة لقراءة الناس وتثقيفهم حتى توفي في بيروت رحمه الله ، وخلف وراء ابنه الدكتور **سامي القباني** من أكبر أطباء القلب الآن ورئيس لمستشفى أمراض القلب الحكومي .

وما زالت القائمة تشمل عدة أسماء كالدكتور **مسلم البارودي** الذي استشهد خلال العدوان الفرنسي على دمشق والدكتور **ثريا فوق العادة** طبيب الأطفال وكانت عيادته في جادة البحصة وراء جامع الطاووسية .

والدكتور **صهيب العطار** وغيرهم ، وعذري لمن غاب عن ذاكرتي ان الزمن تباعد والصفحات ضاقت ، وما زلت بعيداً عن أنصافهم .

تلك فئة خيرة كريمة من أبناء دمشق تألفت منها بدايات الجسم الطبي وكانت تحمل ذخيرة جيدة من الحس الانساني والرأفة بالمريض والتعاطف مع الفقير ورغم قلة التجهيزات التكنولوجية في تلك الفترة كانت خبرتها وتجربتها تعوض هذا النقص الى حد بعيد ، كما أن الثقة بها كانت عوناً على الشفاء .

وممن لمع ذكرهم خلال العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين الدكتور **حسن العجلاني** من أطباء دمشق ، واشتهر بالمهارة وجودة التشخيص ، وهو نجل الوجيه المرحوم محمد علي العجلاني وشقيق الدكتور منير العجلاني ، ولكنه يميل الى العزلة ويتجنب الاختلاط بالناس ودخول المجتمعات .

واذكر الدكتور **محمود البارودي** وكانت عيادته أمام طاحونة الحلوانية بشارع الملك فيصل ، وهو شقيق التاجرين رشيد وكامل الباردوي من تجار خان الباشا ، وعرف بدقة وصفاته ولكن حظه قليل .

ومن أشهر أطباء الأسنان كان المرحوم **حلمي الدرويش** وقد عرف بأنس المعشر وظرف المجالسة ، وسكنه الأول في حارة النوفرة ، ثم انتقل الى أول منزل في حارة قولي بسوق ساروجة ، وله عيادة معروفة خلف حمام القيشاني المعروف بسوق القيشاني المختص بتجارة المطرزات ، وتخرج ولده أيضاً طبيب أسنان وهو الدكتور **نظمي حلمي الدرويش** .

والدكتور **مصطفى الحاج ويس** هو نجل تاجر في سوق البزورية ، وعندما تخرج طبيباً سافر الى العراق حيث قضى حوالي عقدين ثم عاد الى دمشق حيث مارس الطب أيضاً واذكر ا نه روى لي حادثة جرت معه في بغداد ، حيث راجعته سيده تشكو من ألم في أذنها ولدى فحصها تبين انه لا يوجد سبب لهذا الألم . وأخبرها ان هذا العارض لا أساس له ، ولكنها عادت بعد مدة لتكرر له أنها ما زالت تشعر بالألم نفسه فقال لزوجها انها تحتاج الى عملية وأدخلها الى غرفة الكشف واجرى لها تخديراً ثم وضع على اذنها ضماداً مربوطاً . ولما أفاقت أوهمها أنه نفذ العملية فصدقت وزال عنها الألم أكثر من عام، وبعد ذلك صادف

زوجها وتباسطا في الحديث فأخبره أنه لم يجر لها أي عملية ، وأن الألم مجرد وهم . ولما عاد الزوج الى منزله وفاتح زوجته بالحقيقة عاودها الألم فوراً وتجدد وسواسها .

ومما يذكر أن الطبيب **محمد علي الخياط** من أطباء العقدين الثالث والرابع سافر الى بغداد أيضاً وقضى فيها ردحاً من الزمن بممارسة الطب ثم عاد الى دمشق . وصادف مرة انه وزع أوراقاً مطبوعة على الناس حذرهم فيها من التقبيل عند التحية وعدد مخاطر العدوى ، وحمل الى محلنا ورقة منها ليعلقها في محلنا التجاري ، لأنه يعلم أن شقيقي شفيق جعل التقبيل فرضاً على كل من يحضر ، فما كان من شقيقي إلا أن قبل الدكتور الخياط وقال له أن عملك يستحق القبلة وهنا انتزع الدكتور الورقة المطبوعة وقال انها لا تمشي في هذا المحل .

وقد أشرف الدكتور الخياط على علاجي خلال اصابتي بالحمى اثر حادثة مهمة ، ففي عام ١٩٤٢ اشترى لنا والدي المرحوم سليم الشلاح ثلاث قطع أرض من بساتين حي الشاغور من المرحوم المرابط بسعر /١٢٠/ ليرة عثمانية ذهبية للفدان ، واضطررت لبيع البضائع الموجودة في محلي بسعر ناقص (١٥ ـ ٢٠) بالمائة لتسديد القيمة وعندما وصلت المعاملة الى السجل العقاري تغيب البائع وأرسل إلينا خبراً بأنه عدل عن البيع ، فغضب والدي وطلب مني إقامة الدعوى على المرابط فلم أوافق ، ولكنه بحث مع المحامي وديع البيطار وكان من ألمع المحامين فقال له أن هذه الدعوى خاسرة ولكنها تربح تعويضاً عن العطل والضرر بحدود عشرة آلاف ليرة سورية ، ولكنها إذا أقيمت أمام المحاكم الأجنبية تكسب حكماً بتسجيل العقار . وكان المحامي وديع البيطار ناقماً على المرابط لأسباب اخرى ، أما والدي فقد أصر على إقامة الدعوى لدى المحاكم الأجنبية لكي نفوز بالأرض المشتراة . ونظراً لتشبثي بطاعة والدي اضطررت تحت تأثيره لإضافة نص على العقد يجيز اللجوء الى المحاكم الأجنبية ، إلا أن محامي الخصم السيد الشهابي اكتشف ان العبارة المضافة كتبت بحبر مختلف ، وأقيمت علينا دعوى تحوير العقد ، وخلال هذه الأزمة أصبت بالحمى ومنعني المحامي سعيد محاسن من حضور المحكمة فقررت السفر الى الحج ، إلا أنني شفيت من السخونة العالية في درعا ـ وعدت الى دمشق حيث اتفقنا مع محامي الخصم لسحب الدعوى مقابل التنازل عن الأرض المشتراة ودفع خمسين ليرة عثمانية ذهبية مقابل أجور المحامي ومصاريف الدعوى وهذه ورطة كان سببها أصرار والدي على انجاز صفقة

الأرض وخضوعي لرأيه طلباً لرضاه هذا مما نحتمله لكسب رضاء الوالدين . ومع هذا لم أندم .

وكانت عيادة الطبيب **منيب الجابي** في شارع الدرويشية عند حمام الملكة الشهير الذي زال من الوجود ، وشيدت مكانه عمارة حديثة خلف القصر العدلي . وكان الجابي طبيباً ناجحاً للأمراض الجلدية ، وعندما أصبت بعارض من هذا النوع نصحني بخلع أسناني وتم ذلك على يد الدكتور **شفيق شحادة** وأدى فعلاً الى زوال العارض الجلدي ، وعلى الأثر صنع الدكتور شحادة لي طقم أسنان وذلك في عام ١٩٣٦ ما زلت استعمله حتى الآن براحة تامة .

والدكتور شفيق شحادة هو نجل التاجر أحمد شحادة المعروف في سوق البزورية بخان السبيعي وشقيق الدكتور المرحوم **امين شحادة** ، وحفيد الحاج يوسف بيضون عميد آل بيضون ومن أبرز تجار بيروت ، الذي أسس المدرسة اليوسفية وأنجب خمسة أولاد أولهم الحاج محمد يوسف بيضون والثاني حمزة أبو العباس والثالث رشيد والرابع والخامس نسيت اسميهما .

وما زال الدكتور شفيق شحادة حياً ولكنه ملازم داره منذ سنوات عافاه الله .

واذكر أن والدي زاره بصحبة الصديقين القاضي حمدي بك الشلق وعبد الحميد باشا القلطقجي وعندما فتح الباب رؤي الشيخ سعيد وهو يصف الليرات الذهبية على الطاولة فلما رآهما غطاها بالبشكير .

ولا أنسى أن أذكر الطبيب الناجح والانساني والاجتماعي اللبق الدكتور **عبد الله المحروس** طبيب الأسنان الشهير الذي توفي وهو لا زال بسن مبكر بعد أن ترك سمعة عطرة وترك أجمل تركة لدمشق بأن أنجب وربّى علماً وقاداً وغالياً وهو ولده الدكتور **لؤي محروس** الذي هو مثال الشباب المثقف الناجح المحبوب ومن أعلام أطباء العيون في دمشق .

أنتقل الى الدكتور **ابراهيم الساطي** وهو جراح معروف كانت له عيادة في مدخل حارة داور آغا ، وكان حريصاً على قبض أجرة الكشف (دس المفصل) سلفاً قبل أن يتحرك ، وهي ليرة عثمانية ذهبية ، مع شرط آخر هو نقله في عربة الى دار المريض . وقد

اشتهر الدكتور الساطي بالبدانة الزائدة وبلغ وزنه /١٦٠/ كيلوغراماً ، ولم يكن يعادله في بدانته آنذاك إلا معلم طيان يدير ورشة عمال ، وكان يجلس بالمقهى على مقعد خاص به يتسع لجسمه المستفيض واسمه أبو جميل الطيان .

وجرت نادرة لطيفة مع غلام ذكي أمسك به شرطي السير لركوب الدراجة باتجاه مخالف ، ولما سأله عن اسمه أجابه (ابراهيم الساطي) فسجل الشرطي الضبط بهذا الاسم وأحيل الى المحكمة التي أرسلت تبليغاً الى الدكتور الساطي للمثول أمامها ، وذهل القاضي عندما رأى أمامه رجلاً بديناً ذا حجم هائل لا يمكن أن تحتمله دراجة وتبين أن الولد المخالف خدع الشرطي وأعطاه اسم رجل هو أبعد ما يكون عن مثل هذه المخالفة .

وبعد هذه الحادثة صدر تعميم لحمل البطاقة الشخصية . ولكن للأسف فإن مخالفة السير على البسكليت والطنبر والدابة كانت موجودة منذ أكثر من ستين عاماً وبزماننا غير مطبقة وقد قابلت المسؤولين ورجوتهم تطبيق نظام السير على الطنبر والبهيم والبسكليت ولكن دون فائدة وإذا صار حادث يتحمله صاحب السيارة وقد تم مخالفة البسكليت والطنبر على مشهد من السواح ويالللأسف !

وله شقيق طبيب مختص بالأمراض الداخلية هو الدكتور سامي الساطي ويقل بدانة عن أخيه الدكتور ابراهيم . وهناك شقيق ثالث صيدلي كان محله بجوار جامع السنجقدار ، وأتى عليه حريق السنجقدار المشهور في عام ١٩٢٧ فانتقل الى حي سوق ساروجة قرب صيدلية مسعود وبجوار مدرسة القطط . وأمامه كان هناك فاكهاني مشهور عند مدخل حارة المفتي يدعى أبو مستو الكوسا ، وقد عرف بجلب أجود الفواكه ، ولديه مجموعة عنزات يرسلها مع ولد لترعى في البساتين القريبة وفي المساء تبيت في قميم حمام الجوزة ، وفي الصباح يبيع حليبها . وأذكر انني كنت في محله أقبض قيمة العنب فجاءت فتاة صغيرة لا يزيد عمرها عن /٨/ سنوات وفي يديها صحن من الألمنيوم وطلبت من أبي مستو أن يعطيها نصف رطل من الحليب فاستغرب طلبها لأن هذا القدر من الحليب لا يتسع له إلا وعاء كبير ، فسألها من الذي أرسلك قالت أمي وسألها أين جدتك أجابت إنها ذهبت الى بيت عمي فقال لها قولي لأمك البيت الذي ليس فيه كبير ما له تدبير ، هذا الصحن لا يتسع للحليب ، ولا بد أن ينكب على الطريق ولا سيما أنني لابسة قبقاب

والأرض غرزة أي مرصوفة بالبحص فلا يصل من الحليب شيء . وهكذا انتقلنا من قصة الى قصة لأن الشيء بالشيء يذكر .

من ذلك الجيل من الأطباء الدكتور **رضا العطار** نجل المرحوم حسن العطار سليل أسرة اشتهرت بالعلم ، وظل معظم الوقت طبيباً في بلدته دمشق ، واستأجر داراً في الدخلة التي تتصدرها دار المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسف ، ثم اشترى محضراً في الفترة الأولى من نشوء حي الجلاء (أبو رمانة) وشيد عمارة أمام السفارة الامريكية ، وشغل شقيقه المرحوم أنور العطار مناصب مرموقة في وزارة الخارجية ووصل الى مرتبة وزير مفوض ، وكان شقيقه الآخر السيد سهيل العطار موظفاً في وزارة الأوقاف ، والشقيق الرابع السيد بشير قضى حياته الوظيفية في شرطة محافظة دمشق ، والشقيق الخامس شغل مركزاً جيداً في وزارة الصحة .

وكان الدكتور **رشدي الطرزي** طبيباً لامعاً وتجمعنا صداقة حميمة ، وكنت مع صهري المرحوم عثمان الشحرور نزوره بباعث الود والمؤانسة . ولم يولد له غير ابنة وحيدة تزوجت من السيد محمد آصف قباني نجل الدكتور نظمي القباني وحفيد السيد مصطفى القباني أحد رؤساء جميعة الاسعاف الخيري ، وكان محاسباً للمعارف وترأس محفل قاسيون .

اذكر أيضاً الدكتور **طاهر الرجولة** وكانت عيادته في صف الأبنية المقابل لقلعة دمشق وعرف بمعالجة كل الحالات وملاطفة المرضى . وقد أنجب ولدين أولهما الدكتور مأمون وهو أستاذ في الجامعة في مادة الزراعة ، والثاني الدكتور بشار وهو طبيب تحاليل طبية . كما أنجب خمس بنات تزوجت إحداهن من المرحوم رشدي التيناوي والثانية من المرحوم توفيق الكوسا والثالثة من المرحوم فائق التيناوي والصهر الرابع هو الأستاذ هشام الصفدي الذي يقطن في عمان منذ زمن طويل ويعمل في عالم المصارف والأموال ، والأخير هو السيد زياد تفاح الذي يعمل مخرجاً في القطر المصري الشقيق .

ومعرفتي بالمرحوم رشدي التيناوي وفائق التيناوي قديمة منذ أن كان المرحوم رشيد يعمل في وزارة الإعاشة في أوئل الأربعينات وكان مشهوراً بنزاهته وجديته واستقامته .

والحقيقة أن عائلة التيناوي كانت تتميز بالتقى والورع والاستقامة حيث كان عميد العائلة أبو جميل عنده محل لتحميص القضامة والمكسرات في شارع فيصل ومن ثم تفرغ بعض الأولاد وعملوا في البلاط وفي البناء وأسسوا معملاً لهم في بغداد . وكانت علاقتنا مع المرحوم صبحي أبي هيثم وأخيه الموجود الحاج بدر الدين علاقة صداقة ومحبة قوية جداً .

أما المرحوم توفيق الكوسا فقد كان تاجراً نشيطاً جداً ومليئاً بالحيوية والاقدام فلم يترك بلداً إلا عمل فيه ولا تجارة إلا طرقها وصال فيها وجال كما أنه أسس عدة مشاريع صناعية رائدة في سورية مع مجموعة من الشركاء المرموقين هم السادة : بشير الحبال وأنور القبسي والحاج محمد علي سكر وغيرهم .

أما الدكتور **سعيد الرجولة** فقد جمع بين الطب والعمل الزراعي .

وكان المرحوم الدكتور **اديب سردست** من أطباء العيون المعروفين وعيادته بجوار جامع السنجقدار قرب عيادة الدكتور طاهر الرجولة ، وأذكر أنني راجعته في عام ١٩٣٩ لفحص عينيّ بمناسبة تجديد شهادة السوق . وكان ممدوح السيرة ذا سمعة جيدة ، وتولى ولده السيد نزار سردست منصباً في وزارة الاقتصاد ، واختير لوظيفة مدير غرفة تجارة دبي ولكن وزارته لم توافق على إعارته ثم وافقت الجهات المسؤولة فيما بعد وما زال حتى الآن مستشاراً لغرفة تجارة دبي يعتمد عليه الرئيس وجميع الأعضاء ، ومن وقت قريب توفيت والدته وحضر دفنها وقبول التعزية بها رحمها الله . .

حمدي وهبة الأدلبي

من أبرز أطباء دمشق الدكتور **حمدي وهبة الأدلبي** من مواليد عام ١٨٩٩ ومن القلة السباقة الى التخصص بأشعة رونتنجن والأمراض النسائية، وقد أتيح له منذ البداية تلقي العلم في المدرسة الانكليزية بحي القصاع ثم انتقل الى الدراسة الثانوية في الجامعة الامريكية ببيروت ، ولحسن حظه استطاع خلال الحرب العالمية الأولى الذهاب الى المانيا لدراسة الطب في جامعتي جيسن وهايدل بيرك ، وعاد الى دمشق في عام ١٩٢٧ ، وهو

يحمل الاختصاص في أشعة روتنجن والأمراض النسائية وافتتح عيادته المعروفة في طريق الصالحية .

ولا يمكن للدمشقيين حينما يرد ذكر المرحوم حمدي الأدلبي إلا أن يذكروا أباه الروحي ومربيه الكبير وزوج والدته خورشيد بك المصري فهو رجل نادر أصبح اسمه جزءاً من تاريخ دمشق .

كان خورشيد بك أهم عضو في أول بعثة أرسلها الى المانيا الخديوي توفيق للتضلع في هندسة الري ، وتخرج في عام ١٨٧٥ بتفوق وعاد الى مصر مرفوع الرأس واستلم مهام مشروع القناطر الخيرية ، وفي عهده تم إنشاء الرياح التوفيقي ، وكانت له قطعة أرض في مصر القديمة أمام كوبري الملك الصالح فأقام عليه مزرعة أطلق عليها اسم نخل خورشيد وشيد مساكن للناس .

اشتهر خورشيد بك بالقوة البدنية والممارسة الرياضية ورفع الأثقال ، وكان يمشي المسافات الطويلة ويقوم بالعمل اليدوي مع عماله وهو يرتدي ملابسهم ، واشتهر بمحاربة التدخين وشرب الخمر وكان يزيد أجر كل عامل يقلع عن التدخين ، كما عرف بالعطف على العميان الذين لا عائل لهم . فدأب على تعليمهم مهن صنع السلال ونقل الماء وأجرى لهم مرتبات ثابتة .

وكان خورشيد قوي الشخصية يتمسك بحرية الفكر واستقلالية الرأي فاختلف بشدة مع المستشارين الانكليز وتصادم معهم أكثر من مرة ، وما لبث أن غادر مصر الى بيروت حيث أنشأ على شاطىء البحر قصراً وبستاناً رائعين وكان يوزع الصدقات على الفقراء يومياً .

وصادف أن خورشيد بك زار دمشق في عام ١٣٢٢ للهجرة وكان الوالي العثماني ناظم باشا بحاجة الى المال لتجهيز ابنته في استنبول فعرض قصره المشهور (القصر الجمهوري حالياً) وأعجب خورشيد بهذا القصر الدمشقي واشتراه من ناظم باشا بعد أن نافسه عليه آل العظم وآل الشمعة ولكنه تمكن من شرائه بستة آلاف ليرة عثمانية ذهبية ولما علم أن منافسيه دفعوا أكثر من ذلك ، قدم ألف ليرة أخرى في صرة من الأطلس وقدمها لناظم باشا على أنها نقوط لكريمته بمناسبة زفافها في استانبول .

وهكذا استقر خورشيد بك في دمشق ، ولما كان بالغ النشاط وشديد الرغبة في العمل زار حوران فأعجبته أرض كبيرة في قريتي بويضان وبلي ولمس شدة خصوبتها فقرر إنشاء مشروع زراعي فيها ، وسرعان ما باشر بحفر آبار ذات فوهات كبيرة ما زالت موجودة حتى الآن ، واستورد من المانيا قساطل فولاذية بقيمة /١١/ ألف ليرة عثمانية ذهبية لتكون شبكة ري المشروع ، ولكن السلطة العثمانية استكثرت هذه الكمية عند وصولها فوضعت اليد عليها ، وعطلت المشروع .

ولما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حاول خورشيد بك استئناف مشروعه فرهن قصره بالمهاجرين على خمسة آلاف ليرة ذهبية ، وعاد الى حوران لتأمين مستلزمات المشروع وبناء مرافقه ، وما كاد ينتهي من العمل حتى حدثت فتنة مفاجئة وتم خلالها تخريب تلك المنشآت .

هنا أسقط في يد خورشيد بك ولم يعد قادراً على عمل أي شيء ، فاستدعى ربيبه الدكتور حمدي الأدلبي وأوكل إليه توفير المال لفك الرهن عن القصر . وكان الدكتور حمدي شديد الامتنان لأبيه الروحي بالغ الاعتزاز به فعكف على العمل المرهق للوفاء بالديون وفوائدها طوال سنوات حتى استخلص قصر خورشيد بك وأصبح ملكاً خالصاً له ولأسرته .

وفي عام ١٩٣٦ عند اضراب لـ ٥٦ يوماً حين اضربت دمشق ضد فرنسا وكذلك أضرب أهالي دمشق عن الركوب في الترامواي وصارت تنتقل مشياً على الأقدام وكان خورشيد يلف جبته وراء ظهره ويحمل عصاه ويمشي على رجليه من المرجة الى آخر المهاجرين حيث منزله .

وفي عام ١٩٣٩ وافت خورشيد بك المنية بعد أن تجاوز المائة عام فرثته الصحف السورية والمصرية ، وقالت الأهرام أنه أكبر مهندس ري أنجبته مصر في القرن التاسع عشر وأشهر معمر مصري وشرحت سيرته بإسهاب .

وأطلق اسم خورشيد بك على الساحة الأخيرة في نهاية حي المهاجرين وعلى الجادات المجاورة .

أما قصر خورشيد الذي ظل حتى وقت قريب ملكاً لأسرة الدكتور حمدي الأدلبي فهو من معالم دمشق البارزة ، فيه توج الملك فيصل الأول وأقام فيه الرئيس شكري

القوتلي ، وفيه تم في عام ١٩٢٩ زفاف الدكتور حمدي على ألفة عمر باشا ، وهي الأديبة المعروفة والقاصة الموهوبة المعروفة ألفة الأدلبي وأنجبا ذكرين وانثى وهم الدكتور زياد المتخصص بإدارة الأعمال ومدير شركات رفيق السعيد والأستاذ ياسر المتخصص في الحقوق من جامعة أوكسفورد وكان زميله ولدي الدكتور راتب في مدرسة برمانا ومن ثم في جامعة أوكسفورد حيث عمل بالتعهدات في دمشق ثم غادرها ليعمل وينجح نجاحاً باهراً في عُمان وهو الآن مقيم في باريس. وللدكتور حمدي ابنة اسمها ليلى وهي قرينة الدكتور زهير الشطي.

أما قصر خورشيد الجميل فما زال حتى الآن تابعاً لرئاسة الجمهورية ، وفي قاعته الرئيسية يحتفل باستلام أوراق اعتماد السفراء ، وتبلغ مساحة حديقته عشرة آلاف متر مربع ، ولا ريب في أن قيمته العقارية تصل الى مئات الملايين بأسعار اليوم ، ولكنه استملك لصالح الدولة . . .

توفي الدكتور حمدي الأدلبي في آب ١٩٧٨ مأسوفاً على مواهبه وسيرته .

جمعية مستشفى المواساة

وراء المشافي الكبيرة في دمشق ، تكمن جهود وهمم أصحاب الخير والمروءة من أبناء هذه المدينة الأصيلة ذات التاريخ المجيد ، وحينما أوقظ ذاكرتي جيداً أستعيد بدايات المشروع الذي أصبح الآن ملاذاً لآلاف المرضى يأوون اليه ويلتمسون الشفاء ، وهو مستشفى المواساة .

أذكر أنني كنت عضواً في الوفد السوري الى اجتماع الاتحاد العام لغرف التجارة العربية الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٥٣ ، واشتمل برنامج المؤتمر على زيارة مستشفى المواساة في الاسكندرية فشاهدت في هذا المستشفى من صور التقدم الطبي والعناية بالمرضى ما أثار اعجابي.

وكان والدي ينوي إقامة مستوصف من ماله الخاص واشترى قطعة أرض في منطقة عين الكرش لهذه الغاية اسمها بستان شامو، ثم انضم إليه لفيف من وجوه دمشق ولدى دراسة المشروع تبين أن الأرض المذكورة التي لا تزيد مساحتها عن ٢٥٠ قصبة أي ما يعادل ستة آلاف متر مربع ـ لا تكفي، وعلى الأثر قابل وفد من هذه الجماعة المرحوم الأستاذ سعيد الغزي رئيس الوزراء آنذاك وطلب استملاك عدة محاضر مجاورة للأرض المذكورة، وبالفعل صدر قرار الاستملاك المطلوب غير أن أصحاب الأراضي المستهدفة اعترضوا على القرار بحجة أنه مخالف للدستور الذي لا يجيز الاستملاك إلا لمصلحة النفع العام العائد للدولة وما لبث أن صدر قرار بإلغاء الاستملاك وتعطل المشروع. . .

ومال والدي الى إقامة المستوصف على أرض يملكها في شارع سليم الشلاح الذي يحمل اسمه ، ولكن مجلس إدارة جميعة المواساة التي شكلت لإقامة المشفى المطلوب اشترت من المرحوم نوري الايبش قطعة الأرض ، حيث يقوم الآن مشفى المواساة ، ثم توقف المشروع بعض الوقت بسبب ضآلة التبرعات، وشاء القدر بعد ذلك أن تتقدم أسرة الرباط بمبلغ هام للمشروع اثر حادث مؤسف ملخصه أن الشاب عبد الغني الرباط عاد من اليابان وقد جمع ثروة طائلة ، وأراد أن يتنزه في بيروت ولكن الأجل وافاه غرقاً وهو يسبح في البحر

وبعد تشييع جثمانه في دمشق أعلن شقيقه عبد الهادي الرباط أن الأسرة تبرعت بمبلغ من ثروة المرحوم عبد النبي لمشروع المواساة وهكذا أنقذ المشروع وتم انشاء المبنى الرئيسي للمشفى بأموال تجار سوريين .

ثم تبين أن الجمعية لا تستطيع وحدها استكمال وتوفير متطلبات المشروع وتحمل نفقات تشغيله ، فآل المستشفى الى وزارة الصحة التي نفذت التوسعات في الأبنية والأجنحة والعيادات والمخابر ، ولكن الجمعية ما زالت شريكة في الاشراف على المشروع ولها قاعة خاصة في المبنى لاجتماعاتها ، وهي قائمة ومستمرة تسعى لإنشاء مصح للمسنين وتحمل اللوحات الرخامية في مداخل الأجنحة أسماء السادة المؤسسين والمتبرعين . .

مستشفى الأطفال

بدأ مستشفى الأطفال في دمشق بفضل وصية كريمة للمرحوم مصباح مخيش ورد فيها تخصيص مبلغ هام لهذه الغاية حصراً ، وكان المرحوم مصباح مخيش تاجراً سورياً يعمل على نطاق دولي ، وله محلات في استانبول وبيروت ويوغوسلافيا . .

تضمنت الوصية تكليف السادة محمد النصولي ، جميل المخيش وفريد المخيش ، وكنت عضواً في مجلس إدارة الأوقاف عندما عرضت علي الوصية للمساعدة في تنفيذها وكلفت شخصين للذهاب الى بيروت والاستعلام عن تركة الواقف وأقيمت الدعوى لتنفيذ وصيته وتم الحجز على أملاكه لتحصيل المبلغ المحدد ، وعلى الأثر دخلت القضية في متاهة بين الأوصياء والمحامين واتخذها المحامون الذين وكلوا بها بقرة حلوباً .

ظلت القضية تراوح في هذه المتاهة أكثر من عشر سنوات حتى ضجر الأوصياء وتقدموا في السن ، وكان وكلاء الدعوى يطالبون بالتكاليف ، مرة ثمن بطاقة طائرة الى استانبول ومرة لشراء طقوم صحون وفناجين قهوة وما شابه ، وأخيراً طلب الأوصياء من التاجر السوري محمد بن لطفي التسابحجي المقيم في بيروت السعي لإيجاد مخرج ينقذ الوصية ، فجاءني الى دمشق وطلب مساعدتي لانهائها وتخليص ذمة الأوصياء .

عرضت صورة الوصية ومجرى الدعوى على صديق عزيز كان وزير للمالية الأستاذ موفق الشربجي وتركت له ايجاد مخرج وبعد مدة راجعني الأوصياء متسائلين عما تم فاتصلت بالصديق المذكور الذي اعتذر لفقدان الأوراق ، ولم أجد بدأ من اللجوء الى مسؤول كبير لإيجاد حل فأصدر قراراً بإسقاط الدعوى وتشكيل لجنة مؤلفة من الشيخ مرشد عابدين القاضي الممتاز رئيساً والسادة بدر الدين الشلاح ، عبد الحميد دياب ، الدكتور سهيل بدورة ، والسيد عدنان الساطي الذي كان آنذاك مديراً للخزينة العامة ، وبالحال طلبت اللجنة تحويل المبالغ الموصى به وهو مليون وربع ليرة سورية وكلفت المهندسين خليل ومحمد الفرا باعداد المخططات ، وطلبنا الأرض المقابلة لمستشفى المواساة ليقام عليها مستشفى الأطفال ، وتم استلامها لمباشرة العمل .

ولكن المشروع كان بحاجة الى المزيد من الأموال ، وفي تلك الفترة كان الرئيس حافظ الأسد قام بالحركة التصحيحية وتلقى مليوني ليرة سورية من سمو أمير الكويت للتصرف بها وفقاً لتقديره ، ولكنه تفضل بتحويلها الى مشروع مستشفى الأطفال المعروف عند مدخل ضاحية المزة، واحتفل بافتتاحه تحت رعاية السيد الرئيس حافظ الأسد، وكان أول وأكبر مستشفى للأطفال في سورية عامة وفي دمشق خاصة، بارك الله لسوريا بقائدها ورئيسها حافظ الأسد.

وأربط طيا صورة عن المراسلات التي وردت من بعض الأوصياء على تنفيذ رغبات المرحوم مصباح محيش رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

الجمعية السورية لمكافحة السل

جهد دائب لمكافحة السل في سورية لمدة خمسة وعشرين عاماً

بعد مرور خمسة وعشرين عاماً على تأسيس جمعية مكافحة السل السورية ، وبعد الانجازات الكثيرة التي حققتها في صمت وسكون يحق لنا أن نحتفل بمرور هذه الحقبة من الزمن وأن نعرض بإيجاز الأعمال الكثيرة التي قامت بها .

لقد عملت الجمعية منذ تأسيسها في ١٩٥٣/١٠/٤ على إيجاد موارد ثابتة لها وقد تم ذلك بموافقة الدولة على إصدار طوابع مكافحة السل التي يرصد ريعها لتحقيق أهداف الجمعية .

ويشكل الطابع أكبر موارد الجمعية بالاضافة الى ما قد ورد من مساعدات وهبات واشتراكات .

ولكي يغطي نشاط الجمعية كامل القطر ، أحدث للجمعية فرع في دمشق وآخر في حلب يعملان كلاهما في نفس الاتجاه ولتحقيق نفس الغايات والأغراض .

وبغية مد الخدمات الى كافة المحافظات فقد أحدثت الجمعية فروعاً لها في كل من حمص ودير الزور و . . . وبانتظار توفر امكانيات أكثر فإن الجمعية ستقوم بإحداث فروع لها في بقية المدن السورية . (والتي لها فروع في حمص ودير الزور) .

لقد كان الاهتمام العالمي - عند تأسيس الجمعية - منصباً على قبول المرضى في المصحات وإيجاد أعمال مناسبة لهم (ما يدعى بقرية المصدورين) فقامت الجمعية بانشاء مصحين أحدهما في دمشق والآخر في حلب يتسع كل منهما لقبول ٤٥٠ مريضاً وقد بني هذان المستشفيان على أحدث طراز ولوحظ فيهما تأمين الخدمات الطبية والجراحية وامكانية الإفادة منهما كمشفيين عامين في حال انحسار السل وشغور عدد من الأسرة .

كما رأت الجمعية مماشاة الركب الحضاري العالمي والتطور العلمي الذي يواجه تيارات مكافحة السل ، فانضمت الى الاتحاد الدولي لمكافحة السل ، وأصبحت من أوائل الدول الأعضاء في هذه المؤسسة العالمية الانسانية .

إن الكشف الباكر عن الحالات السلية يعطي أحسن النتائج في الاقلال من منابع العدوى وفي سرعة شفاء الإصابات ، وإن هذا الأمر يتحقق في مراكز مكافحة السل المزودة بالتجهيزات التي يجب أن توجد في كل المحافظات .

وافتتحت الجمعية في حلب مركزاً لمكافحة السل زودته بالتجهيزات الشعاعية والمخبرية وأخذ يستقبل المرضى ويزودهم بالخدمات الطبية والاجتماعية المناسبة ، داعماً في ذلك عمل وزارة الصحة .

وعلى الرغم من أن وزارة الصحة هي التي تتولى هذه المهام ، فإن الأبنية اللازمة لذلك لم تكن موفورة بالمفهوم الحديث لهذه الغاية ولتغطية هذا النقص فقد قامت الجمعية بإشادة مراكز لمكافحة السل في عدد من المحافظات أحدها في طرطوس مبني على أحدث طراز ومصمم وفق أحدث الطرق في المعالجة والوقاية والتثقيف الصحي ، (الذي أخذ يلعب دوراً كبيراً في تعريف المواطنين بالأمراض وفي الوقاية منها وفي معالجتها) ، وفي نفس الوقت أنشأت الجمعية مركزاً آخر في مدينة الحسكة وكما هو معلوم فإن هذه المحافظة تحوي أكبر عدد من البؤر السلية في البلاد وإن وجود مركز للكشف والمعالجة فيها يساعد على الاقلال من المرض والاكثار من فرص الوقاية والشفاء .

كما قامت الجمعية ببناء مركز في مدينة دوما بغية التخفيف عن مركز دمشق وبغية استقطاب البدو الرحل الذين يفضلون في العادة المدن الصغيرة ويتعاملون فيها بسهولة ويخافون أن يضيعوا في متاهات المدينة الكبيرة .

ثم قامت الجمعية ببناء مركز آخر في مدينة درعا وهي مركز كبير لأهالي تلك المنطقة الذين تهددهم الإصابات السلية.

كما أنشىء في دمشق مركز نموذجي للمكافحة ـ هو مركز ابن اللبودي ـ جهزته الجمعية بكل الآلات الشعاعية والمخبرية اللازمة للكشف وليكون مركزاً رائداً توجه نتائج الطرق المتبعة فيه الى بقية المراكز للإطلاع عليها وأخذ المناسب منها للسير بموجبه .

ولكي تتم حلقة الكشف عن السل الرئوي ومعالجته فقد أنشأت الجمعية مركزاً لمكافحة السل في مدينة تدمر وهي كما نعلم المحطة الأولى للصلة بين البادية والحضر ومركز

تجمع كبير للبدو الرحل وهم من تكثر الإصابة بينهم وإن وجود مركز في هذه المدينة يسهل أمر الكشف عنهم كما يسهل أمر معالجتهم .

وقد رأت الجمعية أن تقدم المراكز التي بنتها في كل من طرطوس والحسكة ودوما ودرعا، الى وزارة الصحة لتكون مراكز لمكافحة السل، وقد جهزت هذه المراكز من قبل الوزارة بكل ما يلزم من آلات شعاعية وتجهيزات مخبرية وخبرات فنية لتكون معامل لكفاح السل وقد آتت هذه الجهود المشتركة ثمارها فكان أن تراجع السل بشكل كبير، فبعد أن كان عدد الإصابات السنوية يقدر ٥٠ ـ ٦٠ ألف إصابة أصبح الآن حسب احصائيات وزارة الصحة في حدود ٢٥٠٠ إصابة جديدة سنوياً.

مستشفى الأطفال المصدورين :

هذا وتقوم الجمعية حالياً ببناء مستشفى جديد للأطفال المصدورين على أرض مصح ابن النفيس ، وينتظر أن ينتهي العمل فيه بعد عدة أشهر ليصبح جاهزاً لاستقبال المرضى .

إن الفضل الأول في هذه الجمعية يعود الى الأستاذ عبد القادر الأسود رئيس محكمة التمييز بسوريا عافاه الله وأكثر من أمثاله والحمد لله تسير سيراً حسناً ونشيطاً بهمة رئيسها عميد الطب بسوريا الدكتور عبد الغني عرفة الذي يغذيها من أوقاته الثمينة في كل الأيام ويشاركه العضو القديم المهندس الأستاذ منير الدردري رغم تقدمه بالسن ويعاونه مجلس مؤلف من الدكتور بشير البردان والدكتور هشام نشار والحاج بدر الدين الشلاح رئيس اتحاد غرف التجارة بسوريا والأستاذ سعيد المزيك عضو غرفة صناعة دمشق .

مستشفى السرطان

على أرض المقسم الثامن من منطقة المرافق العامة في دمشق الجديدة قرب مبنى الهاتف الآلي ، يتعالى بناء الجمعية السورية لمكافحة السرطان . ويطيب لي أن أكتب هذه السطور ، وأنا أرى البناء الشامخ وقد اكتمل هيكله ، وتم تجهيزه بأكثر الأدوات ومتطلبات المستشفى المختص باستقبال المصابين بذلك الداء الخبيث .

إنني أتطلع منذ الآن بلهفة الى يوم افتتاح هذا المستشفى الهام لأنعم بالطمأنينة الى اكتمال هذه المأثرة الانسانية وحسن استعدادها لمعالجة وتخفيف آلام المصابين بالسرطان وتوفير فرصة الكشف المبكر عن الإصابة وزيادة احتمال الشفاء التام لهم .

هذه كله من ثمار جهود المخلصين الأخيار من أبناء دمشق الذين أسسوا الجمعية السورية لمكافحة السرطان ، وبذلوا أقصى ما في طاقتهم لتنمية فعالياتها واخراج مشاريعها الى أرض الواقع . بعد أن دلت الاحصاءات على اتساع نطاق الهجمة السرطانية في سورية وتزايد عدد الإصابات بسبب تلوث البيئة وسوء التغذية وخطورة الاشعاعات وانتشار التدخين .

وفي يوم الخميس الواقم في الرابع من شهر رمضان المبارك عام ١٣٩٧ للهجرة الموافق الثامن عشر من آب عام ١٩٧٧ قام رئيس مجلس الوزراء ورئيس الجمعية السورية لمكافحة السرطان اللواء عبد الرحمن الخليفاوي بوضع حجر الأساس في حفل رسمي حضره السادة أعضاء القيادتين القطرية والقومية والوزراء ومحافظ مدينة دمشق ورئيس جامعة دمشق ورئيس غرفة تجارة دمشق بدر الدين الشلاح ، ونائبه ممدوح أبو هندا وزملاؤه أعضاء الغرفة السادة غسان قلاع وعادل الرفاعي بدمشق وكبار الرجال الدولة الدكتور مروان المحاسني نائب رئيس المجلس والدكتور أحمد السواح أميناً للسر .

حدد النظام الأساسي للجمعية غايتها ، وهي مكافحة مرض السرطان ومساعدة المصابين به ، ولتحقيق هذه الغاية ، تقوم الجمعية بانشاء مراكز للكشف المبكر عن المرض وما يتطلبه ذلك من مشاف وعيادات خارجية وتقديم وسائل المعالجة للمصابين به ، وبخاصة في مراحل المعالجة الملطفة ، والعناية بالمصابين ومساعدة عائلات المحتاجين منهم

ومتابعة تطور وضعهم الصحي ، والتعاون مع الهيئات الحكومية المختصة بتشخيص ومعالجة السرطان ، وتنظيم محاضرات وندوات علمية يسهم فيها أعضاء الجمعية وضيوفها من داخل سورية وخارجها ، ونشر الثقافة الصحية الشعبية والمهنية فيما يتعلق بهذا المرض ، وتشجيع الأطباء على التخصص بأحد الفروع العلمية المتعلقة به .

وتنص المادة الأولى من النظام على أن المركز الرئيسي للجمعية مدينة دمشق ولها أن تحدث فرعاً واحداً في كل من المحافظات السورية .

وبدعوة من رئيسها اللواء عبد الرحمن الخليفاوي تقيم الجمعية كل سنتين اسبوعاً لمكافحة السرطان ، يشترك فيه عدد من العلماء الاختصاصيين في سورية والدول الشقيقة والصديقة ، وتلقى فيه محاضرات عامة حول التقدم في علاج المرض ، وتعقد ندوات شعبية للتوعية ، وجلسات علمية متخصصة يناقش فيها الأطباء امكانات المعالجة والوسائل الحديثة للوقاية والمكتشفات الجديدة حول ومصادر أسباب الإصابة .

من واجبي أن أسجل في هذه العجالة للسيد الرئيس ، تلك المأثرة الانسانية باصداره القانون رقم /٥٨/ لعام ١٩٧٤ القاضي باحداث مركز الطب النووي في دمشق كمركز ذي طابع عملي وتعليمي لمكافحة الأورام ، وإصداره المرسوم التشريعي رقم /٧٤/ لعام ١٩٧٤ ، بإعفاء جميع المصابين بالسرطان أو المشتبه بإصابتهم به من أجور المعالجة ويشمل هذا الإعفاء نفقات كافة الأعمال الطبية من شعاعية ومخبرية وأدوية وإقامة .

وأخيراً وفي تاريخ ١٩٨٩/٥/٥ تم انتخاب مجلس إدارة جديد مؤلف من :

سيادة اللواء عبد الرحمن الخليفاوي رئيساً .
والحاج بدر الدين الشلاح نائباً للرئيس ، ورئيساً للجنة متابعة المال والبناء .
والدكتور محمد إياد الشطي نائباً للرئيس ورئيساً للجنة العليا .
والدكتور عدنان الرفاعي أميناً للصندوق .
والمحامي الأستاذ نزار عرابي أميناً للسر .
والآنسة غادة الجابي أمينة صندوق .
والدكتور سهيل سمعان عضواً ورئيساً للجنة الاعلامية .
والدكتور سعيد كيال عضواً .

والأستاذ سهيل ميداني عضو احتياط .
والدكتور سليم الشلاح عضواً ومقرراً للجنة متابعة البناء .
السيد هيثم الكواكبي عضو احتياط .
الدكتور سامي مراد عضواً .

هذا وانني أحمد الله عز وجل على انه وفقني للإسهام بالجهد والمال في تنفيذ عدد من مشاريع الرعاية الصحية والاجتماعية في مدينتنا الخالدة دمشق ، وأبتهل إليه تعالى أن يمنحني القوة على متابعة هذا الجهد الخير في خدمة إخواني وأبنائي المواطنين ، وبخاصة الناس المحتاجين الى العون في حالات الفقر والمرض والجهل .

وبصفتي رئيس غرفة تجارة دمشق منذ عام ١٩٧٦ ، فقد طلبت من كل عضو منتسب للغرفة ، التبرع بمبلغ مائة ليرة سورية سنوياً لهذه الجمعية وقد بلغ مجموع التبرعات حتى عام ١٩٩١ (٤٤ر٣٠٩ر٦٥٨٤) ستة ملايين ليرة سورية وذلك منذ أن كان سعر الدولار ٤ ليرات سورية حتى وقتنا هذا ، ولا زال هذا التبرع يدفع حتى تاريخه .

كما وأن التبرعات التي هي من تجار سوريين من داخل سورية وخارجها وما كان من عرب آخرين كان أكثرها عن طريق تجار سوريين .

تبرعات بالليرات السورية لغاية عام ۱۹۹۰

وكان للحاج بدر الدين الشلاح جهوده ووساطته في استدراجها

المبلغ	اسم المتبرع
٥٫٠٠٠٫٠٠	شركة التجهيزات
٥٠٠٫٠٠	السفارة الجزائرية
٢٠٫٠٠٠٫٠٠	شركة النفط
٥٫٠٠٠٫٠٠	عطار اخوان
١٫٠٠٠٫٠٠	ممدوح ابو هنده
١٫٠٠٠٫٠٠	صفدي وبيك
١٠٫٠٠٠٫٠٠	بدر الدين الشلاح / عن ورثة توفيق سلو
١٠٫٠٠٠٫٠٠	د. غيث فرعون
١٫٦٠٠٫٠٠	السفارة الليبية
٢٥٫٠٠٠٫٠٠	د. عثمان العائدي
٢٤٫٠٠٠٫٠٠	محمد صالح باحارس / من جده. عن طريق بدر الدين الشلاح
٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠	الشيخ جمعة الماجد / من دبي. عن طريق بدر الدين الشلاح
٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠	الشيخ حسن شربتلي / من جده. عن طريق بدر الدين الشلاح
٢١٠٫٠٠٠٫٠٠	نبيل وسمير كزبري
٥٠٫٠٠٠٫٠٠	شركة الانماء السورية
٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠	د. عثمان العائدي
٥٠٫٠٠٠٫٠٠	شركة لما للتكييف
١٠٠٫٠٠٠٫٠٠	يوسف كباب
١٠٠٫٠٠٠٫٠٠	عطار وقولي وشركاهم
١٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠	الشيخ سلطان عويس
١٨٠٦٫٩٩٤٫٤٤	الشركة السورية للنقل والتسويق السياحي
٩٠٠٫٠٠٠٫٠٠	المهندس حيان أتاسي
٣٥٫٠٠٠٫٠٠	صلاح الدين باقي
٥٠٫٠٠٠٫٠٠	مصطفى جانودي
٢٦٥٫٠٠٠٫٠٠	صائب النحاس (مجموعة توليد كهربائية)
٥٥٠٫٠٠٠٫٠٠	كمال لطفي

تبرعات بالعملات الأجنبية

الدولار الامريكي	اسم المتبرع
١٥٫٠٠٠٫٠٠	الشيخ جمعة الماجد / من دبي
٢٢٫٥٧٥٫٦٠	الشيخ سلطان عويس
١٫٣٦٧٫٥٥	مأمون قصاب باشي
١٥٠٫٠٠٠٫٠٠	طلال الزين
١٠٫٠٠٫٠٠	مؤسسة أوسيمي
الجنيه الاسترليني	
٨٠٠٫٠٠	الجالية السورية بلندن
الفرنك الفرنسي	
١٠٠٫٠٠٠٫٠٠	المهدي الجيلاني

تبرعات غرفة التجارة

بسم اله الرحمن الرحيم

«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . وما تنفقوا من شيء فان اله به عليم»
صدق الله العظيم

السادة رئيس وأعضاء غرفة دمشق المحترمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

تلقت الجمعية السورية لمكافحة السرطان تبرعكم البالغ /١٠٠٠ر٠٠٠/ ليرة سورية بموجب الشيك رقم ١٣٨٦٣ تاريخ ١٩٩٠/١٠/٣٠ المسحوب على المصرف التجاري السوري الفرع /١/ بدمشق .

لقد كان لهذه الخطوة المباركة أثرها الطيب في نفوس أعضاء الجمعية وخاصة رئيس وأعضاء مجلس الإدارة كما ساهمت الى حد كبير في رفع وتيرة العمل في بناء مشروع الشام الصحي .

يسرني أن أنقل لكم شكر وامتنان أعضاء الجمعية عامةً وأعضاء مجلس الإدارة بشكل خاص راجين لكم دوام الصحة والعافية .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

دمشق في : ١٩٩٠/١٢/٢٦ م

أخوكم اللواء عبد الرحمن خليفاوي
رئيس مجلس الإدارة

بسم الله الرحمن الرحيم

«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم»
صدق الله العظيم

السادة رئيس وأعضاء غرفة تجارة دمشق المحترمين .

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته :

تلقى مجلس إدارة الجمعية السورية لمكافحة السرطان بسرور بالغ كتابكم رقم (١٣/٦٤٠/س/٣) تاريخ ١٩٨٧/٩/١٢ المتضمن مجموع تبرعات تجار مدينة دمشق لصالح مشروع الجمعية السورية لمكافحة السرطان «بناء مركز الشام الصحي» وقد كان لجهودكم ومساهمتكم وجهود ومساهمة الأخوة السادة تجار دمشق من الدعم المادي والمعنوي أثر في قيام هذا المشروع الانساني لمدينتهم الخالدة ـ دمشق الفيحاء ـ دمشق العرب والانسانية . ليكون مركزاً طبياً لمكافحة ومعالجة الأمراض والآفات السرطانية لجميع المرضى غير القادرين على تحمل أعباء العلاج .

نرجو لكم ولأعضاء غرفة تجارة دمشق ولكافة تجار دمشق تمام الصحة والعافية راجين المولى أن يحفظكم جميعاً من كل سوء .

ولا بد من الإشارة الى أن كافة المبالغ التي قمتم بالتبرع بها والبالغة /٤٦٨٠٩٩٤ر٤٤/ ليرة سورية قد تم ادخالها في حساب المصرف الخاص بالجمعية ودخل ضمن قيودها أصولاً .

وحرصاً من الجمعية على توثيق المساهمة الفعالة من أهل الخيرات المتبرعين وكما سبق أن أعلمتكم فقد رأت تسجيل أسمائهم في لوحة تذكارية لها مكان مناسب في المبنى أو تسمية أحد الأجنحة أو طوابق المبنى بأسمائهم وقد طلبت من مكتب الهندسة الذي يشرف على المبنى لوضع التصاميم اللازمة وسوف نوافيكم بنموذج اللوحة التي ستشير لأحد الطوابق الذي سوف يسمى باسم «غرفة تجارة دمشق» ليكون شاهداً على عطائهم المتميز في بناء هذا الصرح الانساني الكبير . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم اللواء عبد الرحمن خليفاوي

رئيس مجلس الإدارة

دمشق في ١٩٨٩/١٠/٤

جمعية الاسعاف الخيري

إن قصة هذه الجمعية تداخلت بشكل ما مع الهجوم البطولي الذي قام به الثوار على قصر العظم وذكرنا تفاصيله بعد قليل ، وهكذا كان شأن دمشق دائماً إذ تتعانق بطولاتها الثورية مع احداثها الاجتماعية والثقافية ، ومثلها كل بقاع الوطن العربي .

فقد كانت نخبة من أهل الخير والمروءة تشعر بالمرارة والأسى لتفشي الأمية في البلاد منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وكان الانسان الذي تلقى رسالة من ذويه يبحث عن رجل يجيد القراءة والكتابة ليطلعه على محتوى الرسالة ذلك بعد قرون من التجهيل في العصر العثماني تركت الأغلبية الساحقة أميين .

وقد تنادت نخبة من التجار والوجهاء في دمشق لتأسيس جمعية الاسعاف الخيري في ٢٧ رمضان عام ١٣٢٨ للهجرة كان قوامها السادة الحاج ياسين دياب وابراهيم الرشاش ونوري القدسي وعبد الرحمن الدواليبي وأبو السعود خزنة كاتبي ومحمد عمار وهاشم الفصيح مدير المعارف، وقامت الجمعية فوراً بإنشاء أول مدرسة تابعة لها في سوق البزورية بجوار قصر العظم ثم اشترت بمالها الخاص محلا ملاصقاً للمدرسة وحولته الى شعبة تابعة لها وقد ضمت جدران هذه المدرسة أكثر من ثلاثمائة تلميذ فقير ويتيم ووفرت لهم فرصة التعليم .

إلا أن هذه المدرسة تعرضت للحريق في يوم /١٨/ تشرين الأول ١٩٢٥ يوم هاجم الثوار قصر العظم وردت السلطة الفرنسية بقصف المنطقة ، وعلى الأثر قامت الجمعية بنقل المدرسة الى صحن التربة الشامية في حي سوق ساروجة لإيواء التلاميذ مؤقتاً ولكن المكان لم يكن ملائماً من الناحية الصحية ، وأصيب بعض الصغار بأمراض مختلفة فنقلت المدرسة ثانية الى ثلاث غرف وحديقة في جادة ستي زيتونة ، ولم تحل المشكلة فعمدت الجمعية الى عقد اجتماع كبير لعرض رواية عن الفقر والفقير ألفها الأستاذ عبد الوهاب أبو السعود الذي كان أستاذاً في المدرسة وكان ممثل الرواية التلميذ النجيب سعيد الأفغاني الذي أصبح أستاذ اللغة العربية بالجامعة وعضو المجمع العلمي العربي. هنأك الله يا نابغة وهنأك الله يا مدرسة الاسعاف وهنأكم الله يا مؤسسي جمعية الاسعاف الخيري وهنأكم الله يا قائمين على مدرسة وميتم جمعية الاسعاف الخيري وهنأك الله يا دمشق يا عاصمة سورية.

وقد حضر الحفلة عدد غير قليل من المحسنين والوجوه وتحدث الخطباء عن ضرورة مكافحة الجهل والأمية بين فقراء دمشق فثارت الحمية في النفوس وأعلن والدي المرحوم سليم الشلاح تبرعه بقطعة من الأرض مساحتها /٦٣/ قصبة خلف بناء المجلس النيابي الحالي لبناء مدرسة حديثة تفي بالغرض ، وهي الأرض التي يقوم عليها حالياً مقر جمعية الاسعاف الخيري ومدرستها الداخلية وكانت قيمة هذه الأرض في تلك الفترة ثلاثة آلاف ليرة عثمانية ذهبية ، وهي أول بناء أقيم في ذلك الموقع الهام .

وأعقب ذلك انضمام العديد من وجوه دمشق الى الجمعية وكانت اذا توفي عضو من أعضائها حل محله اثنان واذكر منهم السادة كمال الخياط المحامي والتاجر محمد الكزبري ومصطفى عمار الذي خلف والده المرحوم محمد عمار ، ومراد الزين صاحب محل الزين المعروف في سوق الحميدية ، والتاجر نسيب سليق التاجر بسوق البزورية وتاجر الأخشاب سعيد الأصفر ومحله أمام المناخلية والتاجر حسن أبو الهوى من سوق مدحت باشا ومصطفى القباني محاسب مديرية المعارف والتاجر مصطفى سويد (أبو درويش) . كما انضم اليها السيد جميل الألشي الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء والسيد محمود الصباغ المفتش العام لوزارة المالية ورئيس ديوان المحاسبات فيما بعد السيد صلاح القدسي الذي خلف والده المرحوم نوري القدسي والسيد رشيد الطرابيشي عضو المجلس البلدي وكان ضابطاً في الجيش العثماني ، والسيد داوود الماردينى الذي كان مفوضاً في شرطة دمشق ، والسيد توفيق الميداني من وجهاء زقاق النقيب ومن جيران الأمراء الجزائريين الذين كانوا يشغلون عدداً من دور هذا الحي ، وهو شقيق السيد رضا الميداني والد زوجة الشيخ تاج الدين الحسني . والرؤساء الذين تولوا رئاستها هم محمد علي العابد رئيساً فخرياً ـ وبدر الدين الشلاح بعده رئيساً فخرياً حتى تاريخه ، والحاج ياسين دياب رئيساً ، وبعده مصطفى القباني ثم نظمي القباني وعبد الرحمن الطباع وشفيق الشلاح والدكتور سليم الشلاح ثم الدكتور موفق الشلاح ، وفي عام ١٩٩١ خلفه الأستاذ طارق الشلاح .

يوم هاجم الثوار قصر العظم

قصة الحريق الكبير الذي أصاب دمشق على يد الفرنسيين

وقد كنت أحد الشهود الذين رأوا بعض ما جرى في ١٨ /تشرين الأول/ عام ١٩٢٥ أثناء هجوم الثوار على قصر العظم لتطويق قيادة الجنرال سراي ، وما زلت أذكر الفصيلة الثورية الشجاعة التي هاجمت المقر وعلى رأسها الثائر الشهيد حسن المقبعة من أبناء حي قبر عاتكة ، فقد رأيت الثائر حسن قبل الهجوم بقليل وهو يغسل يديه في بحرة أول شارع الدقاقين وهو مدجج بالسلاح وحول جسمه حاملات القنابل وجعبات الذخيرة فسلمت عليه ودعوت له بالنصر وتبين لي أنه يستعد للهجوم على مقر الجنرال ساراي مع الاحتراز حتى لا يناله الرصاص المتساقط ، من الجنود الفرنسيين المرابطين على سطوح المقر .

وقد اضطرت القيادة الفرنسية آنذاك لإرسال عدة دبابات ومصفحات الى قصر العظم لاخراج الجنرال ساراي المحاصر ، وهناك حدثت اشتباكات حامية بين الثوار والقوة الفرنسية استشهد خلالها بعض الثوار ولكن الفرنسيين أخلوا قصر العظم وتركوه في حالة كالفوضى ، واحترقت مدرسة الاسعاف الخيري الأولى وتفرق تلاميذها .

في تلك الفترة اضطررنا تحت ضغط منع التجول لملازمة الدار يومين كاملين لا نستطيع الخروج من الباب ، ونحن نسمع دوي الانفجارات في الشوارع وقبل الظهر طلعت إشاعة ان الجيش سيتوقف عن اطلاق النار وان الجيش الأردني سيدخل المدينة وهدأت أصوات المدافع .

وخرجت أتقصى الحقائق من دارنا الكائنة آنذاك في دخلة بيت العمري بجوار جامع السنجقدار ، ومعي شقيقي أنور وجارنا أبو أسعد السعدي وتوجهنا الى سوق الحميدية وكان يعج بالجنود السنغال والمصفحات ، ونحن نرى جثث القتلى ملقاة على عرض الطريق ثم تابعنا الى الدرويشية وباب الجابية ومنها الى شارع البدوي حيث شاهدنا في الأرض حفرة يزيد عمقها عن متر ونصف المتر وقد أحدثتها قنبلة سقطت هناك ، وفوجئنا في حي الشاغور بالدكاكين المفتوحة ولكن الطرق والحارات تغص بالثوار المدججين بالسلاح وبعد

...مة وهو يستعد للهجوم على قصر العظم في سوق البزورية كما

... في سوق الخياطين وسوق الحرير ولم نستطع الاقتراب من ... سوي حيث كانت هناك دبابة فرنسية تطلق النار على كل ... أي نافذة أو باب ، وبعد انتظار استطعنا الوصول الى باب ... عبرنا الزقاق الضيق الى زقاق ما بين الصورين فوق المناخلية ... لك فيصل واقتربنا من محلنا التجاري عند المحايريه وصادف ... سنجقدار الى سوق السروجية فهاجمها قرب خان الباشا شابان ... يعمل في دكان قريبه محمد ويحيى الأزعر من أبناء حي باب ... قتل الجنديين اللذان يقودان العربة العسكرية .

... ضطرب الجو ثانية فاتجهنا الى سوق الزرابلية لنتابع الطريق الى ... لكن اجتياز عرض الطريق كان خطراً لوجود جندي كامن ... من التربص وصلنا الى المنزل وصعدنا الى السطوح لمراقبة ... عندما علمت بمقتل الجنديين المذكورين أرسلت قوة كبيرة ... وداهمت ثلاثة خانات قرب سوق الهال وكان محلنا قريباً منها ... الى داخل القلعة حيث أعدموا فوراً دون محاكمة ودفنوا في ... توصلت السلطة الى معلومات تؤكد أن القاتلين هما مصطفى ... الدين العرقسوسي الذي كانت دكانته عند موقع الحادث ... ذهبت قوة تفتيش عليهما فدخلت دار التاجر عبده الأزعر في ... الشامية وفتشته بكامله وغايتها العثور على القتلة أم وجود ... توجهت الى دار السيد محمد الأزعر الكائن في نزلة جوزة ... وخزائن الدار فلم تجد شيئاً وأخيراً تمكنت من القبض على ... بعدما هدأت الحالة وانسحب الثوار الى خارج المدينة.

... مة العرفية وخلال البحث عن الشهود طلب محي الدين ... ارك في القتل وبالفعل شهدت أمام المحكمة بالواقع وتمت ... عبد الرحمن الأزعر بالاعدام وأعدم شنقاً في ساحة المرجة

وحكم على مصطفى الأزعر بالسجن وظل سجيناً حتى نهاية الاحتلال الفرنسي ومات في فراشه خلال عدوان ٢٩ /أيار/ ١٩٤٦ وقصف المجلس النيابي بالمدافع .

وبعد تفتيش دار محمد الأزعر أقام دعوى تصحيح اللقب وصدر حكم المحكمة بتصحيح اللقب محمد السماوي وشطب بالنفوس لقب الأزعر بلقب السماوي حتى وقتنا هذا وأما عبدو الأزعر بقي اسم العائلة عليه عبدو الأزعر وبعد وفاته أقام أولاده دعوى تصحيح اللقب وصدر حكم بالتصحيح بلقب الأزعط بدلاً من الأزعر .

وحمدنا الله الذي لم يعرضنا الى دورية تفتيش ونحن الثلاثة نحمل سلاحاً وكان سلاح فرد برابيلو قياس نصف ماسورة.

من سطوح المنازل شاهدنا الحملة العسكرية الفرنسية تتجه من شارع النصر (جمال باشا سابقاً) ـ الى مدحت باشا وقصر العظم وبدأت المدفعية الفرنسية من أسوار قلعة دمشق تصب نيرانها على حي سيدي عامود لحماية القوة العسكرية التي ذهبت الى قصر العظم وهي عائدة الى ثكناتها . . وكانت تستهدف مباشرة دور آل البكري وآل القوتلي وآل العجلاني وآل السيوفي انتقاماً من آل البكري والقوتلي لاشتراكهم في الثورة .

وفي طريقها أفرغت الحملة صفائح البنزين على جميع المنازل من حمام القاضي الى جوار منافذ سوق الحميدية فهرب السكان من بيوتهم جماعات وفرادى ، رجالاً ونساء وأطفالاً في كل اتجاه وتصاعدت ألسنة النار فأضاءت سماء دمشق بعد الغروب وملأتها بسحب الدخان الأسود وامتد الحريق في كل اتجاه فأتى على مجموعة من أجمل مخازن دمشق وأكثرها جمالاً وسعة وظلت النار طوال يومين تأكل الأخضر واليابس وتحول كل قائم وشامخ الى انقاض ورماد أسود على نطاق يمتد من البيمارستان النوري شرقاً الى سوق الحميدية شمالاً والى شارع الدرويشية غرباً دون ان تتدخل أي جهة لاطفاء النار وحصرها ، وكاد الحريق يمتد الى حي القنوات المجاور لولا جهود السكان بالأيدي وسطول الماء ودفاعهم المستميت عن منازلهم .

وقد بقيت هذه المنطقة تلالاً من الانقاض والرماد تتصاعد منها روائح الموت عدة أشهر وأطلق عليها الاسم الشعبي المشهور (الحريقة) الذي رافقها حتى الآن وهو واضح الدلالة على ذلك الحدث المروع الذي أصاب أجمل أحياء غربي دمشق ضمن السور وزال

الجزء الهام من سور دمشق يمتد من برج القلعة الأمامي الى باب الجابية وتقول لجنة من خبراء منظمة اليونيسكو في تقريرها عن دمشق القديمة ان منطقة الحريقة كان يجب أن تعود كما كانت من قبل ومن الخطأ تقسيمها الى محاضر وشوراع متقاطعة لأنها جزء من دمشق الأثرية .

بقيت منطقة الحريقة خرائب مهدمة دون بناء حتى صدر قانون تنظيم وعمران المدن وقامت بلدية دمشق بوضع مخطط يقسمها الى محاضر وتتوسطها ساحة تتفرع منها شوارع مستقيمة ومتقاطعة تتصل مع سوق الحميدية جنوباً ومع سوق مدحت باشا شمالاً وهي شوارع ابن خلدون ـ أبي عبيدة بن الجراح ـ طارق بن زياد ـ غسان مسلم عابدين ، عيد السفرجلاني .

إلا أن البناء لم يبدأ بالمنطقة رغم تنظيمها إلا في عام ١٩٤٠ حيث تم توزيع المقاسم والحصص على الملاكين وورثتهم في البداية بيعت قطع الأرض بأسعار زهيدة وذلك في جو الكساد وتدني النشاطات خلال الحرب العالمية ، فأنشأت الطوابق الأرضية دكاكين والعلوية للسكن دون فروغ وعندما صدر القانون /١٥١/ الذي حصر وكالات الشركات الأجنبية بالسوريين تحولت الطوابق السكنية الى مكاتب تجارية وارتفع فروغها الى مبالغ لا تقل عن بدلات فروغ المحلات التجارية الأرضية وتتجمع كثافة الحركة التجارية هذه الأيام في منطقة الحريقة التي أصبحت الجزء الأهم من السوق المركزية إلا أن عيبها البارز ضيق شوارعها الشديد ويبدو أن المخططين في فترة الانتداب الفرنسي لم يتصوروا ان سورية ستصبح دولة مزدهرة وزاخرة بالنشاط وماضية في التطور السريع وأن دمشق سيتضاعف عدد سكانها عدة مرات وتصبح عاصمة مرموقة ولهذا اقتصروا على طرق ضيقة تتسع لحركة مرور محدودة .

والآن تعاني منطقة الحريقة من اختناق مروري متفاقم ليس له حل ولا تجد سيارة الزوار والزبائن المضطرين لارتياد الأسواق مكاناً للوقوف ومهما كافحت شرطة السير لتنظيم وتسهيل الدخول والخروج فانها تقف دائماً أمام اختناقات عسيرة بسبب التدفق المستمر للسيارات وسط هذه المتاهة المعقدة .

وليس من حل لهذه الأزمة في راي إلا بناء كراج طابقي يتألف من عدة طوابق ويقام على قطعة أرض كافية على أن يتسع لمئات السيارات حتى لو تطلب الأمر هدم بناء كامل

لإقامة هذا المرآب ، وإلا فأين تقف سيارات التجار وأصحاب المصالح والزوار والسياح والمتعاملين مع المصارف وغرفتي التجارة والصناعة ومحلات الصاغة والألبسة ومخازن بيع المواد الاستهلاكية وعددهم كبير ولا غنى عن ارتياد هذه المجموعة من الأسواق الهامة وإذا لم يطبق هذا الحل في أقرب وقت أخشى أن نصل الى وضع في المنطقة يصبح السير فيه متعذراً للغاية .

أضع هذه المعضلة أمام الجهات المسؤولة في الحكومة وأمام السيد محافظ دمشق الذي أرجو له أن يوفق في مثل هذا الانجاز الهام ويسجل له شخصياً بحيث يقول الناس جيلاً بعد جيل هذا من صنع فلان جزاه الله خيراً فقد حل أزمة كبيرة وأنقذ الأسواق المركزية من الاختناق المروري ، هل نرى هذا الحل يشهد النور عما قريب .

الباب الثامن :

دمشق وغوطتها وبساتينها و[illegible]

آراء ومُقترحات

الباب الثامن

دمشق وغوطتها وبساتينها ومزارعها
آراء ومقترحات

دمشق منذ أيام الأتراك حتى عهد قريب
الغوطة ـ قراها ـ ملاكوها

أسجل هذه الواقعة كجزء من تاريخ تطور عمران دمشق في هذا القرن . وتتعلق بطريق محوري يقع في قلب العاصمة ، ويقسم الجانب الحديث منها متجهاً من الجنوب الى الغرب ، وأقصد شارع المجلس النيابي ـ العابد ـ الذي يمتد نحو ساحة السبع بحرات وشارع بغداد ويتصل غرباً بطريق شكري القوتلي المتجه الى بيروت .

كان جمال باشا قائد الفيلق التركي الرابع قد أوعز في عام ١٩١٦ بفتح طريق من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب في هذا الموقع الذي ينتهي عنده سفح قاسيون ويبدأ الانحدار الى ضفاف بردى . وكان الموقع كله مجموعة بساتين تفصل بين حي الصالحية الجبلي ومدينة دمشق القديمة .

وفي عام ١٩٠٦ اشترى والدي المرحوم سليم الشلاح قطعة أرض كبيرة في هذا الموقع بشراكة مناصفة مع المرحوم الحاج سعيد الشنواني التاجر المعروف ولما تم فتح الطريق كان نصيب والدي الجانب الجنوبي من الأرض الذي أقيمت عليه فيما بعد مدرسة وميتم جمعية الاسعاف الخيري وجامع سليم الشلاح وعمارة كسم وقباني وكنيسة الفرنسيسكان ، وقطعة أرض عليها طابق وقبو على السوكة المقابلة لفندق أمية الجديد .

وقد ورثنا هذه الأرض من والدي وتم وقفها بموجب العقد رقم (٢٧٤٦) تاريخ ٢٥/١٠/١٩٦٤ لتصرف مواردها على بناء جامع الروضة الذي كان يشيد آنذاك وبناء كلية في الزبداني وجامع الأفرم .

أما قطعة الأرض التي يقوم عليها بناء كسم وقباني فقد أنشىء عليها في البداية معمل نسيج مشاركة بين والدي والمرحومين سعد الله الكسم وعبد الله القباني ؛ ثم فضت الشركة . واختص الكسم والقباني بالأرض فأحضرا مخططاً من القاهرة وأقاما عليها البناء الحالي المعروف باسميهما حتى الآن .

وظلت حصة الحاج سعيد الشنواني في شمال الطريق حيث أقيمت فيها بعد وزارة الصحة بمسعى ومتابعة من المرحوم الدكتور يوسف عرقتنجي مدير الصحة آنذاك ، وأقام الشنواني المسجد المعروف باسمه حتى الآن . كما أقام بناء آخر على صف وزارة الصحة وأقام الدكتور عرقتنجي منزلاً فخماً على الطراز الأندلسي والقاعات الدمشقية في ساحة النجمة المجاورة ، وهو الآن مقر السفارة الاسبانية .

أما بناء مدرسة دار السلام (الفرنسيسكان) فقد أقيم على مساحة واسعة جداً من الأرض الواسعة ، ويلاحظ أنها أشبه بقلعة عسكرية ذات أسوار سميكة من الاسمنت المكثف تحيط بالأرض كلها ، وقد روعي في تحصينها أن تكون قادرة على صد أي هجوم شعبي أو تظاهرة وطنية وحماية الجالية الفرنسية التي تلجأ إليها في ظروف الاضطرابات ، ويقال أنها استخدمت من قبل العسكريين الفرنسيين أثناء عدوان ٢٩ أيار .

نعود الى شارع المجلس النيابي ، ومما يجدر ذكره أنه كان يسمى شارع البسينما حيث كان ثمة دار سينما قديمة أتى عليها الحريق في العهد التركي ، وأنشىء مكانها مبنى المجلس النيابي .

هذا ، وقد بقيت قطعة أرض مجاورة لشارع الشنواني في ملكية والدي فباعها للمرحوم حسني البيطار الذي كان مديراً للمالية في عام ١٩٢٤ ، وهنا أذكر واقعة ذات دلالة هامة في نظري ، وذلك عند إجراء معاملة نقل الملكية أمام مدير الدائرة العقارية (الطابو) فقد طلب المشتري السيد البيطار من البائع وهو والدي تأجيل قبض باقي قيمة الأرض ويبلغ خمسين ليرة عثمانية ذهبية فأجاب والدي بالقبول دون تردد ، وهنا سأله مدير

الطابو هل قبضت القيمة فرد عليه نعم ، وتم ذلك دون سندات ولا إيصال ، وبمجرد الثقة التي كانت سائدة آنذاك دون محاكم ونزاعات ، وأنشأ البيطار على هذه الأرض داره التي آلت فيما بعد الى ولده الدكتور منير البيطار .

هذه لمحة عن مصير البساتين التي كانت قائمة في المنطقة التي تشغلها الآن مباني المجلس النيابي ووزارة المواصلات ووزارة الصحة ومدرسة دار السلام وكنيسة الفرنسيسكان وشارع الحمراء حتى الشعلان وساحة النجمة ، وكان هناك (بستان الشلاح) الذي أشرنا الى تقسيمه منذ عهد جمال باشا وحتى الانتداب الفرنسي ، ويمتد من طريق الصالحية حتى كنيسة الفرنسيسكان . وهناك (بستان الكركة) على يمين الشارع المسمى الآن شارع العابد الممتد الى ساحة السبع بحرات ، وهو أكبر بستان يملكه شخص واحد ويمتد شرقاً حتى عين الكرش ، وهناك كانت تقع (جنينة حسونة) العائدة الى ملكية آل عرنوس ووالدي سليم الشلاح وأبي علي شرف ، وتمر بهذا الإرث ثلاثة شوارع موازية لشارع بغداد وهي شوارع أبي ذر الغفاري ، وسعيد القهوجي وكرجية حداد التي أصبحت أخيراً متصلة بشارع الثورة الحديث .

ويمتد بستان الكركي جنوباً الى طريق الصالحية مقابل المستشفى العسكري سابقاً ، وكان الباب الكبير لهذا البستان أمام نادي الضباط الحالي ، وقد استعمله المرحوم حمزة شرف أحد المالكين دكاناً لبيع الخضار والفواكه ، ثم توارث البستان أبناء وأحفاد آل شرف ، وأنشأ المرحوم محمد سعيد شرف مصنعاً للبلاط على قطعة أرض من بقايا البستان ، وما زال أبناء آل شرف وأنسباؤهم آل قصاب حسن يملكون عدة أبنية في شارع ٢٩ أيار ، أما أرضهم التي كان يشغلها مقهى فاروق وسينما فريال قبل سنوات فقد استملكتها المؤسسة العامة للتأمين وشيدت عليها البناء الضخم القائم على ناصيتي شارع ٢٩ أيار والصالحية (جمال عبد الناصر حالياً) .

وإذا اتجهنا من ساحة السبع بحرات شرقاً على الأرض التي كانت ملكاً لآل عرنوس نجد أنفسنا أمام مدرسة اللاييك (معهد الحرية الآن)ذات الساحة العظيمة التي شيدها الفرنسيون قلعة هائلة من الاسمنت المضاعف والحجر الصلب ، وما زالت هذه المدرسة حتى الآن تمثل بناء تربوياً ضخماًفي سورية كلها ، كما نجد أمامها مسجد لالا مصطفى باشا الذي أنشأته الأوقاف باسم جدهم بدلاً عن قطعة أرض كانت في خان البطيخ وتم بناء سوق الهال عليها وكانت عليها وقفية .

والى الشمال بعد تقاطع الأزبكية تقع بساتين كانت ملكاً لآل قزيز ، ومنطقة الديوانية التي كانت ملكاً لعائلة شيخ البساتنة ويمر الآن بها شارع مرشد خاطر ولا تزال منطقة مجمدة بالمخالفات . وإذا تقدمنا الى الأمام جنوباً فهناك بستان ديب الشيخ الذي حوله الى مقهى ، وكان أبو عبده ديب الشيخ وشقيقه أبو عجاج من رجال الثورة السورية ، ومنذ أكثر من ثلاثين عاماً لم يبق أثر لهذا البستان فقد حلت محله عشرات الأبنية الحديثة ، وأهمها بناء مديرية المعرض الذي أهدته الدولة في عهد الرئيس شكري القوتلي للمجاهد سلطان باشا الأطرش ، ثم بيع الى المجلس الأعلى لشركات الانشاءات العامة ، في الموقع نفسه على أرض مقهى ديب الشيخ شارك والدي المرحوم سليم الشلاح بشراء أرض كبيرة لشركة الكونسروة تبلغ مساحتها - (٢٣٧٥) متراً مربعاً بسعر أربع ليرات عثمانية ذهبية للقصبة الواحدة ، وأقيم عليها مقر الشركة ومصنع الكونسروة ، وقد نقلت إدارة الشركة والمصنع الى مكان آخر الى قطعة أرض بجرمانا اشترتها من السيد بهاء البكري ، ومن المحزن أن قطعة الأرض الباقية بشارع بغداد أصبحت الآن مهملة وأشبه بخرابة رغم أن قيمتها العقارية تعادل مئات الملايين من الليرات وتتسع للعديد من العمارات السكنية ، وهذا مثال على اهمال بعض شركات القطاع العام لأملاكها .

ولو بيعت هذه الأرض الآن فإن ثمنها يعادل عشرات أضعاف رأسمال شركة الكونسروة ، ومن الانصاف والعدل أن تدفع من هذا الثمن تعويضات كافية لأصحاب أسهم الشركة التي قامت على أكتافهم وأتى قرار التأميم عليها دون أن يلحظ أي تعويض لهذه العائلات ، وكان العديد منها يعيش مستوراً من عائدات هذه الأسهم .

من المعروف أن شركات الاسمنت والسكر والكونسروة والزجاج والبرادات تم تمويلها من مدخرات صغار المساهمين ومتوسطيهم ، ولا ذنب لهم يبرر حرمانهم من التعويضات ، وقد انقضى أكثر من ثلاثين عاماً على التأميم والاصلاح الزراعي دون تعويض على المتضررين ، بينما تم في مصر وبلاد أخرى التعويض على مساهمي الشركات منذ زمن طويل .

انتقل الآن الى منطقة أخرى في دمشق لأسرة الشلاح صلة قديمة بها ، كان والدي قد بنى دارنا الأولى في منطقة السنجقدار قبل الحريق المشهور في عام ١٩٢٧ ولما هدمت هذه الدار أنشىء مكانها بناء في شارع فرعي يربط بين شارع النصر والسنجقدار ، ويتألف هذا

القسم من قبوين وسبعة محلات ومخزن كبير وطابقين في كل منها خمسة مكاتب ، أوقف نصفها على جمعية الاسعاف الخيري ، وأوقف الطابق العلوي على جمعية المواساة بدمشق ، وعندما أنجز هذا البناء في عام ١٩٤٠ طلبت مديرية العدلية استئجارها لمحاكم الصلح التي كانت تشغل دار الإيبش بالبحصة البرانية ، وتم توقيع عقد الإيجار من قبل القاضي حنا مالك عضو محكمة الاستئناف ، وعلى الإثر قام والدي بتقسيم المبنى وإقامة حواجز حسب خارطة توزيع المحاكم ودرجاتها ، وعندما وصلت المعاملة الى السيد حسني البيطار مدير المالية رفض توقيعها ، فقابلته ومعي كشف بالنفقات التي تكبدناها لتعديل أقسام البناء وفقاً للمخطط الموضوع من قبل العدلية ، غير أنه أصر على رفض الانتقال وقال أنه يكلف الدولة نفقات لإبدال الستائر والمكاتب والطاولات والأقواس والمفروشات ونتيجة لرفضه خسرنا النفقات وعدنا الى تصليح البناء .

هذا مثال على شدة حرص المسؤولين في ذلك الزمن ، وعدم تفريطهم بالمال العام حتى في حال الضرورة ، بينما جاءت عهود كان فيها الوزير يبدأ أعماله بتصريف الأثاث القديم وشراء مفروشات وتركيب ديكورات لمكتبه ووصل عدة غرف ببعضها لتكون قاعة استقبال ، وكل هذا على حساب المكلفين بالضرائب .

مباني دوائر العدلية

كانت دوائر العدلية من قبل في بناء قديم من طابقين ، يشتمل الأرضي على ثلاث غرف تشغل إحداها محكمة البداية برئاسة المرحوم الاستاذ صلاح الدين الخطيب الذي أصبح بعد التقاعد كاتباً للعدل وفي الغرفة الثانية مقر المدعي المركزي وكان آنذاك المرحوم فؤاد محاسن والغرفة الثالثة للموظفين ، وكان هناك مركز للدرك مع ركن للتوقيف ، وفي الطابق العلوي قاعة لمحكمة استئناف الجزاء وغرفة لاستئناف الحقوق ، وغرفة للمدعي العام المرحوم خليل رفعت ومعاونه المرحوم خليل أبو حمد ، وقاعة لمحكمة الجنايات التي ترأسها على التوالي كل من المرحوم مصطفى الرحيباني والمرحوم القاضي زهدي الإمام .

وكانت المحاكم الصلحية والجزائية الأخرى تشغل بعض الغرف في عمارة عزة باشا العابد الملقبة بالمنزل ، وتشغل دار الإيبش في سوق ساروجة ، ولم يعرف القضاء التوسع

الحالي إلا بعد صدورالقانون المدني ، وانشاء القصر العدلي الذي أنشىء في زمن حكومة المرحوم خالد العظم على أرض كانت تشغلها المشيرية التركية ببنائها القديم ، ورغم سعته وكثرة أقسامه وجودة تصميمه ضاق ذرعاً باحتياجات القضاء ، واضطرت وزارة العدل للبدء بانشاء مجمع قضائي ضخم في أوتوستراد المزة لاستيعاب المحاكم .

لم تكن المحاكم القديمة تستقبل هذا الحجم الهائل من الدعاوى ، وكان الناس يلتزمون بوفاء الديون وأداء الاستحقاقات في موعدها رغم أن معظمها كان مستنداً الى مجرد الكلمة والتعهد الشخصي . وكان التاجر يخشى أن يتعرض لحالة البروتستو (الاحتجاج ويعني عدم الثقة) في حال التأخر عن الوفاء بالسند مع أن هذا المحذور مجرد وهم إلا أن اهميته المعنوية من حيث السمعة والمكانة كانت كافية لتجنبه بأي وسيلة ، وعندما يقال (البروتستو) تتردد على الفور كلمة : يا لطيف .

أما الآن فالدعاوى تصل الى عشرات الألوف والمحاكم العديدة ترزح تحت أثقالها فتعمد الى التأجيل والتدوير عاماً بعد عام ، وتطول مدة التقاضي سنوات ولا يعرف المتقاضي كيف يصل الى حقه دون عناء وانتظار طويل .

ثم أود ذكر طرف شارع بغداد . إن هذا الشارع أوله من طريق الصالحية ، خططه جمال باشا في الحرب العالمية الأولى من أمام بوابة الصالحية حتى مستشفى الانكليزي بالقصاع إلا أنه لم ينفذ وعند اشتداد الثورة السورية في عام ١٩٢٥ ، وعندما دخل الثوار الشام من عدة مداخل وجدت السلطة الافرنسية ضرورة تنفيذ مثل هذا الشارع ففتحته وغيرت تخطيطه وأخذ باستقامة السبع بحرات ثم اتجهت به شرقاً من المستشفى الافرنسي كما أن شارع جمال باشا والذي يسمى الآن شارع النصر فتحه جمال باشا ولو طالت الحرب ولم تنهزم تركيا لكان مراده إيصال شارع جمال باشا من الغرب الى المزة ويمر من جانب القشلة الحميدية التي أصبحت جامعة ومن الغرب ليخترق سوق الحميدية ومن المسجد الأموي ليصل الى باب توما وكذلك هدم منطقة باب السرايا التي تبدأ من أول سوق الحميدية ومراده اختراق شارع الميدان حتى البوابة آخر الميدان وباستقامة وبدون أكواع وابتدأه وأوصله الى باب الجابية . هذه للذكرى وللمعلومات التي حصلت عليها في ذلك الحين .

رفع الحجاب عن قلعة دمشق

وبهذه المناسبة لم تكن قلعة دمشق معروفة جيداً للدمشقيين وزوار العاصمة وكانت في نظرهم مجرد سجن قديم وثكنة للدرك والواقع أنها كانت معزولة عن حياة المدينة رغم أنها في قلب اسواقها المركزية ، وتحجب أسوارها وأبراجها منشآت غير متجانسة أضيفت منذ زمن غير بعيد .

واجهة القلعة الغربية كانت محجوبة عن العيان بالدكاكين والمحلات المسماة بسوق الخجا وهو سوق نشأ بصورة ارتجالية عشوائية منذ حوالي قرن عند باب القلعة وامتد دون تنظيم ، وقد انشىء فوق الخندق الأثري الذي كان يحدق بالقلعة منذ العصر الأيوبي وعمقه هائل ليحول دون اقتحام العدو للداخل وقد صمدت هذه القلعة في القرون الوسطى أمام الهجوم المغولي زمناً طويلاً ولم تسقط إلا بسبب بعض المتخاذلين والمخدوعين بوعود المعتدي تيمورلنك .

ولا يزال الطرف الآخر من الخندق ظاهراً بحجارته المنحوتة ـ جيداً ـ في مجرى نهر العقرباني الذي يحاذي القلعة من الشمال .

هذا يؤكد أن سوق الخجا ليس من أسواق دمشق القديمة الأصلية فهو خارج السور وظهر الى الوجود ارتجالاً في أواخر العهد العثماني وكانت إزالته ضرورية لإظهار واجهة القلعة الغربية ومدخلها وهناك قرار في بلدية دمشق بإزالة السوق قبل أكثر من أربعين عاماً إلا أن صعوبة التنفيذ وكثرة الشاغلين حالت دون تنفيذه .

كانت شبكة الطرق في دمشق ترزح تحت اختناقات واضحة وكل شوارعها وطرقها تتجه من الغرب الى الشرق بينما لا توجد تقاطعات من الشمال الى الجنوب ولذلك كان العابر يضطر الى الدخول في متاهات وأزقة ضيقة ليصل من الأحياء الجنوبية الى المناطق الشمالية التي اكتظت بالسكان والنشاطات والأعمال .

وقد سبق القول أن القائد جمال باشا في عام ١٩١٦ م ، شق الطريق المتجهة من سوق الحميدية الى محطة الحجاز ثم اتجه لشق طريق آخر من ساحة يوسف العظمة أمام المحافظة الى المستشفى الانكليزي في حي القصاع ولكن الأحداث لم تمهله وجاء الانتداب

الفرنسي فعمد الى شق شارع بغداد عبر بساتين دمشق التي تمتد من الشمال الى الشرق وذلك لأغراض عسكرية هدفها تمكين الآليات الثقيلة من الوصول الى مواقع الثورة السورية في الغوطة . وأخيراً فقد تقرر إبراز الأهمية التاريخية لدمشق وجلال معالمها الأصيلة وتطوير شبكة طرقها وتحسين عمرانها وقد بدأت الأعمال الكبيرة بشق شارع الثورة الذي ربط بين جنوب المدينة وشمالها بممر عريض منظم يستوعب حركة السير الكثيفة إلا أن سوق الخجا كان عائقاً ملموساً يجب أن يزول لتعريض الطريق من جهة ولإظهار قلعة دمشق الأثرية من جهة أخرى ، وما لبثت الجرافات أن أطاحت خلال أيام قليلة بتلك المجموعة من الدكاكين والورشات البالية وأزالت ذلك الحجاب عن الواجهة الغربية للقلعة وربطت بين الدرويشية وباب الجابية وبالتالي طريق حي الميدان وبين شارع الثورة وشارع بغداد وبالتالي حي القصاع وباب توما وشارع حلب .

أما شاغلو سوق الخجا فلم تلحق بهم أضرار كبيرة لأنهم كانوا يعرفون مسبقاً أن محلاتهم زائلة فشكلوا قبل الهدم بزمن طويل جمعية تعاونية لإنشاء السوق الجديد على محضرين جيدين في شارع الثورة قدمتهما المحافظة بأثمان معتدلة وبالتقسيط للجمعية . ويقوم سوق الخجا الجديد على ناصية الشارع في موقع جيد وبتصميم يجمع بين الطراز الشرقي والمرافق الحديثة ويتفرد بين الأسواق الحديثة بتوزيع جميل وتكوين داخلي بديع .

ولن يفوتني هنا أن أشيد بجهود الزميل السيد برهان الأشقر عضو مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق الذي كان ولا يزال رئيساً لجمعية سوق الخجا منذ البداية وهو العنصر الفعال والنشيط الذي تابع المشروع تمويلاً وإعداداً وتنفيذاً فكان من أفضل المشاريع وأكسب دمشق سوقاً شرقياً وحديثاً للمصنوعات الجلدية والحقائب والملابس ومعدات السفر .

وهنا أعترف بأنني كنت مخطئاً باعتراضي فيما مضى على هدم سوق الخجا القديم لأنه بعد الهدم ظهرت عظمة دمشق الشام بقلعتها الأثرية والتاريخية العريقة التي تعد من أعظم القلاع سعة وارتفاعاً وحسناً حيث كانت سعتها تستوعب مدينة كاملة بسكانها عند الغزو الذي تعرضت له في الماضي ، وإن ترميم القلعة وإعادة بناء المتهدم من جدرانها قد بدأ يظهر عظمة هذه الأبنية التاريخية من الداخل والخارج .

مقترحات جديدة

والحديث بالحديث يذكر ، فإنه بقي على محافظة مدينة دمشق تنفيذ مشروع بناء النفق الموصل الى سوق الحميدية عند مدخله في نقطة نهاية شارع النصر وتقاطعه مع السنجقدار والدرويشية . . إذ لا يجوز تأخيره مطلقاً لأنه من أهم الأعمال والمرافق الحيوية والضرورية للمدينة ، فكم هو من المؤلم الآن منظر الأشخاص المتدافعين والواقفين على جانبي الطريق بانتظار مرورهم ورجال من الشرطة يحاولون تنظيم حركة المرور والعبور بالنسبة للسيارات وللمارة حيث يتجمع في كل جانب ما يزيد عن خمسين أو نحو مائة شخص وبينهم النساء والرجال من شباب وكهول ومسنين ولا يسمح لهم بعبور الطريق قبل خلوه من حركة السيارات العابرة ، فما يكادون يمرون حتى يغلق الطريق بوجههم من جديد وحتى تتجمع أعداد أخرى من الناس يكتظ بهم هذا الجانب أو ذاك . . وهكذا دواليك من الصباح حتى المساء . . وإنه لمنظر لا يخلو من البشاعة والألم ولا يليق بعاصمة عريقة مثل دمشق تكتظ بالسياح والزائرين .

حول بردى وقطع الأشجار

من مقال منشور في ١٩٧٨/٩/٦

يحرق القلب أن يرى الدمشقيون كيف تقطع الأشجار من الحور والصفصاف وغيرها القائمة على ضفاف نهر بردى الممتدة من الهامة حتى الربوة ، وذلك لإقامة أبنية ومخازن تجارية ومحلات لبيع المحروقات ، مما يفقد دمشق جمال مدخلها الرئيسي ويحرم الفقراء في الصيف من مكان ظليل يلجؤون إليه .

ولقد سبق هذا عدوان خطير على بساتين الشركسية والصالحية التي تظلل غربي دمشق وتحميها من الغبار إذ تحولت الى أبنية شاهقة ورفعت فيها درجة الحرارة أكثر من ١٥ درجة في المعدل .

ثم لم يكف هذا بل أخذ جوار النهر يغتصبون مياهه بتحويل الأراضي البعل الى أراضٍ مروية حتى صار لا يصل منه الى التكية بعد سهل الزبداني إلا القليل وما لا يتجاوز ٥٪ من مياهه الواردة من المنبع .

أما نبع الفيجة الذي له شهرته فقد تحول بكامله لإرواء سكان دمشق ، وصار مجرى نهر بردى عند مروره بدمشق مقتصراً على نوازل دور الهامة ودمر وما قبلهما ، وأصبحت الشام جرداء بعد أن اشتهرت بأم الأنهر السبعة ، حيث يتفرع من نهر بردى عند مداخل الشام سبعة أنهر وهي : يزيد والديراني ونهر المزة وتورا وقنوات وبانياس وعقربة .

وقد زاد الطين بلة ، تغطية نهر بردى ابتداء من تكية السلطان سليم حتى قلعة دمشق . وقد سبق لي أن أوضحت لمحافظة ريف دمشق ، منذ أكثر من عشرين عاماً ما يلحق بالشام من ضرر من جراء سرقة الماء قبل خزان كهرباء التكية ـ ولكن لم تأت ايضاحاتي بجواب ايجابي أو أي اهتمام ـ حفظاً على تراث مدينة دمشق الخالدة التي لها آفاقها الواسعة في التاريخ ، وذلك بعد أن ارتفع عدد سكانها من /٣٠٠/ ألف الى ثلاثة ملايين ونيف .

اني أتقدم بهذه الايضاحات ، راجياً دراسة الموضوع دراسة وافية واعطاءه الأهمية اللازمة بالسرعة المرجوة ، واتخاذ القرار الحازم واللازم بمنع أي كان من الاقدام على قطع

ولو شجرة واحدة من هذا الوادي الجميل ، حتى مدخل الشام الغربي ، الذي تغنى به الشعراء . ويكفي دمشق ما تحول من بساتينها الخضراء الجميلة الى أبنية ، وما يتحول من غوطتها الغناء .

غوطة دمشق

كنت وما أزال واحداً من أبناء غوطة دمشق ، دمي من ترابها ، ورئتاي مترعتان بهوائها ، وآفاقي أفياء أشجارها ، وعملي منذ نشأتي في ثمارها وخيراتها ، وحين أكتب عنها إنما أسرد حياتي وتجاربي تحت ظلالها .

غوطة دمشق هي حديقتها العظمى ، هي مصدر رزقها ، هي أساس اقتصادها ، من حورها نأخذ أفضل الأخشاب ، ومن ثمارها نتناول ألذ وأجود الفواكه وأفضل الخضار ، ونصنع أفخر المجففات والمربيات ، ومن جوزها نعد أحسن الحلوى ، ومن أعلافها نربي الأبقار الأصيلة ونحصل على الجبن والألبان والسمن ، كانت في الماضي البعيد تصدر ثمارها وأغراسها الى الأندلس .

دمشق وغوطتها روح وجسد في كيان واحد ، ويؤلمنا اليوم أن يكون الانفجار السكاني في دمشق أكبر عامل لتآكل الغوطة وتقلص مساحتها ، وما زال هذا الديناصور فاتحاً شدقيه يمضغ الرقعة الخضراء ويلتهمها جزءاً بعد جزء ، فماذا يحل بدمشق إذا تراجعت الغوطة ، هل تنكشف أمام الصحراء وتعصف بها الرمال .

عرفت الغوطة بنفسي وسمعي وبصري ، رأيتها تبدأ من أراضي ـ حي الشاغور الشرقي ـ أي من قلب دمشق ـ وتمتد الى منطقة الديورة التي تتناثر أطلالها بعد بحيرة العتيبة حتى اليوم .

بحيرة العتيبة هي المقر الأخير لنهر بردى الذي ينبع من منطقة الزبداني ويجري على طول الوادي الى دمشق في طريقها الى الغوطة ، حيث تستهلك كل قطرة من مائه في الأراضي الزراعية ثم تستقر في قاع العتيبة ، أذكر أن بحيرة العتيبة كانت مساحتها كبيرة وتغطيها غابات من القصب السل والسهمان . وكان الناس هناك يقطعون السل مرة في

السنة ، ويستعمل في صناعة الحصر ، أما السهمان فكان عمق شرشه يزيد عن المتر ، وكان من الصعب زراعة أراضي العتيبة نظراً لطبيعتها النزازة ، ولكنها كانت تستغل في تربية البقر والجاموس .

وكنت في قرية العدمل التي قمت باستصلاح أراضيها أعاني نفس الأوضاع ، وفي عام ١٩٤٣ هربت من مزرعتنا جاموسة وتغلغلت في منطقة بحيرة العتيبة ، حيث لا يمكن لانسان أن يتغلغل ، وبقيت الجاموسة غائبة أربع سنوات عادت بعدها ومعها ولدان .

أما الآن وبعد أن دخلت التراكتورات الى المنطقة ، فقد جرت زراعة وفلاحة أراضي العتيبة وتم استهلاك كامل المياه الواردة فلم يبق مياه فائضة من نهايات بردى حتى في الشتاء .

روى لي صديقي العزيز المرحوم حمزة ياغي من مزارعي جرمانا ـ ولده سلمان موجود الآن ـ أنه كان يقف على جسر المطير حيث كانت تمر مياه نهر عقربا أحد فروع بردى وتروي أراضي جرمانا : وبعد حدود المدينة بمسافة كيلومترين ينعدم وجود الشجر .

وروى لي المرحوم حسن الصواف ، أنه في عام ١٩٠٥ زرع أرضه في أطراف جرمانا بالمشمش ومر الصيف بعد جفاف شديد فانقطع وصول المياه الى أرضه واضطر الى سقايتها بالقرب المحمولة على ظهر الحمار وهذه الأرض تدعى أرض الطاحون وفيها الآن مدينة ملاهي ومقهى .

كما اذكر أن المغفور له الرئيس شكري القوتلي روى لي أن والده المرحوم محمود القوتلي زرع بالمشمش أرضاً مساحتها /١٨/ فداناً ، أي /١٠٨ دونمات/ ـ وأسماها أرض التفاح ـ وذلك قبل الحرب العالمية الأولى ، وفي فترة من الجفاف اضطر لجلب الماء بالقربة على ظهر الحمار لسقاية الأشجار .

واذكر أيضاً أن جانباً هاماً من قرى الغوطة لم يكن مشجراً ، وقد بدأ تشجيره على أيدي العائلات الدمشقية ، وعندما تملكت عائلات البكري والحلبوني والصواف أراضي جرمانا بدأت بتشجيرها ، كما أن آل العظم وآل الدالاتي وآل المرابط وآل القوتلي هم الذين شجروا قرى المليحة والحتيتة وبالا ، وقام آل العجلاني والخاني والهبل والجاجة بتشجير زبدين . أما القرى التي تليها ابتداء من مزرعة خرابو حتى بحيرة العتيبة فلم تكن مشجرة .

ولكن للأمانة والتاريخ ، إن الغوطة كلها كانت مشجرة قبل مائتي عام ، والدليل على ذلك وجود أشجار جوز على طريق خرابو يزيد عمرها على ثلاثمائة عام ، وهناك بقية منها عند مفرق قرية حرستا والى جانب الطريق عند تل الذهب الى المشتل الزراعي .

وعلى الخط الشمالي الى الشرق يملك آل المالكي ـ قرية الأفتريس ـ وآل العابد قرى بيت نايم وحزرما وحوش الصالحية ، ويملك آل الميداني حوش الفاره ، وآل العظم حوش الفضالية ، ويملك آل مردم بك حوش المتبن ويملك آل العظم قرية المباركة ، وآل البارودي قرية الجربا ، ويملك آل الكيلاني قرية الأحمدية وكان اسمها الجعيدية ، وقرية العبادة ، ويملك آل الجزائري قرية الكفرين .

هذه القرى تقع مجتمعة في منطقة المرج التابعة لقضاء دوما ، وقد بقيت مهملة لبعدها عن المدينة ، ولم تكن هناك طريق معبدة أو مزفتة أو وسائل مواصلات ونقل تتيح للمزارع الوصول الى دمشق لتدارك مستلزمات الزراعة ، إلا أن قيام الحركة التصحيحية قضى على هذا الواقع المتخلف وتم تعبيد وتزفيت كل الطرقات التي تربط بين قرى الغوطة والمرج وبين دمشق أو مراكز الأقضية والنواحي ، ولا سيما الطرقات المتجهة من الشمال الى الجنوب بالطرق الرئيسية ، وكانت كلها متجهة من الغرب الى الشرق .

ثم توجهت الدولة الى القرى نفسها لتحفر فيها الآبار لتوفير مياه الشرب وإيصال الكهرباء الى جميع المرج والغوطة بتوجيه من الرئيس حافظ الأسد ، وأمام هذا التقدم الهائل لشبكة الخدمات ، استطاع الفلاح تأمين حاجاته في منطقته نفسها ، وكان ينزل الى المدينة لشراء أي شيء حتى (الكريك) المجرفة ، والآن انتشرت في معظم قرى الغوطة مراكز الخدمات ، حيث تتوفر مواد البناء وآلات الزراعة والأجهزة الكهربائية وبأسعار المدينة نفسها ، وصاحب الحاجة في المزرعة يجدها في أقرب قرية ، وإذا لم يجدها يذهب الى مركز الناحية ، وحتى الحاجات الكبيرة تتوفر في مركز القضاء مثل دوما ، ولا يضطر المزارع والفلاح للذهاب الى المدينة ، رغم أن الذهاب الى دمشق والعودة منها اليوم لا تستغرق أكثر من ساعات قليلة .

يضاف الى ذلك بناء المدارس الثانوية والاعدادية والابتدائية في جميع القرى ، وكثرة الموظفين الزراعيين الذين يقدمون المعلومات الارشادية والمواد العلفية والخدمات البيطرية .

كل هذا تحقق في ربع القرن الأخير ، وكنت أكثر من خمسين عاماً أطالب كل حكومة بتأمين هذه الخدمات ، ونشرت عدة مقالات في الصحف وكان بعضها تحت عنوان (اسمعي يا حكومة .. القرية يتهددها الخراب) .

فقط يؤسفني توسع البناء السكني في قرى الغوطة ، وهي على ما كانت عليه ، عندما كانت البهائم هي وسائط النقل ، وكانت لا تحتاج من الطرق إلا الوسعة التي تتطلبها ، وأن تبقى هذه الطرقات على ما هي عليه ، ثم يسمح لها ببناء أربعة طوابق ، وإضافة الى ذلك فلا وجائب لها وأكثرها مسموح لها ببناء محلات تجارية ، وهذه تحتاج الى شوارع .. وهل يجوز ونحن في عصر الألفين أن نسمح بالبناء على شارع أو طريق ولو بأي قرية دون أن يكون عرضه ضمن /٢٠/ متراً على الأقل ؟ ولهذا رجوت الدولة إحداث دائرة فنية تتولى عمل المخططات ، ولكن مع الأسف فإنها لم توضع مخططات نموذج واحد لجميع القرى ، وأكتفي بهذا ..

أراضي جرمانا

تعود أراضي جرمانا لعدد من الملاكين أذكر منهم ما يلي :

١ ـ بستان عقربة وغزالة ودردور وطويلة والبغدادي للسيد مدحت البكري .

٢ ـ تليليخ لبشير البكري .

٣ ـ زقاق صغير وبيت قوفة لبيت البكري ، وقد اشتراها فيها بعد العش عندما عاد من الاغتراب في امريكا وانشأ فيها مزرعة نموذجية ، ثم باعها الى أحد المغتربين على طريق بالا العام واشترى أرضاً جانبها من قرية عقربا من مدحت البكري وأنشأ عليها مزرعة جديدة ، وكان قد جاوز عمره الثمانين ، ثم أخذ أرضاً بعلية من داريا يقال لها الخليج ، جانب المزة ، وباعها خليل النبكي عندما كان مديراً لناحية داريا وكذلك أنشأ بها مزرعة نموذجية .

٤ ـ القرشي وهي لنسيب البكري .

٥ ـ والآس وهي لمظهر البكري . وأصبحت كلها بناء .

٦ ـ وأرض الطاحون وهي للبيرقدار وعادل الخياط وجميل الصواف ورفعة الصواف وسليم الشلاح وكان اشتراها من حسن الصواف وأورثها الى ابنته زكية الشلاح .

٧ ـ الظهرات وهي لسليم الشلاح وأصلها من مدحت البكري وباعها أولاده بدر الدين وشفيق .

٨ ـ الجبليات وحقول الشمس لبيت العظم .

٩ ـ النصوب للخطيب .

١٠ ـ الفضة والأشكري والكرم لبيت عبيد .

١١ ـ الكنبوش وبيت قوفه للصواف .

١٢ ـ المؤيدية لسليمان العظمة .

أراضي عربين

ولنعود الى عربين . تنحصر أراضي عربين في مساحات ضيقة بين أراضي زملكا من الغرب وأراضي حرستا من الشمال والشرق . وقد اشتهر أبناء عربين بصناعة الدبس وعصر الزيتون وضمان محاصيل المشمش المجفف ، وفيما بعد اتجه أبناء عربين الى التجارة بجميع أصناف المجففات .

وعندما ازدهرت تجارة البناء سارع «العرابنة» لاغتنام الفرصة ، واستفادوا من سعة المنازل القديمة وحوّلوها الى محاضر يقوم فيها البناء على كامل الأرض دون وجائب ، وإذا كانت هذه التجارة قد درّت أرباحاً كبيرة على أصحابها غير أنها محت الطابع الريفي الجميل للبلدة وقضى على مساحات واسعة من البساتين وجعل عربين مجرد امتداد اسمنتي لدمشق .

ولا تقتصر هذه الظاهرة على عربين بل أنها شملت قرى سقبا وكفر بطنا وحرستا وحتى دوما والتل ويلدا وببيلا والست زينب وداريا والأشرفية وعرطوز وجديدة التي غمرها طوفان البناء وأصبحت امتدادات اسمنتية كثيفة على حساب الأراضي الزراعية المنتجة للثمار والفواكه والخضار والحبوب .

وأذكر أن عربين كانت خالية من الطرق المزفتة وكانت الإصابات بالهيضة «الكوليرا» تحدث بين حين وآخر . وبعد جلاء المحتل الفرنسي عن سورية وانتخاب السيد شكري القوتلي رئيساً للجمهورية عُيّن الدكتور عبد الكريم العائدي قائمقاماً لقضاء دوما ، وكان المتصرف فيها الأمير فايز الشهابي ، فبذل الرجلان جهوداً مشكورة لردم المستنقعات في المرج ووضع حدّ لانتشار البعوض الناقل للأمراض ، كما كان السيد بكري الشمعة مديراً لناحية النشابية التابعة لقضاء دوما وبذل جهوده لانجاز هذه المهام .

وأذكر حادثة عن ماضي طرق الغوطة .

كان المرحوم مختار الهبل من كبار مزارعين الغوطة في أرض قرية زبدين ، وبلغه شرائي قرية ا لعدمل وطلب ان يرافقني ويطلع على مشروع التشجير الذي قمت به وقد كان مسروراً من السرعة في العمل والمساحة الواسعة ، ولكننا تأخرنا بالعودة الى دمشق ، وبوصولنا الى أول أراضي بالا هطلت الأمطار الغزيرة وغرقت الدواليب بالطين ولم يعد بالإمكان السير إلا بعد سحبها بواسطة آلة أو الدواب . وكان من الصدف أن تمر سيارة من هذا الطريق وفي هذا الوقت من الليل . وقفنا ونحن في حيرة ثم قال السيد مختار الهبل : سأذهب أنا الى قرية بالا وسآتي بفدّان بقر من عند شكري بيك القوتلي .

ذهب هو ووقفت أنا انتظر أكثر من ساعتين لأن المسافة ٤ كم ذهاب وإياب . أتي بالفدان وربطنا السيارة به حتى تم اخراجها الى أرض صلبة . هكذا قضينا العمل الزراعي والآن أعود من المزرعة في منتصف الليل وأتوجه إليها أيضاً في منتصف الليل وكأني أمشي بشوارع المدينة ، السيارات لا تنقطع ذهاباً وإياباً . وأصبحت مثل شوارع المدينة من حيث الجودة فأين ذاك الزمان من زماننا ، كل هذا في ظل حركتنا التصحيحية ؟؟ الله يديم عليك النعم يا غوطة دمشق . . .

مزرعة الخيارة

حانوت الخيارة بملكية ورثة عبد الرحمن باشا اليوسف .

وبعد صدور قانون حل الأوقاف الذرية اشترى صبحي الشربجي حصص المذكور من أبناء عبد الرحمن باشا وانشأ مزرعة نموذجية وأشرف عليها واحد من آل الشربجي تخرج

كمهندس زراعي كان والده سهاناً بالسنجقدار وعند صدور القانون الزراعي استولى على الزائد ولا زالت البقية باقية للورثة وهم غير معروفين واشترى مساحة من البنات الشيخ أحمد كفتارو وكان ولده ضحية قتل من قبل المستأجر فيه . وحصة لصائب النحاس وحصة للمرحوم زهير الغبرا وحصة لجارابيت يعقوبيان وحصة للوقف مساحتها ٢٢٢ دونم باعتها الأوقاف الى عبد اللطيف العثمان من الكويت الذي بنى جامع العثمان على طريق حارة الأكراد وأخذ الاصلاح الزراعي المساحة الزائدة عن الحد الأعلى للملكية من ملكية عبد اللطيف العثمان .

بعض من الأسر الزراعية المالكة في غوطة دمشق

١ ـ آل القوتلي

سبق القول أن الرئيس شكري القوتلي كان ورث مع شقيقه عادل وشقيقاته نصف قرية بالا ونصف قرية المعضادية ، وأن الاصلاح الزراعي أخذ الزيادة وقد باع أولاده من بعده وكذلك شقيقاته أكثر هذه الأراضي .

وكان السيد احسان القوتلي ابن مراد قد ا ختص ببعض أراضي بالا والمعضادية وكان مزارعاً نشيطاً عريقاً ومتسامحاً مع الضمانة ويتحمل معهم الخسارة ان وقعت ، وقد صودر له حوش جديد بناه في الأرض فباع الباقي وذهب فأقام في لبنان حتى توفي .

وكان عارف القوتلي يملك قطعاً من حتيتة الجرش ورغم تقدم سنه كان يمتطي بغلته ويتنقل بين أراضيه وعرف أيضاً بالتسامح مع الضمانة ، وقد بنى داراً كبيرة في دمشق على طريق الشيخ محي الدين واستخدم أشجار مزرعته بعد تجفيفها في جدران وسقف الدار .

وكان سعدي القوتلي قد ورث عن والده المرحوم عارف عدداً من الأراضي عمل فيها بالزراعة ولكنه كان سيء الحظ فباع أرضه واحدى قطعها أخذ المشتري ثمنها مضاعفاً خمس مرات مما فيها من شجر الحور ثم خلفت جذور الحور . وبعد ذلك ترك السيد سعدي القوتلي الزراعة وباع الباقي عنده .

وتملك خليل القوتلي عدداً من الأراضي . أما الشيخ راشد القوتلي وهو والد مراد أفندي القوتلي ، فلم يعمل في الزراعة وإنما انصرف الى التفقه في الدين وصار عالماً دينياً محترماً ، وعرف بصحبته للشيخ أحمد الحارون ، وقد أنجب أولاداً بينهم المهندس مراد القوتلي الذي تولى وزارة المواصلات .

وتملك توفيق القوتلي حصة في قرية القيسا التي تبعد عشرة كيلومترات عن قرية الحتيتة التي يملك بها أجود الأراضي المزروعة بالحور وكان يركب فرسه متنقلاً بين أراضيه ، وله ولدان أحدهما المحامي الدكتور عدنان القوتلي الأستاذ في جامعة دمشق ، وبنات تزوجن الى عائلات الرجولة وبوظو والحسيني .

وعندما بلغه شرائي قرية العدمل قال لي هل الفرس الكديشة مثل الفرس الأصيلة؟ واشتريت منه أغراس حور ومضى عشرة أعوام واذا بولده الدكتور قوتلي يشتري مني أغراساً ويزرعها في قطعة أرض اسمها الباروقية وهي سوكة بمفترق قرية حتيتة جرش وهكذا أكرمني الله وجعلت من الأرض التي شبهها بالكديشة يحتاج لها صاحب الأرض الذي يملك الأصيلة وهكذا يقول المثل (الدهر دولاب والدنيا قلابة).

٢ - آل مردم بك

كان المرحوم جميل مردم بك وشقيقه محمد مردم بك يملكان أراضي في مزرعة حوش المتين ، وجميل مردم معروف في تاريخ سورية إذ ترأس الحكومة أكثر من مرة وعمل في الحقل الوطني مع اشرافه على أرضه الزراعية ، ولكن عمله في الزراعة ، رتب عليه ديوناً لمدة طويلة حتى استطاع وفاءها والغاء الحجز الذي وقع عليها . وعند صدور قانون الاصلاح الزراعي غفل عن ذكر حصة موروثة عن والده في قرية القيسا ولم يكن يعلم بها فعدَّها الاصلاح إخفاء لبعض ملكيته والقانون يحق له وضع اليد على كافة ما يملك المالك في هذه الحال وهكذا صودرت جميع أراضيه في حوش المتبن والفضالية .

٣ - آل البكري

أغنياء عن التعريف ، ولهم دور مشرف في التاريخ الوطني ، وكان بعضهم من الرواد الأوائل في الثورة العربية ولا تفي بحق هؤلاء هذه العجالة لتعداد أسماء بعض الأجداد والآباء والأحفاد من هذه الأسرة الدمشقية التي لم تقصر في مضمار البذل والتضحية .

تنتمي هذه الأسرة الى كبير صحابة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولكننا هنا نبدأ من جد الأسرة عطا باشا البكري الذي أنجب ستة أبناء معروفين وهم : فوزي البكري الذي نال رتبة الباشوية من الملك عبد الله في عمان ، وعندما عاد على أثرها الى دمشق أقام له المرحوم الشيخ سعيد الشلاح حفلاً شعبياً في مسجد الأقصاب حضره رجال الأحياء في دمشق ، أنجب فوزي باشا نجلين بارين هما أسعد البكري الذي شغل

مناصب إدارية هامة وأحرز سمعة جيدة ، وما زال على قيد الحياة ، متعه الله بالصحة والعافية والثاني بهاء البكري الذي أمضى ردحاً جيداً من حياته في العراق واقترن بسيدة عراقية أنجب منها سالم الموظف في شركة يابانية والمهندس حازم .

نسيب البكري ثاني أبناء عطا باشا وهو من رجالات دمشق الأوائل الذين مهدوا للثورة العربية وتعاونوا مع الملك فيصل الأول للقيام بها ، والتحق بالشريف حسين في الحجاز ، ودخل مع الجيش العربي عندما حرر دمشق .

ولما انفجرت الثورة السورية ضد الاحتلال الفرنسي في عام ١٩٢٥ كان نسيب البكري في طليعة المجاهدين واضطر للنزوح عن البلاد زمناً طويلاً ثم صدر العفو عنه فعاد الى دمشق وجرى له استقبال شعبي وأقيم حفل كبير في دار آل العمري بالسنجقدار ترحيباً به .

لم يتسلم نسيب البكري أي منصب عدا وزارة الأشغال العامة زمناً طويلاً ثم عاد الى الصف الوطني مكرماً نظيف اليد .

أنجب المجاهد نسيب البكري ولداً وحيداً هو الأستاذ عطا البكري الذي عمل بالمحاماة ، وعين قاضياً ثم تقاعد محمود السيرة محبباً لمعارفه .

سامي البكري هو ثالث أبناء المرحوم عطا باشا عرف بالوجاهة وتولى المناصب الإدارية الى أعلى درجاتها واقترن بكريمة المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسف ، فأصبح عديلاً للمرحوم حسين بك الايبش الصياد العالمي الشهير ، وشريك أمراء مصر في رحلات الصيد الافريقية .

فقد عمل المرحوم الايبش في الزراعة واستصلح مساحات كبيرة من الأراضي التي تلي مرج دمشق وأنشأ فيها أقنية الري فأغرق دمشق بالبطيخ الأحمر .

من مخلفات المرحوم الايبش متحف رائع جمع فيه الحيوانات الكاسرة التي استطاع اصطيادها وقام بتحنيطها وبينها الأفيال والسباع والنمور والضباع والذئاب .

أعود الى السيد سامي البكري الذي أنجب عبد الله وخالداً ، الأول اقترن بفتاة من آل الحسيني وله ولد واحد هو سامي باسم جده ويعمل في الكويت ، وأنجب خالد ولداً واحداً يدعى زياد .

مظهر البكري هو الابن الرابع لعطا باشا وقد درس في الجامعة الامريكية ببيروت وأحرز شهادتها ثم أكمل دراسته في فرنسا وتولى عدة مناصب إدارية وعين مديراً عاماً للشرطة ثم أصبح أميناً للعاصمة ، وهو صاحب الفضل في تحويل بستان السبكي الى حديقة عامة من أهم حدائق دمشق حينما كان محافظاً ، وتدعى حديقة زنوبيا ، وقيل أنه لولا هذا الخيار لتحولت هذه الأرض الى مقاسم بناء وعميت المنطقة بمكعبات الاسمنت .

آخر المناصب التي تولاها مظهر البكري هو سفير سورية في البرازيل ولم ينجب ذرية .

بشير البكري هو خامس أبناء عطا باشا البكري ، تولى عدة مناصب إدارية وعين مديراً لأوقاف دمشق ، وفيما بعد ذهب الى المملكة العربية السعودية حيث استقر بالرياض وانتقل فيها الى رحمه الله ، وله ثلاثة أولاد هم : بشار وعمر وبشر .

وتولى أيضاً عبد الرحمن وله من الأولاد معاوية ومازن في الولايات المتحدة الامريكية ، وبشير الذي ما زال في مرحلة الدراسة .

خير الدين البكري ـ وهو سادس أولاد عطا باشا وقد أنجب من الأولاد ثلاثة ذكور وهم علي ونبيل وسمير .

فاتنا أن نذكر خليل أفندي البكري شقيق عطا باشا ، وكانا يملكان بالوراثة مساحات واسعة من أراضي قرية جرمانا القريبة من دمشق والتي أصبحت جزءا منها نتيجة للتوسع العمراني وتبلغ مساحتها /٩٥٠/ فداناً ، وكان خليل أفندي يمضي معظم أيامه في القرية حيث كان للأسرة دارة كبيرة وسكن جيد وعرف بحبه للزراعة واشرافه المباشر على أراضيه .

وخلال الثورة السورية جردت قوات الاحتلال الفرنسي حملة عسكرية على الغوطة هاجمت خلالها قرية جرمانا وبعد أن أخرجوا أهاليها من منازلهم أحرقوها بكاملها انتقاماً من الثوار ومن آل البكري وأتت النار في تلك الحملة على الحوش والدارة العائدة اليهم .

لم تقتصر الأضرار التي أنزلت بآل البكري على حرق مزرعة جرمانا ، بل أن المدفعية الفرنسية صبت حممها على منازلهم في حي سيدي عامود (الحريقة حالياً) ودمرتها وحولتها الى انقاض ورماد، وهكذا فقدوا السكن والأرض الزراعية جزاء على دورهم في الثورة السورية .

أعود الى السيد خليل البكري شقيق عطا باشا البكري ، وقد علمت انه ترك ثلاثة أبناء وهم أنور ورشدي ومدحت ، وقد انصرف الأول الى العناية بكروم العنب التي يملكها في داريا ، وأصيب بمرض أفقده كامل شعره حتى حواجبه وريف عينيه وأتيح للثاني أي رشدي ان يقترن بابنة السيد علي الدالاتي التي ورثت من والدها حانوتاً في قرية بالا ، وفيما بعد رهن هذا الحانوت لدى آل الخياط وبيع الى الدكتور وحيد حقي الذي عمل طبيباً في العراق ثم عاد في النهاية الى الشام واشترى هذا الحانوت ثم باعه للمرحوم عارف الحلاق ، أما الابن الثالث أي مدحت فلم ينجب أولاداً وباع أراضيه باستثناء قطعتين باعهما ورثته .

وترك السيد أنور ثلاثة أبناء أولهم الذي هاجر الى اليونان حيث اقترن بامرأة يونانية وعاش هناك ، أما الثاني والثالث فهما موفق وخليل ولم يخلفا أولاداً .

هذا ما عرفته عن هذه الأسرة الكريمة التي كان لها دور وطني مشرف ومستوى أخلاقي واجتماعي محمود .

آل الدالاتي

هنا أود أن أعرج الى آل الدالاتي من كبار مزارعي الغوطة بادئاً بالسيد أحمد الدالاتي وشقيقه علي قيل أنهما كانا يملكان مطحنة ثم تحولا الى شراء الأراضي الزراعية في المليحة وحتيتة جرش وبالا وبعدها تملكوا حصصاً من حوش خرابو وكانت لهما غابة كثيفة من الحور سميت (زور الدالاتي) لجأ اليها الثوار واعتصموا فيها أثناء الثورة . وكان للسيد أحمد ثلاثة أبناء معروفين هم أمين وبشير ومنير وقد نموا ثروتهم واشتهرت أراضيهم بكثافة الشجر ذات القيمة ووفرة المياه الى أن أدركهم الاصلاح الزراعي وكان بشير أنشطهم يتوجه قبل طلوع الشمس الى الأرض بعربته الجميلة التي يجرها زوج من الخيول . وقد تزوجت شقيقتهم من السيد فخري البارودي ولم تنجب له ولداً . وأنجب علي الدالاتي ولداً واحداً اسمه محمد وهذا جاءه ثلاثة أولاد هم فائز وفيصل وزهير .

وأذكر أن آل الدالاتي أصدروا بياناً في الثلاثينات حذروا فيه من محاولة اليهود شراء أرض البطيحة من آل اليوسف وبالفعل فشلت هذه المحاولة آنذاك .

سوق أمين وبشير الدالاتي في بالا . . وهكذا كذلك عام ١٩٣٩ في المليحة . .

اسم قطعة الأرض المعروضة للضمان	للمالكين المذكورين
العضة العتيقة	الضمريلة
التفاح والزيتون	صوان والرملة والتل
جوزه الطرشه	القصورة أرض حسن بيك
طاقة خرابو	المروش
الأشيش	الحجاز والوادي
برانس	البيرة
الكرم	البيرة
عربي البيئة	الشقيري
العبارة	العروق
العالية والعالية	الططري وشمل
تل العطار	رأس القبطعة
العبارة الثانية	الزاوية
	بستان أبو عمر
	رفوف بجسر وكسارة العبد ..

آل المالكي

آل المالكي أسرة دمشقية عريقة عرف أفرادها الذين برزوا في المجتمع بالرجولة والصلابة والجرأة والاستقامة ، وكانوا مثالاً في الوطنية والتمسك بالدين والقيم ، مع ذهنية متفتحة لدرجة أن غالبية المتأخرين منهم اعتنقوا المذهب الحنفي بدلاً من المذهب المالكي (مذهبهم الأصلي) بسبب اقتناعهم بيسر ومرونة المذهب الحنفي .

ترجع جذور الأسرة في الشام الى أكثر من سبعمائة سنة ، ويقال أن جدها الأعلى هو الإمام أنس بن مالك وأن واحداً من أحفاده هاجر من المغرب الى دمشق واستقر فيها وتفرع عنه أولاده وأحفاده .

توالى رجال الأسرة على مناصب افتاء المذهب المالكي ومناصب القضاء في دمشق ، أوردت المصادر التاريخية أسماء عدد منهم بوصفهم من العلماء ، غير أن الغالبية من أفراد الأسرة عملوا بالزراعة وكانوا من ملاكي الأراضي في الغوطة ، وعرف العديد منهم بالخبرة الواسعة والكلمة المسموعة .

ونجد في بعض المصادر أسماء واحد وعشرين قاضياً وأربعة مفتين وأربعة علماء من آل المالكي . ونظراً الى أن علاقاتي العملية كانت مع المزارعين من جيلي فأنني اذكر السادة شمس الدين المالكي وتوفيق المالكي وعمر المالكي ووجيه المالكي من كبار المزارعين في النصف الأول من هذا القرن ، كما كان عزة بن سعدي المالكي مزارعاً كبيراً وعضواً في غرفة زراعة دمشق وانتخب اسماعيل المالكي رئيساً لهذه الغرفة الذي عاش بحدود مئة ويملك ارض في أشرفية صحنايا ومات ولم يخلف أولاداً .

وفي النصف الثاني من القرن العشرين اتجهت غالبية الأسرة الى تلقي العلم والى الأعمال ذات الطابع الفكري والعلمي ، وأصبح العديد منهم محامين ومهندسين وأطباء وإداريين ، وتولى بعضهم مناصب رفيعة في الدولة . ومن أبرزهم عبد الوهاب المالكي أول دمشقي يحمل شهادة هندسة الطرق والمعابر وتولى إدارة الخط الحجازي ومن مشاريعه بناء العباسيين الكبير في شارع سعد الله الجابري الذي تشغله وزارة الانشاء والتعمير وفندق سميراميس ودار سينما والعديد من المحلات التجارية ، وهو من أملاك الخط الحجازي البارزة في دمشق .

ومن ألمعهم الدكتور موفق المالكي الطبيب البارز وأستاذ الأمراض الباطنية في كلية الطب وولده الجراح الممتاز الدكتور معن المالكي وكلاهما في أعلى مراتب الفهم والبراعة والأخلاق. والسيد يحيى المالكي أمين سر وزارة المالية ومن كبار موظفي الجمارك، والقاضي ماجد المالكي الذي عين محافظاً أكثر من مرة والمناضل منير المالكي الذي تولى رئاسة المكتبة الإدارية في لجنة مياه عين الفيجة وكان أمين سر جمعية تحرير فلسطين. وأذكر أنني ضمنت محصول مزرعته في عام ١٩٣٧، ١٩٣٨ .

أما الشهيد العقيد عدنان المالكي نائب رئيس أركان القوات المسلحة في الأعوام الأولى من الخمسينات فهو من الضباط اللامعين خلقاً ومسلكاً والمعروفين بوطنيتهم وصلابتهم وكان في فرنسا حينما أقدم حسني الزعيم على قلب الحكم الوطني وتعطيل الدستور.

وأخص بالذكر المحامي الأستاذ رياض المالكي الذي انتخب نائباً في المجلس النيابي عام ١٩٥٦ واختير وزيراً للثقافة في عهد الوحدة ، فهو من رجال العقيدة القومية والمؤمنين بالوحدة العربية وعرف بالجرأة والصلابة .

أذكر أنني كنت في الجانب المناهض له أثناء انتخابات عام ١٩٥٦ ، وأيدت خصمه مصطفى السباعي ، ومن المصادفات أن المفتي العام أحمد كفتارو أقام مأدبة احتفاء بالسيد حسن الشربتلي خلال زيارته لدمشق وأصر الشربتلي على اصطحابي لحضور هذه الحفلة التي أقيمت في حي الأكراد ، وحملني حملاً لركوب السيارة لأنني لم أكن مدعواً وعند وصولنا قال الشربتلي للشيخ كفتارو أبو راتب لم يقبل الحضور فأجابه أبو راتب هو صاحب الدعوة ولا يحتاج الى دعوة وعند وصولنا الى درج النزول قدمت الأستاذ رياض المالكي ليتقدمني فلم يقبل قلت له مازحاً كنت في الانتخابات ضدك فكيف تكرمني بالنزول قبلك ، ولكنه أصر على أن أكون أمامه هنا تساءل الشربتلي كيف تقوله له أنك عملت ضده في الانتخابات وأجبت هذه عادتي في الصراحة لا استطيع اخفاءها وقد تقبلها الأستاذ رياض المالكي بسعة صدر ونبل فهو يعرف عني الصراحة والصدق ولا يضيق بهما .

وعرفت السيد فايز المالكي الذي تضلع بالتجارة على نطاق واسع وكان منافساً للشركة السورية لتوزيع وتكرير النفط التي أسسها شقيقي أنور الشلاح وتوليت رئاستها .

الأستاذ خالد المالكي

ومن أسرة المالكي المحامي الأستاذ خالد وهو من مواليد ١٩٤٣ ووالده السيد عزت المالكي كان مزارعاً وعضواً في غرفة الزراعة.

حصل على إجازة الحقوق وتابع الدراسات العليا وانتسب الى سلك القضاء حتى بلغ رتبة مستشار وله بحوث ودراسات قانونية وكتب من تأليفه ، واختير وزيراً للعدل من

١٩٨٠ الى ١٩٨٥ . وهو متزوج وله أربعة أولاد وله هواية في الشعر والشطرنج وقد أصبح الآن جدا بعد أن ولدت ابنته طفلاً لزوجها السيد عبد الحميد الخطيب وهو من التجار المعروفين وأصحاب المواقف الوطنية والنشاط في سورية والإمارات والسعودية.

من ملاكي الغوطة

ومن ملاكي الغوطة المسجلين عندي في سجل الأرض ومالكيها السادة عارف هاشم ومحمد علي العجلاني وابراهيم العجلاني وعبد الحميد الجاجة وأخوانه وعارف الحلبوني ومختار الجزائري والأمير كاظم الجزائري وعطا بك الأيوبي والدكتور وحيد حقي وآل التسابحجي وغيرهم كثيرون .

آل السيروان

أعرف منهم الحاج ديب ابن الحاج يوسف السيروان الذي كان يعمل تاجراً بالأقمشة وكان مثال التاجر الطموح ، المؤمن والطيب برّ والديه وكسب رضاهما وتوفق بأعماله كما حاز على محبة زملائه وعملائه .

عندما قامت حرب فيتنام حصل هبوط بأسعار أكثر الأصناف التي يتعامل بها وخاصة بسعر القماش المعروف بالقطه والبرنيطه فخسر الحاج ديب خسارة كبيرة فباع بناية جديدة كان يملكها بالسنجقدار بدون علم أحد وسدد كافة الذمم التي عليه واستمر بعمله التجاري الصادق في دمشق كما أسس محلاً تجارياً جديداً في بيروت وتوسع وعوضه الله خسارته حيث اشترى شقق أفضل من التي باعها .

لقد كان عنده /٤/ ذكور ـ ابراهيم ـ ونور الدين ـ ومحمد خير ـ ويوسف . وهؤلاء كانوا يعملون بدون تخصيص لأي فرد منهم علماً بأن ابراهيم كان عنده /١٢/ ولداً وكان سعيداً بالعمل بكنف والده ومكتفياً برضائه .

ابراهيم عنده /٦/ ذكور جميعهم تزوجوا . وهم : ممدوح وعنده /٥/ ذكور ، وصفوح وعنده /٢/ يعملون شراكة بالألبسة ويصدرون الى روسيا . ونصوح وعنده /٣/ إناث . ومحمود وعنده /٣/ يعملون في مكتب شحن بالحريقة . ومحمد أعزب . وأحمد وعنده ذكر و انثى .

وابراهيم وهو الآن يشرف مع اخوته ويشغل أكثر أوقاته في الاشراف على بناء المساجد وأعمال الخير .

شقيقه نور الدين عنده /٣/ ذكور و /٧/ إناث ـ زوجهم جميعهم ومنذ عامين ـ ترك العمل مع أشقائه وأصبح يعمل لوحده شراكة مع الحاج أحمد دياب وأخوانه .

الولد الثالث محمد خير المتزوج من ابنة شقيقي الحاج شفيق الشلاح وأنجب منها /٦/ من الشباب يعملون مع والدهم وهو لا يزال يعمل مع أشقائه وأكثر عمله سفر الى أكثر البلدان العربية والأجنبية .

وأولاده أديب وإياد ووائل وعبد الرحمن وباسل وعمر .

الولد الرابع يوسف ، تزوج وأنجب اثنين من الذكور وانثى . ولا يزال مع اخوانه بالشراكة .

أحد بنات الأب الحاج ديب السيروان متزوجة من الحاج حمدي البردان وعندها /١٦/ ولداً وإناثاً ما شاء الله وكان ، أصبحوا ذريته . وهذا ما عدا الأحفاد وأحفادهم .

والحقيقة ان دمشق حافلة بالعائلات الطيبة المستقيمة الصدوقة التي تعيش حياة التقى الهنيئة والمرضية التي تتميز عن مظاهر التنعم الجديدة .

البَابُ التَاسع:

متمّات ومستدركات

الباب التاسع

متممات ومستدركات

الحساب

ما انتجته سورية منذ الحركة التصحيحية

صباح يوم الجمعة ١٠/٥/١٩٩١

أقف الآن أمام ذروة من العمر ، وأواجه الماضي الطويل مستريحاً الى ما أنجز وتم ، ومستعيداً بالشكر والحمد ما أنعم الله عليّ من القوة على تحمل المسؤوليات ، ومن نعمة الأبناء والأحفاد الذين أجد في حدبهم ورعايتهم وسهرهم على راحتي ما لا تعادله كنوز الدنيا ، وكذلك أرى وطني يتقدم ويكبر ويصبح مثالاً للبناء الاقتصادي والانجاز الحضاري .

أسطر هذه الكلمات خلال فترة راحة أثر عارض ألزمني الدار منذ يوم الجمعة الماضي ، فلم أغادره إلا يوم الأحد لحضور اجتماع في مقر اتحاد غرف التجارة السورية أعقبه لقاء آخر مع السيد حسان السقا وزير التموين والتجارة الداخلية ورؤساء الغرف لانجاز مناقشة تعديل النظام الداخلي لغرف التجارة ، ثم لبيت الدعوة لمأدبة الغداء التي أقيمت في نادي الشرق ، وجمعتنا مائدة واحدة مع السيد الدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية وضيف له هو رجل أعمال من دولة عُمان وكان وقتاً ممتعاً ملأه السيد الوزير بما عرف عنه من لباقة وحديث مفيد .

عدت الى الدار وأنا ابتهل الى الله عز وجل شاكراً على ما وهبني من الطاقة للقيام بالواجبات دون كلل ، ومتابعة العمل في سن السادسة والثمانين ، وراجياً من ربي أن يديم هذا التوازن الى حسن الختام دون المرور بأي طارىء من العجز ، لقد قطعت مراحل العمر من الصبا الى الشباب فالرجولة ثم الكهولة بتمام العافية والعقل والتصرف السليم ، ولا أرجو أكثر من ذلك حتى نهاية المطاف .

أستاء عادة من الضيق الناشيء عن حادثة صغيرة يعدها صاحبها مصيبة كبيرة ، أما أنا فأجدها نعمة كبيرة ومجرد تجربة نتعلم ونتعظ بها ، ولذلك كانت حياتي ملأى بالشكر ليلاً ونهاراً ، والى جانب أربعة شباب وأربع بنات لا يفارقونني ، ومساكنهم بالقرب مني ، يضاف الى ذلك ما يقارب الواحد والثمانين من الأولاد والأحفاد ونسائهم وأزواجهن ، أعرف كل ما يتعلق بأعمالهم وسكنهم ، وأرضى عن حسن تربيتهم وسلوكهم حسب التقاليد الأصيلة. وبعد تأخر صدور الكتاب أصبح عدد الأولاد والأحفاد ٩١ أجمعهم في كثير من أيام الجمعة في المزرعة حيث يسبحون ويلعبون ويمرحون وأحمد الله على هذه النعمة التي تفوق كل شيء بالحياة.

أمام هذه الصورة أود إجراء حساب واضح لا استهدف منه إرضاء حاكم ، فالأرقام حقائق لا تحجبها العواطف والأمزجة . فقد كنت دائماً مع الوطن ومع الانسان ، والتزم دائماً بالحساب الذي أجيده منذ صغري ، وأؤمن بالمسلمة الثابتة وهي واحد زائد واحد يساوي اثنين فقط ، وان اثنين واثنين يساوون أربعة بلا زيادة أو نقصان ، فلنعد إذن الى الحساب الذي لا يحتمل المراوحة والتمويه .

أقف عند عام ١٩٦١ حيث اذكر اجتماعاً عقد في نادي الشرق بحضور ودعوة السيد عزيز صدقي وزير الصناعة المصري آنذاك لبيان الصناعات التي أنشئت في سورية ، وكلف بعض أصحاب المصانع لإلقاء كلماتهم ، وكان بجواري آنذاك المرحوم أمين شحادة الذي أخبرني بأنه سيتحدث عن معمل للّيف أقامه في غوطة دمشق وقال : سأذكر أن معملي هذا يضم مئة عامل ، وسألته عن العدد الحقيقي فقال : عشرة ، بادرته لماذا لا تقول الحقيقة فأجاب على استحياء بأنه سيعدل الرقم المعلن ليكون مطابقاً للحقيقة.

كان معنا على الطاولة الدكتور عزة الطرابلسي العلم الاقتصادي والمصرفي المعروف والذي لا يُنسى ، والمرحوم الدكتور أحمد السمان الذي كان رئيساً للجامعة السورية كما كان مستشاراً اقتصادياً لغرفة التجارة ، ثم شغل الوزراة ، والمرحوم بدر الدين دياب رئيس

غرفة الصناعة آنذاك ، والمرحوم الحاج عادل الخجا رئيس غرفة تجارة دمشق في الستينات ، وسألت الدكتور الطرابلسي عن موضوع كلمته فقال : ان العجز التجاري بلغ في ذلك العام /١٢٠/ مليون ليرة ، وسألته من أين العجز أجاب أن استيراد سورية بلغ /٧٥٠/ مليون ليرة ولم تزد صادراتها عن /٦٣٠/ مليون ليرة سورية ، بادرته قائلاً : هذا غلط ، ونحن نسجل التصدير أقل من الواقع بفارق كبير . فنحن مثلاً نستورد ما قيمته /٣٠/ الى /٤٠/ مليون ليرة أكياس خيش من الهند لتعبئة الحنطة التي نصدرها فكم تبلغ قيمة الحنطة التي تعبأ فيها ؟. وهناك دخول غير منظورة ما أكثر الأمثلة عليها .

هذا شارع الجلاء (أبو رمانة) الذي شق في عام ١٩٤٥ أثر جلاء المحتل عن سورية وها هو الآن غاص بالأبنية على طرفيه ، ولم يبق فيه متر واحد دون بناء ، وهذه ثروة عقارية ضخمة .

وأمامنا شارع بغداد وكانت السلطة الفرنسية قد شقته في عام ١٩٢٥ لتسهيل مرور آلياتها العسكرية الى غوطة دمشق ، وضرب الثورة الوطنية ، ولكنه تحول الى شريان رئيسي للمواصلات بين دمشق وضواحيها الشرقية والشمالية . في البداية لم تنشأ فيه إلا أربع عمارات تبدأ من ساحة السبع بحرات ، وهي ساحة أحدثها الفرنسيون لإحياء ذكرى ضابط فرنسي برتبة مقدم في فرقة الهجانة قتله الثوار ثم أزيلت القبة المحدثة لهذا الغرض .

وبعد حرب السادس من تشرين عام ١٩٧٣ أطلق عليها اسم ساحة التجريدة المغربية تخليداً لذكرى الأشقاء المغاربة الذين شاركوا في الجبهة السورية وقدموا الشهداء على أرضنا العربية ورووا ترابنا بدمائهم الطاهرة الزكية .

في البداية قامت عند ساحة السبع بحرات بناية درويش الشبؤون وبناية حسن الجفان وبناية الأستاذ المحامي وديع بيطار وبنايات آل شرف ومغربية وبعيرة . ثم قامت في الخمسينات عمارة المصرف المركزي التي تتصدر شارع ٢٩ أيار ، وعمارة محافظة دمشق وعمارة الهلال الأحمر السوري وعمارة المصرف التجاري ، وأخيراً عمارة المؤسسة العامة للتأمين ، وانتشر البناء انطلاقاً من ساحة السبع بحرات في كل الاتجاهات الستة التي تتفرع عن الساحة . هذان مثالان ومثلهما مئات عن توسع العمران . والى جانب النمو العقاري الضخم انشئت معامل الاسمنت في دمشق وحلب ومعامل الغزل والنسيج والكونسروة والزجاج التي تمثل رأسمالاً صناعياً كبير الأهمية . وهذه الأصول الثابتة تفوق قيمتها عدة أضعاف أي عجز رقمي . وهنا وافق الدكتور الطرابلسي على أقوالي هذه وشطب كلمة العجز من خطابه .

ولا أملك إلا التنويه بهذا الرجل القدير الكفء الذي تولى منصب أول حاكم لمصرف سورية المركزي بعد تأسيسه ، وأحسن إدارته وتحمل مهامه الخطيرة بكفاءة ، وكانت له مواقف صريحة وجريئة نابعة عن إخلاص مبني على الخبرة والعلم .

والآن أود أن أتحدث عن زمننا الحاضر حيث يتراءى للناس ان قيمة الليرة السورية ترددت ما بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٩١ حيث كانت قيمتها من قبل /٤٠٠/ قرش سورية للدولار الواحد ، وأصبحت /٤٢/ ليرة سورية للدولار الواحد أي بحدود عشرة أضعاف وأنا لا أنكر ذلك وكنت أود أن لا يكون ذلك ، ولكن دعونا نقارن هذه الظاهرة مع نسب تدني العملات .

كان سعر الجنيه السوداني في الماضي ثلاثة دولارات والآن أصبح دولار يعادل (٧٣) جنيهاً سودانياً أي أن الانخفاض هنا بلغ /٢١٠/ أضعاف . وكان الدولار يعادل ٣ر٧٥ ليرات لبنانية ، واليوم يعادل الدولار أكثر من تسعمائة ليرة لبنانية أي /٢٥٠/ ضعفاً . وفي عام ١٩٧٤ كان الدولار يساوي (٠ر٦٥) من الجنيه المصري واليوم يساوي أكثر من ثلاثة جنيهات مصرية ، أما الدينار العراقي الذي كان في عام ١٩٨٠ يزيد عن دولارين فقد هبطت قيمته الى أقل من ربع دولار هذا مع وارداته من النفط ، وحتى الدينار الليبي هبط كثيراً عما سبق رغم تصدير البترول الكثير والنقي وقرب النقل .

وينطبق ذلك حتى على عملات الجزائر والمغرب وباقي البلدان العربية عدا المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة، وحتى الدولار كان يساوي على الين الياباني ٢,٣٠ وأصبح ١٢٣ وحتى على المارك أيضاً كان ٢٦٦ وأصبح ١٤٠ .

أليس واضحاً الفارق الكبير بين قيم العملة السورية التي تستقر وتتعزز يوماً بعد يوم وقيم العملات التي ورد ذكرها .

وإذا أمعنا النظر في النمو السوري خلال العقدين الماضيين منذ عام ١٩٧٠ تجلت أمامنا مظاهر المد المذهل من البناء والتطور الصناعي والزراعي ، ولا نستطيع بدقة حصر الأموال الطائلة التي أنفقت في هذا المجال .

وحتى الريف السوري أصبح زاخراً بهذه الثورة العمرانية التي لم يسبق لها مثيل ، ولنأخذ بلدة دوما كمثال ، أنها الآن أكبر من دمشق كما كانت قبل ثلاثين عاماً ، وهذه قرية سقبا التي تضم الآن أكبر مصانع ومعارض الأثاث في سورية ، وبلغ فروغ المخزن الواحد فيها مليون ليرة سورية كحد أدنى .

ولنلق نظرة على مصايف الزبداني وبلودان وبقين ومضايا فماذا نرى ؟ مئات المباني الفخمة والفنادق والمقاصف والمطاعم والحدائق التي تزداد وتتسع يوماً بعد يوم حتى بتنا نخشى ان تزيد حاجاتها الاستهلاكية عن طاقة مصادر المياه في المنطقة وإن كان لدينا تحفظات كبيرة حول بعض النتائج السلبية لهذا التوسع .

بينما تمتد الشبكة الطرقية الحديثة في كل مكان ، وتربط بين مناطق الانتاج والاستهلاك ومرافىء التصدير ، كما تربط مراكز المحافظات في مراكز المناطق والنواحي ، وفي الوقت نفسه تمتد الطرق الدولية من أقصى القطر الى أقصاه طولاً وعرضاً شاملة البلدان النائية والمنافذ الحدودية ، ولم تبق بلدة في سورية معزولة عن الشبكة الطرقية ، وحتى البادية التي كانت شبه مغلقة أمام السيارات أصبحت مفتوحة بعد شق طريق دمشق ـ تدمر ـ دير الزور ، عبر طرق ذات مواصفات دولية ، وتجتازها يومياً وسائط النقل المنظم دون انقطاع .

وكيف نتغاضى عن قيام زيادة في مصانع حديثة للغزل والسكر والكونسروة والألبان والسماد والورق والاسمنت ومحطات الأبقار وصوامع الحبوب ومطاحن القمح وسدود التخزين والتحويل والسقاية ومحطات توليد الكهرباء وخطوط نقل الغاز وآبار النفط ، فهذا كله قاعدة كبيرة للثروة والدخل أنشئت خلال عقدين من الزمن في سورية التي لا تعد دولة نفطية ، وليس لديها مصادر النفط الهامة التي يملكها العراق والخليج بل عليها تحمل نفقات جيش كبير دائم مطلوب منه أن يحمي البلاد العربية بأكملها .

يضاف الى هذا كله مشاريع مياه الشرب والهاتف والمشافي والخدمات الصحية ، لقد أنفقت في هذه الفترة القصيرة مئات المليارات من الليرات السورية لبناء سورية الحديثة القادرة على مواكبة العصر من موقع الكفاية والاعتماد على الذات .

ثم أن هناك أموالاً كثيرة تسربت الى الخارج ولكنها وإن كانت كبيرة فانها لا تقاس بما يتدفق على سورية من المغتربين والتجار السوريين النشيطين والمنتشرين في العالم . الذين تدرجوا على طرق مستقيمة ولا تقاس بما تحقق وأصبح من الأصول الثابتة في هذا البلد الطليعي الذي يعد أبناؤه في الداخل والخارج ثروته الأكبر والأهم .

هذا يعيدنا الى عنوان الموضوع أي الحساب ، وحينما تتكلم الأرقام والوقائع تبهت الأقاويل ، ويكفي أن الليرة السورية صمدت أمام موجات التضخم وهزات البورصة ،

بينما انهار الجنيه السوداني في بلد يملك (٢٥) مليون هكتار من الأراضي الزراعية وبحراً من المياه ، وانهارت الليرة اللبنانية في الجار الشقيق الذي يملك أفضل المرافىء ومناطق السياحة والاصطياف وأفضل مواسم الحمضيات والتفاح .

وهناك مشروع أوتوستراد بيروت ـ دمشق الذي كان حديث الحكومات في القطرين منذ الاستقلال ، ثم تعثر بسبب المصالح الفردية والزعامات الطائفية التي تبني تسلطها على إثارة التعصب وحل الغرائز ، وقبل أن تتم الموافقة على موقع مروره اشترى أحد الزعماء أرضاً في وادي (البقاع) يحتمل أن يمر بها نفق تحت الجبل يوصل الى شتورا وبالتالي باتجاه دمشق مختصراً المسافة الطويلة التي كانت عبر عاليه وبحمدون وصوفر . وفيما يتعلق بسورية كانوا يزعمون أنها غير قادرة على تمويل الجزء السوري من الطريق الذي يمتد من وادي الحرير الى دمشق .

وبعد قيام الحركة التصحيحية بقيادة السيد الرئيس (حافظ الأسد) الذي أعطى توجيهاته لإقامة شركات كبرى للانشاءات العامة ـ بوشر بتنفيذ الاوتستراد بين دمشق والحدود اللبنانية ، من قبل شركة قاسيون برئاسة المهندس علي الطرابلسي وبعده المهندس بشار النوري ، وأذكر انني حضرت مأدبة في زحلة أقامها وزير الاقتصاد اللبناني سيادة فيكتور قصير وحضرها الدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد السوري ، وبناء على طلب رسمي ألقيت كلمة قلت فيها : كان بعض المسؤولين في لبنان خلال الخمسينات يقولون أن لبنان لا يرغب في تنفيذ طريق بيروت ـ دمشق طالما أن سورية لا تستطيع تنفيذ الجزء السوري منه ، واذكر مثلاً يقول : على الانسان ان يأكل لقمة كبيرة ولا يقول كلمة كبيرة ـ والآن استطيع أن أقول : هذه كلمة كبيرة كان يجب ان لا تقال ، فها هي سورية تنجز شق طريق الاوتوستراد من دمشق الى الحدود اللبنانية وتنجز طريق دمشق ـ درعا الحدود الأردنية ، وها هو لبنان يطلب من سورية أن تنفذ ا لجزء اللبناني من الاوتوستراد بيروت دمشق لأنها تملك الجهاز التنفيذي القادر على انجازه . هذا هو منطق الحساب .

هذا الاعتراف بمقدرة سورية على تنفيذ المشاريع الكبرى شهادة كبيرة للحركة التصحيحية وتقدير عميق لانجازاتها وامتلاكها مفاتيح البناء والتقدم والاعتماد على الذات ، وهما اعتراف وتقدير مبنيان على الحساب والوقائع وليس على المجاملة الكلامية والمديح .

أيام الوحدة ثم الانفصال
وذكريات عنهما

لا أسمح لنفسي بمرور الكرام إزاء حدث قومي كبير اقتربنا به من أعظم الطموحات العربية ، وهو الوحدة بين سورية ومصر التي شهدنا شروقها من ارادة الجماهير ثم شهدنا انهيارها المحزن والمؤلم بعد فترة قليلة من الزمن لا حساب لها في حياة الشعوب ، وأنا لا أنظر الى هذا الحدث كسياسي يزن الأمور بمقياس فئة أو حزب ، بل أراه من موقعي كإنسان عربي ورث حلم آبائه وأجداده بوحدة تمتد من الخليج الى المحيط ، وأحلله من مركز خبرتي كرجل أعمال واقتصاد يعرف بالتجربة أن الوحدة الاقتصادية العربية تحل مشاكل التخلف والتقوقع ، وتفتح أمام القوى الاقتصادية أوسع الفرص في السوق الكبير .

ولا يمكن فهم أبعاد المخطط الاستعماري لإضعاف الأمة العربية إلا من خلال فرض التجزئة بالقوة على العرب ، وإيجاد الكيان الصهيوني لفصل المشرق عن المغرب وخلق قوة دخيلة تستنزف العرب وتسد عليهم طريق الوحدة والقوة .

لهذا رحبت بالوحدة السورية ـ المصرية وابتهلت الى الله تعالى لتوطيد أقدامها واتساع نطاقها ، وذهب بي التصور الى وطن كبير واسع الأرجاء منفتح على المحيطات بلا حواجز ولا قيود تعوق النمو والتبادل وتفتح آفاق التوسع والقوة .

وأمامي مثال الولايات المتحدة الامريكية فهي دولة لا يزيد عمرها عن قرنين ولكنها أصبحت أغنى دولة في التاريخ بعد أن حققت وحدتها السياسية من المحيط الى المحيط وتحولت الى سوق ضخم لانتاجها يتيح قيام صناعات كبرى في كل مجال ، ولا تحتاج الى أسواق الآخرين ، بقدر حاجتهم الى أسواقها، وهي اليوم دولة صناعية زراعية تجارية كبرى فرضت نقدها على العالم كله ، ويقال انها تطبع أوراق نقدها الدولار للتداول العالمي ، ولو لم تحقق الولايات المتحدة الامريكية وحدتها لكانت دولة عادية حتى الآن ومعزولة وراء المحيط .

أعود فأقول : كم كانت الوحدة العربية ضرورية لنا ، ولكل قطر عربي ، بوصفها الحل الجذري لحالات التقوقع والانكماش والتقلص والفقر ، ولقد نادينا كأصحاب أعمال واقتصاديين في جميع المؤتمرات بالوحدة الاقتصادية ، وقدمنا الدراسات والحلول للتقدم نحوها ، ولو على أساس الخطوة بعد الخطوة ، ولكن القرار لم يكن بيدنا ، وكل انجاز في هذا الطريق كانت تبدده رياح العلاقات المتقلبة بين الدول العربية.

الاقتصاد كان الضحية الاولى للتجزئة

اذكر جيداً اننا في دمشق قبل اقتسام المشرق العربي بين المستعمرين الفرنسيين والانكليز ـ كانت أسواقنا الحقيقية هي فلسطين والحجاز ومصر والعراق والأناضول ، وكانت منتجاتنا تصل الى هذه الأقطار بسهولة وأمان دون قيود أو حواجز أو رسوم ، كما كنا نستورد منها ما تحتاج اليه على أساس التبادل الطبيعي الذي يدفع الانتاج الزراعي والصناعي الى الأمام بصورة دائمة ، وقد قضت التجزئة على هذه الامكانات وفرضت علينا التقوقع القطري والتبعية للاقتصاد الاوروبي مباشرة ، وجاء الكيان الصيهوني ليفرض علينا الاستنزاف والتراجع والدخول في حلقة مفرغة من الحروب .

ولا أحتاج للبرهان على عمق إحساس الوسط التجاري بأضرار التجزئة إلى أكثر من العودة الى مواقف غرفة تجارة دمشق منذ بداية الاحتلال الفرنسي لسورية ، وهي مواقف معلنة ومسجلة في أعداد النشرة الاقتصادية منذ عام ١٩٢١ ، وقد بينت بصراحة كيف أدت الحواجز والحدود المصطنعة الى عزل سورية ـ وبخاصة دمشق ـ عن أسواقها الطبيعية التي أملتها الجغرافيا والتاريخ واللغة المشتركة والتراث الروحي والمادي عبر عشرات القرون .

والآن أعود الى ذاكرتي لأتابع حدث الوحدة وكيف تحقق وفي أي ظرف وكيف استقبلته البلاد .

انتصار مصر على العدوان

بعدما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس في عام ١٩٥٦ ، وقع العدوان الثلاثي على الشقيقة مصر بمشاركة انكلترة وفرنسا واسرائيل وساد المجتمع الدولي

اضطراب كبير في أجواء الخوف من وقوع حرب عالمية فاضطرت هيئة الأمم المتحدة الى التدخل وأصدرت قراراتها بانسحاب المعتدين من مصر وأدى صمود مصر والمقاومة الشعبية في بور سعيد الى هزيمة العدوان ودحره، وسقوط حكومات ايدن وبينو وبن غوريون التي قامت بالعدوان.

وقد شاركت سورية في هذا النصر عندما أقدمت القيادة على نسف محطة ضخ النفط في البادية السورية وإيقاف دفق البترول العراقي الى مصباته على البحر الأبيض المتوسط فانقطعت الإمدادات عن أسطول العدوان البريطاني وحدثت أزمة وقود في انكلترة نفسها حتى أن بعض الموظفين ركبوا الخيول للوصول الى مكاتبهم لفقدان البنزين.

قيام الوحدة السورية ـ المصرية

أدى صمود مصر أمام العدوان الثلاثي الى تدفق الحماسة الوطنية في مصر وسورية وبرزت المطالبة العلنية بالوحدة بين القطرين الشقيقين وأصبحت حديث الشارع والمنزل وكان السيد محمود رياض سفير مصر في دمشق بادي النشاط كثير الاتصالات وفي هذا المناخ المحموم المتحمس أقر المجلس النيابي مبدأ الوحدة وطار وفد سوري من المسؤولين السياسيين والعسكريين الى القاهرة وطالب الرئيس جمال عبد الناصر بإقامة الوحدة الكاملة بين القطرين ثم توجه الرئيس شكري القوتلي الى القاهرة يرافقه وفد يضم الوزراء والأحزاب والقوى السياسية باستثناء الحزب الشيوعي. وفي الثاني والعشرين من شباط عام ١٩٥٨، أعلن قيام الجمهورية العربية المتحدة التي تألفت من الاقليم الجنوبي أي مصر والاقليم الشمالي أي سورية وشكلت حكومة مركزية في القاهرة وحكومة تنفيذية في كل من مصر وسورية وبذلك تحقق أغلى أمل وأعز مطمح للأمة العربية لأول مرة في تاريخها الحديث.

وهنا أعود الى ذاكرتي لأسجل ما أسر إليّ به الرئيس شكري القوتلي في الأيام السابقة للوحدة فقد كان مع الوحدة ظاهراً وباطناً وكان يطالب بها منذ بداية حياته السياسية وكان يجاهر دائماً: (لن يرتفع علم فوق الجمهورية العربية السورية إلا علم الوحدة العربية وقد نص الدستور السوري على ذلك صراحة).

كما أن المغفور له شكري القوتلي كان يؤكد أنه يحترم المرحوم جمال عبد الناصر ويرى فيه الزعيم العربي المناسب لرئاسة الوحدة السورية المصرية لهذا وافق من صميم قلبه على الوحدة ورئاسة عبد الناصر .

وكان لدى المرحوم القوتلي الكثير من التحفظات حول قرارات الجهة العسكرية التي سرحت عدداً من الضباط وهيأت قرارات بنقلهم ، ولكن هؤلاء وعلى رأسهم عبد الحميد السراج طلبوا مقابلة القوتلي ومزقوا مرسوم نقلهم امامه . وقد كان اقتنع في تجربته الأخيرة للحكم بأن الوحدة هي العلاج وأن الرئيس عبد الناصر سيجد الحل لهذه المشكلة وبالفعل فان الرئيس المصري خيّر الضباط بين العمل كوزراء مدنيين أو البقاء في الجيش مع التخلي عن السياسة ، وتحقق الخيار الأول .

وعندما قابل القوتلي عبد الناصر وروى له اشتباكه مع السراج وضباطه طيب خاطره وأكد له أن كل شيء سوف يصحح .

وعلى الأثر ذهب الوفد السياسي الى القاهرة ومعه الوفد العسكري واتفقوا مع عبد الناصر على قيام الوحدة ولكنه اشترط عليهم حل حزب البعث وسائر الأحزاب وإقامة اتحاد قومي ونقل الضباط العاملين في السياسة الى مناصب وزراء مدنيين وهذا ما تم فعلاً مع قيام الوحدة .

وقد وافق شكري القوتلي على الوحدة وتخلى عن رئاسة الجمهورية طائعاً مختاراً وقبل بلقب المواطن العربي الأول وترك أعباء التعامل مع الضباط السياسيين لعبد الناصر ولكنه - كما روي لي - وقع مع أنور السادات مشروع دستور مؤقت من /٣٣/ مادة يشتمل على ضمانات للاقتصاد وغادر القوتلي قصر المهاجرين مطمئناً الى أن تضحيته كانت من أجل الوحدة قبل أي شيء آخر لأنها كانت على رأس أهدافه .

فيما بعد استمعت الى كثير من الآراء التي تناولت أسباب انفكاك الوحدة السورية - المصرية وفحصت ما فيها من الصواب والخطأ ، ولكن شعوري واقتناعي بأن الوحدة ما زالت ضرورة مصيرية ومهما كان فيها من ثغرات ونقاط ضعف فإن هذه العوارض تعالج موضوعياً ، وليس من علاج لأمراض الوحدة إلا بالمزيد من الوحدة .

اراء محمود رياض :

أعرف أن بعض المصريين أنفسهم تحدثوا عن ثغرات التجربة الوحدوية بين سورية ومصر ومنهم على سبيل المثال السيد محمود رياض في كتابه عن (الأمن القومي العربي بين الانجاز والفشل) الذي تناول أسرار هذه التجربة . وقال انها كانت وحدة مرتجلة غير مدروسة وأن التطبيق أدى الى كثير من الأخطاء والارتباكات ، واعترف السيد محمود رياض في كتابه هذا بأن المشير عبد الحكيم عامر لم يحسن اختيار معاونيه فاشترك ضباطه في الحركة الانفصالية ثم قال (إن الانفصال كان نتيجة طبيعية لقيام الوحدة الاندماجية والتي كانت قفزة الى المجهول ومخاطرة غير محسوبة قامت على أساس من الحماس والأماني الطيبة بعيداً عن حقائق الحياة وأوضاع المنطقة) .

هذا ما قاله السيد محمود رياض ومهما كان مدى الواقعية والصراحة في كلماته فأني أشعر بأن هذه الثغرات كان يمكن أن تعالج محلياً وأن توضع لها الحلول في إطار الوحدة ودون التفريط بها مهما كان الثمن .

مدة الانفصال :

اني لم أصب في حياتي بصدمة أشد وأعمق من صدمة يوم الانفصال بين سورية ومصر في ٢٨ ايلول ١٩٦١ ، وكان اعتزازي وفرحي عظيماً بالوحدة التي أقامها البلدان الشقيقان بحماسة لا توصف وتوجها اعلان الجمهورية العربية المتحدة وأحسست بأننا خرجنا من قوقعة التجزئة وأصبحت مصر بلدنا الأم نرتادها دون حواجز أو حدود وتحققت نواة الوحدة العربية الكبرى التي كانت حلم الأمة العربية وطريقها الطبيعي الوحيد للخلاص من الضعف والتشرذم والتبعية .

كيف انهار هذا الحلم التاريخي بهذه السرعة ولماذا ذهب الى غير رجعة ؟ كنا مطمئنين الى أن جمهورية الوحدة أقوى من أن تتداعى وأسمى من أن تمتد إليها يد التهديم ، لكن القوى الكبرى في العالم لم تكن راضية من أي بادرة لوحدة العرب واجتماع كلماتهم وتضافر قواهم التي تتكفل بوأد الحلم الصهيوني الى الأبد .

انني حتى الآن بعد ثلاثين عاماً من الانفصال ما زلت متألماً لضياع الوحدة أحس بجراحها وأستعيد مرارتها وألمس أثار زوالها فلو دامت لكنا دولة كبرى تطوق الكيان الصهيوني وتدفعه الى التراجع والانحسار .

حرب تشرين التحريرية :

ظلت مرارة الانفصال تحز في نفسي حتى قامت حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ والتقى الجيشان السوري والمصري في معركة واحدة حطمت قلاع العدوان وأرغمت المعتدين الصهاينة على التراجع وكان الفضل الأكبر فيها للقائد الرئيس حافظ الأسد بطل تشرين ومسجل الانتصارات العسكرية والسياسية طوال العقدين الماضيين .

وأعود فأقول : في أعقاب الانفصال اتصلت القيادة العسكرية مع أكثر من شخصية لتشكيل الحكومة وأذكر أن الدكتور عزة الطرابلسي رفض عرضاً بهذا الصدد وجرى الاتصال مع تاجر معروف ليكون وزيراً فاعتذر ، ثم قام الدكتور مأمون الكزبري بتشكيلها .

فيما بعد تم التقارب بين سورية والعراق والتقى عبد الكريم قاسم مع الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية على الحدود سراً للتعاون وتوحيد الجهود وقيل أن اتفاقاً مبدئياً قد تم على نوع من الاتحاد ولكنه أحبط ولم يتحقق .

المسألة الايجارية والحل الجذري

لم أكن في أي يوم غريباً عن مرفق الايجار ومشاكله ، وسبق أن عالجته منذ نحو خمس وأربعين سنة في مقالات عديدة كما كنت عضواً في بعض لجان تعديل القانون . وقد قدمت الاقتراح تلو الاقتراح من أجل تأمين عدالة العلاقة الايجارية وتمليك أصحاب الدخل المحدود مساكن شعبية رخيصة التكاليف ووضعت لها دراسة ومخططات بمعونة المهندسين خليل ومحمد الفرا (يجدها القارىء مع هذا البحث) وحسبت تكاليفها فكانت زهيدة وميسورة . . ولكن هذه المقترحات لم يؤخذ بها وتفاقمت الأمور حتى بلغت الحد الذي صارت معه عشرات ألوف المساكن فارغة في المدن الكبرى السورية فلا يستطيع أحد شراءها لأسعارها العالية المرهقة ولا أحد يؤجرها لأن القانون يجعل المستأجر بمجرد العقد في وضع تزيد قوته على قوة المالك . إن هذا الأمر يعنيني كإنسان اجتماعي لأن توقف الناس عن ايجار بيوتهم الى الراغبين فيها بأسعار مقبولة يؤدي الى أن يصبح مئات ألوف الشبان الراغبين في الزواج عاجزين عنه وهذا يترك أثره المخيف على الأخلاق العامة ، لأن توقف الزواج سيؤدي الى نتائج لا بد من ترقبها رغم كل الروادع الدينية والأخلاقية والنصائح العائلية والتربوية .

إن الوضع الحالي لا يتوقف ضرره عند عدم تأجير البيوت الفارغة الى راغبيها بل ان الساكنين من المستأجرين لم تعد علاقاتهم بالمالكين الذين أجروهم علاقات ودية أو مقبولة بل يسود أكثرها شعور المرارة وعدم التفاهم وأحياناً يسودها الشجار بدل الإلفة القديمة التي كانت تربط الجيران وتؤدي كثير من أحوال المساكنة في البيت الواحد الى زواج بين الطرفين وتقارب . وقد حل محل ذلك جو من المشاحنة والبغضاء .

وزاد من تفاقم القضية أن الدولة جمدت أجور العقارات التي تستأجرها منذ عام ١٩٧٠ وما قبل بعد أن خفضتها بنسبة ٣٠٪ .

انها أزمة لا ينكرها أحد . أما الحل فيجب أن يقوم على فكرة أساسية وهي أن **مرفق تأجير المساكن** ضروري جداً وهو معونة هامة من القطاع الخاص يجب أن تزال العقبات التي تحول دونها ، وأهم هذه المعوقات المناخ النفسي غير الملائم الذي يجعل المؤجر يتخوف من كل إيجار لأنه سيتحول الى تملك المستأجر ، ويتصور أن هذا التأجير هو بمثابة تمليك .

لقد أدركت الدولة أهمية هذا المناخ حين أصدرت المرسوم رقم ٣ لعام ١٩٨٨ فسمحت بالايجار الحر بمدته وأجرته ولكن لمدة ستة أشهر فقط ولغايات الاستشفاء والسياحة والاستجمام فقط . وأظن أنه إذا أطلق هذا القانون الجيد من هذه القيود وصدر تعديل يقول :

«إن كل إيجار يعقد بعد صدوره ويتم فيه تسليم المأجور لأول مرة الى المستأجر يكون حراً في أجرته وزمانه لمدة انعقاده أو للمدة التي يمدد إليها بموافقة الطرفين ، وأنه لا يتحول الى تأجير دائم مهما مدد أو جدد ويظل حراً» .

أما الإيجارات السابقة التي أدخلتنا في متاهة التحكم فيمكن أن تستهلك بالتدريج ، فتبدأ الدولة بتسليم العقارات التي تستأجرها لدوائرها خلال مدة معينة تستكمل فيها بناء مجمعات لدوائرها وهيئاتها كما تسلم ما كان فارغاً الى أصحابه ما لم يؤجروه بعقد جديد ويعقد ضمن الشروط المذكورة أعلاه حول تحديد الإيجار بزمنه وأجرته . وكذلك فيمكن تأليف لجان تنظر في استهلاك المظالم القديمة وتعيد النظر في قواعد التخلية والتخمين . ففي التخلية ربما كان حسناً ان تلغى كل تخلية أساسها معاقبة المستأجر . فمثلاً التقصير بالدفع يمكن أن يعاقب بغرامة وتعويض عاليين وبإعادة التخمين إذا كان العقار محمياً من التخمين ، فذلك أفضل من الإخلاء . وكذلك الإخلاء كعقوبة على تأجير الغير فيستبدل بعقوبات مالية وإخراج المستأجر الثانوي أو بزيادة الأجرة ، وهكذا . أما الإخلاء لعلة السكنى والحاجة الحقيقية فيمكن أن يجري التوسع فيه على أن يعطى للمستأجر تعويض عادل .

لست أجزم باقتراح معين وإنما أقدم أمثلة يمكن النظر فيها على أساس إذابة الجمود الذي يسود العلاقات الإيجارية ، ليس فقط من أجل إزالة حالات الظلم القديمة ، ولكن أيضاً من أجل إيجاد المناخ الذي يسمح للناس بأن يستعيدوا ثقتهم بالقانون ويقدموا على إيجار المحتاجين للسكن من البيوت الكثيرة الفارغة الآن .

وليعذرني القارىء إذا أنا لم أخض في هذا الموضوع تجنباً للحساسيات إذ ما من كلمة أو اقتراح إلا ويوجد من يؤيده ومن يتضرر منه بعد أن بلغ تضارب المصالح هذا المبلغ الذي يحس به كل انسان ويتألم منه . حتى ما سبق من رؤوس أقلام لاقتراحات ما هو إلا ملامسة سطحية لبعض المشاكل وليس بالضرورة أخذ الكلام على إطلاقه . إنما الحل

لا يكون إلا بحلول عديدة ومجتمعة وتدريجية وبمعونة من الدولة وبتوفر النوايا الحسنة . إن كل هذا يمكن أن تقوم به لجان تعمل بصمت وهدوء وتستقرىء الحوادث وتستجوب الناس وتضع كثيراً من الحلول حتى لا نقع في التصلب ، ومن بعد ذلك كله وفوق ذلك أن تقوم الدولة بواجبها في إسكان عمالها وموظفيها بالتدريج مستفيدة في ذلك من القوانين التي تقتطع من الأجور مبالغ لبناء سكن العمال والموظفين ، ومن شركات تؤسس لهذه الغاية وتمنح قروضاً وبمنح هذه الشركات الأراضي اللازمة وبإعفاء مواد البناء اللازمة لها من الجمارك إذا كانت مستوردة واستثنائها من كل تكاليف الترخيص والرسوم واستخدام مواد البناء المحلية قدر الإمكان واعتماد بساطة التصميم ، وهكذا يمكن أن تستعيد الدولة قيادتها للعملية التأجيرية بالنسبة للقسم الهام الذي يمثله موظفوها وعمالها ، وأن يكون ذلك على سبيل الإيجار لمن يرغب والتمليك لمن يرغب .

ولعل هذا التصدي للمسألة الايجارية بعد أن خفت المناقشات حولها ما يعيد الى الساحة التفكير في حلها ضمن مقولة أساسية هي ان المؤجر انسان نافع لا مستغل ، وأن الايجار لا بد منه لإسكان الأعداد المتزايدة من الناس بنسبة أعلى من تزايد المساحات السكنية .

كيف تصورت حل المشكلة عام ١٩٥٢

أقدم فيما يلي مشروعاً لبناء مساكن رخيصة للطبقة الفقيرة على أن يجري بيعها فيما بعد بالتقسيط على عدة سنوات بأقساط شهرية تتناسب مع قدرات هذه الفئة من المواطنين . وكنت قدمته فيما مضى ، وأسجله الآن كدليل على ما كان يمكن فعله دون أن تكون الأرقام الواردة فيه صحيحة بالنسبة للوقت الحاضر ، انه مجرد تذكير بحل كان يمكن الأخذ به وتلافي أزمة السكن قبل حلولها .

ويستهدف المشروع في مرحلته الأولى بناء ألف دار للسكن تبلغ تكاليف الدار الواحدة بين ٣٦٠٠ و ٥٤٠٠ ليرة سورية ويمكن بيعها بالتقسيط لمدة عشر سنوات بمعدل ٤٠ الى ٥٦ ليرة سورية شهرياً .

وتبلغ تكاليف هذه المرحلة الأولى حوالي أربعة ملايين ليرة سورية ونصف المليون .

إن الذي دعانا لتقديم هذا المشروع هو استمرار وطأة أزمة السكن بالنسبة للطبقة الفقيرة من العمال والشغيلة وصغار الباعة واصحاب الحرف . هذه الطبقة التي لا تستطيع تأمين دار تأوى إليها بأسوأ الشروط وأفدح الأجور فالبيوت التي تبنى بالمئات في سائر أنحاء المدينة ليست بمتناولها . وكذلك الحال في المساكن الشعبية التي انشأتها المحافظة .

تسكن هذه العائلات حالياً في دور صغيرة في الأحياء القديمة تتقاسم غرف الدار مع غيرها من العائلات . ورغم وضع هذه الدور السيء وعدم توفر الشروط الصحية والمرافق اللازمة فيها فان الأجور التي تدفع عنها لا تقل عن خمسين ليرة سورية شهرياً للغرفة الواحدة أو الغرفتين الصغيرتين . فلو قارنا هذه الأجرة بقيمة المأجور لوجدنا ان الطبقات الفقيرة تدفع نسبياً أكثر مما يدفعه مستأجرو الدور الجديدة في أحياء أبو رمانة والمزرعة.

وقد كان من نتيجة هذا الوضع أن عمدت بعض العائلات الى حل مشكلتها على طريقتها الخاصة ، وذلك باللجوء الى أطراف المدينة وبناء أكواخ من اللبن والخشب . وكان من ذلك أن تكونت حول المدينة كتل من الأكواخ بين أزقة ضيقة بدون تنظيم وبدون مرافق رئيسية كالماء والأسيقة والنور . وأهلها في نضال دائم ومستمر بين الحاجة والنظام مما أدى الى حوادث مؤسفة .

ونحن نعتقد بأن النتائج الهامة لهذا المشروع ليس فقط من الناحية السكنية ، بل ومن الناحية الاجتماعية والقومية أيضاً ، وسيكون حافزاً للجهات المسئولة لتأمين المبالغ اللازمة للمشروع إما بعقد قرض لمحافظة المدينة لتحقيقه أو عن طريق المصرف العقاري الذي يجري البحث بانشائه .

التصميم وتكاليف البناء وتفاصيل المشروع :

تكون المساكن من نموذجين :

نموذج رقم ـ ١ ـ ويتالف من غرفتين ومدخل وحمام ومنتفعات مع حديقة خلفية بمساحة خمسة وثلاثين متراً مربعاً تقريباً .

نموذج رقم ـ ٢ ـ ويتألف من ثلاث غرف ومدخل ومطبخ واسع يمكن استعماله أيضاً للطعام وحمام ومنتفعات ، وحديقة خلفية وجانبية بمساحة اثنين وتسعين متراً مربعاً تقريباً .

وقد جرى تصميم كلا النموذجين بشكل يمكن معه لأصحاب الدور في المستقبل من إضافة درج وبناء غرفتين اضافيتين مع حمام على السطح .

وبما أن الغاية الأساسية من المشروع هي الحصول على أقل كلفة ممكنة فقد روعي في التصميم أن يكون اقتصادياً بالدرجة الأولى، سواء من حيث المساحات أو المواد، على أن يكون مستوفياً جميع الشروط الصحية ومتناسباً مع أوضاع المعيشة لدى العائلات التي ستقطن هذه الدور.

وعلى ذلك فقد بلغت كلفة البناء المقدرة للنموذج الأول (٢٧٠٠) ليرة سورية وللنموذج الثاني (٣٦٠٠) ليرة وذلك بموجب الكشوف التقديرية المرفقة .

الموقع وسعر الأرض :

يمكن تحقيق المشروع في كل من المواقع التالية :

١ ـ جنوبي وشرقي الميدان .

٢ ـ جنوبي الشاغور .

٣ ـ شرقي كورنيش الزبلطاني .

وتقدر قيمة المتر المربع وسطياً في كل من هذه المواقع الثلاثة بثماني ليرات سورية بدون تخطيط . فإذا قدرنا ما يتوجب اقتطاعه من هذه الأرض كشوارع وحدائق عامة بنسبة الثلث ، أصبحت كلفة المتر المربع من الأرض المعدة للبناء اثنتي عشرة ليرة سورية .

وعلى ذلك تكون كلفة الأرض لكل من النموذجين كما يلي :

نموذج رقم ـ ١ ـ ٨٠ م٢ × ١٢ = ٩٦٠ ليرة سورية .

نموذج رقم ـ ٢ ـ ١٥٠ م٢ × ١٢ = ١٨٠٠ ليرة سورية .

وتكون الكلفة الاجمالية لهذه الدور أرضاً وبناء .

نموذج رقم -١- الأرض ٩٦٠ البناء ٢٧٠٠ المجموع ٣٦٦٠ ليرة سورية

نموذج رقم -٢- الأرض ١٨٠٠ البناء ٣٦٠٠ المجموع ٥٤٠٠ ليرة سورية

حساب الأقساط الشهرية :

إذا قدرنا البيع بالتقسيط لمدة عشر سنوات ، مع فائدة بنسبة خمسة بالمئة لمبلغ مجموع الكلفة مع الفوائد لكل من النموذجين كما يلي :

النموذج الأول ٤٥٧٥ ليرة سورية النموذج الثاني ٦٧٥٠ ليرة سورية

وعلى ذلك تكون الأقساط الشهرية المتوجب دفعها عن النموذج رقم (١) /٣٩/ ليرة سورية تقريباً . وعن النموذج رقم (٢) /٥٦/ ليرة سورية تقريباً .

وهذه الأرقام لا تتجاوز ما تدفعه هذه العائلات حالياً كأجرة بيت صغير أو غرفة في بيت مشترك .

المرحلة الأولى للمشروع

يمكن تحقيق المرحلة الأولى للمشروع ببناء ألف دار أي خمسئة من كل نموذج وتبلغ تكاليف هذه المرحلة مبلغ أربعة ملايين ليرة ونصف .

وباعتقادنا أن حل أزمة السكن بالنسبة لألف عائلة يشكل خطوة هامة في سبيل رفع سوية معيشة الطبقات الشعبية . كما أن نجاح هذه المرحلة سوف يشجع على السير في المراحل التالية ويفتح آفاقاً جديدة في هذا السبيل ونذكر على سبيل المثال إمكان مساهمة الشركات الكبيرة أو المؤسسات في المشروع بما لديها من أموال احتياطية تحتفظ بها بشكل إلزامي لقاء تعويض تسريح العمال . على أن يخصص لكل شركة عدد من الدور بنسبة مساهمتها في المشروع وعلى أن توزعها على عمالها وتستوفي منهم ثمنها بالشكل الذي يتفق وأوضاعها المالية .

ومن المأمول كذلك في نهاية المرحلة الأولى إقبال البعض على دفع جزء من الثمن نقداً لقاء تنزيل قيمة الفائدة مما يساعد على السير في المرحلة الثانية من المبالغ المتحصلة من المرحلة الأولى .

١٩٥٢/٢/٢٠ بدر الدين الشلاح

دار للسكن ذات غرفتين

النموذج رقم (١)

الكشف التقديري

مساحة الأرض ٧٩٫٢

مساحة البناء ٤٤٫٤٤

الرقم	نوع الأشغال	الوحدة	الكمية	السعر الافرادي ل.س	السعر الاجمالي ل.س
١	حفريات	م٣	٢٠	٢٫٥٠	٥٠
٢	بناء من حجر غشيم بمونة عيار (١٥٠) كغ اسمنت لكل م٣ رمل أبيض	م٣	١٥	١٥٫٠٠	٢٢٥
٣	بيتون مغموس عيار ٢٠٠ غ بمعدل ١/٣ أحجار صغيرة	م٣	١٤	١٥٫٠٠	٢١٠
٤	بيتون مسلح عيار ٣٠٠ غ والحديد بمعدل ٥٨ كغ	م٣	٦	١٠٠٫٠٠	٦٠٠
٥	بناء بلوك اسمنت عيار (١٥٠) غ	م٣	٨	٣٠٫٠٠	٢٤٠
٦	منجور من خشب سويد للأبواب والنوافذ مع اللوازم المعدنية والزجاج الخ..	م٢	١٧	٢٦٫٠٠	٤٤٢
٧	جرس كهربائي كامل مع المحول وكباسة كرت	عدد	١	٨٫٠٠	٨
٨	مصباح كهربائي كامل مع اللوازم من العداد حتى السوكة	عدد	٩	٧٫٠٠	٦٣
٩	مأخذ كهربائي كامل مع اللوازم من العداد حتى المأخذ	عدد	٣	٦٫٠٠	١٨
١٠	قسطل اسمنت قطر ١٥ سم	م ط	١٢	٢٫٥٠	٣٠
١١	قسطل حديد مزئبق قطر ٢ إنش مع توابعه	م ط	٢	٥٫٠٠	٦٠
١٢	قسطل حديد مزئبق قط ١/٢ إنش مع توابعه	م ط	٢٠	٢٫٠٠	٤٠
١٣	برميل ماء مع الفواشة والسكر وحنفية الهارب	عدد	١	٢٠٫٠٠	٤٠
١٤	مرحاض بورسلين مع الكوع (دون النياغارا) كامل	عدد	١	٢٤٫٠٠	٢٠
١٥	مغسلة بورسلين ٤٠×٣٠ سم كاملة مع السيفون والحنفية ذات عنق طويل	عدد	١	٢٨٫٠٠	٢٤
١٦	بلوعة فونت ٤×٢ إنش مع المصفاة	عدد	١	١٢٫٠٠	٢٨
١٧	بلوعة فخار أو فونت (سيفون) أو (غليون) مع المصفاة	عدد	٢	٣٫٠٠	١٢
١٨	حنفية عادية أو سكر ١/٢ نحاس أوربية ممتازة	عدد	٤	٢٫٠٠	٦
١٩	سيفون مجلى المطبخ	عدد	١	٥٫٠٠	٨
٢٠	تباليط موزاييك للنوافذ وبراطيش الأبواب ومجلى وطاولات المطبخ	م٢	٤	١٤٫٠٠	٥
٢١	مداخن أترنيت وطني (برزة) قطر ١٠ سم كاملة مع العلب والجارور والغطاء	م ط	١٨	٢٫٠٠	٥٦
٢٢	بلاط موزاييك على اسمنت عادي مع تسوية الأرض	م٢	٤٢	٤٫٥٠	٣٦
٢٣	كلسة اسمنت داخلية عيار ٢٠٠ كغ اسمنت	م٢	١٨٥	١٫٠٠	١٨٩
٢٤	دهان زياتي	م٢	٢٦	١٫٥٠	١٨٥
٢٥	طرش بالدهان الناشف على كتيرة وغراء أو كلس وملح وشبه	م٢	١٨٥	٠٫١٥	٣٩
					٢٧٫٧٥

المجموع	٢٥٧١٫٧٥
نفقات غير ملحوظة	١٢٨٫٢٥
الاجمال العام	٢٧٠٠٫٠٠

دار للسكن ذات ثلاث غرف

النموذج رقم (٢)

الكشف التقديري

مساحة الأرض ١٥٠ر٠٠ م^2

مساحة البناء ٥٨ر٥٠ م^2

الرقم	نوع الأشغال	الوحدة	الكمية	السعر الافرادي ل.س	السعر الاجمالي ل.س
١	حفريات	م^3	٤٥ر٠٠	٢ر٥٠	١١٢ر٥٠
٢	بناء من حجر غشيم بمونة عيار (١٥٠) كغ اسمنت لكل م^3 رمل أبيض	م^3	٣١ر٠٠	١٥ر٠٠	٤٦٥ر٠٠
٣	بيتون مغموس عيار ٢٠٠ غ بمعدل ١/٣ أحجار صغيرة من الحجم الحقيقي بعد الصب	م^3	١٥ر٠٠	١٥ر٠٠	٢٢٥ر٠٠
٤	بيتون مسلح عيار ٣٠٠ غ والحديد بمعدل ٨٥ كغ	م^3	٩ر٠٠	١٠٠ر٠٠	٩٠٠ر٠٠
٥	بناء بلوك اسمنت عيار (١٥٠) غ	م^3	١٣ر٠٠	٣٠ر٠٠	١٩٠ر٠٠
٦	منجور من خشب سويد للأبواب والنوافذ مع اللوازم المعدنية والزجاج الخ . .	م^2	٢٠ر٠٠	٢٦ر٠٠	٥٢٠ر٠٠
٧	جرس كهربائي كامل مع المحول وكباسة كرت	عدد	١ر٠٠	٨ر٠٠	٨ر٠٠
٨	مصباح كهربائي كامل مع اللوازم من العداد حتى السوكة	عدد	١١ر٠٠	٧ر٠٠	٧٧ر٠٠
٩	مأخذ كهربائي كامل مع اللوازم من العداد حتى المأخذ	عدد	٥ر٠٠	٦ر٠٠	٣٠ر٠٠
١٠	قسطل اسمنت قطر ١٥ سم	م ط	١٣ر٠٠	٢ر٥٠	٣٢ر٥٠
١١	قسطل حديد مزئبق قطر ٢ إنش للمغاسل والبلوعة	م ط	٥٢ر٠٠	٥ر٠٠	١٠ر٠٠
١٢	قسطل حديد مزئبق قط ١/٢ إنش للمطبخ والحمام والمرحاض	م ط	٢٠ر٠٠	٢ر٠٠	٤٠ر٠٠
١٣	برميل ماء مع الفواشة والسكر وحنفية الهارب	عدد	١ر٠٠	٢٠ر٠٠	٢٠ر٠٠
١٤	مرحاض بورسلين مع الكوع (دون النياغارا) كامل	عدد	١ر٠٠	٢٤ر٠٠	٢٤ر٠٠
١٥	مغسلة بورسلين ٤٠×٣٠ سم كاملة مع السيفون والحنفية ذات عنق طويل	عدد	١ر٠٠	٢٨ر٠٠	٢٨ر٠٠
١٦	بلوعة فونت ٤×٢ إنش مع المصفاة	عدد	١ر٠٠	١٢ر٠٠	١٢ر٠٠
١٧	بلوعة فخار أو فونت (سيفون) أو (غليون) مع المصفاة	عدد	٢ر٠٠	٣ر٠٠	٦ر٠٠
١٨	حنفية عادية أو سكر ١/٢ نحاس أوربية ممتازة	عدد	٤ر٠٠	٢ر٠٠	٨ر٠٠
١٩	سيفون مجلى للمطبخ	عدد	١ر٠٠	٥ر٠٠	٥ر٠٠
٢٠	تباليط موزاييك للنوافذ وبراطيش الأبواب ومجلى وطاولات المطبخ	عدد	٤ر٠٠	١٤ر٠٠	٥٦ر٠٠
٢١	مداخن أترنيت وطني (برزة) قطر ١٠ سم كاملة مع العلب والجارور والغطاء	م ط	٢٣ر٠٠	٢ر٠٠	٤٦ر٠٠
٢٢	والتركيب	م^2	٥٣ر٠٠	٤ر٥٠	٢٣٨ر٥٠
٢٣	بلاط موزاييك على اسمنت عادي أو أبيض مع نسبة قليلة من البودرة مع تسوية	م^2	٢٨٠ر٠٠	١ر٠٠	٢٨٠ر٠٠
٢٤	الأرض	م^2	٣٣ر٠٠	١ر٥٠	٤٩ر٥٠
٢٥	كلسة اسمنت داخلية عيار ٢٠٠ كغ اسمنت	م^2	٢٨٠ر٠٠	٠ر١٥	٤٢ر٠٠
	دهان زياتي				
	طرش بالدهان الناشف على كتيرة وغراء أو كلس وملح وشبه				
	المجموع				٣٤٢٥ر٠٠
	نفقات غير ملحوظة				١٧٥ر٠٠
	الاجمال العام				٣٦٠٠ر٠٠

اسمعي .. يا حكومة

القرية السورية يهددها خطر ماحق

فأين معلوماتك .. وأين اهتمامك ..

نشرت في العدد ٥٨١٦ جريدة الأيام ١٩٥٦/٥/٢٠

كتبت الجريدة : (واليوم نتخلى عن هذا الركن أيضاً لما كتبه التاجر المزارع الوجيه بدر الدين الشلاح عن ناحية مهمة جداً في حياة البلاد، نؤمل أن يتسع قلب الحكومة لهذا المقال. . لتعرف أي خطر بات يهدد القرية السورية، لعلها تفيق مما هي فيه، فلا تهمل ما لا يهمل. قال السيد الشلاح):

ان سورية بطبيعة مناخها واقليمها وسعة أراضيها وجودة تربتها ، بلاد زراعية تعتمد على انماء ثروتها العامة وهي الزراعة ، رغم أن وسائلها كانت الى ما قبل سنوات قريبة في حالة بدائية لا تعرف غير المحراث القديم والمنجل أو المقطعة والمجرفة . . . وتمشياً مع سنة التطور والحاجة فقد استخدمت الوسائل الفنية الحديثة الميكانيكية كالجرار والحصادة والأسمدة المختلفة ، فضلاً عن استخدام المحركات للري والتنوير فنشأ عن ذلك نهضة زراعية جبارة في جميع المناطق التي استخدمت فيها الآلة الزراعية .

وقد اتسعت مساحة الأراضي ذات القابلية للزراعة بفضل هذا التطور وغدت تدر على البلاد الخيرات والمال الوفير ، بعد أن كانت تلك الأراضي صحارى مقفرة قاحلة . وهكذا باتت الزراعة السورية بفضل هذه الجهود ـ وأعني جهود الأفراد فقط ـ مصدراً رئيسياً للثروة ونقطة ارتكاز لميزان الاقتصاد السوري ، ولا سيما بعد أن تطورت زراعة البلاد وأدخل عليها عنصر الزراعة الصناعية كالقطن والشمندر .

كما توفرت المواصلات وأصبح القروي على اتصال دائم بالمدن ، فتطلع الى الفارق الكبير بين حياته الخاملة في قريته ، وبين حياة المدن المترفه فراح ينشد حياة أفضل بترك قريته والهجرة الى المدن سعياً وراء العيش والتمتع بالحياة الجديدة .

ولو أن القروي شعر بشيء من عناية الدولة بقريته لوجد الموارد الكافية التي تشجعه على المضي في زراعته ، والابتكار في تحسين انتاجه ، وزيادته كما هو حال الفلاح اللبناني .

لقد فكرت الحكومة عام ١٩٤١ في إنشاء دائرة سمتها دائرة تنظيم وعمران المدن جهازها تألف من مهندسين اثنين وكاتب وان مهمتها الاشراف على الشؤون العمرانية في بلديات الجمهورية السورية كافة . . عدا البلديات الكبرى للمحافظات التسع ، وبذلك حظر على كل فرد في أية قرية كانت بناء دار أو حانوت أو «قن» جاج . . إلا برخصة من هذه الدائرة ! . ومن أين لهذه الدائرة «المتواضعة» ان تراقب وتضع المخططات اللازمة لكل بلديات الجمهورية السورية وهي بهذا الجهاز الهزيل ؟ . . .

وهنا نشأت العراقيل ، وفتح باب جديد للرشوة وحار أبناء الريف على بساطتهم فيما يفعلون للحصول على رخصة حسب الأنظمة سوى مخالفتها في «سرقة البناء كيفما كان» . لقد اقترح منذ سنتين محافظ لواء دمشق إحداث مكتب فني خاص بمحافظة دمشق تشترك بنفقاته بلديات المحافظة بنسبة معينة ، ليشرف على أعمال البناء والعمران والتنظيم واستلام جميع الصلاحيات المحتومة الى دائرة تنظيم وعمران المدن بالنسبة لمحافظة لواء دمشق ، وقد نفذ الاقتراح، وأفاد إحداث هذا المكتب الوضع إفادة جزئية وعندما تسلم منصب المحافظة المحافظ الحالي ، أولى هذه الناحية الكثير من عنايته ووقته فوسع عمل المكتب المذكور ، وكلف أحد المهندسين النشيطين المشهود له بالعمل المنتج برئاسته ، فباشر العمل بوضع مصورات تنظيمية لكل قرية من قرى المحافظة بما فيها البناء وراح يشرف على عموم بلديات المحافظة بما فيها البلديات الصغرى لجميع القرى التابعة لأقضية المحافظة وذلك بثلاثة مهندسين فقط ، في حين أن أعماله لا تقل عن أعمال الدائرة الفنية في أمانة العاصمة وإذا ذكرنا المحسن بإحسانه نقول أن أعمال هذا المكتب هي النموذج الوحيد للنشاط الدائم والسرعة في إنجاز المعاملات وذلك بفضل سهر عطوفة المحافظ الأستاذ رشدي الحامد ورئيس المكتب الأستاذ ابراهيم بيتنجانة .

ولم تقتصر الهجرة هذه على الفلاح العادي البسيط بل أن من واتاهم الحظ من أبناء القرويين الذين اغترفوا من مناهل العلم وعددهم قليل جداً نسبياً ـ فقد فضلوا البقاء في المدن ولم يرجعوا الى قراهم لينهضوا بقريتهم ، وذلك لتباين الحياة بين المدينة والقرية حيث لن تطيب لهم الحياة في القرية وهي على وضعها البدائي من الانحطاط والتأخر .

وهذا يعود الى عدم إمكانيات وزراة المعارف بإحداث مدارس مهنية وزراعية في القرى تربي ابن القرية على الأصول الزراعية الحديثة من جهة ، وتقصير الحكومة من جهة ثانية في العناية بالقرية العناية المطلوبة .

ان لهذا الوضع عواقب وخيمة على الزراعة فهناك بعض الأقضية والقرى القريبة من دمشق كجوبر وعربين وزملكا وحرستا ودوما اتصلت بالعاصمة منذ ٢٧ عاماً بواسطة الترام الكهربائي والسيارات ، وأصبح ٥٠ بالمائة من سكان هذه القرى يؤمون دمشق كل يوم بعضهم طلباً للرزق ، وبعضهم الآخر للتمتع بمباهج حياة المدينة ، وقد كان القروي من سكان هذه القرى لا يأتي الى دمشق إلا للضرورة القصوى ، لأنه كان منصرفاً الى زراعته ومحراثه .

ان هجرة الفلاح الى المدن معناها قتل النشاط الزراعي في البلاد ، وهذا ما نلحظه في تفوق لبنان علينا في الفاكهة والتشجير بعد أن كانت دمشق وحدها تفوق نمو لبنان بالتفاح والكمثري والدراق .

وقد يكون الفلاح السوري معذوراً في هجرته إذ لو اتيحت زيارة صغيرة لأي مواطن الى قرى المرج التي لا تبعد عن العاصمة دمشق أكثر من ٢٠ كيلومتراً وشاهد حالة القرية والفلاح . . ورأي أي تحسين طرأ على حياة الريف في مدة ٣٠ عاماً بعد الحرب العالمية الأولى ، لظن نفسه أنه يزور مجاهل افريقيا ؟!. في حين نرى الحياة في القرية اللبنانية لا تختلف عنها في المدن مطلقاً ، فقد توفرت لها كل أسباب الرفاه والحياة ، وفي مقدمتها الكهرباء والماء والتدريب الزراعي .

هذا حال القرى والزراعة عندنا ، أما حال المدن فان الحياة فيها اتبعت أيضاً سنة التطور الطبيعية التي تعقب الحروب عادة ، فبعد الحرب العالمية الأولى انتشرت الطاقة الكهربائية وظهر البناء الحديث ، واستعمل الأسفلت في رصف الطرقات بدل الأتربة ، وتبدلت الحياة ، وتطورت المعيشة .

فماذا أصاب الريف السوري من هذا التطور يا ترى ؟ لا شيء . . لقد بقي على حياته البدائية ، فلا طرق مزفتة في الريف السوري ولا صحة ، ولا تعليم ، ولا مراقبة بناء ، ولا ارشاد زراعي ، ولا مكافحة زراعية ، ولا توجيه ولا ما يحزنون .

والآن وقد أوردنا هذا المثال عن إحداث هذا المكتب وما قام به من أعمال جبارة جديرة بالتقدير والاعجاب ، أحب أن ألفت أنظار المسؤولين الى وجوب تقدير العاملين المجدين على سبيل التشجيع ليكونوا قدوة لغيرهم من رجال الإدارة وانني ألفت بصورة

خاصة أنظار وزارة الداخلية لتعمل على إنشاء مكاتب فنية مماثلة في المحافظات الاخرى تشرف على أعمال البناء والتنظيم وتضع مخططاً لكل قرية على نفس ما سارت عليه محافظة لواء دمشق ، وعندئذ لا تمضي عشر سنوات إلا ونرى عموم القرى السورية تخترقها الشوارع العريضة وتزينها الحدائق العامة ، ويجملها تنسيق البناء .

وهناك ناحية خطرة أرى من الواجب الإشارة اليها وهي ان جميع عمليات البناء في أقضية محافظة لواء دمشق وقراها تخضع لرخصة بناء ، والرخصة بطبيعة الحال تحتاج الى مصور خريطة والمصور يحتاج الى مهندس ، ومن المعروف أن المهندس بموجب نظام نقابة المهندسين لا يحق له الاشراف /إلا على عدد محدود/ من الخرائط أو المصورات وبهذه الحالة لا يتمكن المهندس أن يستوفي أجراً على أي خريطة مهما كانت بسيطة مبلغاً أقل من مائتي ليرة سورية . فضلاً عن نفقات تنقلاته الى موقع البناء في القرية ، ومن ثم يرجع بالمخطط الى المكتب الفني في المحافظة للاطلاع ، وبذلك يجد الفلاح نفسه أمام صعوبات وعراقيل كان يمكن تلافيها بتعيين مهندس إضافي في المكتب الفني يقوم بعمل المصورات الى القرويين لقاء مبلغ مقطوع لا يتجاوز الخمسين ليرة عن كل مخطط والكشف عليه ، وهذا يسهل على القروي الذي يدق أبواب مكاتب المهندسين والدوائر ، ولا يستطيع دفع نفقات باهظة قد تؤثر على موازنته المتواضعة التي خصصها لبناء بيت صغير يضمه وأولاده .

فإذا أولت الحكومة القرية شيئاً من عنايتها فيمكن أن تجعل منها جنة خالدة ويبقى الريف عامراً ومنتجاً ، ويظل الفلاح في قريته حتى يجد من يعني بأمره ، لأنه لا يجد ذلك الفارق الكبير بينها وبين حياة المدن عندما يجد أن طرق مواصلاته معبدة ، وأنه يشرب الماء النقي ، ويستنير بنور الكهرباء . . وان هناك من يدربه على فنون الزراعة الحديثة فينصرف الى عمله بنشاط مشمراً على ساعد الجد العمل سعياً وراء زيادة انتاجه مبتكراً أفضل الطرق لتحسين زراعته حباً بحياة أفضل وربح أكثر .

بدر الدين الشلاح

الصناعة السورية صناعة زراعية قبل كل شيء

مقال نشر في جريدة العلم تاريخ ١٩٥٦/٤/٢٠

هذا بحث اقتصادي شامل يتناول الدخل القومي والثروة العامة عندما تتكلم الأرقام تنهار الأراجيف والأحاديث الجوفاء .

ان رفاهنا الاقتصادي يتوقف على تنشيط الزراعة والصناعة على المشرعين أن يحسبوا حساب الانعكاسات عند وضع القوانين وفرض الضرائب .

يتميز عصرنا الحديث بالاهتمام بالشؤون الاقتصادية والمالية والاجتماعية ووضعها في مكان الصدارة عند بحث أمور سياسة الدولة وعلاقاتها ، ولكن دراسة هذه الشؤون ومعالجتها تحتاج الى اختصاص ودراية عميقين مما حدا بالسياسيين من نواب ووزراء في البلاد الاخرى الى اللجوء الى رجال الاقتصاد والمالية والاجتماع من ذوي الاختصاص يستفيدون من خبرتهم في تحديد سياسة الدولة وتوجيه فعالياتها .

وقد يأخذ بعض السياسيين الأمور الاقتصادية من ظواهرها ، فيصورون مقارنات لا يرضى عنها المنطق العلمي ولا تقبلها الحقيقة الواضحة ، وللسياسة غالباً منطق قد لا يروق للعالم ووسائل لا ترضي المنطق والتحليل الاقتصادي فهي تقوم أحياناً على الإثارة والتوجيه العاطفي وتقوم أحياناً اخرى على تسمية الأشياء بغير أسمائها وتلوين الحادثات طبقاً لمصلحة الخزينة البعيدة.

ولتيار السياسة الحزبية سحر عجيب على بعض النواب والسياسيين ، فاني أراهم اليوم يحدثون عواطف الناس قبل عقولهم ، ويجرون وراء مصلحتهم الحزبية قبل أن يراقبوا منطق الأشياء وطبيعة الحوادث . فهذا يطالب اليوم بتأميم الطب والثاني بفرض ضرائب ثقيلة ، وثالث بالتأميم ، دون أن يدركوا مدلول هذه الاقتراحات وتكاليفها ونتائجها .

حتى لقد صرح أحدهم منذ أيام يقول ما معناه : ان حصيلة ضريبة الدخل ضعيفة جداً فبينما يقدر الدخل القومي بـ ١٤٠٠ مليون ليرة سورية لا تزيد موارد ضريبة الدخل على الـ ١٢ مليون ليرة سورية أي واحد بالمائة فقط من مجموع الدخل وهذا كلام ظاهره فيه المنطق لأنه يتحدث بالأرقام ولكن باطنه فيه تهويل شديد وأحب أن أحدثه اليوم حديث

الاخصائي الموضوعي الذي يبحث الأمر بالعلم والطريقة العلمية وحدها ، يتوهم من يسمع هذا الكلام أن دخل سورية بأجمعه والمقدر بـ ١٤ مليون ليرة سورية يدفع ضريبة دخل قدرها ١٢ مليون ليرة سورية ولو كان الأمر كذلك لقلنا فيه اجحاف وأي اجحاف وظلم للخزينة والناس ونكران للعدالة الاجتماعية المنشودة ، ولكننا لو تحرينا حقيقة الأمر لوجدنا أن هذه الـ ١٢ مليون ليرة سورية إنما هي مجموعة حصيلة ضريبة الدخل على الحرف التجارية والصناعية فقط «دون الرواتب والأجور» ولا يجهل أحد أن دخل هذه الحرف لا يؤلف جزءاً كبيراً من الدخل القومي كما نرى وما أظن إزالة الغشاوة عن أعين الناس وتبيان الحقيقة يحزن أحداً أو يسوؤه.

١ ـ ما من أحد ينكر اليوم أو البارحة أو غداً أن سورية بلد زراعي قبل كل شيء وأن القسم الأعظم من دخلها القومي يتفجر من ينابيع الزراعة الزاخرة وأن نسبة الدخل الزراعي تزيد يوماً بعد يوم رغم تقلبات المواسم والأنواء .

وإليكم الأرقام التالية :

	قبل الحرب	١٩٤٥	١٩٥٠	١٩٥٣	١٩٥٤
مساحة الأرض التي تزرع بملايين الهكتارات	١٫٦٧	١٫٢٩	٢٫٠٩	٣٫٦٧	٤٫٨٤
انتاج القمح (١٠٠ طن)	٤٩٥	٤١٥	٨٦١	٩٦٢	٨٠٠
شعيـــر	٢٩٠	٢٤٨	٣٢٢	٤٧٥	٥٦١
قطـــن	٤٫٥	٤٫٣	٤٦	٧٢٫٧	

انظر تقرير بعثة البنك الدولي ـ انماء سورية الاقتصادي .

يضاف الى ذلك أن الدخل القومي قد ازداد منذ عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٣ زيادة كبيرة تقدر بـ٢٨٪ وكانت الزيادة ناتجة عن زيادة الانتاج الزراعي كما تبين الأرقام التالية لبعض المحاصيل:

آلاف الأطنان	١٩٤٩	١٩٥٣
قطـــن	١٣ر٣	٤٧ وقد أصبح في ١٩٥٤ ، ٧٠ ألف طن
ذرة بيضاء	٥٧ر٢٩٠	١٢٣ر٦٩٢
شعيـــر	٣٥٧	٤٨٢ر٤٥٠

انظر تقرير بعثة البنك الدولي ـ انماء سورية الاقتصادي .

ونحن لا نزعم هنا أن الحرف التجارية والصناعية لم تزدد نشاطاً وانتاجاً خلال المدة المذكورة وإنما نستطيع أن نؤكد أن زيادة الدخل الصناعي والتجاري كانت أقل بكثير من زيادة الدخل الزراعي .

ومع ذلك فقد تضاعفت حصيلة ضريبة الدخل على الحرف التجارية والصناعية خلال المدة المذكورة .

فبينما كان مجموع حصيلة ضريبة الدخل (دون الرواتب والأجور) ستة ملايين ليرة سورية و ١٠٠ ألف ليرة سورية في عام ١٩٥٠ أصبح في عام ١٩٥٤ ويبلغ ١٢ مليون ليرة سورية وفي ذلك بيان وأي بيان .

٢ ـ لا نقول جديداً إذ بينا أن الصناعة السورية صناعة زراعية قبل كل شيء فنحن لا نملك مناجم للفحم والحديد وليس لدينا معامل للقاطرات والسيارات والبواخر وإنما نأخذ محصول أرضنا من قمح وقطن وزيت فنصنع منه الطحين والنسيج والصابون وبعض الصناعات الصغيرة التي تعيش في جو سوقنا الضيقة ولقد قدر الخبراء التابعون لبعثة البنك الدولي الأموال المنتشرة في الصناعة بـ ١٥٠ مليون ليرة سورية ، ولسنا نملك أي احصاء عن الأموال المستثمرة في التجارة في سورية ولكننا نستطيع أن نقدرها اعتباطاً خلال مجموع الصادرات والواردات والحركة التجارية الداخلية بما لا يزيد عن ٢٥٠ مليون ليرة سورية أيضاً ، ولو أضفنا الى ذلك ١٠٠ مليون ليرة سورية اخرى تستثمر في النقليات والخدمات لأصبح مجموع الأموال

المستثمرة في الصناعة والتجارة ٥٠٠ مليون ليرة سورية ، فكم تقدر يا ترى أرباح الـ ٥٠٠ مليون ليرة سورية هذه بعد حسم الاستهلاك والمصاريف والنظر الى الأزمات الاقتصادية العالمية وتقلبات الأنواء والأسعار ؟ سنحاول ذلك في النطاق العلمي والنسب الصحيحة .

يعتبر البترول ـ في نظر الاقتصاديين في العالم ـ أحسن مصدر للربح ويقدرون نسبة حصيلة الربح منه بـ ٢٥٪ من المال المستثمر سنوياً ، ولذا نجد أن رؤوس الأموال تنهال على مشاريع البترول من كل حدب وصوب .

وتأتي بعد البترول السيارات والفولاذ والبواخر والخدمات وتعتبر الصناعات الزراعية (وهي صناعتنا) من أفقر الصناعات ربحاً فهي تتراوح بين ٦ الى ١٢٪ فقط وأمثلة الشركات الكبيرة التي تملك حسابات مضبوطة كثيرة ونستطيع أن نضعها تحت أعين كل سائل ولنضف الى ذلك أن الربح التجاري يتبع الظروف الاقتصادية وأحوالها ويحتمل بقسوة كل الأزمات وأنه أضعف من الربح الصناعي اجمالاً .

على ضوء هذه الحقائق الناطقة وخلال المنطق العلمي الصحيح نستطيع أن نقدر الأرباح أو الدخل الناتج عن الحرف التجارية والصناعية وأن نطبق عليها قانون الدخل بعد أن يحسم لكل من المكلفين وأسرته ما تقول الانسانية والاشتراكية والقوانين بتخصيصه كحد أدنى لمستوى المعيشة ، فلو افترضنا أن أرباح التجارة والصناعة في بلدنا تقدر بـ ١٠٪ صافية بعد حسم كل المصاريف والتكاليف فانه مبلغ فيه كثير من المبالغة لبلد ناشيء لم تقم بعد صناعته على قدميها ولم تنته بعد من فترة التأسيس الثقيلة من جهة ولم يمض غير سنوات قليلة على تسلمه زمام التجارة من لبنان من جهة اخرى ، ومع ذلك لو قبلنا بهذا الفرض لقدرت الأرباح بـ ٥٠ مليون ليرة سورية ، ولو قدرنا أن الحد الأدنى المعفى من الضريبة لمجموع أفراد المكلفين وأسرهم بـ ١٠ ملايين ليرة سورية ـ وهذا أمر يقره القانون والانسانية ـ لبقي لدينا مبلغ ٤٠ مليون ليرة سورية الدخل الصافي للحرف التجارية والصناعية وهذا مبلغ يدفع ضريبة قدرها ١٢ مليون ليرة سورية وفي ذلك عدل عظيم ونسبة عالية في بلد يتجه نحو تكوين رأسماله القومي وانمائه الاقتصادي ، وليعلم الجميع أن ضعف حصيلة ضريبة الدخل لا يعود الى ضعف نسب فرضنا على الأرباح وإنما يعود الى أمرين :

١ ـ صغر حجم الاستثمار التجاري والصناعي بالنسبة للاقتصاد السوري .

٢ ـ الى ضعف جهاز مديرية الدخل التي لا تطول كل المكلفين من جهة ولا تحسن تطبيق الضريبة من جهة أخرى.

كلمة أخيرة أحب أن أسوقها الى النواب ورجال السياسة في بلدنا قبل أن أنهي كلمتي هذه عن التجارة والصناعة في سورية فهما ينبوع صغير يفيض على نهر الدخل بما يستطيع فلا تردموه بغية زيادة انتاجه كما يفعل بعض القرويين الجاهلين حين ينبشون ينبوع القرية. بل مدوا أيديكم تزيدون في بنيانه قوة وفي نمائه سرعة ونشاطاً، وأعلموا أنه في تقدم تجارتنا وصناعتنا رسوخ لاقتصادنا ورفاه لعمالنا ورفع لمستوى معيشتنا وما أظن أحداً يبغي غير ذلك.

بدر الدين الشلاح

ملاحظة: لقد صيغت هذه الأرقام بالتعاون مع الدكتور عبد الغني حمور الذي أحبه كأولادي .

دردشة على الماشي مع :
التاجر الاقتصادي السيد بدر الدين الشلاح

الذي لم يتغير منذ طفولته ووسط عمره وحتى شيخوخته
جريدة الأيام العدد ٧٥٤٢ ١٩٦٢/٢/٢٠

- متى بدأت عملك في التجارة ؟

★ منذ ٤٤ عاماً .

- ما هي العقبات التي صادفتك ؟

★ لا يخلو كل امرىء من العقبات وهي كثيرة في الحياة ولكن الرضا بالواقع يتغلب على كل عقبة .

- كيف استطعت أن تجمع ثروتك ؟

★ لم تكن ثروة بالمعنى المعروف ولكن تفكيري منذ صغري انصرف الى الطلب من المولى أن يمنحني ما يقويني على انفاقه على الانسانية وعلى تعليم ابنائي ليكونوا اداة خير لمجتمعهم . وقمت بجمع مالي بكدي واجتهادي .

- هل صحيح انك ربحت كثيراً في الحرب الماضية ؟

★ لم يمر علي يوم وربحت فيه أكثر من الربح القانوني وهذه وصية والدي رحمه الله .

- ما هي حكمتك المفضلة ؟

★ ان اشتغل دون ان احتاج الى الاستدانة من البنوك بفوائد .

- هل أنت راض عن عملك ؟

★ ألف الحمد لله .

- ما هي أجمل ساعات يومك ؟

★ الساعة التي أتمكن فيها من قضاء حاجة محتاج في أية ناحية استطيعها دون أجر .

- هل تؤمن بالاقتصاد الحر أم بالاقتصاد الموجه ؟

★ انني أؤمن بالاقتصاد الحر على ان يكون مراقباً من الدولة لاداء واجبه الكامل نحو الوطن .

- هل تعتقد انك تؤدي واجبك نحو نفسك ودينك ووطنك كاملاً ؟

★ كل همي في هذه الحياة تامين هذا السؤال وتطبيقه تطبيقاً فعلياً رغم ما يتحمله الانسان من تعب ومشقة.

- اذكر ثلاثة عيوب في شخصك .

★ في الحقيقة كلي عيوب لأنني بشر .

- كيف تقضي أوقات فراغك ؟

★ ليس لدي اوقات فراغ وإذا حصل اي فراغ لم تشغله اعمالي فانني اشغله بالقضايا الانسانية .

- هل أنت راض عن الجيل الجديد شباناً وفتيات ؟

★ هل بإمكان اي شخص ان لا يرضى وهم عماد المستقبل وعلى كل فرد من المجتمع ان يوجه هذا الجيل نحو الأخلاق الفاضلة والاستقامة والدأب على العمل .

- من هو أحب أولادك إليك ؟

★ من المفروض طبعاً ان تكون معاملتهم بمقام واحد ، خصوصاً وهم في سن الطفولة وقبل دخولهم الحياة العملية . وأنا افضل ان تعامل الانثى معاملة حسنة تجاه اشقائها حتى تغرس بنفوسهم محبتها واحترامها .

- من هو المواطن الصالح في نظرك ؟

★ من يعمل على زيادة الانتاج بغض النظر عن اي مجال يعمل به وأن يكون خلوقاً ومستقيماً .

- لو شهدت ليلة القدر فماذا تدعو ؟

★ اطلب من الله العفو والعافية واعلاء كلمة الوطن الذي نعيش على أرضه .

ـ ما هي مشاريعك للمستقبل ؟

★ لا يوجد تفكير بمشاريع جديدة بعد ان اصبحت اوقاتي تحت تصرف ذوي الحاجة وانتظر إنهاء تحصيل الأولاد ليباشروا العمل الذي يختارونه .

ـ من هو صديقك : رقم واحد ومن هو عدوك ؟

★ لم انظر في حياتي الى اي شخص إلا نظرة صديق وفي ولا احسب ان لي اعداء .

ـ هل تقرأ مجلة اليوم : وما هو رأيك فيها ؟

★ انها صحيفة راقية وتحريرها قوي اقراها باستمرار . وارجو لها المزيد من التطور .

ـ مدردش ـ

ابو راتب في عام ١٩٩٢

كما هو في عام ١٩٦٢

كما هو عندما تشارك مع أخيه شفيق ١٩٢٨

أبو راتب كما كان عام ١٩٢٠ عندما عمل مع والده حتى عام ١٩٢٨

أبو راتب كما هو عندما اشترى حذاء من أجرته المقررة وشطب الأجرة ولم يطالب بها

كما هو في ١٩٩٠/٣/١٧

تواريخ هامة في حياة الشعب السوري

التاريخ	العام	الموضوع
٩ أيار	١٩١٦	توقيع اتفاق سايكس بيكو بين فرنسا وانكلترا لاقتسام المشرق العربي .
١١ ايلول	١٩١٨	دخول الملك فيصل الى دمشق على راس قوات الثورة العربية .
٢ تشرين ٢	١٩١٨	وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .
٧ آذار	١٩١٩	المؤتمر السوري يعلن استقلال سورية وفلسطين ولبنان والأردن وتنصيب الملك فيصل ملكاً دستورياً عليها ورفض وعد بلفور .
٨ آذار	١٩١٩	صدر مرسوم الملك فيصل بتشكيل أول وزارة سورية برئاسة رضا باشا الركابي .
حزيران	١٩١٩	بدأت ثورة الشيخ صالح العلي من جبال الساحل فور نزول قوات الاحتلال الفرنسي ، وأبادت قواته حملة فرنسية في موقع قريتي الحمام والمراقب .
تشرين الثاني	١٩١٩	أعلن المجاهد ابراهيم هنانو الثورة أثر نزول قوات الاحتلال الفرنسي على الساحل السوري . وأعلن قيام السلطة الوطنية في انطاكية ، وكان قد شكل جمعية الدفاع الوطني وباشر في صيف ١٩١٩ بجمع الثوار والسلاح .
	١٩١٩	إقامة المجمع العلمي العربي بدمشق .
١٨ نيسان	١٩٢٠	هاجمت قوات ابراهيم هنانو الحامية الفرنسية في قلعة حارم وحاصرتها شهرين وقتلت العديد من أفرادها .
٢١ آب	١٩٢٠	هاجم ثوار حوران عند خربة الغزالة قطار دمشق الذي كان يحمل علاء الدين الدروبي رئيس الوزراء وعطا الأيوبي وزير الداخلية وقتلوا الدروبي الذي اختبأ في قاطرة الدرجة الثالثة ، وذبحوا اليوسف في المحطة .
٦ ايلول	١٩٢٠	تكليف جميل الألشي برئاسة الوزراء .
١٤ تموز	١٩٢٠	انذار الجنرال غورو للملك فيصل بقبول الاحتلال الفرنسي والتعامل بالنقد السوري والتنازل عن خط حديد رياق ـ حلب .

٢٤ تموز	١٩٢٠	دخول فرنسا الى سورية ووقوع معركة ميسلون في مواجهة مع قوات الاحتلال الفرنسي واستشهاد يوسف العظمة وزير الدفاع و ٨٠٠ شهيد .
٢٩ تموز	١٩٢٠	انسحاب الملك فيصل من دمشق الى درعا ومنها الى حيفا ثم لندن .
آب	١٩٢٠	صدور قرارات الجنرال غورو بتقسيم سورية الى /٤/ دول وسنجق وفصل لبنان عنها .
٢١ آب	١٩٢١	تنصيب الملك فيصل ملكاً على العراق .
	١٩٢٥	نشوب الثورة السورية الكبرى .
١٧ تشرين اول	١٩٢٥	قصف دمشق وانتشار الحرائق في عدة أحياء .
٢٦ نيسان	١٩٢٦	تشكيل حكومة سورية برئاسة الداماد أحمد نامي .
٢٦ تموز	١٩٢٧	تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة الشيخ تاج الدين الحسني .
تموز	١٩٢٨	فاز مرشحو الكتلة الوطنية في الانتخابات وترأس السيد هاشم الأتاسي الجمعية التأسيسية التي وضعت الدستور .
٢٨ ايار	١٩٢٨	انذرت بريطانيا الشريف حسين لمغادرة العقبة والذهاب الى المنفى .
ايار	١٩٣٠	حل البرلمان السوري .
كانون الثاني	١٩٣٢	انتخاب محمد علي العابد رئيساً للجمهورية .
	١٩٣٤	حكومة برئاسة الشيخ تاج الدين الحسني .
	١٩٣٦	اضرابات بدمشق ، التي دام اغلاق الأسواق والأعمال فيها طيلة ٥٦ يوماً رغم كسر الأقفال للمحلات التجارية ومقاطعة الكهرباء .
ايلول	١٩٣٦	تم التوقيع على معاهدة سورية ـ فرنسية
كانون الأول	١٩٣٦	انتخاب هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية
٢٣ شباط	١٩٣٦	تكليف عطا بك الأيوبي برئاسة الدولة .
٥ كانون الأول	١٩٣٧	استقالة شكري القوتلي من وزارة المالية والدفاع الوطني .
	١٩٣٨	سلخ لواء الاسكندرون عن سورية .
١٠ شباط	١٩٣٩	سقوط وزارة جميل مردم بك .
٢٣ شباط	١٩٣٩	تكليف لطفي الحفار برئاسة الوزارة .
٨ تموز	١٩٣٩	تكليف بهيج الخطيب رئيساً لمجلس المديرين ـ بموجب قرار المفوض السامي الفرنسي رقم /٥/ تاريخ ١٩٣٩/٧/٨ .
٧ تموز	١٩٤٠	اغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر واتهام زعماء الكتلة الوطنية بالتواطؤ لقتله .

٤ شباط	١٩٤١	اعدام عصاصة ورفاقه قتلة الشهبندر شنقاً .
١٢ ايلول	١٩٤١	تعيين الشيخ تاج الدين الحسني رئيساً للجمهورية .
٢٧ ايلول	١٩٤١	تكليف حسن الحكيم بتشكيل الحكومة .
١٩ حزيران	١٩٤١	دخول الانكليز وفرنسا دمشق وتكليف خالد العظم بالرئاسة .
ايلول	١٩٤١	أعلن كاترو استقلال سورية وانتهاء وصاية فرنسا .
كانون الثاني	١٩٤٣	وفاة الشيخ تاج الدين الحسني .
١٧ آب	١٩٤٣	انتخاب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية ، وتشكيل الوزارة برئاسة سعد الله الجابري .
٥ حزيران	١٩٤٤	بيان فرنسي سوري لبناني مشترك بتسليم المصالح المشتركة الى سورية ولبنان .
٢٢ آذار	١٩٤٥	قيام جامعة الدول العربية .
٢٩ ايار	١٩٤٥	العدوان الفرنسي على سورية وسقوط ٦١٦ شهيداً و ٢٠٧٢ جريحاً .
١٦ شباط	١٩٤٦	قرار مجلس الأمن الدولي بجلاء القوات الأجنبية عن سورية ولبنان .
١٧ نيسان	١٩٤٦	تم الجلاء الفرنسي عن سورية .
	١٩٤٦	قيام حلف بغداد
٧ نيسان	١٩٤٧	تأسيس حزب البعث .
١٧ نيسان	١٩٤٨	إعادة انتخاب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية .
٢٨ آب	١٩٤٨	أعاد جميل مردم بك تشكيل الوزارة ثم استقال في تشرين الثاني من العام نفسه .
تشرين الثاني	١٩٤٨	مذكرة حزب الشعب لقيام اتحاد فيدرالي بين سورية والعراق .
٣٠ آذار	١٩٤٩	انقلاب حسني الزعيم ، وافق على اتفاقية التابلاين .
١٤ آب	١٩٤٩	انقلاب سامي الحناوي وسقوط حكم حسني الزعيم واعدامه بعد ١٣٧ يوماً من الحكم .
١٩ كانون الأول	١٩٤٩	الحناوي ذهب الى بيروت .
١٣ كانون الأول	١٩٤٩	انقلاب أديب الشيشكلي .
١٣ آذار	١٩٥٠	الانفصال الجمركي والنقدي بين سورية ولبنان .
كانون الثاني	١٩٥٢	مصادمات الانكليز مع الاخوان المسلمين بقناة السويس .
٢٦ كانون الثاني	١٩٥٢	مظاهرات وحريق بالقاهرة .
٢٣ تموز	١٩٥٢	استيلاء الضباط الأحرار على الحكم بمصر .
٢٦ تموز	١٩٥٢	مغادرة الملك فاروق مصر .

٧ أيلول	١٩٥٢	تولي محمد نجيب رئاسة مجلس الثورة .
٨ أيلول	١٩٥٢	صدور قانون الاصلاح الزراعي بمصر .
ايلول	١٩٥٢	انضمام حزب البعث وحزب العربي الاشتراكي .
١٦ كانون الثاني	١٩٥٣	حل الأحزاب السياسية المصرية .
٢٣ كانون الثاني	١٩٥٣	حزب تجمع الثورة .
١٨ حزيران	١٩٥٣	اعلان نجيب رئيساً لجمهورية مصر ونائبه عبد الناصر ـ وعبد الحكيم عامر وزيراً للدفاع .
	١٩٥٤	محاكمة وصدور الأحكام على منير الغجلاني ورفاقه .
١٤ كانون الثاني	١٩٥٤	حل حزب الاخوان المسلمين بمصر .
٥ شباط	١٩٥٤	استقالة محمد نجيب .
٢٥ شباط	١٩٥٤	انفصال حلب ومغادرة أديب الشيشكلي .
٢٧ شباط	١٩٥٤	إعادة هاشم الأتاسي لرئاسة الجمهورية .
١٨ نيسان	١٩٥٤	تعيين عبد الناصر رئيساً لجمهورية مصر .
ايلول	١٩٥٤	انتخابات في سورية .
١٠ تشرين الأول	١٩٥٤	اتفاق ترحيل القوات البريطانية من قناة السويس خلال ١٨ شهراً .
٢٦ تشرين الأول	١٩٥٤	فشل الاخوان باغتيال عبد الناصر وبدء ملاحقة الاخوان المسلمين .
١٣ ت/ الثاني	١٩٥٤	إقامة جبرية لمحمد نجيب .
١٣ كانون الثاني	١٩٥٥	اعلان حلف بغداد .
٢٨ شباط	١٩٥٥	غارة اسرائيلية على غزة .
٢٤ نيسان	١٩٥٥	اغتيال العقيد عدنان المالكي .
٢٥ نيسان	١٩٥٥	مشاركة مصر في مؤتمر باندونغ وقيام مجموعة دول عدم الانحياز .
آب	١٩٥٥	انتخاب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية .
٦ ايلول	١٩٥٥	إعادة انتخاب شكري القوتلي .
٢٧ ايلول	١٩٥٥	اتفاقية مصر مع تشيلاكووسلوفاكيا بالأسلحة .
٨ حزيران	١٩٥٦	جلاء القوات البريطانية من قناة السويس .
	١٩٥٦	موافقة مصر على الدستور الجديد .
٢٤ حزيران	١٩٥٦	انتخاب عبد الناصر رئيساً لجمهورية مصر والموافقة على دستور جديد .
١٩ تموز	١٩٥٦	رفض امیرکا تمويل السد العالي .
٢٠ تموز	١٩٥٦	انسحاب انكلترا والبنك الدولي من تمويل السد العالي .
٢٦ تموز	١٩٥٦	اعلان عبد الناصر تأميم قناة السويس .

٢٠ تشرين الأول ١٩٥٦	مهاجمة اسرائيل شبه جزيرة سيناء .
٣٠ تشرين الأول ١٩٥٦	انذار انكليزي وافرنسي لمصر واسرائيل باخلاء القناة .
٣١ تشرين الأول ١٩٥٦	نزول القوات الانكليزية والافرنسية لقناة السويس .
٩ تشرين الثاني ١٩٥٦	اغراق السفن في القناة لمنع بريطانيا وفرنسا من المرور بها .
٥ تشرين الثاني ١٩٥٦	نزول القوات الفرنسية والبريطانية لبور سعيد وانذار روسي لفرنسا وبريطانيا .
٧ تشرين الثاني ١٩٥٦	الأمم المتحدة تدين فرنسا وانكلترا واسرائيل واعلان وقف اطلاق النار واميركا طلبت انسحاب اسرائيل من سيناء .
١٩ كانون الأول ١٩٥٦	اسرائيل تطالب بغزة .
٢٣ كانون الأول ١٩٥٦	نهاية انسحاب بريطانيا وفرنسا من مصر .
١٣ آذار ١٩٥٧	انسحاب اسرائيل من سيناء وغزة .
١٧ نيسان ١٩٥٧	إعادة افتتاح قناة السويس .
١٣ تشرين الأول ١٩٥٧	مصر أرسلت قوات حربية لسورية .
٢ تشرين الثاني ١٩٥٧	تأسيس حزب الاتحاد الوطني في مصر .
١ كانون الأول ١٩٥٧	إلغاء مصر معاهدة ١٩٥٤ مع انكلترا .
١- شباط ١٩٥٨	اعلان الوحدة بين سورية ومصر .
٢٢ شباط ١٩٥٨	أعلن الرئيس عبد الناصر قيام الجمهورية العربية المتحدة .
٥ آذار ١٩٥٨	الثورة في بيروت .
٩ أيار ١٩٥٨	نزول القوات الاميركية في لبنان .
١٥ تموز ١٩٥٨	نزول القوات الانكليزية في الأردن .
١٧ تموز ١٩٥٨	انتخاب فؤاد شهاب رئيس جمهورية لبنان .
٣١ تموز ١٩٥٨	سفر شكري القوتلي الى مصر مع خالد العظم .
٣٠ كانون الثاني ١٩٥٨	الصحافة المصرية تهاجم الاتحاد السوفييتي .
١ شباط ١٩٥٨	اعلان الوحدة بين سورية ومصر .
٣٠ كانون الأول ١٩٥٨	انسحاب الوزراء البعثيين من مناصب الجمهورية العربية المتحدة .
٢ كانون الأول ١٩٦٠	اميركا تعيد المساعدات الاقتصادية لمصر .
٢٨ ايلول ١٩٦١	انقلاب الانفصال في سورية وحل الوحدة السورية ـ المصرية .
٢٣ كانون الأول ١٩٦١	حل الوحدة بين مصر واليمن .
٥ تموز ١٩٦٢	استقلال الجزائر .
٨ آذار ١٩٦٣	حزب البعث يستولي على الحكم في سورية .

١٨ شباط	١٩٦٥	وفاة خالد العظم .
٢٣ شباط	١٩٦٦	اعتقال أمين الحافظ وتغيير القيادة في سورية .
٤ تشرين الثاني	١٩٦٦	اتفاقية دفاع بين مصر وسورية .
٥ كانون الأول	١٩٦٦	إعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وسورية .
١٨ شباط	١٩٦٧	وفاة الرئيس شكري القوتلي
١٥ ايار	١٩٦٧	مصر حشدت قواتها في سيناء لتخفيف الضغط على سورية .
١٦ ايار	١٩٦٧	مصر تطلب انسحاب قوات الأمم المتحدة من سيناء .
٢٢ ايار	١٩٦٧	مصر تغلق مضيق ثيران لمنع اسرائيل من الوصول للبحر الأحمر.
٥ حزيران	١٩٦٧	العدوان الاسرائيلي على مصر وسورية .
١٤ ايلول	١٩٦٧	انتحار عبد الحكيم عامر .
٢٨ ايلول	١٩٧٠	وفاة جمال عبد الناصر .
١٦ ت/ الثاني	١٩٧٠	الحركة التصحيحية برئاسة القائد حافظ الأسد .
٦ تشرين الأول		اعلان الاتحاد بين سورية ومصر وليبيا .
		القوات السورية والعربية تبدأ حرب تحرير الأرض العربية .
١٦ تشرين الثاني	١٩٧٦	دخول قوات الردع الى لبنان المؤلفة من سورية والسعودية والسودان والكويت .
٦ تشرين الأول	١٩٨٠	اغتيال أنور السادات وهو على منصة العرض العسكري .
	١٩٨٠	دخول القوات الاسرائيلية الى لبنان .
٢٣ ت/الثاني	١٩٨٠	سورية تتهم الأردن بتدريب الاخوان المسلمين .
١٣ حزيران	١٩٨٢	وفاة الملك خالد .
١٤ ايلول	١٩٨٢	مقتل بشير الجميل في مقر حزب الكتائب بعد توليه رئاسة الجمهورية .
١٦ ايلول	١٩٨٢	مذبحة صبرا وشاتيلا .
٢١ ايلول	١٩٨٢	انتخاب أمين الجميل رئيساً للبنان .
٧ كانون الثاني	١٩٨٧	تنحية بورقيبة .
٢ آب	١٩٩٠	اجتياح العراق للكويت .
٤ كانون الأول	١٩٩١	البيعة للرئيس حافظ الأسد .

بعض الاحصاءات عن الانتاج السوري (ألف طن)

	عام ١٩٥٢	عام ١٩٧٠	عام ١٩٨٠	عام ١٩٩٠
١ ـ بطاطا	٣٦ر٢	٦٥ر٣	٢٩٢ر٢	٣٩٨ر٢
٢ ـ ثوم	٥ر٤	٤ر٣	١١ر٩	١٢ر٠
٣ ـ بصل	٣٩ر٧	٦٥ر٣	١٥١ر١	٩٥ر٢
٤ ـ بندورة زرع	٦٧ر٤	١٩٢ر٤	٦٤٣ر٧	٤٣٠ر٠
٥ ـ شوندر	٢٠ر٠	٢٢٧ر٥	٥٠٣ر٩	٤٢١ر٨
٦ ـ تبغ ـ تنباك	٤ر١	٦ر٧	١٣ر٨	١٣ر١
٧ ـ قطن	٦٢ر٩	٣٨٢ر٦	٣٢٥ر١	٤٤١ر٢
٨ ـ زيتون	٩١ر٦	٨٥ر٠	٣٩٢ر٠	٤٦٠ر٥
٩ ـ فستق	٤	٣ر٩	٧ر٨	١٣ر٠
١٠ ـ عنب	١٨٤ر٠	٢٠٦ر٠	٣٥٦ر٢	٤٢٣ر١
١١ ـ مشمش	٢٢ر٦	٢٢ر٠	٤٨ر٥	٧٢ر٧
١٢ ـ تفاح	٧ر٠	١٧ر٧	٨٩ر٣	٢٠٤ر٦
١٣ ـ نجاص	١ر٥	٥ر٨	١٠ر٧	٢٠ر٣
١٤ ـ خوخ	١ر٥	٤ر٣	٢٣ر٢	٤٣ر٠
١٥ ـ سفرجل	١ر١	٠ر٦	١ر٣	٢ر٦
١٦ ـ العنب	٣ر٣	١ر١	٠	٠

	عام ١٩٤٠	عام ١٩٥٠	عام ١٩٨٠	عام ١٩٨٩
١٧ ـ القمر الدين	١٦٢١	٢٥٠٨	٢٩٥٩ر٨	٤٨٨٨ر٣
١٨ ـ القنب انقرضت زراعته وبدأنا نستورده من الخارج بينما كنا نصدره.				
	٥٣٧٧٦٥ر٣	٢٣١٧ر٤	١٧٣٨٦ر٨٠	

كلمة بدر الدين الشلاح في نهاية اجتماع في شيكاغو

١٩٧٨/٤/١٣

اخواني ،

لا بد لي ونحن في آخر مرحلة من هذه الزيارة أن أذكر بعض فوائدها :

أولاً ـ انها أتاحت فرصة لأكبر عدد من رجال أعمال من أكثر الدول العربية لزيارة عدد من الولايات المتحدة والاجتماع الى عدد كبير من أكبر رجالات الأعمال الاميركان ، بالاضافة الى جولاتهم التي اجتمعوا فيها بعدد كبير من أبناء الشعب الاميركي ، والتي لم يكن يمكن أن يحظى بها أي عضو من أعضاء الوفد ، رجال الأعمال ، ولا أي واحد من كبار رجال الأعمال الاميركان الذين حضروا الحفلات والاجتماعات والمناقشات والمؤتمرات التي عقدت في المدن التي زرناها .

ثانياً ـ ان ما جرى من أبحاث وندوات علمية واقتصادية وصناعية سيكون له فائدة كبيرة بالمستقبل .

ثالثاً ـ ان ما جرى من نقاش حول المقاطعة التي كانت الموضوع الرئيسي ، قد أوضح أن المقاطعة العربية ليست سوى **ضد مغتصبي الأراضي العربية** ، وان القرار الذي صدر عن مجلس الشيوخ الاميريكي ليس من مصلحة الشعب الاميركي لأن المستوردين من جميع البلاد العربية ملتزمون بتنفيذ قرار المقاطعة العربية . مما سيجعلهم يتحولون لاستيراد حاجاتهم من دول أخرى تنتظر هذه الفرصة لتكسب الأسواق العربية ، وحتى انها تعطي بأسعار أقل من أسعار البضاعة الاميركية . وهذا ما لا نرغبه نحن رجال الأعمال العرب لمحبتنا لهذا الشعب الاميركي الطيب القلب الوديع المحب للحرية والسلام .

رابعاً ـ آمل أن يكون الوفد العربي قد أوضح لرجالات الأعمال الأميركيين عن كيفية ونوعية وسبل التعاون والتعامل الذي نرجو أن يتحقق ويتوسع ليعطي الثمار المرجوة منه لمصلحة الطرفين .

خامساً ـ ان الفضل أولاً يعود لاتحاد الغرف العربية الذي شجع إحداث غرف عربية اميركية مشتركة ، ثم يعود الفضل كذلك الى الغرف الاميركية العربية التي هيأت هذه البرامج في خمس ولايات من أكبر الولايات الاميركية ومن أكثرها حركة ونشاطاً . ولا يسعني أخيراً إلا أن أتقدم الى رؤساء وأمناء وأعضاء هذه الغرف وأعضاء الشركات والأشخاص التي شاركت في التنظيم والاستقبال بشكرنا العظيم وتقديرنا الكبير .

وأخيراً ، أرجو أن يكون في كل عام زيارة لرجال الأعمال الأميركان للبلاد العربية وزيارة لرجال الأعمال العرب لولايات لم نزرها ، ولأعضاء لم يكونوا في الزيارة الأولى .

وتحياتي للجميع .

١٩٧٨/٥/١

بدر الدين الشلاح

كلمة ترحيب الى الوفد الاميركاني من ولاية ميرلاند

باسم الغرفة التجارية بدمشق أرحب بكم أجمل ترحيب لزيارتكم مدينتنا العريقة متمنياً لكم إقامة مريحة فعالة ومنتجة .

إن سورية تنعم حالياً باستقرار وازدهار اقتصادي لم تشهد له مثيلاً منذ أن انتهى عهد الاستعمار وانتزعت سورية الجلاء والاستقلال حتى قيام الحركة التصحيحية التي قام بها سيادة الرئيس حافظ الأسد .

وإذا كانت الخطة الانمائية في هذا القطر قد بلغت رقماً قياسياً فاننا نلاحظ ان النواحي الاجتماعية والثقافية والصحية قد أعطيت العناية والاهتمام الكاملين، حيث أن نظرة الحكومة مبنية على أن لا فائدة من أي تقدم اقتصادي إذا لم يتبعه أو حتى أن يتماشى معه تقدم حقيقي ومتين في كافة الحقول .

لهذا نجد ان فرص تعاونكم ومساهمتكم في خطة التنمية السورية واسعة وكبيرة .

وإذ نكرر ترحيبنا بكم لزيارتكم بلدنا بأمل بأن إقامتكم ستبرهن بأنها مثمرة ومفيدة للطرفين ونضيف بأن هذا التعاون وهذه اللقاءات ستساعد على تفهمكم لقضايانا العربية ونشرها في بلدكم لتقوي أواصر الصداقة بين شعبينا ولتدحضوا ادعاءات ومزاعم العدو الكاذبة .

والله ولي التوفيق

الأحد ١٨/١/١٩٧٦

بدر الدين الشلاح

حديث في مؤتمر صحفي في واشنطن

حديثي في واشنطن في مؤتمر صحفي حضره بعض أعضاء مجلس الشيوخ وذلك في يوم السبت ٢٢ نيسان (ابريل) ١٩٧٨ قلت في ذلك المؤتمر :

أريد أن أصارحكم عن المقاطعة وعن القرار الذي صدر عن الكونغرس الأميركي . . . أقول لكم لقد جاء القرار ضد مصالح أميركا، فنحن العرب غير حريصين على الاستيراد من أمريكا وشراء سلع ومنتجات بمبالغ كبيرة تدفع سنوياً من جهد وعرق كل عربي لصالح أميركا ولصالح المنتج الأميركي، أقول أننا غير حريصين على الاستيراد من أمريكا التي تسير في الخط المغاير لخط الأمة العربية والمخالف لأماني وتطلعات الأمة العربية، سنستورد ما يلزمنا من منتجين آخرين موجودين خارج أميركا أعني خارج الولايات المتحدة الأميركية وعندها ستخسرون أسواقاً لتصدير منتجات بلادكم هي أسواق العالم العربي وذلك في الوقت الذي تبحثون فيه عن أسواق لبيع الفائض من منتجاتكم.

أما بالنسبة لصادرات الوطن العربي الى اميركا فان توقفها لا يهمنا أيضاً والضرر يعود على اميركا نفسها لأن هذه الصادرات ومعظمها البترول يمكن أن تجد طريقها الى أسواق أخرى تطلبها بإلحاح وتتمنى أن تنال المزيد منها . . والبترول نتمنى نحن العرب أن يبطأ في استخراجه حيث يستغرق استخراج ما يستخرج منه خلال ثمانين عاماً مدة خمسين عاماً وبذلك نحافظ على ثروتنا النفطية ونستفيد من ارتفاع سعرها العالمي .

لذلك كله إذا كنا ننتقد القرار فاننا ننتقده لأنه ليس من مصلحة الولايات المتحدة فما أردنا استيراده استوردناه من غير أميركا ومن دول تتمنى أن نستورد منها وقل الأمر نفسه بالنسبة لما نريد أن نصدره الى اميركا . هذا بالنسبة للمقاطعة . .

أما عن السياسة فهي مرتبطة بالاقتصاد وأبرز موضوع في الدراسات الاقتصادية اليوم يحمل اسم الاقتصاد السياسي ، ومن هذا المنطلق اسمحوا لي أنا رجل الأعمال والاقتصاد وان كنت بعيداً عن حمل أية أعباء سياسية أن أتحدث عن السياسة :

ان هناك قضية اسمها قضية فلسطين هذه القضية هي قضية العرب الأولى وهي محور الأحداث فيما تصطلحون على تسميته الشرق الأوسط . وما لم تحل قضية فلسطين

وقضية شعب فلسطين هبوا أي شخص من العالم سواء أكان اميركياً أم أردنياً أم سورياً أم يابانياً أم المانياً هذا الشخص لا يقبل ان يتخلى عن بيته الذي عاش فيه أجداده ورأى فيه النور أول مرة وعاش فيه فكيف نأخذ بيوت مليون انسان عربي ونأخذ أرضهم نأخذ كل ما يملكون على وجه الأرض التي جعلها الله مكانا ليعيش عليه الناس كلهم ، ونشردهم في الآفاق لا مأوى ولا ملبس ولا أي شيء يمكن أن يستعين به الانسان على حياته . . الجيل الذي خرج من فلسطين مات مسنوه، مات الأجداد ومعظم الآباء ولكن هذا الجيل يعرف أن لكل فرد من أفراده بيتا في فلسطين في يافا في عكا في القدس في الخليل في بيت لحم في أجزم في الناصرة في طبريه في رام الله في طوباس . . . هذا الجيل سيبقى حاملاً وطنه في قلبه وستبقى ذكريات هذا الوطن سيبقى اسم هذا الوطن يرن عبر الأيام في أذن كل فلسطيني يولد . سينتقل اسم الوطن وذكريات الوطن ومسألة الوطن وأهل الوطن من جيل الى جيل فكل أب سيقول لابنه فلسطين أرضي وأرض آبائي وأجدادي أجبرت على تركها لقد أخرجت منها بالقوة ولن أعود إليها إلا بالقوة فالشعب لا ينسى فلسطين ولن يتغير أي شيء بالنسبة للشرق الأوسط كما قلت سابقاً . . . .

كلمتي في بروكسل ولوكسمبرغ ١٩٨٣

السيد أمي غي كولون .
رئيس غرفة التجارة العربية البلجيكية اللوكسمبرجية .

السيد أدغار بيزاني .
عضو لجنة المجموعة الأوروبية ومفوض التنمية .

السيد ليو تندمان .
وزير العلاقات الخارجية ـ بلجيكا .

أيها الأصدقاء الأعزاء .

انه لمن دواعي الغبطة والاعتزاز أن يلتئم هذا الحشد من كبار الشخصيات والأدمغة العربية والأوروبية تلبية للدعوة التي دعا اليها الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية ، وباستضافة الغرفة التجارية العربية البلجيكية اللوكسمبورغية ، ومساهمة غرفة التجارة العربية البريطانية ، وذلك لبحث موضوع التعاون العربي الأوروبي .

ونحن واثقون ومطمئنون الى أن السادة الباحثين والمشتركين ، سيقدمون في هذه الندوة المعلومات والاحصاءات الكفيلة برسم صورة واضحة للعلاقات القائمة بين البلدان الأوروبية والعربية .

كما أنهم سيتطرقون الى بحث جوانب هذه العلاقات ، بما فيها من ايجابيات وكيفية العمل على دعمها وتطويرها وما فيها من سلبيات ، للعمل على إزالتها .

ونحن نتطلع اليوم الى هذه الندوة لتظهر بعض الجوانب المستترة ، من أجل إيجاد تعاون صادق في مستوى العلاقات العربية الاوروبية ، بما يخدم مصلحة الطرفين .

اخواني الأكارم ،

ان العلاقات العربية الأوروبية ، علاقات تتعدى مجرد التعامل التجاري وتبادل السلع ، أو حتى استيراد المصانع أو تنقل السياح ، فهذه العلاقات رغم أهميتها الملموسة

والكبيرة تشكل جزءاً بسيطاً من علاقات شاملة فيما بيننا ، فعلاقاتنا حضارية قديمة ، تفاعلت على مر القرون وامتزجت بالثقافة والروح وتبلورت لتشكل عالماً يجمعه التعاون الاقتصادي والثقافي المشترك والتفاهم السياسي.

لقد كان الاقتراح في الأصل أن تكون هذه الندوة مخصصة للبحث في موضوع الصادرات العربية الى أوروبا على ضوء التطورات التي حدثت مؤخراً ، إلا أن الاقتراح تعدل بغية توسيع الندوة لتشمل مواضيع أخرى تدخل في نطاق التبادل العربي الاوروبي بشكل عام ، وموضوع العلاقات الاقتصادية العربية الاوروبية بشكل خاص .

إننا نرحب بالفكرة الكامنة وراء هذا التوسع في البحث لأننا نرى بأن الموضوع يجب أن يعالج على أساس التكامل الاقتصادي العربي من خلال التعاون الاقتصادي والفني والصناعي والتكنولوجي مع الدول الاوروبية وفق الأسس المدروسة والمبرمجة والعادلة .

إن التطور التكنولوجي الأخير قد أكد بشكل قاطع أن عالمنا لم يعد مؤلفاً من خمس قارات متباعدة منفصلةً بعضها عن بعض تعيش بمعزل وبمنأى عما يجري فيها ، بل أن العالم أصبح كتلة واحدة يتفاعل بعضه مع بعض ويتأثر بعضه ببعض وأن أي حدث يجري في أي ركن فيه ، يجد صداه وتأثيراته في أنحاء العالم كلها خلال ساعات . لذا يمكننا أن نستخلص من هذه الظاهرة الجديدة عدة استنتاجات أهمها :

١ ـ لم يعد بالإمكان لمنطقة أو لقارة أن تزدهر وتتطور على حساب الأقاليم أو القارات الأخرى .

٢ ـ كما لم يعد بالإمكان حل مشكلة تواجه أية منطقة بمعزل عن المناطق الأخرى لما يترتب عليها من آثار ونتائج وردود أفعال تعود عليها .

٣ ـ إن أية منطقة أعجز من أن تجد الحلول لمشكلاتها الخاصة بنفسها ، فمهما كانت لديها من حلول ذاتية فهي محدودة ومؤقتة ، وتبقى الحلول الحقيقية نابعة من العمل الجماعي على الساحة الدولية .

إن ما تعانيه دول العالم الآن من أزمات اقتصادية وصناعية ومالية ، برهان أكيد على حجم المشكلة التي عجزت كل دول العالم عن إيجاد الحلول المناسبة لها رغم الجهود الكبيرة التي بذلتها الحكومات المختلفة في سبيل تجاوزها .

لذلك ، وبالنظر للرغبة المشتركة للعالمين الأوروبي والعربي في إيجاد الحلول العادلة لمشاكل العصر ، فاننا نرحب بعقد هذه الندوة ، ونرجو لها كل التوفيق في الاستجابة العملية للعديد من جوانب التعاون العربي الاوروبي ، وهذا ما ننشده جميعاً .

أرجو الله أن يبارك جهودكم الكريمة وقد تحملتم عناء السفر في حضوركم للمساهمة في أبحاث هذه الندوة ، وشكراً للجامعة العربية والسيد أمينها العام ، والشكر أيضاً للاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية .

وأخيراً الشكر للغرف العربية الأوروبية المشتركة وللأسرة الاقتصادية الأوروبية على هذا الاهتمام الكبير بهذه المواضيع التي تهمنا جميعاً والله الموفق .

البَابُ العَاشِر:

آراء وتعليقات حول الكتاب السّابق

الباب العاشر

اراء وتعليقات حول الكتاب السابق

«للتاريخ والذكرى»
قصة جهد وعمر

حين صدر الكتاب الأول بعنوان «للتاريخ والذكرى» قصة جهد وعمر أهديت نسخاً منه الى جميع زملائي أعضاء الغرف التجارية والصناعية في دمشق والمحافظات والى أصدقائي من العلماء والأدباء والاقتصاديين والسياسيين والى من طلبها ، وردتني من بعضهم بترتيب التاريخ رسائل لطيفة معبرة ، وأما الاتصال بالهاتف فكان كثيراً عدا عن المقابلات وهي كثيرة وليس بامكاني احصاؤها وها هي الرسائل التي وردتني .....

١ ـ فضيلة الشيخ الدكتور عبد اللطيف فرفور
٢ ـ الأستاذ عثمان العمير «رئيس تحرير جريدة الشرق الأوسط»
٣ ـ الأستاذ المهندس منيب الدردري
٤ ـ الأستاذ محمد جهاد برهاني
٥ ـ الأستاذ عزت الطرابلسي مدير عام بنك لبنان والمهجر
٦ ـ الأستاذ نعمان الأزهري بنك لبنان والمهجر
٧ ـ الأستاذ علي محمد الحسن أبرسي تاجر من السودان.
٨ ـ الأستاذ محمد رياض الأبرش

٩ ـ د. عبد الله الدحلان مدير عام غرفة وتجارة وصناعة جدة
١٠ ـ الدكتور جورج جبور
١١ ـ السيد سيف الغرير رجل أعمال ورئيس بنك عمان في دبي
١٢ ـ الدكتور أحمد عزيز شكري عميد كلية الحقوق بجامعة دمشق
١٣ ـ الأستاذ بكار التوزاني (باريس)
١٤ ـ الأستاذ نور الدين الفتني (باريس)
١٥ ـ السيد فرنسوا روفيد الملحق التجاري الفرنسي ـ بدمشق ـ
١٦ ـ السيد ابراهيم الشربتلي «رجل أعمال في جدة»
١٧ ـ الشيخ اسماعيل أبو داوود «رئيس غرفة تجارة وصناعة جدة»
١٨ ـ السيد صلاح الدين القدسي
١٩ ـ السيد هيثم نشاوي
٢٠ ـ الدكتور عبد الغني «رئيس الجمعية السورية لمكافحة السل»
٢١ ـ السيد جمعة النابودة «رئيس غرفة تجارة وصناعة دبي»
٢٢ ـ السيد فيرناند رويون «السفير الفرنسي السابق ـ بدمشق»
٢٣ ـ السيد دانيال كونتي «السفير الفرنسي بدمشق»
٢٤ ـ الأستاذ جميل البوارشي «رئيس تحرير مجلة الصباح»
٢٥ ـ حفيدتي الآنسه سحر شحرور
٢٦ ـ الدكتورة عزة مريدن
٢٧ ـ التاجر السيد نزار نسيب قباني
٢٨ ـ السيد محمد الزعتري ـ رئيس غرفة تجارة وصناعة صيدا ـ لبنان
٢٩ ـ السيد توفيق زياد سكر ـ ابن حفيدي
٣٠ ـ السيد غلام اسحاق خان ، رئيس جمهورية الباكستان
٣١ ـ التاجر السيد محمد عصام قشلان
٣٢ ـ الأستاذ المحامي محمد بكداش
٣٣ ـ الأستاذ أسعد الكوراني
٣٤ ـ الدكتور عبد السلام العجيلي «الرقة»
٣٥ ـ الأستاذ أبو الخير الأسطواني

٣٦ ـ الأستاذ عزام نورس الجندري «حمص»
٣٧ ـ السيد عظمت حسن «السفير الباكستاني بدمشق»
٣٨ ـ السيد محمد يوسف بيضون «وزير الكهرباء في لبنان»
٣٩ ـ الأستاذ يوسف الاخوان «رئيس غرفة تجارة وصناعة حمص»
٤٠ ـ الأستاذ عبد الرحمن الحافظ مدير أوقاف الحسكة والقامشلي
٤١ ـ السيد فؤاد أبو منصور وكيل وزارة البرق والبريد والهاتف «الرياض»
٤٢ ـ السيد سليم المصنف مدير غرفة تجارة وصناعة حمص
٤٣ ـ السيدة منى حبال «زوجة ابني محمد (أبو زكي)»
٤٤ ـ السيد عبد القادر الدرفلي «سفير الجماهيرية الليبية بدمشق»
٤٥ ـ الأستاذ جواد المرابط
٤٦ ـ ابني «أبو زكي» الشلاح
٤٧ ـ السيد صلاح الدين الموصلي
٤٨ ـ الأستاذ الصحفي بشير العوف
٤٩ ـ السيد صبحي النبوتي «الحسكة»
٥٠ ـ جريدة الأسبوع الرياضي
٥١ ـ السيد نزار سردست «غرفة تجارة دبي»
٥٢ ـ السيد حسين قاسم «نقابة المقاولين»
٥٣ ـ السيد أحمد غرة «غرفة تجارة ريف دمشق»
٥٤ ـ السيد عصام السادات «غرفة تجارة دمشق»

كما تحدثت عنه الصحافة العربية في الوطن والمهجر بتحليل ضاف لمحتوياته واتجاهاته .

وقد تطوع أحد أصدقائي لتلخيص أبرز هذه الرسائل فكانت هذه المجموعة التي تضم لمحة عن مختلف الفئات للكتاب والكاتب ، فنشكر الصديق المتطوع الذي أخذ التلخيص على مسؤوليته ، ونعتذر عن إيراد الرسائل بنصوصها فهي تشغل حيزاً يملأ كتاباً كاملاً وليس هذا المراد . وانني لعاجز عن الشكر لما أحاطني به جميع الأخوة الذين اطلعوا على الكتاب السابق من دلائل المحبة والتقريظ .

الدكتور عبد السلام العجيلي

فالدكتور الأديب **عبد السلام العجيلي** يقول : «قرأته كما تقرأ الرواية شوقاً الى ما تقصون فيه من أحداث حياتكم وصور البيئة التي نشأتم فيها وحين شببتم ثم كبرتم صرتم فيها المثل لسمو الأخلاق ونبل السلوك والمقدرة على التنظيم وحسن تربية الأبناء وكمال معاملة الأقربين والأبعدين . وهذه الرسائل التي أوردتموها وأحسنتم فيها توجيه أبنائكم تصلح درساً لكل البادئين . ولا اكتمكم انني تأثرت كل التأثر ببعض ما كتبتموه ولا سيما في كلمتكم التوجيهية المرتجلة في ص ٣٠٨ وفي وصيتكم المعنوية الأولى حتى كاد الدمع يطفر من عيني . ومما زاد في قيمة هذه القصة بساطة كلماتها وعفويتها وبعدها عن التكلف مما يتضاءل أمامه في القيمة الفنية أحسن كتابات المشهود لهم بعلو الكعب فيما يؤلفون . . فجزاكم الله عن العمل الطيب والأخلاق وعن الوطن وأبنائه خير الجزاء» .

الدكتور عزة مريدن

وكتب **الدكتور عزة مريدن** رسالة تجلى فيها لطفه ونبله وختمها بهذا المقطع : «ما خاب حدسي ولا ظني ولا حكمي بهذا الرجل العظيم منذ عرفته أول مرة قبل سنين طويلة . . إن كتابة السيرة الذاتية نوع من الأدب الرفيع سواء كتبت باللغة الدارجة ليفهمها كل الناس أم باللغة الأدبية البليغة . ولقد قرأنا سيرة عميد الأدب العربي طه حسين في كتابه (الأيام) كما قرأنا السيرة الذاتية للكاتب الكبير أحمد أمين وكتاب الرحالة الكواكبي ومن قبلها ابن جبير وابن بطوطة وسواهم وها نحن الآن نقرأ بشغف ولذة مشفوعة بالفوائد والإكبار والتقدير كتاب الحاج بدر الدين الشلاح الذي فاق بنظري بغزارة محتواه من بدايته الى منتهاه» .

وأضاف في خاتمة الرسالة : «وانكم أيها الأخ الكريم تحملون أفضل شهادة تفوق قيمتها أعلى الشهادات الجامعية وهي شهادة جامعة الحياة العملية ، شهادة الحكمة والرأي السديد والخبرة العظيمة في شؤون الحياة . . . وهي شهادة قلما يصل الى جزء منها حاملو الشهادات الجامعية العالية . . .

. . . ثم اسمحوا لي أن تقبلوا مؤلفي الأخير (دراسات وتأملات في العلم والطب والحياة) . . . فقد وضعت فيه الكثير من آرائي الشخصية المستندة الى الحقائق العلمية بالاضافة الى خبرتي الشخصية خلال خمسين عاماً زرت فيها جميع البلاد العربية والغربية والشرقية في مناسبات مختلفة . . . وأنا أفاخر بأبنائي مثلما تفاخر أنت بأبنائك اللامعين ـ وانني في الختام لأدعو الله أن يبارك لكم في كل ما قدمتموه من الأعمال الانشائية المختلفة في حياتكم المباركة وأن يمتعكم بدوام الصحة والعافية .

الدكتور عزة طرابلسي

وكتب **الدكتور عزة ا لطرابلسي** يقول : لقد رأيت كتابك فريداً من نوعه كما أنت فريد بين أنماط الرجال . استقطبت حب الناس واحترامهم وجمعت الى تنشئة أولادك البررة مواصلة الجهد في حقل الزراعة والتجارة والصناعة ، وتابعت بدون كلل خدمة وطنك والبلاد العربية حقبة تزيد كثيراً عن نصف قرن حتى أصبحت علماً من أعلام المواطن العربي المرموق .

أما كتابك فقد انعكس نورك عليه فضم بين دفتيه تربيتك المثلى لذويك وتنوع كفاحك في كل مجال اقتصادي واجتماعي وعربي فكان تاريخاً حافلاً صادقاً لحياتك وما أسديته الى سورية بوجه أخص من جليل العمل . ولسوف يظل الناس في دمشق وبعيداً عن دمشق يتساءلون عن هذا السفر العظيم فكيف تمكن أبو راتب بفطرته الأصيلة وحسه الانساني أن يكتنز حب الجمهور والمسؤولين ما يزيد عن ثلاثة أرباع القرن . . أطال الله طلعتك على ذويك وأصدقائك وأبناء بلدك ولقاك خير الدنيا وصفوها.

وها أنا أذكر بهذه المناسبة الرجل النقي الصافي الذي اقترن لقبك به وهو أخي وعزيزي الدكتور راتب ، ويكفي أنك انجبته ليذكرك الناس بما أحسنت إلينا . أرجو أن تبلغه ودي وحبي ووفائي . . .

الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور

وقرأه بليلة واحدة من ألفه الى يائه.

وكتب **الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور** ما نقتطف منه: «لقد رضعنا محبتك من والدنا الذي كان لكم رفيق درب وكفاح، ومحبة الآباء تتصل بالأبناء. وأني لأتقدم باسم آل الفرفور وباسمي بالتهنئة لدمشق بل العروبة والاسلام برجلها المؤمن الحاج أبو راتب رجل الاقتصاد والسياسة والاجتماع وأسأل الله جل جلاله أن يسبغ عليه بركة العمر والسلام عليكم ورحمة الله.

الدكتور سليمان المضيف

كما كتب السيد م. **سليمان المضيف** مدير غرفة تجارة وصناعة حمص رسالة جاء في أحد مقاطعها: «لقد علمني والدي رحمه الله ومنذ حداثتي أن من يزرع قمحاً لا يجد شعيراً بل قمحاً، وأنتم أيها العم الكبير قد زرعتم براً وحصدتم الحق والخير والجمال».

وكتب السيد **يوسف الاخوان** رئيس غرفة تجارة وصناعة حمص يقول ضمن رسالته: «لقد تعلمنا الكثير من محبتكم خلال السنوات الماضية وستعلم الكثير من خلال قراءتنا لكتابكم الذي سيكون لنا بمثابة المشعل الذي يضيء طريق حياتنا ويثبت خطانا في الطريق القويم».

السيدة سحر الشحرور

وكتبت **حفيدته السيدة سحر عثمان الشحرور** زوجة غازي الوتار رسالة ناعمة ملأى بالعاطفة عبرت فيها عن فخرها بانتسابها الى جد عظيم. وقالت أنها وجدت في الكتاب رجلاً من الماضي يحمل أفكار الحاضر، مثالاً للابن البار بوالديه والأخ المخلص

لأخوته والزوج المعترف لزوجته بجميلها وصبرها واخلاصها وتفانيها من أجل سعادته ، ثم مثالاً للأب الصارم الحنون . . وأضافت تخاطبه : «لقد رأيت فيك من خلال كتابتك جامعة كبيرة ننهل منها كل العلوم والمعارف وشخصية قوية عظيمة مستقلة بذاتها تفرض هيبتها ووقارها وفي الوقت نفسه تكمن فيها كل المحبة والاحترام . وزاد من إعجابي تلك الصعاب التي مررت بها وصهرت شخصيتها وبلورتها، وها أنت الآن تقدم معرفتك وخبرتك نقية خالية من الشوائب بعد أن نقحتها بكفاحك وصقلتها بمعرفتك وخبرتك . . . مد الله في عمرك لتبقى الشعلة المنيرة في طريق مستقبلنا وهنيئاً لجيل أنت معلمه ومربيه . .

السفير السيد فيرناند رويون

وكتب السفير الفرنسي السابق **السيد فرناند رويون** رسالة نجتزىء منها هذا المقطع : «قام صديقنا السيد الميداني في مدينة ستراسبورغ بمناسبة الندوة الاسلامية المسيحية (التي كنت أرأسها مع شيخ الجامع الكبير في باريس) بإيصال رسالتك التي قامت زوجتي بترجمتها . كانت السكاكر الدمشقية لذيذة جداً ، وكذلك الكتاب القيم الذي وجدتك فيه في دمشق بشباب دائم مع أسرتك التي تعرفت عليها ، كما تعرفت الى اصدقائك وبضعة رجال الدولة البارزين . أشكرك من كل قلبي على هذا ، كما أضيف شكراً لإخلاصك ومشاعر الصداقة التي تكنها لي والتي أكن مشاعر لا تقل عنها لشخصك» .

السيد سعيد جمعة النابودة

وأرسل السيد **سعيد جمعة النابوده** رئيس غرفة تجارة دبي برقية كان مما قاله فيها : «ان لفتتكم الكريمة عندما شملتني مع الشخصيات الاقتصادية العربية التي عرفتموها فاجأتني ووجدت فيها تكريماً لي من أستاذ كبير ومعلم فذ لم أكن أتصوره . حفظك الله مدرسة للأجيال وطاقة عمل وانتاج ومثابرة ومنارة من القيم والأخلاق يهتدي بهديها الشيب والشباب . .» .

الدكتور عبد الغني عرفة

وكتب الدكتور **عبد الغني عرفه** رئيس الجمعية السورية لمكافحة السل والأمراض التنفسية رسالة عميقة الدلالة رقيقة الأسلوب نجتزي منها بعض المقاطع ، فبعد أن يتحدث عن الود الماثل في الكتاب بين الأخوة والأقارب من آل الشلاح وعما بذلوه من عون للآخرين يقول : «ويطالع القارىء في هذا الكتاب تقدير الاستقامة والوفاء والتقيد بتعاليم الدين الحنيف الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويحث على نصرة الفقراء والضعفاء والدفاع عنهم احتساباً عند الله . كما يلفت النظر التخطيط السليم وبعد النظر في الرسائل التي أرسلها الى أولاده أو تلقاها منهم وفيها حكم ومواعظ ودروس وعبر ، وهذا أسلوب رائع في التربية لا يعتمد الترغيب والترهيب بل الكلمة المنطقية المعقولة .

أما تحليله للناس فيعتمد على اللطف والبعد عن التجريح والتحدث عن ايجابياتهم مع الاهتمام بالناحية الاجتماعية . إن هذا الكتاب يهتم بتصرفات الناس ، ثم حين يتحدث عن الزيارات الى مختلف البلدان نجد عين الكاتب مثل الكاميرا التي تصور كل شيء وتنقل كل المشاعر والهواجس ، وكل ذلك بأسلوب سهل ممتنع وممتع مع التعليق المناسب . فالكتاب موسوعة اجتماعية تضم بخفة ولباقة وظرف وسرعة بديهة الملاحظات والمشاهدات والأشخاص وهو يستقرىء الحوادث ويذكر النتائج دون أن يبخل بالرأي والنقد البناء .

كتاب يذكر بالخير الأب والأخوة والأبناء والزوجة أم راتب ضمن مبادىء الصداقة والمحبة والتعاون والتعامل بصدق وأمانة وتواضع والتفاني في خدمة الوطن والمجتمع ، وعدم البخل في مجال النصيحة والكلمة الطيبة وانني أتوقع لهذا الكتاب دوراً كبيراً في المستقبل البعيد فيصبح من أبرز المراجع التي يعتمد عليها في دراسة الأفراد والشعوب فشكراً لهذه الذاكرة التي تتحدى الكومبيوتر بأسلوبها الشيق الجذاب ، وأرجو الله أن يمد في عمر العم أبي راتب ويمتعه ويمتعنا به وبأولاده الميامين وعلى رأسهم الدكتور راتب والعم أبو موفق والدكتور موفق وأن يوفقنا جميعاً لعمل الخير وحب الناس»

السيد صلاح الدين القدسي

وكتب السيد **صلاح الدين القدسي** أبو صفوان أبياتاً منها :

هذا الكتاب الذي لو يشتريه فتى ... بمثله ذهباً أقسمت لم يُلَمِ
لأنه جامع للخير قاطبة ... وفيه ما فيه من درس ومن حكم

السيد اسماعيل أبو داود

وكتب السيد **اسماعيل ابو داود** رئيس اتحاد غرف التجارة والصناعة بجدة «سعدت بهديتكم الكريمة التي كنت أتطلع اليها منذ زمن بعيد والتي تحوي تاريخاً عريقاً وعميقاً ، وانني لمن المستفيدين من هذه الذكريات الحبيبة ، وأقدر لكم تفضلكم بذكري في مجال الصداقة العريقة والحب الكبير بيننا ، كما سررت بوجود بعض الأسماء الصديقة التي تساهم معنا في كتابة التاريخ الماضي والحاضر . . وفقكم الله ومتعكم بمزيد من الصحة والرفاهية والله يرعاكم» .

السيد نور الدين الفتني

وكتب السيد **نور الدين الفتني** من الغرفة التجارية العربية الفرنسية رسالة نجتزىء منها هذا المقطع : «إن كتابكم سجل حافل لحياة زاهرة بالفضل عاشها رجل فذ من دمشق شرفتني الأقدار بأن أكون ـ وسأبقى ـ بين محبيه المخلصين المعجبين بشخصيته المميزة وما تتحلى به من سماحة في الانسانية وطيبوبة في المعاشرة مع علو شأن في إدراك شؤون الدين والدنيا . تزهو به المحافل في كل موطن يشهده ، وترفع إليه الأسماع حشوداً في كل مقام حباً وتجلّة ووفاء وإكباراً» .

الأستاذ أحمد شكري

وكتب الصحفي المرموق **احمد شكري** رسالة من صفحتين كبيرتين في العدد ٦ من مجلة الصباح ، فكانت كلمة بارعة الأسلوب نقية العاطفة . ومما قاله وهو كثير وجميل :
«كانت الأضواء تسلط على الملوك والأمراء والقادة وتبرز أعمالهم دون سواهم وتجعل من مسيرتهم المضمون الأساسي لحركة التاريخ . . . وتهمل رجال الأعمال الرواد الذين امتازوا بالفعالية والجرأة والمبادرة وشقوا طريقهم في ظروف شاقة تحدّوها بهمة وصلابة وثقة بالنفس واستيعاب للدروس . . . وكل هذا أجده في مذكرات الحاج بدر الدين الشلاح التي تقدم صورة مثلى عن رجل الأعمال الناجح بعيد النظر الذي يستنفر الامكانيات لاستصلاح الأرض وتحويلها الى مزرعة مزدهرة ، ويواجه هضبة وعرة فيحولها الى مصيف مرموق تنتشر على جنباته الحدائق والقصور ، ويسافر الى الأماكن النائية سعياً وراء الرزق الحلال . . . رجل الأعمال الرائد المفكر المصدر ورجل المجتمع الذي ينشىء الأبنية لتكون بيتاً للعبادة أو مشفى أو ميتماً أو مدرسة أو وقفاً على ما بناه للخير . . . رجل الأعمال الذي يقف على رأس الأسرة التجارة بحكمة ولباقة وموضوعية وروح اقناع توصل الى أصح القرارات . . .

في مذكراته نجد التنشئة الصارمة التي تربي في الأولاد الاعتماد على النفس والعمل الشاق والبدء من الصفر والتعلم من الأخطار واحترام كل الناس حتى أصغرهم ، مع الحرص الشديد على طلب العلم الى أقصى درجاته وانه أهم من المال ، والنصح بالزواج المبكر للحماية من النزوات والمفاسد ، والالتزام الذاتي بعمل الخير ، وربط الود بالعلاقات الشخصية مع أفضل الناس في كل الأقطار . . .

كل هذا بعض تجارب الحاج بدر الدين الشلاح حتى لأتساءل أهو رجل واحد أم مجموعة رجال ؟ . . .» .

السيد سيف الغرير

وكتب السيد **سيف الغرير** من تجار الإمارات العربية رسالة موجزة بليغة قال فيها من جملة حديثه : «انني أبارك هذا العمل الطيب الذي جعلتم القارىء فيه يعب منه عصارة تجربة طويلة مررتم بها في مشواركم الطويل في هذه الحياة ، وقل من يفعلون ذلك اعتقاداً منهم بخصوصية تجاربهم في حين يعتبر نقلها للأجيال انجازاً رائعاً» .

الدكتور جورج جبور

وكتب السيد **جورج جبور** دراسة عن ثلاثة مؤلفين هم الدكتور جمال الفرا والسيد راشد الكيلاني وبدر ا لدين الشلاح . وكان مما قال عن معرفته بأبي راتب أنه قابله في طائرة مسافرة وقدم له كتاباً فيه خواطر عن مستقبل الوحدة ، ثم انتبه الى أن أبا راتب جلس في الطائرة يقرأ ويسجل ملاحظاته على الكتاب واستطاع بكلمتين أن يوجز كل فكرتي فعرفت أنه ليس تاجر محصولات زراعية بل سياسي كبير وقارىء خطير للأسطر وما بينها . وفي حين كنت أتصور أن حديثي معه سيكون عن المشمش والقمر الدين ، اكشف أنه أستاذ في العلاقات الانسانية ، وانه كتلة حواس رهيفة لم ينل منها أنه في شبابه الثالث أو الرابع . . .

ان بدر الدين لا يدعي أنه سياسي ممارس أو منظر ، انه فلاح ويفتخر بذلك ، ولكنه في الصفحات السياسية من الكتاب التي يقول فيها انه (هاوٍ) للسياسة يبدو متعمقاً بها ، ويا حبذا لو خصص كتاباً بكامله لهذه الآراء السياسية .

كتابه ضخم في شموله وتنوعه وشاهد على عصره في كل الحقول والميادين . وإذ يتحدث عن جوهرة البيت أم راتب يكاد يقول لك : لا يصح أبداً إدعاء من يدعي أن المرأة للبيت فقط لا للسفر وللحديث عنها في كتاب يوزع على الناس» .

الأستاذ أسعد كوراني

أما الأستاذ المحامي الكبير ووزير العدل السابق **اسعد كوراني** فيقول : «قرأت كتابكم من جلدته الى جلدته فرجع بي فكري الى سنوات خوالٍ ، وتمنيت لو أطلتم وأطلتم في احياء الذكريات بأسلوبكم النابع من صفاء قلبكم وصدق روايتكم فهو مصدر لتاريخنا . لا سيما وانني مثلكم قد جاوزت الثمانين فكان شعوري بالرجوع الى الماضي البعيد والقريب مقروناً بالحاضر مما هزني عبرة واستفادة وسروراً نفسياً ، فأرجو قبول شكري العميق واحترامي ودمتم» .

السيد جواد المرابط

وكتب السيد **جواد المرابط** كلمة ضافية تحدث فيها بما يراه فضله من عمل أبي راتب في سبيل المصلحة العامة وخدمة الاقتصاد الوطني واستشهد بما قاله تكراراً من أن العمل الاقتصادي الانمائي هو عمل وطني في حد ذاته . ثم تطرق الى قناعة المستعمرين بأنهم ورثة الحروب الصليبية فقال اللورد اللنبي عند دخوله القدس (الآن انتهت الحروب الصليبية) وقال الجنرال غورو أمام قبر محرر القدس : (ها قد عدنا يا صلاح الدين) . وذكر ان وزير المستعمرات البريطاني قال (لقد استرجعنا اسبانيا من الكفرة «يعني المسلمين» بالخمر والبغاء ، وأن هذا كان دأب المستعمرين وما زال .

ثم قال أن الحاج بدر الدين يعتبر خريج جامعة العقل المتفتح لكل أفق وله جرأة وعزيمة أقوى من كل العقبات في مشاريعه المتعاقبة . وأشار الى ما يتجلى في كتابه من ذاكرة عجيبة وملاحظة دقيقة قوية ونشاط ، وشعاره كشعار والده (التدبير ينمي اليسير ، وعلو الهمة بالمثابرة تأتي بالكثير) . ثم تطرق الأستاذ المرابط الى حوادث عديدة أظهر فيه رجالات الوطن فهماً وعزماً في مقاومة مشاريع الأجنبي الاقتصادية التي كانت تريد إخضاع سورية عن طريق إفقارها وفرض الأنظمة الجائرة عليها وتحدث عن مسألة الانفصال الجمركي بين سورية ولبنان وعن محاولات إعطاء امتياز مياه الفيجة لشركة فرنسية وكيف أفشلها الوطنيون وختم بقوله : لولا أفراد من السوريين كانت تتأجج قلوبهم حمية وتتقد نفوسهم حباً لوطنهم لظلت الأفعى تمتص حليب البقرة وبقي الحمل تحت رحمة الذئب .

السيد علي بحبوح

ووردت الى أبي راتب قصيدة للشاعر النبكي السيد **علي محمد بحبوح** اعتبرها بطاقة شكر على إهداء الكتاب . . ومثل ما تقدم ورد في كل الكتب الأخرى .

السيد عثمان العمير

وكتب الأستاذ **عثمان العمير** رئيس التحرير في الشركة السعودية للأبحاث والتسويق يقول : «اكتب إليك وما زلت استعيد لحظة سمعتك تتحدث حديث المؤمن بالله الواثق من انسانيته الكبير في تعامله والعظيم في تواضعه . صدقني أيها الأب الكريم انني زرت بك دمشق فكل ما في هذه المدينة العظيمة تجسده وتحلله نظراتك وتوجيهاتك وأحاسيسك وكرمك بذلك . . » .

السيد نزار القباني

كما كتب السيد **نزار نسيب القباني** من الأسرة التجارية يقول : «انني استخلص بعد قراءة هذا الكتاب القيّم سر نجاح هذه الشخصية الفذة في جميع المجالات الاجتماعية والتجارية والخاصة ، ومحبة الناس لها من جميع الطبقات ألا وهو الاخلاص الذي يكمن في شخصكم ويرافق اي عمل من أعمالكم العامة والخاصة .

كما أسجل لكم بكل فخر وفاءكم وإنصافكم للزعماء الدمشقيين الوطنيين ممن ذكرتموهم في كتابكم فلم تتجاهلوهم كما فعل الكثيرون وانصفتوهم للحقيقة والتاريخ» .

قصة بناء غرفة تجارة دمشق

أنعش ذاكرتي الحديث عن مناسبة مرور أكثر من مائةعام على قيام غرفة تجارة دمشق، وعدت الى مخزون هذا الكومبيوتر الحي الذي زودنا به الباري عزّ وجل، فعثرت على بعض الصور واللمحات التي وددت إضافتها الى كتابي لتتخذ مكانها في تاريخ هذه الغرفة التي جسدت تطور دمشق واخلاقياتها.

انني الان وأنا أكتب هذه السطور في السابعة والثمانين من عمري ويسرني أن ادركت مناسبة الاحتفال بتجاوز الغرفة القرن الأول من حياتها، ورجوت لو أنني أعرف رجلا أكبر مني سناً له علاقة بالمناسبة ليشاركني في ذكرياتها ويقدم لنا شيئا مما مرّ به، ولكنني لم أجد تاجراً في مثل هذا السن لديه ما يتحدث به عن تاريخ الغرفة ومواقفها وكان في ذاك الوقت عدد التجار الذي يسجلون في غرفة تجارة دمشق لا يتجاوز مئة تاجر.

من المحزن حقا أننا فقدنا منذ أسابيع أقدم عضو حي في غرفة تجارة دمشق هو المرحوم الصيدلي حسني الهبل الذي فارق الحياة يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر تموز ١٩٢٢ بعد أن قارب المائة سنة، وكان من أفضل الأعضاء قدرا ولياقة ولطف معشر، ويذكر بعض معاصريه أنه أول عضو نظم أوراق الغرفة وسجلاتها، وبذل في ذلك جهدا مرهقا وأتمنى لو أنه ترك بعض المذكرات أو الذكريات عن حياة الغرفة.

إذا عدنا الى المجلة الاقتصادية للغرفة نجد أول مجلس إدارة ورد ذكره في اعداد المجلة كان برئاسة المرحوم عارف الحلبوني وعضوية السادة صياح قصاب باشي وميشيل مرقدة، ومسلم السيوفي وسعيد السادات ولطفي الحفار وانطون السيوفي وعبد الرحمن المرابط وتوفيق مسعود وسرحان الشحفة ويوسف معتوق وحسام الدين العمري.

عرفت غرفة تجارة دمشق لأول مرة في حياتي في سن يقل عن تسع سنوات وذلك في عام ١٩١٣ عندما أرسلني والدي المرحوم الحاج سليم الشلاح الى الغرفة لتصديق فاتورة تصدير نقوع المشمش الى سالونيك، وكان مقر الغرفة بيتا عاديا قديما في حارة الشرابي التي

كانت قائمة في الزاوية الغربية الجنوبية لساحة المرجة قرب المبنى القديم لبلدية ومديرية صحة دمشق، وأذكر أنني رأيت في مكتب الغرفة الفقيد طيب الذكر لطفي الحفار من كبار أعضاء مجلس الادارة.

ثم انتقلت الغرفة فيما بعد الى وكالة المرابط حيث شغلت حجرتين احداهما لمجلس الادارة والأخرى عمل بها المرحوم عارف جويجاتي كاتب الغرفة والمرحوم فخري مراسلها وبقيت الغرفة في هذا المقر زمنا طويلا قبل أن تنتقل الى المبنى الذي تم بناؤه ثم الى المبنى القائم حاليا، ولهذا المبنى قصة سأعود اليها بعد ذكر واقعة طريفة جرت معي في ذلك الحين.

قلت أن والدي المرحوم سليم الشلاح طلب مني الذهاب الى غرفة تجارة دمشق لتصديق فاتورة تصدير نقوع المشمش الى سالونيك، وكان عمري آنذاك يقل عن تسع سنوات، وكنت مولعا بالتجارة، ألازم والدي دائماً وبعد العودة من المدرسة، وبعد انتهاء الرسائل كنت أجهز المظروفات وأكتب عليها العناوين وأضع فيها الرسائل، وكان والدي يصدر النقوع الى سالونيك لتاجر لا أذكر اسمه كما يصدر هذه المادة الى بيت تجاري في استانبول يدعى (مالقوسي أخوان) ويستورد منه جبن القشقوان الفاخر. وفي الوقت نفسه كان يتعامل مع محمد توفيق وزكي سنبل في الاسكندرية وكانا من أكبر تجار الياميش في مصر واليامیش يشمل اصناف القمر الدين والنقوع والزبيب والجوز واللوز

وصادف آنذاك أنني تسرعت في إعداد المكاتيب فوضعت الرسالة الموجهة الى حالقوسي أخوان من استانبول في المظروف الموجه الى سنبل في الاسكندرية ووضعت الرسالة الموجهة الى سنبل في المظروف الذي يحمل عنوان حالقوسي أخوان، وترتب على هذه الغلطة أن سنبل الذي كان ينتظر في الاسكندرية إرسالية القمر الدين تأخر في استلامها لأن الرسالة الموجهة اليه كانت مختلفة ورغم أن هذا التأخر أسفر عن ربح لأن سعر صندوق القمر الدين تحسن من ٢٢ الى ٢٥ جنيه مصري فإن والدي أفرط في تأنيبي على هذه الغلطة، وكانت درسا لي في عدم التسرع والتزام الدقة ـ لا أنساه.

الان أعود الى مقر الغرفة الحالي لأسجل ما أعرفه عن تاريخ شراء الأرض وإقامة البناء أذكر أن تنظيم الحريقة تم في عام ١٩٣٥ بعد أن هدمت بلدية دمشق ما تبقى من أطلال المنازل المحترقة وبعد اعلان التنظيم المذكور تم شراء قطعة أرض على زاوية طريق البيمارستان النوري وبدأنا بالبناء وبعد إقامة القبو والطوابق الأرضي والأول والثاني لم يعد

لدى الغرفة مال كاف لاكمال البناء حتى عام ١٩٤٥ حيث أقيم الطابق الثالث وعام ١٩٤٦ حيث أقيم الطابق الأخير ولوحظ أن البناء يضيق عن استيعاب ملاك الغرفة وأقسامها ومتطلباتها من الصالات وقاعات المؤتمرات فبيع البناء الى السيدين بسام وغسان الصفدي بعد أن تم شراء المحضر الذي شيد عليه البناء الحالي.

وكان مجلس الادارة في جلسة عقدت يوم ٦-٦-١٩٥٩ قد كلف الحاج بدر الدين الشلاح عضو المجلس بشراء المحضر ٥٨ من أمانة العاصمة وهو أحد المحاضر الناتجة عن استملاك منطقة شرقي الحريقة والتي طرحت للبيع فاتفق الحاج الشلاح - أي أنا - مع أمين العاصمة المهندس مختار دياب على تقديم العرض بالسعر المقرر من قبل اللجنة وهو ٨٢٥ ليرة سورية للمتر المربع، وأحجم المشترون عن تقديم أي عرض فأصبح المحضر من حق غرفة التجارة وكانت بجانبه فضلة أرض تعود للسادة محمد الدبس وأبناء تقي الدين مساحتها ١٣٦ م تم شراؤها بسعر ستمائة ليرة للمتر الواحد اذ ليس لها واجهة وجرى دمجها بالمحضر المشترى من أمانة العاصمة.

وما لبثت اللجنة المكلفة بالاشراف على البناء أن قامت بتلزيم العمل للمهندس مختار دياب بعد أن ترك أمانة العاصمة فأنجز البناء دون تأخير ولكن التعهد كان خاسرا بالنسبة اليه غير أنه تحمل النتائج واستحق كل الشكر على مساعدته للغرفة في شراء الأرض ودمجها مع الأرض المتممة وتعهد اعمال البناء وتنفيذها دون تململ وبلا ربح وليس كما جرى مع متعهد غيره الذي لم يخسر وأقام على الغرفة دعوى لا زالت بالمحاكم منذ عشر سنوات وقد استحق السيدان المهندسان خليل ومحمد الفرا أجمل الشكر على اكمال البناء بأقل من نصف الأجر المقرر من نقابة المهندسين.

وهكذا تم انتقال الموظفين الى البناء الجديد في ٢٧ أيلول من عام ١٩٦٣

لمحات عن
حي الميدان ثم المهاجرين

اختص حي الميدان الدمشقي بتجارة الحبوب، وقامت على جانبيه حوانيت كبيرة تسمى (البوايك) وكانت كل بايكة عبارة عن مستودع كبير تزيد مساحته عن ستين مترا مربعا وتصل الى مئة، وضمنها مكتب للبيع، وتمتد هذه البوايك في الماضي من حي السويقة حيث تمر سكة ترمواي الميدان حتى بوابة الله في نهاية الحي، ولكن اكثرها يقع في الجانب الشمالي من الطريق باتجاه القبلة ولم يبق منها الان الا عدد قليل.

كان تجار الحبوب (الميادنة) يسلفون مزارعي حوران على محاصيلهم من الحبوب قبل الموسم، ويستوفون هذه السلف عند نضوج هذه المحاصيل من الحنطة والشعير والعدس والفول والجلبانة، وكانت هي التجارة الرئيسية حيث كانت دمشق تغذي لبنان وفلسطين.

حي الميدان من الأحياء الرئيسية ويمتد جنوبي دمشق على طريق الحج القديم ويبلغ من خصوصية هذا الحي أن سكانه حينما يتوجهون الى قلب العاصمة كانوا يقولون: (نازلين الى المدينة) وعندما أنشأت شركة بلجيكية سكة الترام التي تسير بالكهرباء انتهت عزلة حي الميدان ولم يعد الذهاب الى دمشق سفرا كما يقولون.

أذكر أن حي الميدان كان موزعاً على عدة مصلبات تبدأ من السويقة وقصر حجاج، وفيها تسكن عائلة القضماني، وفيها أيضاً من بيت الصلاحي أحدهم اسمه أبو نذير الصلاحي. كان تاجرا في مهنة مال قبان وبعد وفاته ترك ولدا مستقيما موظف بوزارة المالية اسمه نذير صلاحي. تليها مصلبة باب مصلى حيث نجد آل سكر وآل قصاب باشي هناك حارة في هذه المصلبة اسمها حارة التيامنة سكانها من أخواننا المسيحيين تعيش مع الجوار ويعيشون معها كالأشقاء ولا أحد يشعر من القريب بأن هناك طائفية وحتى من أهل دمشق الكثير منهم لا يعرف بوجود حي مسيحي في باب المصلى. وهناك قبة البيضا التي تشمل بايكة صياح آغا قصاب باشي تاجر الحبوب المعروف وابن شقيقة المرحوم أنور قصاب باشي الذي زاملني بغرفة تجارة دمشق. وفي المصلبة التالية القرشي تبرز عائلات النوري ونقاوة

والياسين، ثم تبدأ المنطقة الرابعة حيث تقع الجزماتية ويبرز فيها آل البعلبكي، ومن عائلاتها المعروفة آل العابد وآل قويدر وآل الشيخ سالم وفي المنطقة الخامسة (ميدان ـ حطاب) تبرز عائلات عطايا والحافي والبردان والبيطار وحتاحت، فإذا انتقلنا الى المنطقة السابعة (المصطبة وسعد الدين) نجد منازل وبوايك آل المهايني واشتهر منهم سرور آغا وغالب آغا وفارس آغا، وفي نهاية الخط (ميدان سلطاني) ينشط أبناء عائلات الحكيم والقدة وشموط.

وكنت أعرف الكثير منهم خلال مروري يوميا من أول طريق حي الميدان الى نهايته بما في ذلك الحارات الفرعية حيث كنت أجمع الغلة.

كان أبناء حي الميدان متضامنين يعملون يدا واحدة منذ العهد العثماني لحماية منازلهم ومحلاتهم من اعتداءات الانكشارية التي كانت تغير على السكان، وتقوم بابتزازهم وتهديدهم والأمثلة على ذلك وردت في يوميات البديري الحلاق، وهو كتاب يروي الحوادث اليومية في دمشق منذ حوالي أكثر من قرنين بطريقة المذكرات، وكان البديري حلاقا يسجل كل يوم ما كان يسمعه من الزبائن عما يحدث في دمشق من أزمات وحوادث ومشاكل وغارات ونكبات، وقد عثر على هذه اليوميات المرحوم الشيخ محمد سعيد القاسمي فنقحها وهذب لغتها بحاشية وقام الدكتور أحمد عزة عبد الكريم استاذ التاريخ في جامعة عين شمس المصرية بدراستها ونشرها مع تعليقات وملاحظات.

وقد تصدى أبناء حي الميدان في تلك العصور للسلطة عدة مرات واحتجوا على الاضطهاد والتعسف، وكانوا يتشددون في تربيتهم لا سيما على الاناث، ولم يقبلوا رفع الحجاب والسفور الا القليل منهم بعد انتقالهم الى الأحياء الجديدة، وكان يقال عنهم مثل معروف وشائع (خذ من الميداني ولا تعطه) لأن تربيتهم قاسية.

أما تجارتهم بالحبوب فقد تقلصت بعد أحداث مؤسسة الميرة عام ١٩٤٣ وحصر شراء الحبوب بها وعلى الأثر تحول تجار الميدان الى أعمال البناء وتداول الأراضي، وأصابوا أرباحا طائلة، وعملوا بالتجارة الخارجية، واتجه عدد كبير منهم الى الأردن والسعودية وحتى الأوربية حيث شكلوا جاليات تجارية كبيرة وناجحة وهم مواطنون مرموقون ذوو سمعة حسنة والان وبوقتنا هذا فان التجارة الداخلية والخارجية والواسعة بأيديهم في جميع الوطن العربي.

اشتهر الميادنة بالسخاء والاكثار في مآدبهم، وكانوا يستهلكون معظم انتاج القشطة في داريا والمعضمية ومن ذلك أن أحد الوجهاء أقام وليمة لقائد انكليزي، وأتخمه بالكوسى المحشي وأقراص الكبة، وخلال عودته أوقف فرسه أمام بحرة ماء لتشرب ولما ارتوت امتنعت عن شرب المزيد، فقال لها: عرفت كيف تمتنعين ولو أجبرتك، ولكنني أنا البهيم لم أقو على الرفض.

ويروى عن المرحوم جميل نصري المتعهد المعروف أنه اتخم ضيوفه الألمان بأنواع الكبب واضطروا ليلا الى التخلص من الغازات الجوفية باطلاق أصوات مزعجة، وقالوا: لماذا نصنع ديناميت ومتفجرات لإزالة الصخور بينما الكبة كفيلة بذلك.

وكان جميل نصري متعهداً كبيرا في تمديد الخط الحجازي لشريكهم جميل نصري وأنشأ سوقا يحمل اسمه بجوار سوق العصرونية، وله خان في سوق خان الباشا اشتراه الشيخ أحمد كفتارو.

وأود أن أخص بالذكر تاجرا عملاقا عاش مائة عام وانتقل الى رحمة ربه من شهور قليلة وهو المرحوم توفيق السرايجي (أبو صلاح) الذي عرفته وصادقته وتعاملت معه بيعا وشراء. ان قصة حياته جديرة بأن تروي للأجيال، فهي كفاح مستمر لا يعرف الكلل. كان عملاقا بين التجار، عملاقا في صموده ودأبه، عملاقا في جرأته واندفاعه صادقا ملتزما في بيعه وشرائه، لا يعرف الملل ولا يقبل بالفشل ولا يستسلم للملمات والشدائد.

بدأ أبو صلاح حياته بتجارة الحبوب، والمواد الزراعية والغذائية وأصبح قطب هذه التجارة والمتحكم فيها وبلغ من أهميته أن أسعار أي سلعة كانت ترتفع اذا أشيع أن السرايجي يريد شراءها.

خلال الحرب العالمية الثانية انخفض الفرنك الفرنسي فخسر أبو صلاح كل ما لديه وتراكمت عليه ديون ولكنه لم ييأس ولم يتوقف بل ثابر وعمل حتى وقف على قدميه ثانية وسدد جميع ديونه.

ذهب أبو صلاح بعد ذلك الى فلسطين وسرعان ما أصبح في طليعة تجارها عملا وشهرة ومرة ثانية دارت الأيام فخرج من فلسطين في نهاية الأربعينات صفر اليدين، واتجه الى حلب حيث استأنف العمل ببراعته وذكائه المعهودين وأصاب نجاحا ملموسا.

وعندما انهارت الوحدة السورية ـ المصرية هبطت أسعار معظم السلع الزراعية وخسر أبو صلاح أكثر موجوداته فعاد الى دمشق ليبدأ من جديد وهو في التسعينات وكأنه شاب في مقتبل العمر.

ظل أبو صلاح يعمل رغم كبر سنه وضعف بصره. حتى وهو قاعد في منزله كان يميز من يتكلم معه بالهاتف ويواصل أعماله، انه مدرسة للأجيال الشابة التي يجب أن تستفيد من دروس سيرة رجال الأعمال القدامى. كانت بدايتهم متواضعة وظروفهم صعبة، لم تلدهم أمهاتهم وفي أفواههم ملاعق من ذهب، بل بدأوا من الصفر بثقافة ضئيلة، ولكنهم بالجهد والصدق والمثابرة والقناعة والاعتدال شقوا طريقهم الشاق البطيء الطويل الى النجاح واني اعتذر لكل فرد من حي الميدان حيث كان بودي أن أعطي من هذا الكتاب نصف صفحاته الى معارفي من تجار هذا الحي واقتصر على ذكر بعض الوجهاء من عائلة قصاب باشي بادئاً بصياح آغا أو بابن أخيه أنور وعائلة المهايني، وعلى رأسها فارس آغا وسرور آغا، وعائلة الحكيم وعلى رأسها حسن بيك وعائلة البعلبكي وعلى رأسها رشدي وعائلة الحافي وعلى رأسها خالد وأبو سعيد وعائلة البردان وعلى رأسها عبد الحميد وعائلة نقاوة وعلى رأسها رسلان وعائلة البيطار وعلى رأسها الشيخ بهجت وحسني البيطار وعائلة حتاحت وعلى رأسها عادل حتاحت. وأعود الان الى خط الترامواي الذي كان ينطلق من ساحة المرجة ماراً في منطقة باب الجابية السويقة باب المصلى الجزماتية الى الميدان بوابة الله.

حي المهاجرين

ومن المرجة الى خط المهاجرين حلت العمارات الجديدة محل حواكير الصبارة والآس والرمان والزيتون والتوت وقد نشأ حي المهاجرين ـ كما يبدو من أثر نزوح أعداد كبيرة من مسلمي البلقان مع تراجع الدولة العثمانية أمام التحالف الروسي البلغاري، وكان جبل قاسيون سفوحا جرداء خالية، فوزعت السلطة العثمانية هذه المنطقة على المهاجرين بمعدل ١٧ قصبة لكل عائلة وتعادل القصبة ٢٣،٧٥ مترا مربعا أي أن كل أسرة حصلت على مساحة /٤٠٦،٢٥/ أمتار وبنت عليها منزلا من الآجر والطين.

ظل حي المهاجرين نائيا ومعزولا حتى امتد اليه البناء، وهنا لا بد من ذكر المهندس المصري خورشيد بك الذي أحب دمشق واستقر فيها وأنشأ منزله المعروف الذي أصبح قصرا لرئاسة الجمهورية وهو قصر المهاجرين وقد أفضنا في مكان آخر من هذه المذكرات بسيرة هذا الرجل العظيم وتحدثنا عن علو همته وطول باعه وسعة علمه وحماسته لاقامة المشاريع وتعرفه الأجيال الأولى في هذا القرن حق المعرفة، وقد أطلق اسمه على ساحة نهاية خط المهاجرين.

في عام ١٩٣٦ حدث الاضراب الشهير الذي استمر ٥٦ يوما احتجاجا على تعسف السلطة الفرنسية، فاغلقت الأسواق اغلاقا تاما دون استثناء، وقاطع الناس الكهرباء فامتنعوا عن اضاءتها، داخل منازلهم واضربوا حتى عن ركوب الترامواي فأصبح يسير فارغا من أي راكب مع أن الأجرة كانت زهيدة جدا، ولم تكن هناك باصات جماعية وأذكر أن عدد السيارات الخاصة في طول دمشق وعرضها لا يزيد عن خمس، لا أود ذكر أسماء أصحابها.

ومما يلفت المنظر آنذاك مشهد المشاة وفي مقدمتهم أناس محترمون، يبدأ موكبهم من ساحة المرجة الى حي المهاجرين، ولا أنسى مشهد الشيخ الوقور والطاعن في السن خورشيد بك في الصف الأمامي وهو يلبس الجبة ويلفها على ظهره الذي انحنى تحت وطأة السن ويمضي متكئا على عصاه ليقطع المسافة الطويلة صعدا الى منزله في حي المهاجرين.

وكان يتفرع من خط المهاجرين في منطقة الجسر الأبيض خط ثالث يصل الى منطقة حارة الشيخ خالد لاجل مكان حي الصالحية وأبو جرش وحارة الأكراد.

وفي عام ١٩٣٢ وكان المرحوم سعيد المحاسني وزير الداخلية في حكومة الشيخ تاج الدين الحسني قد اتفق مع الشركة البلجيكية الافرنسية على تمديد خط من ساحة المرجة مارا بسوق التبن وخان الباشا، وبين الحواصل والعمارة ومسجد الأقصاب وباب توما ومارا بقرية جوبر وزملكا وعربين وحرستا ودوما وكان ذلك لفكرة منه بنقل الفواكه والخضار والمحصولات الزراعية ولكن لم ينجح، غير أن مروره أفاد لركوب أهل القرى المذكورة وبعدها زال كزوال كافة خطوط الترامواي بعد انتشار الباصات والسيارات، ولو أنهم تركوا خط باب توما المار بالغوطة الى دوما لكان أجمل من طريق السيارات. رحم الله ذلك الزمان.

عائلات الأيوبي والهبل

تدرج المرحوم محمد عطا الأيوبي في المناصب الادارية منذ بداية القرن الحالي، منها قائمقام في الأردن خلال العهد العثماني، وفي ذلك الحين كان المغفور له هاشم الأتاسي متصرفاً في مدينة السلط.

وفي فترة الانتداب الفرنسي أصبح وزيراً للعدلية في حكومة الواماد أحمد نامي بك، وفي عامي ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ تولى رئاسة الوزراء في حكومتي شكلتا للاشراف على الانتخابات.

وفي عام ١٩٥٠ انتقل المرحوم الأيوبي الى رحمة الله عن عمر يناهز السادسة والسبعين، بعد أن انجب ولدين وست بنات هم خالد وهو أكبرهم ثم محمد علي. واقترنت ابنته الأولى بالأمير كاظم حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، واقترنت الثانية سنية بابن عمها السيد وجيه الأيوبي، كما اقترنت الثالثة ثريا بابن عمها السيد نصوح الأيوبي، ولم تتزوج كل من الرابعة بشرى والخامسة بدرية، أما الأخيرة نعمت فقد تزوجت السيد رفيق سعيد نجل المرحوم رضا سعيد أحد مؤسسي جامعة دمشق.

وبرز من رجالات الأسرة المرحوم خليل الأيوبي، من رجال القضاء، وقد عرفت دمشق من ابنائه المرحوم وجيه الأيوبي الموظف في وزارة الداخلية، والسيد مختار الذي عين قائمقام والسيد نصوح الذي شغل مناصب قضائية ثم عين مديراً عاماً لوزارة الداخلية وتولى بعد ذلك محافظ دمشق، واخر مناصبه أنه كان المدير العام لشركة الضمان حتى عام ١٩٦٧ ثم اخلد للراحة.

وتفرغ المرحوم حيدر الأيوبي للأعمال التجارية، وكان له مكتب لهذه الأعمال في بناء شربجي وقباني بساحة المرجة.

وشغل السيد نسيب الأيوبي عدة وظائف مالية واقتصادية في الدولة. وانجب ولدا واحدا وابنتين، وقد تولى نجله الدكتور صادق الأيوبي مسؤوليات هامة، فكان مستشارا ماليا واقتصاديا في رئاسة الجمهورية ثم اختير وزيرا للمالية، وفيما بعد تولى مراقبة الحسابات

لعدد من غرف التجارة والصناعة والشركات العامة والخاصة والمشتركة، وما زال من الرجال المشهود لهم بالاستقامة والخلق واللباقة اضافة الى الخبرة والدقة، أما شقيقتاه فقد اقترنت الأولى بالمرحوم زهير الهبل نجل المرحوم حسن الهبل من أقدم أعضاء مجلس ادارة غرفة تجارة دمشق، واقترنت الثانية بالسيد فؤاد هاشم التاجر المستقيم ومما يذكر أن زفافهما تم في حفل واحد.

والشيء بالشيء يذكر - كما يقال - والناس يذكرون بأقرانهم ولهذا انتقل الى آل الهبل وهم أسرة كبيرة متفرعة عرفت دمشق من ابنائها الصيدلي المرحوم حسني الهبل الذي انتقل الى رحمة الله في شهر تموز ١٩٩٢ عن عمر يناهز المائة، وكان السيد خليل الهبل رئيساً للمحفل الاسكتلندي التابع لانكلترا، اضافة الى عضويته الطويلة في غرفة الزراعة وصيدليته الشهيرة في السنجقدار في بناء العابد وكانت من أوائل الصيدليات وأكبرها في دمشق.

وكان والده المرحوم أبو خليل الهبل من مزارعي الغوطة المعروفين، كما أن شقيقه المرحوم مختار الهبل ابتاع عدة أراض بجوار أراضي والده في قرية زبدين، وأذكر أنني عندما اشتريت أرض العدمل حرص على زيارتي واطلع على ما أقوم به في تأسيس المزرعة فرحبت به ورجوت الاستفادة من معلوماته، وعندما لاحظ أنني أزرع غراس المشمش دفعة واحدة على مساحة ٢٥٠ دونم وأعمد الى قص الغرسة ليبقى طولها مترا واحدا - استغرب عملي فقلت له ان الشجرة كالولد تحتاج الى تربية وعناية في جميع مراحل حياتها، في حين أن المزارعين كانوا يتركون الشجرة وشأنها تطول وتمتد وتفرع يمينا وشمالا.

ويومها امتدت زيارة السيد مختار الهبل حتى قارب الوقت موعد اذان المغرب فركبت السيارة - وهو بجانبي - عائدين الى دمشق، وبعد ان تجاوزنا مزرعة خرابو التي كانت ملكا للسيد خالد العظم وآل العظم وصلنا الى أرض بالا التي كانت ملكا للمغفور له السيد شكري القوتلي وآل الدالاتي، وفوجئنا بأن بطمر تراب بالطريق بدأ هناك ولكن الأتربة كانت كثيفة وما لبثت السيارة أن غاصت هناك وتعذر تشغيلها، أو إخراجها من المخاضة الترابية، ولم يكن هناك أمل بمرور سيارة أخرى، فاتفقنا على أن يذهب السيد مختار الهبل مشيا على الأقدام الى حوش القوتلي لجلب فدان بقر وعمال وقد استغرق ذلك أكثر من ساعتين ريثما أمكن انتشال السيارة والعودة الى دمشق.

هذه حادثة واحدة من عدة حوادث مماثلة منذ انشأت مزرعة العدمل وأود أن أضعها أمام من يريد المقارنة بين أوضاع الطرق في الماضي وما آلت اليه اليوم من تطور باهر شمل جميع قرى الغوطة من قاصية ودانية، وكل منا يرى الطرق الجيدة تمتد الى مناطق لم تكن تعرف في الماضي غير الخيول والبغال كوسائط للنقل والحمل والشحن، أما اليوم فقد وصلت السيارة بكل أنواعها الى كل مكان في الغوطة والمرج، وغدونا نراها نهارا وليلا وهي تقدم الخدمات دون انقطاع.

بفضل هذه الشرايين الطرقية أصبح ممكنا وسهلا زيارة مزرعة العدمل التي قمنا بتأسيسها في منطقة نائية كانت قبل ثلاثين عاما مساحة شاسعة من المستنقعات والسبخات وأصبحت بعد الجهد الشاق والعمل الدؤوب مزرعة نموذجية يزورها المزارعون للاطلاع، وأذكر أن المغفور لهما الرئيس شكري القوتلي والسيد جميل مردم بك قاما بزيارتها وأثناء اجتياز الحواجز تدخل الناطور الشركسي لجهله بالاشخاص، كما أذكر أن رئيس وزراء الجمهورية اللبنانية المرحوم كميل شمعون كلف المرحوم السيد سهيل الخوري بالتوسط لزيارة المزرعة اثناء تواجده في أراضي الغوطة للصيد، وفعلا كان يحضر الى المزرعة للصيد.

ومن الأمثلة على الأصالة والحرص على السمعة لدى عائلة الأيوبي أذكر أنه ذات مرة كان المرحوم علي الأيوبي يغتسل في حمام القاضي المعروف، بجوار منزله فدخل الى الحمام بعض الجنود الانكشارية وأرغموه على ترك الجرن الذي كان يغتسل بجواره، وهنا أراد بعض الجيران ممن يعرفون وجاهة الأيوبي ومنزلته ـ إعادته الى مكانه ورد كرامته فشكرهم وقال لهم: لا لزوم للمشاجرة مع هؤلاء.

ولما خرج من الحمام عاتبوه لأنه لم يسمح لهم بالدفاع عنه فقال هذه حادثة علم بها اثنان من الجيران ولو تطورت واتسعت وأتيح المجال لتدخل الشرطة لشاع الخبر في المدينة كلها.

والعاقل من كتم إهانة نفسه، ووضع حداً لانتشار القيل والقال عما حدث له.

الخاتمة

كما يبدأ كل كتاب بمقدمة يفترض أن ينتهي بخاتمة. وخاتمة كتابي أقول فيها إنه خطر لي ما يخطر لكل إنسان يفرغ من جهد مطول بستعرض فيه موضوعاً من المواضيع التي كانت مدار عمره، وهو أن يسأل نفسه ماذا فعلت أنت وقدمت في هذا المجال؟ والحق أنني في ما يتعلق بالحياة الاقتصادية كانت لي آراء ومقترحات كثيرة وعديدة جداً. ولعل السبب هو اعتيادي منذ الصغر على أن أتقدم بكل رأي أو نصيحة تتعلق بهذا الوطن الغالي. ولذلك ولسبب آخر سأوضحه في خاتمة هذه الخاتمة استأذن قارئي العزيز في أن نتصفح معاً بعض الاراء والمقترحات التي تقدمت بها مع بيان تواريخها ومناسباتها مشيراً الى ما حدث بشأنها ومقدار ما تطابقت مع توقعاتي ومخاوفي.

فعلى سبيل المثال كنت في الكتاب السابق[1] قد قلت بالحرف الواحد «.. فحتى الولايات المتحدة عاجزة عن الاستمرار في تسيير اقتصادها وازدهاره الوهمي على حساب الاستدانة، ولا تبقى عملة أية دولة قوية ومرتفعة طالما أن اقتصادها ضعيف وميزان تجارتها عاجز؟ وها نحن بعد ست سنوات نجد أسعار العملات قد تطورت كما توقعت وتطورت أسعار الدولار كالآتي:

	عام ١٩٨٤	عام ١٩٨٦	عام ١٩٩٢
الدولار يساوي من الين الياباني	٢٣٠	١٥٢	١٢٠
الدولار يساوي من المارك الألماني	٢٦١	٢٠٧	١٣٩
الدولار يساوي من الفرنك السويسري	٢٢٠	١٦٧	١٣٧
الدولار يساوي من الفرنك الفرنسي	٨٣٥	٦٨٠	٤٧٦

وفي نفس البحث ومع الاشارة الى سعر الليرة السورية بالنسبة للعملات الأجنبية سجلت ما يلي: «أنه يتوجب علينا التعايش مع (أو قبول واقع) ارتفاع أسعار العملات الأجنبية.

١ - انظر مذكراتي الأولى صفحة ١٥٩

ورأيت كذلك أن من الأفضل رفع السعر الموازي والسياحي للدولار بشكل يتساوى فيه مع السوق العالمية، وبينت فوائد هذا الاجراء.

وفي نفس المقال طالبت بسياسة اقتصادية ثابتة واضحة تضع تصوراً واضحاً لمنهجية استيراد وتصدير واضحين تكون مركزة على الانتاج ودعمه مع محاربة متشددة للتهريب ومنع الهدر والتبذير في الاستهلاك[2] كما أشرت الى الأموال الأجنبية الطائلة التي يملكها المواطنون المقيمون والمغتربون، وضرورة إيجاد صيغة ناجحة وفعالة للاستفادة من هذه الاموال وتوطينها في القطر. والسؤال الذي يصح القاؤه هنا: هل كان صدور قانون الاستثمار بعد عشر سنوات الا تأييداً لصحة هذا الموقف الذي وقفته والنظرات التي قدمتها؟

وكررت في نفس المذكرة رجائي للدولة الكريمة بضرورة إعادة الحركة الى المناطق الحرة، قائلاً إن بعض التجاوزات والمخالفات التي ظهرت في عمليات المنطقة الحرة لا تبرر محوها أو طمسها نهائياً، بل من الواجب دعمها وتشجيعها ضمن اطار يلغي التجاوزات والاساءات. وأحمد الله على أن الدولة بعد مضي سنوات على اقتراحي عادت فتبنت هذه الأفكار واعادت العمل بنظام المناطق الحرة.[3] .

***

وفي مذكرتي الثانية المقدمة الى رئاسة لجنة الترشيد[4] اقترحت رفع السعر الموازي والسياحي للدولار بحيث يصبح متوازناً ومتماشياً مع مستوى اسعار السوق الداخلية وأسعار السوق في الدول المجاورة. وأوضحت محاسن هذا التوجه من جهة وتطرقت الى محاذير النظام القائم ومساوئه. ونحن نلاحظ الان أن الدولة اتجهت فيما بعد الى اعتماد سعر قطع أجنبي بسيط وموحد وأقرب ما يكون الى أسعار السوق المجاورة، وقد تبنت دولتنا منذ ثلاث سنوات هذا التوجه الذي أظهر نتائجه الملموسة والهامة في أرقام قيم الصادرات السورية وتأثراته الواضحة على الميزان التجاري السوري في السنوات الثلاث الأخيرة.

٢ ـ هذه المطالب تتماشى مع توجيهات سيادة الرئيس حافظ الأسد التي أعلنها في أكثر من مناسبة.

٣ ـ انظر مذكراتي الأولى صفحى ١٦٤

٤ ـ انظر مذكراتي الأولى صفحة ١٦٦

حول المرسوم ٢٤[٥]

وحين صدر المرسوم ٢٤ في ١٩٨٦/٨/٣١ قدمت في اليوم التالي لصدوره تعليقاً ركزت فيه على أن الاجراءات المتخذة في هذا المرسوم تمثل الجانب الدفاعي والسلبي لمعالجة مشكلة القطع الأجنبي، ولا بد من التعمق في النواحي الايجابية بالاضافة الى ضرورة تفادي محاذير سوء التطبيق او سوء التفسير أو معاقبة المخالفات البسيطة الساذجة مع ضرورة السماح بتسديد بعض الاستحقاقات الطبيعية والصغيرة دون أعتبارها مخالفة للقانون.

ويظهر أن التفسيرات الاجرائية والتعديلات التطبيقية التي صدرت مؤخراً تؤيد نظرتي ورأيي، ولا زالت الدولة في حرصها على العمل المستمر لدعم مسيرة الانفتاح الاقتصادي ودعم التصدير والانتاج والاستثمار في صدد اجراء التعديلات الازمة ساعية بذلك الى دعم العمل الايجابي المنتج وتخفيف القيود الروتينية التي تكون سلبياتها أكثر من أيجابياتها.

أما بالنسبة للتصدير الى دول اتفاق المدفوعات فان حرصي ودعوتي الى ضرورة توجيه جزء من التصدير الى الدول الغربية فأنا سلفاً أسامح كل من ظن أن لي موقفا خاطئاً في هذا الموضوع. فمنذ البداية أي منذ بداية السبعينات كان حرصي على المصدرين أنفسهم مع مراعاة المصلحة الوطنية ومستقبل الصناعات السورية. وكان تخوفي يكمن في ضرورة تفادي الاعتماد على سوق واحد أساس التعامل فيه هش وغير دائم، وربما توقف هذا السوق ودعت الضرورة المصدرين السوريين الى الاتجاه بعد ذلك الى الاسواق. بعد أن توقف التصدير من القطر السوري الى دول الاتفاقات ورغم الأضرار الكبيرة التي تعرض لها المتعاملون معها فاننا نذكر باعتزاز أن المصدر السوري قد نجح في الولوج الى الأسواق الغربية واثبت قدرته على المنافسة والنجاح. لعمري أرجو أن يكون هذا كافياً لتأييد موقفي وتبرير اقتراحاتي.

ثم أنني بالاضافة الى ذلك أذكر أن توجيه الصادرات السورية الى الاسواق العالمية قد أراح الاقتصاد السوري من الضعف المستمر في أسعار القطع الأجنبي ووفر عليه قسطاً

٥ ـ انظر مذكراتي الأولى صفحة ١٧٣

كبيراً من التضخم الشرس والمتزايد الذي كنا نشكو منه نتيجة تضاءل القيمة المضافة لصادراتنا الى دول الاتفاقيات وتزايد تحويل هذه الصادرات بمواد أولية كنا ندفع قيمتها بالقطع الأجنبي ونقبضها بالعملة الوطنية.

وبالرجوع الى بعض ما كتبت أجد أن موضوع النهج الاقتصادي المبني على التعميم والثبات والتبسيط كان همي الكبير. فقد طالبت وما زلت أقول بان تعددية القوانين والتعليمات وتضاربها وتلاحقها إضافة الى الشروط والتخصيص والحصر كل ذلك يعتبر أسوا وأسرع سبيل الى الخلخلة والاساءة والتجاوز. لذلك أجدني سعيداً إذ أجد أن التوجه الرسمي الان قد أصبح في المسار المطلوب الذي بدأ يعطي ثماره لأنه لا يميز أحداً ويعطي الفرصة الحقيقية للمنافسة واثبات الجدارة وخدمة الاقتصاد.

ومن همومي الكبيرة التي سطرتها في العديد من مذكراتي أنني كنت أشير الى الروتين الذي كان يسود العمل في الدوائر الرسمية ومجالات المؤسسات العامة. ولكم طالبت بضرورة العمل الحثيث لإزالة كل العوائق والسلبيات والعراقيل التي تركها النظام الروتيني العفن الذي ورثناه من أيام الاستعمار. وما زلت أعتبر أن معركتنا في هذا المجال وفي تحسين أعمال الادارة وتبسيطها معركة صعبة وضرورية ولا بد من معالجتها وتجاوزها.

وفي مذكرتي التي عنوانها (خواطر حول الاقتصاد السوري) التي كتبتها عام ١٩٧٦[٦] ، قلت آنذاك بجرأة وبصدق: (ان مجالات اضطراد التقدم تبدو مفتوحة بأبواب عريضة وواسعة، واذا تمكنا من تصحيح أوضاع أصحاب الدخل المحدود من موظفين ومتقاعدين فستصبح سورية حقاً من الدول النامية القليلة جداً التي استطاعت أن تحقق ازدهاراً عاماً وشاملاً. كما أن تصحيح أوضاع الدخول المحدودة سيسهل على الحكومة والمسؤولين عملية الرفع من مستوى انتاجية الموظفين وسويتهم المسلكية، وهي مسألة أصبحت ضرورية جداً وملحة أشد الالحاح. هذا الموضوع حول الرواتب والانجازات تفاقم في أهميته وضرورة معالجته واجد أنني كنت محقاً إذ نبهت لأهميته منذ أكثر من ستة عشر عاماً.

وأخيراً فانني أجد لزاماً عليّ أن أوضح موقفي وموقف العديد من زملائي فيما يتعلق بالقطاع العام، بنظامه وانجازاته. فنحن لم نكن في يوم من الأيام ضد القطاع العام، أبداً،

٦ - انظر الصفحة ١٧٦

بل على العكس كنا ولا نزال نؤمن بأن للقطاع العام دوراً هاماً لا بد وأن يقوم به، وأن دور القطاع الخاص لا يتنافى مع القطاع العام بل يردفه ويكمله. لذلك كنا صادقين عندما كنا ننادي ونطالب السادة المسؤولين بإعطاء هذا القطاع الفرصة الحقيقية التي تمكنه من القيام بمسؤولياته وواجبه. كما كنا أيضاً نطالب بوضع أعمال القطاع العام على أسس إدارية سليمة قوية تعطيه المجال للسعي والجهد والمحاولة وتقدير النجاح ومكافأته وتسامح مع الفشل الطبيعي البريء.

على الصعيد العربي

أما على الصعيد العربي فقد سعيت ما أمكن لي إلى تحقيق الوحدة الاقتصادية والتعاون العربي ايمانا عميقاً مني بأن الوحدة والتعاون والتنسيق هي الرد العملي الواقعي الوحيد الكفيل بدعم مسيرة الدول العربية نحو الازدهار والتنمية والرفاهية.

ولا أظن أن أكثر مشاكلنا المالية والاقتصادية والتنموية الا نابعة من تفككنا وتشرذمنا وضعف انتاجنا وأسواقنا. وإنني أؤمن بنفس هذه الدرجة من الايمان أن أي عمل قطري مهما نجح وأبدع فسوف يحتاج في النهاية لمظلة ودعم التعاون والتنسيق والتوحيد العربي.

وختاماً فلو سأل سائل: من أين جئت بهذه الآراء التي رافقت المسيرة الاقتصادية، لكان جوابي الوحيد أنه توفيق من الله جعلني أدرك أهمية القوانين الاقتصادية والحقيقة التي تقول أن كل من يخالفها لا بد أن يفشل. فالعامل الذي لا يشبع لا تستطيع أن تطلب منه عملاً مثمراً ودائماً. والتاجر الذي لا يربح يهاجر ولا يتاجر. ومن يريد توسيع أعماله لا يأكل كل رأسماله. والصدق والعمل الجدي هما اللذان يوطدان وضع أي انسان على المدى الطويل. واذا كان الناس وأنا منهم يعزون الى رضا الله والوالدين سر النجاح، فهذا أمر مفهوم ليس في الدين فقط وانما أيضاً بالعقل والتجربة، فالذي لا يستطيع إرضاء والديه وهما يرضيهما أقل الأشياء كيف يمكن أن ينال رضا الناس وثقتهم؟

وأدركت أن القواعد الاقتصادية أقوى من الدول والدول التي تخالفها لا تنتهي بنهاية حسنة، ولذلك فكل قرار يخالف المبادىء الأساسية للاقتصاد ينتهي أمره الى خسارة وبوار.

من هنا تأتي قيمة المثل الدمشقي الذي يقول أن (المعلمية طول مدة وطيب عدة). فأما المدة فهي الزمان الذي يعلم الناس ويزيد خبرتهم ويصقل معادنهم، والعدّة فهي قبل كل شيء العلم والفهم واحترام القواعد الأساسية في الحياة.

نعم من توفيق الله انني رأيت أبعد مما يتراءى أمام العين مباشرة، ومن الاخلاص للمبادىء الاقتصادية القويمة أخذت أساس توجهي الذي يقول أن الانتاج أصل والباقي كله فروع. ومن نعمة الله عليّ أنني عملت في هذا الاتجاه ثمانين عاماً كاملة كنت فيها أصل الليل بالنهار، ولعل هذا من أنواع قيام الليل لأن العمل والتفكير في مصالح الناس عبادة، وأشكر الله تعالى على امتداد العمر وصحة البصر والبصيرة.

أما السؤال الذي تركته الى النهاية فهو: هل يمكن أن نتصور ما كانت تكون عليه أحوالنا الاقتصادية وكل احوالنا الأخرى تبعاً لها، لو أن المسؤولين في كل البلاد العربية ألقوا بالهم وسمعهم الى مقترحات المؤتمرات الاقتصادية التي أوردتها في هذا الكتاب والكتاب السابق وأنشأوا النقد العربي الموحد وفتحوا أبواب العالم العربي أمام أجزائه وأقاموا المنشآت الاقتصادية التي نادى بها الاقتصاديون العرب المستنيرون الذين عملهم فتح الابواب والنوافذ لا إغلاقها بسبب من بعض المصالح الأنانية الضيقة؟..

وسؤال آخر: ألم يحن الوقت لكي يقرر الاقتصاديون الشرفاء المستنيرون على مستوى العالم العربي ما يجب أن تفعله الحكومات من أجل التعجيل في ضمان المستقبل العربي الذي فقد كثيراً من الزمن، ولكن لم يفقد بعد القدرة على النهوض وتأسيس كتلة اقتصادية عربية ضخمة تقف موقف الند والمساوي أمام الكتل الاقتصادية الأخرى؟ إن البلاد المتقدمة اذا ملكت القدرات العلمية والتقنية فإننا نملك مثلها متمثلة بثرواتنا الطبيعية وبأدمغة أبنائنا التي تهاجر الى كل أنحاء العالم وتعمل على توطيد وتقدم البلاد الأخرى بينما نعجز نحن عن تأمينها وأعطائها الحد الأدنى من سبل العيش الكريم لكي تفرح بالبناء في بلد الآباء والأجداد.

ويا حبذا لو تمعن القارىء الحصيف في كل مقترح خرجت به مؤتمراتنا مما قدمته في هذا الكتاب والكتاب السابق، ليرى كم أضعنا من وقت، وكم في وسعنا أن نستدرك الان في السباق الذي لا يرحم أحداً، في عالم لا يعيش منه الا القوي الذي ارتقى فوق الخلافات والمنازعات الهامشية ونادى بإصرار وتصميم وصدق بضرورة العمل الحثيث لتحقيق الحد الأدنى المطلوب من التضامن والتعاون والتنسيق العربي. وفقنا الله جميعاً لنعمل ـ كل ضمن دائرته واختصاصه وعمله ـ وأن نساهم في دعم وتنشيط وازدهار وعزة هذه الأمة الكريمة التي تحتاج الى الكثير من التضحية والتآخي والجهد المشترك.

فهرست الاعلام

١ ـ ورد في هذا الكتاب ذكر عدد من الرؤساء والملوك والأمراء يتقدمهم الرئيس حافظ الأسد وفي مواقع عديدة لا تحصى، فلم ندخلها في الفهرس.

٢ ـ رتبت الأسماء حسب ابجدية الشهرة على حروف، وفي ضمن الحرف حسب تقدم صفحات الكتاب وبالتدريج

٣ ـ إذا وجد أمام الأسم الواحد أكثر من رقم فهذا يعني أنه تكرر ذكره في الصفحات المقابلة للأرقام المتعددة.

٤ ـ في العائلات كثيرة الأفراد المذكورين جمعناهم معاً في سطر جديد.

٥ ـ الأسماء التي تبدأ بكلمة بن وضعت في حرف الباء.

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء



يوم تجديد البيعة للسيد الرئيس



الرئيس يتقبل تحية بدر الدين الشلاح



يوم البيعة في مركز الاستفتاء



مع الرئيس عبد القادر قدورة



مع الرئيس محمود الزعبي والرفيق عز الدين ناصر والوزير حسان السقا



مع الرفيقين عز الدين ناصر وعبد الله دياب





مع وزير الأوقاف السيد الدكتور عبد المجيد الطرابلسي



مع وزير الزراعة الأستاذ محمد غباش



مع وزير التموين الأستاذ حسان السقا



مع اللواء حمامية محافظ مدينة دمشق





مع الدكتور اللواء ابراهيم جويجي ومع الحاج سعيد المزيك ـ كلمة ألقيت في سرداق غرفة التجارة



مع العميد الدكتور بهجت سليمان والعميد جميل حديفة وجوار السيد الرئيس



مع الرئيس محمود الزعبي ونائب الرئيس الدكتور سليم ياسين والوزير حسان السقا والوزير أحمد دياب



عدد من السادة الوزراء السوريين والوزراء اللبنانيين وأعضاء غرفة التجارة في ١٩٩٢/٢/١١



مع السيد وزير التموين ورئيس الجمعيات الحرفية وعدد من المخترعين وأعضاء غرفة صناعة دمشق



في الاحتفال بعيد البحرين - وزير الداخلية الدكتور حربا ووزير الاعلام محمد سلمان وبدر الدين الشلاح يقطعون كعكة مع سفير البحرين



مع الدكتور نادر النابلسي والدكتور راتب الشلاح في مزرعة العدمل



مع الدكتور خالد المهايني وزير المال والأخ السيد شفيق الشلاح



مـــع الدكتور يحيى بكـــور



مع المحامي الأستاذ نجاة قصاب حسن في مزرعة العدمل



استقبال الدكتور الشيخ سلطان القاسمي حاكم إمارة الشارقة لضيوفه أمام قصره ـ بين الضيوف الشيخ اسماعيل أبو داود رئيس اتحاد غرف التجارة والشيخ عبد العزيز العتيقي والسيد طارق سعيد والشيخ حسن الندمان والدكتور عبد الله دحلان والسيد عبد الله الخرجي وآخرون والحاج بدر الدين الشلاح



صورة شاملة لأعضاء وفود الغرف الاسلامية المنعقد في كراتشي بمناسبة افتتاح مقر الغرفة



مع السيد رجا عبد الرحمن رئيس اتحاد الغرف التجارية الباكستانية ـ حزيران ٩١ في استقبال بدر الدين الشلاح والى جانبه ولده الدكتور سليم



مع السفير السعودي والشيخ اسماعيل ابو داود وحاكم كراتشي الدكتور عبد الله ناصيف في دار القنصل السعودي في الباكستان
السيد محمود هارون



لدى سماع خطاب رئيس الجمهورية الباكستانية السيد غلام اسحق خان ١٩٩١/٦/٣



السيد محمد فواز شريف رئيس وزراء الباكستان يحيي السيد بدر الدين الشلاح



رئيس مجلس الوزراء الباكستاني السيد محمد فواز شريف يسلم بدر الدين الشلاح وسام التقدير لخدماته للغرفة الاسلامية



السيد حامد عبد الرحمن رئيس اتحاد غرف الباكستان ود.غامد امين عصبة المنظمة الاسلامية والشيخ اسماعيل ابو داود في دار القنصل السعودي في كراتشي



السيد رئيس جمهورية الباكستان يتقبل ميدالية تذكارية للسيد الرئيس حافظ الأسد من بدر الدين الشلاح في المؤتمر ٣/٦/١٩٩١



لدى سماع خطاب رئيس الجمهورية الباكستانية ـ بين الحضور السيد طارق سعيد نائب رئيس الغرفة وبدر الدين الشلاح والشيخ يوسف فليح ومندوب الغابون، وفي الصف التالي السيدان عبد المعين الحرش وفاروق الطباع ٣/٦/١٩٩١



من اليمين الى اليسار السادة: مصطفى سرالختم مدير الخطوط السودانية في دمشق، عبد الغني النعيم سكرتير ثان السفارة السودانية عبد الحافظ ابراهيم مستشار، د.تاج السر مصطفى عبد السلام وزير الصناعة السودانية، السفير محمد عبد الدائم بشير، ثم عصام الرشيد السفير السوداني بدمشق وابراهيم عبيد الله وزير التجارة السودانية ود.راتب الشلاح والمهندس علي أحمد عبد الرحيم وابراهيم هجونا نائب الممثل المقيم لبرنامج الأمم المتحدة الانمائي



مع السيد عبد الرحيم حمدي وزير المالية السودانية والسيد عصام أبو جديري سفيرالسودان بدمشق والدكتور راتب الشلاح والسيد محمد مروان الشلاح



السيد محمد علي درغوت والسيدان رجا عبد الرحمن وحنان سعيد



الدكتور محمد العمادي والسادة بدر الدين الشلاح وشبلي أبو عسلي ومحمد مهروسة



في سوق الانتاج في حلب



حفل وزير المواصلات في مقاطعة السند ١٩٩١/٦/٤
مع الشيخ اسماعيل أبو داود والشيخ يوسف فليج وآخرون



لبنان: غداء في مؤتمر الغرف العربية وفيه: الشيخ اسماعيل أبو داود والسيد عدنان قصار والاستاذ عمر كرامي رئيس مجلس الوزراء اللبناني



من اليمين د. برهان دجاني الشيخ يوسف الفايج السفير السعودي في باكستان والشيخ اسماعيل أبو داوود فالرئيس الأفغاني ....
وخلفه د. سليم الشلاح فالحاج بدر الدين الشلاح



مع مدير شركة بكتين السيد سلافيتش والسيد أورباخ مع الحاج بدر الدين الشلاح وولديه الدكتور راتب والسيد غسان وحفيده بدر ومعهم صهره المهندس خالد الحبوباتي مع البعثة الاقتصادية البلجيكية والاستاذ عادل ابو شعر في نادي الشرق ٢١/١٠/١٩٩١



حفلة العيد الوطني للامارات الحاج بدر الدين مع د. علي حميدان سفير الامارات



في نادي الشرق مع البعثة البلجيكية والسيد عادل أبو شعر أمين سر غرفة الصناعة



اجتماع الغرف العربية في القاهرة ١٥/١١/١٩٩٠ الاستاذ محمود الفلاح الحاج بدر الدين الشلاح، الاستاذ مأمون السبيعي والاستاذ صائب النحاس والسيد محمد سعيد الخطيب والسيد يوسف الاخوان



الاستاذ محمود العربي رئيس اتحاد الغرف المصرية والسيد محمد السيد يستقبلان الحاج بدر الدين الشلاح وولده الدكتور راتب



في ١٩٩٠/١٠/٥ افتتاح معرض الصناعة في حلب
أبو راتب ينظر الى العرض الذي احتفلت به محافظة حلب بحضور وزير الاقتصاد والزراعة وهو باسم من جوارح قلبه من السرور بما وصلت اليه سوريا في هذا العهد



المؤتمر الثالث لرجال الأعمال السوري السعودي ٤-٥/٧/١٩٩٢ في حلب فندق شهباء الشام بعد الغداء



الدكتور سليم ياسين بالوسط وعلى يمينه الوزير وهيب فاضل، والوزير د. خالد المهايني، والوزير الدكتور محمد العمادي، وعلى يساره وزير الاقتصاد اللبناني الاستاذ مروان حمادة، الحاج بدر الدين الشلاح، الدكتور صباح بقجي وزير التخطيط، والسيد البير عاصي ممثل لبنان.



قاعة غرفة تجارة حلب في ٤ـ٥/٧/١٩٩٢



بمعهد الاسعاف الخيري

د. راتب الشلاح، الحاج بدر الدين الشلاح، السيد وزير الشؤون الاجتماعية الاستاذ حيدر بوظو، السيد محافظ دمشق الاستاذ أمين أبو الشامات، السيد محي الدين سكر، الدكتور موفق الشلاح، السيد محمد مروان الشلاح، السيد موسى مارديني مدير الشؤون الاجتماعية، المهندس نزار سكر والاستاذ عبده الرز مدير الميتم



السيد بدر الدين الشلاح - رئيس غرفة تجارة دمشق - يقدم درع الغرفة الى السيد ايتالو بينوتشي - رئيس غرفة تجارة بيزادو الايطالية



السيد بدر الدين الشلاح رئيس غرفة تجارة دمشق يقدم درع الغرفة الى وزير الصناعة الأرميني وبينهما الدكتور أحمد نظام الدين وزير الصناعة السوري



لقطة تذكارية في نادي الشرق تضم السادة رئيس وأعضاء مجلس غرفتي تجارة وصناعة دمشق مع وزير الصناعة الأرميني والوفد المرافق بحضور السادة وزراء التموين والزراعة والصناعة والتخطيط



وفد جمعية المغتربين السوريين في انكلترا في لقطة تذكارية مع السادة رؤساء وأعضاء مجالس ادارة غرف التجارة والصناعة السورية عند مدخل غرفة تجارة دمشق



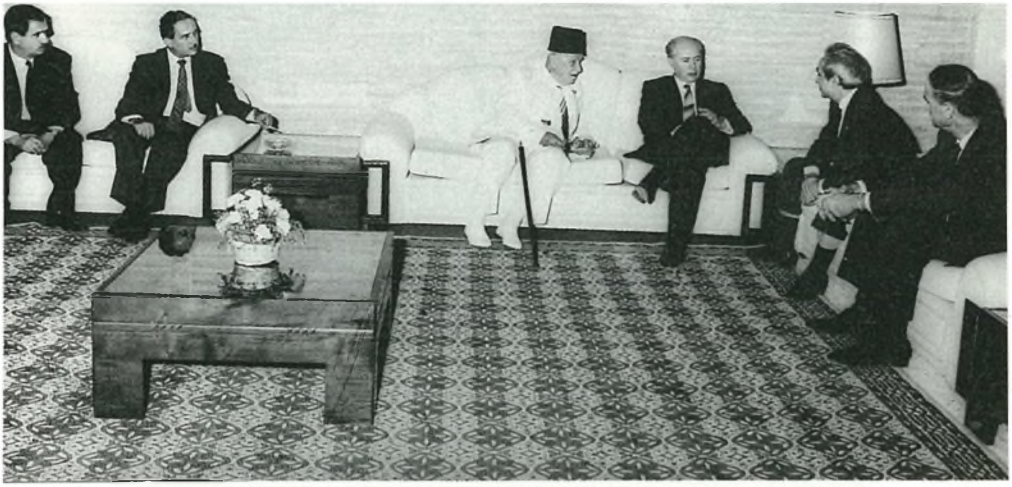
حفلة عشاء بالمزرعة للوفد السوداني الشقيق ١٩٩١

السيد مصطفى سر الختم مدير الخطوط السودانية، السفير عصام أبو جديري والسادة عبد الحافظ ابراهيم وعبد الغني نعيم من السفارة، د.تاج السر مصطفى وزير الصناعة، د. ابراهيم عبد الله وزير التجارة، د. راتب الشلاح، المهندس علي أحمد عبد الرحيم وزارة النقل، السيد بله ابراهيم بالأمم المتحدة بدمشق



مهرجان القطن في حلب ١٩٩٠

الاستاذ راتب جابر، محمد غباش وزير الزراعة، أحمد قبلان عضو القيادة القطرية رئيس مكتب الفلاحين، الحاج بدر الدين الشلاح، أبو زكي الشلاح، قائد شرطة محافظة حلب



في قصر تشرين نهاية ١٩٩١ باستقبال سيادة رئيس جمهورية قبرص مع الحاج بدر الدين الشلاح والدكتور عثمان العائدي والدكتور يحيى بكور والسادة غسان قلاع وعادل حسن



الحاج بدر الدين والشيخ حميد النعيمي حاكم امارة عجمان والسيد خلدون الرملي



صورة تذكارية في مزرعة العدمل مع الاستاذ يوسف وهبي والسيدة أمينة رزق والسيدة علوية جميل



صورة تاريخية للحاج بدر الدين مع المرحومين حسني الصفدي وأبو سليمان الجيرودي



صورة تاريخية للحاج بدر الدين مع المرحومين عثمان الشحرور وحسين قنواتي



وفي عام ١٩٤٩ مع شفيق الشلاح وعبده أبو الخير من بور سعيد وهاني الجزائري



الحاج بدر الدين مع الشيخ حميدان راشد النعيمي حاكم امارة عجمان



في عام ١٩٤٦ بدر الدين الشلاح وشفيق الشلاح وعادل العميل والتاجر صباح السمان وحمدان عرفة ومحي الدين سكر



صورة تاريخية في طرابلس عام ١٩٣٣ مع حسن مشطح ومحمود عيدو وأصدقاء آخرين



عدد من كبار رجالاتنا في ماضينا الوطني



مطابع ألف باء - الأديب
دمشق

أبـو راتـب ..

★ إنـه الرجـل الذي يستصلح الأرض ويحـول المستنقعات الى مزارع مزدهرة ، ويجعـل مـن هضبـة وعرة مصيفـا مرموقا فيـه الحـدائق والقصـور ، ويسـافر الـى الأقاصـي ليحيي الأرض البـور .

★ الذي يبحث عـن فرص الاستثمـار الايجـابي المشروع ، ويصدر الانتـاج الوطني الجيد الى أسواق العالم ، ويقف على رأس الأسرة التجارية بحكمـة ولبـاقـة وموضوعيـة .

★ والذي يتبنى التربيـة الصارمـة المبنيـة على الاعتماد على النفس والتمرس بالمشقة وتجنب الاسراف وعادات السوء ، وينصح بالبدء مـن الصفر واعتياد العمل الشاق والتعلم من الأخطاء والتأكيد على احترام الجميع حفيدهم وكبيرهم ، والحرص على طلب العلم الى أعلى الدرجات .

★ والذي ينصح بالزواج المبكر لحماية الشباب من الفساد ، ويعمل على إقامـة بيوت الله ويدعم الجمعيات الخيرية ، ويبادر الى أعمال البرّ وتأمين الموارد للأوقاف والالتزام الذاتي بعمل الخير .

★ والذي يقيم أفضل العلاقات مع أفضل الرجال في البـلاد وفي الأقطـار الشقيقـة ...

مجموعة رجـال في رجـل

مجلة الصباح ، حزيران ١٩٩٢

مطابع ألف باء الأديب